كولن ولسون

موسوعة الألغاز المستعصية



ترجمة: مالك فاضل البديري

الطبعة الثانية
١٩٩٥



المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القدس ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٦٣٨٦٨٨
فاكس ٦٥٧٤٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

التوطئة

بعد أن أتحفنا المفكر المبدع كولن ولسن بمجموعة إنتاجاته كاللامنتمي، وما بعد اللامنتمي، والقفص الزجاجي بكل ما حملته من أفكار خلاقة فجرت ثورة فكرية في اوربا (وبالأخص اللامنتمي)، وبعد أن عرج ذات المؤلف على لون آخر من الابداع يتعلق بالسحر والقوى الخارقة فأثرانا بمجموعة جديدة هي ما بعد الحياة، والإنسان وقواه الخفية، والحاسة السادسة، يطل كولن ولسن علينا اليوم من نافذة جديدة دل بها على موسوعيته الفكرية بأن قدم الينا هذا الكتاب الذي بين ايديكم الآن وهو عبارة عن مجموعة كبيرة من الألغاز التي يلم نفر منا بجزء قليل او كثير منها او لعلنا لا نعرف عنها شيئاً.

سوف يستمتع القاريء بالإطلاع على هذه الألغاز بعد أن نقلناها الى لغة الضاد بإسلوب سلس مباشر أفرغ فيه المؤلف بنات أفكاره بلغة الكتاب الأصلية مؤكداً رغبته بأن يتاح لجمع غفير من القراء الإطلاع عليها على اختلاف منابتهم الادبية وتباين مشاربهم الفكرية. ومع أن الخط العام لأسلوب الكتاب هو الوضوح، سيجد القاريء حالات تتسم بالصور البلاغية والمجاز وهذا راجع الى أمانة الترجمة التي حاولنا من خلالها المحافظة على سلامة نقل الصور التي تناولها المؤلف.

لقد ارتأى ولسن في كتابه هذا أن يطوق ألغازه المطروحة بسلسلة من الحلول والآراء المتفاضلة في درجة دنوها من الحل الأمثل حسب قناعة القاريء، آخذين بعين الاعتبار انطواءها على حقول متعددة من العلوم الانسانية والصرفة.

وتجدر الإشارة هنا الى أن القاريء لواجد في هذا الكتاب الأوحد موسوعة علمية وفكرية شاملة تدنو فيها حقول علمية ومعرفية شتى طوع بنانه مشفوعة بحلول استخدمها المؤلف من وحي عبقريته الفذة.

سائلين المولى أن نكون قد وفقنا في هذا الانجاز. انه من وراء القصد.

المترجم

مالك فاضل البديري

اطلنطس

القارة الغارقة

يجد العالم في قارة اطلنطس اعظم لغز في التاريخ، وكان افلاطون حوالي ٣٥٠ ق.م اول من تحدث عن جزيرة عظيمة في المحيط الأطلسي اختفت بين عشية وضحاها وغاصت تحت امواج الأطلسي.

لقد أضفى افلاطون على آخر حوارين ل (تيمايوس) و (كراشياس) صفة الخيال العلمي في الأمتاع. وتبنى الشاعر والمؤرخ الكبير كراشياس نقل القصة، مستهلاً اياها بأن سولون - المشرع اليوناني المشهور - ذهب الى (سايس) بمصر عام ٥٩٠ ق.م وسمع قصة الأطلنطس من كاهن مصري. وطبقاً لما اورده الكاهن فإن اطلنطس كانت حضارة عريقة حين تأسست أثينا عام ٩٦٠٠ ق.م، وهي قوة جبارة هددت عن سابق اصرار كيان اوربا وآسيا سوية حتى وضعت لها مدينة أثينا النهاية. وهي تمتد، على حد قول الكاهن، لما بعد أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق)، اما مساحتها فأكبر من ليبيا وآسيا مجتمعتين، وهي إمبراطورية عظيمة وجميلة غزت ليبيا واوربا حتى (ترهينيا) (اتروبا وسط ايطاليا). بيد أن أثينا ما وهنت حتى بعد ان خسرت حلفاءها، وقاتلت اطلنطس بمفردها وتحقق لها غزوها. وهنا حدث فيضان وزلازل مخيفة سحقت الأغريق وسكان اطلنطس وغرقت القارة تحت الامواج.

ويغور افلاطون في حواره الثاني (كراشياس) في تفاصيل اعمق بما يتعلق بتاريخ وجغرافية القارة المفقودة موضحاً أن بوسيدن (نبتون) اله البحر قد اوجد السلالة الأطلنطية بأن أنسب أباً لعشرة اطفال لسيدة عذراء من البشر (كليتو)

كان قد أبقاها على تل تحيطه عدة قنوات. لقد تميز سكان الأطلنطس بأنهم عظماء في الهندسة والمعمار، فبنوا القصور والمعابد وأقاموا الموانيء والمرافيء وشيدوا عاصمتهم على تل تحيطها عدة أشرطة متمركزة من الأرض اليابسة والمياه، وتربط هذه الأشرطة قنوات ضخمة كانت تكفي لإبحار أكثر من سفينة خلالها. ويبلغ قطر المدينة حوالي (١١) ميلاً. اما حلقات المياه الخارجية فكانت تصلها بالبحر قناة عظيمة بعرض (٣٠٠) قدم وبعمق (١٠٠) قدم. ويقع خلف المدينة سهل تبلغ مساحته ٢٣٠ × ٣٤٠ ميلاً استغله المزارعون لتمويل المنطقة بالغذاء، بينما تقع خلف السهل سلسلة جبال ذات قرى غنيه ومروج خصبة تحوي شتى انواع الكلأ. ويمضي افلاطون في سرده للمدينة فيظن اما انه اسهب في تفاصيل معينة او انه يملك موهبة الروائي. فشرحه عن البنايات الجذابه ذات النافورات الحاره والبارده وقاعات الطعام العامه والجدران الحجرية المطلية بالمعادن الثمينة قد ابهرت اجيالاً من القراء لأكثر من الفي سنة.

يقول كراشياس ان اهل الاطلنطس أضاعوا الحكمة والفضيلة اللتين أورثتهما اياهما الآلهة، فعاثوا في الأرض فساداً وغدا الجشع ايمانهم والجبروت عقيدتهم. وها هنا قرر زيوس (كبير آلهة اليونان) أن يريهم مكروهاً إستحقوه، فأجمع عليهم الآلهة. اما وقد بلغ هذا الحد، توقف افلاطون عن سرده للأحداث تاركاً حوار كراشياس مبتوراً، ومتوقفاً من جانب آخر عن كتابة الحوار الثالث ليكمل به ثلاثية (آلهة ماكريتس). بيد أننا قد نفترض أن نهايتها هي تدمير قارة اطلنطس.

لم ير العديد من الباحثين والمعلقين اللاحقين في قصة الاطلنطس غير خرافة أو رمز إتخذه افلاطون تعبيراً مجازياً لقصة سياسية، بل أنهم جنحوا بعيداً فخالوا تلميذه ارسطو أحد أولئك الذين رفضوا الخرافة وهو امر أبعد الى المعقول لسبب وجيه هو أن افلاطون أراد من حوار (التيمايوس) الذي إستهل به قصته، غاية

خرافة المفضوحة، وقد بلغ به حداً كناه فيه مترجمه (جاويت) كأعظم جهد للعقل البشري في مسعاه الى فهم العالم أنى تشعب. هو ذا العقل الذي أورثتنا اياه عقلية العصور القديمة، فلم يحشر افلاطون إذاً خرافةً في حوار كهذا؟؟. إنني ارى المنطق يتجلى في أن افلاطون أراد منها موروثاً لأجيال عديدة قادمة.

وبقيت قصة الاطلنطس مجرد قصة غريبة تثير الفضول لقرائتها ما يزيد على الفي سنة حتى شدت اليها اواخر القرن التاسع عشر وبين طوابير قرائها رجلا في مجلس الشيوخ الامريكي يسمى (اغناطيوس دونيللي) فكانت حصيلة ذلك كتابه الموسوم (اطلنطس عالم ما قبل الطوفان) سنة ١٨٨٢ الذي حقق اكثر المبيعات وكان اكثر كتاب اعيد طبعه وبقي مقروءا ومعاصرا حتى بعد مرور قرن عليه -ويتساءل دونيللي في كتابه هذا فيما اذا كان افلاطون قد سجل كارثة حقيقية أم لا. ويتوصل الى الجواب ايجابا بأنه سجل كارثة حقيقية مستندا بذلك الى الاضرار الوخيمة التي تسببها الزلازل والبراكين في عصرنا هذا وان هناك دليلا آخر هو أن قارة استراليا هي الجزء المرئي الوحيد من قارة كانت تمتد من افريقيا الى المحيط الهادي والتي اسماها العلماء (ليموريا) (اسماها الليموريا عالم الحيوان أل. بي. سكلاتر الذي لاحظ أن حيوان الليمور وهو الهبار من فصيلة القردة يتواجد في المنطقة الممتدة بين افريقيا الى مدغشقر ويفترض ان كتلة ارضية واحدة قد ربطت الاثنين معا). كما درس اساطير الفيضان من مصر الى المكسيك مشيرا الى نقاط الشبه وموضحا جميع سمات القربى التي تربط النتاج الانساني من كلا الجانبين من الاطلنطس ويشير ايضا الى ان هناك قمة وسطية في الاطلنطس وهي أن الازورس تبدو كأنها قمم جبال لجزيرة غارقة كبيرة.

لقد ساعد دونيللي إلمامه في الجغرافية وعلم الارض وتاريخ الحضارات العام وعلم اللغة أن يكون موسوعيا فنجد الكتاب وقد ترك بصماته ايضا على رئيس وزراء بريطانيا كلادستون الى درجة محاولته اقناع مجلس الوزراء بتخصيص

مبالغ وإرسال سفينة لتعقب حدود الاطلنطس (ولكنه فشل).

أما المؤلف الامريكي أل. سبراغ دي كامب فيقول في كتابه (القارات المفقودة) الذي صدر بعد حوالي ٧٠ سنة من صدور كتاب دونيللي: (أن معظم ما جاء به دونيللي من حقائق انما هي حقائق مخطوءة عندما تكون من بنات افكاره أو أن الاكتشافات اللاحقة أثبتت عدم صحتها)، ويضيف (انها ليست الحقيقة ان هنود البيرو نظاما في الكتابة ومن أن نبات القطن في العالمين القديم والجديد ينتمي الى نفس الجنس وان الحضارة المصرية ظهرت فجأة الى الوجود وان هانيبال استخدم البارود في عملياته الحربية). ويوضح دي كامب ان ثقافة دونيللي لا يمكن الوثوق بها الى الدرجة التي تبدو عليها ومع هذا فأن هناك الكثير في كتابة ذي الاربعمائة والتسعين صفحة ما يستحق المراجعة والذي بقي بلا منازع.

وقد سبق صدور كتاب دونيللي بخمس سنوات كتاب آخر جاء بجزئين أثار موضوع الاطلنطس الموسوم ب (رفع الحجاب عن ايزيس آلهة الامومة) لكاتبة روسية مغمورة تدعى هيلينا بلافاتسكي التي اخرجت كتابها ذا الالف والخمسمائة صفحة بسرعة ظن فيها البعض انها تكتب آليا بيد انها لم تتجاوز في تعليقها عن الاطلنطس الصفحة الواحدة وردت في الجزء الأول(ص٥٩٣)ذكرت فيها ان سكان الاطلنطس مثلوا السلالة الرابعة على الارض وانهم كانوا جميعا وسائط طبيعية. ولأن هؤلاء القوم قد اكتسبوا علمهم دون جهد جهيد فقد باتوا لقمة سائغة لتنين عظيم يسمى (الملك ثيفيتات) الذي افسدهم خلقهم واصبحوا أمة للسحرة والدجالين واشعلوا فتيل حرب انتهت بأنطمار قارة اطلنطس.

لقد ادهش الكتاب حتى ناشره بعد أن حقق اكثر المبيعات وبات الكتاب

الاكثر رواجا بين الكتب لتنال مؤلفته الشهرة الواسعة منه فغادرت نيويورك الى الهند وأسست هناك جمعية المتصوفين. بيد انها اتهمت بالمرواغة بعد فشل بياناتها وعادت ادراجها الى لندن لتموت فيها بمرض(برايت) سنة١٨٩١ بعمر ٦٠ عاما. وقد خلفت وراءها مخطوطة لكتاب اضخم واكثر اثارة من كتابها (رفع الحجاب عن ايزيس) ألا وهو كتاب (المذاهب السرية) وقد جاء تعليقا على عمل سابق يسمى كتاب دزيان وهو خرافة كتبت عن الاطلنطس باللغة السينزيرية. وتقول مدام بلافاتسكي في كتابها هذا ان الانسان لايمثل السلالة الذكية الأولى على الارض فالسلالة الاولى تكونت من أحياء لا مرئية خلقت من سديم النار. اما السلالة الثانية فقد استوطنت شمالي آسيا والثالثة اتخذت من قارة الجزيرة المفقودة في ليموريا او (مو) في المحيط الهندي موطنا لها وضمت عمالقة أشبه بالقردة كانت تفتقر الى العقل. ويمثل الاطلنطيون السلالة الرابعة وقد أرتقوا اعالي السلم في حضارتهم والتي أفل نجمها بعد غرق قارتهم نتيجة حرب نشبت لدوافع انانية شريرة. أما نحن سكان اليوم فنمثل السلالة الخامسة وهي من اكثر السلالات صلابة لحد الآن بينما ستكون السلالتان القادمتان السادسة والسابعة اكثر اثيرية. وطبقا لما اوردته السيدة بلافاتسكي فأن جميع معرفة الماضي ستسجل على وسط اثيري يسمى (أكاسا) وتسمى هذه المعرفة (سجلات أكاسا) وتدعي ايضا أن من بقي على قيد الحياة من الاطلنطيين قد استوطن مصر وبنى الاهرامات قبل حوالي ١٠٠ الف سنة (فيما يؤرخ الدارسون المعاصرون بناء اول الاهرامات الى حوالي ٢٥٠٠ ق.م). وفي الوقت الذي ظهر فيه كتاب (المذاهب السرية) كان كتاب دونيللي قد منح قصة الاطلنطس شهرة واسعة مما حدا بأحد اعضاء الجمعية الثيوصوفية البارزين في لندن ويدعى سكوت أليوت بأصدار عمله الموسوم (قصة الاطلنطس) عام ١٨٩٦ الذي ذاع صيته كثيرا. لقد ادعى سكوت انه يملك القدرة على قراءة سجلات أكاسا بل انه ادلى برأي مدهش آخر هو أن حضارة الاطلنطس قد ازدهرت قبل حوالي مليون سنة وأن هناك

سبع سلالات فرعية أحداها سلالة (تولتكس) غزت القارة بأسرها وبنت مدينة عظيمة سبق وان تحدث افلاطون عن سماتها. ولما مارس احد الاطلنطيين السحر الأسود تحركت أسرة خبراء كبيرة الى مصر وأقاموا فيها سلالة حاكمة بينما بنى قسم آخر مدينة ستون هينج في بريطانيا.

وفيما بعد لم يأل سكوت جهدا في توظيف بصيرته على سجلات أكاسا ليصدر كتابا آخر عن ليموريا حقق الشهرة الطيبة الواسعة فأعد الكتابان ومعهما كتابا (رفع الحجاب عن ايزيس) و (المذاهب السرية) على انها الكتب المقدسة الأساسية للمجتمع الصوفي.

وكان اكثر الثيوصوفيون تأثيرا بعد مدام بلافاتسكي هو النمساوي (رودولف شتاينر) الذي كان على خلاف مع المتصوفين الانجليز وطور نظامه الخاص في (فلسفة السحر) والمعروفة بأسم (انثروبوسوفي). وقبل المقاطعة وبالتحديد سنة ١٩٠٤ أصدر شتاينر كتابه الموسوم (من سجلات الاكاشية) (والاكاشية هي التهجئة البديلة للاكاسية) والذي يتناول اطلنطس وليموريا. وليس من العسير رفض هذا العمل واعتباره مجرد نتاج مماثل من الآراء المتطرفة والطائشة. ومع هذا نجده يملك جوهرا حقيقيا ينم على فهم عقلاني يقرع من خلاله اجراس الحقيقة شأنه في هذا شأن معظم أعمال شتاينر الاخرى. فهو يصب تفكيره في أطار تطور العوالم وطبقا لنظامه فأن الكائنات الحية العليا والمسماة بالهرميات (السلطة) هي المسؤولة عن هذه العملية. ان الهدف من الرقي هو أن تطيح الروح بعرش مملكة المادة. لقد بدأ الانسان اثيريا رقيقا وازداد صلابة مع كل مرحلة من مراحل الرقي. بيد أن تطور الانسان عبر العوالم الثلاثة البدائية الاولى ولد من جديد على كوكبنا (الأرض) وكان جسده اكثر من مجرد سحابة بخار. وفي الوقت الذي تطور فيه الى السلالة الثالثة (الليموريين) تعلم الانسان سر التخاطر (التلبيثي) وكذلك الاستخدام المباشر لقوة ارادته.

وفي هذه الحقبة من الزمن دخل المرض والموت والخوف تأريخ الانسانية. وسيطر الانسان في المرحلة التالية من عمر الاطلنطس على قوى الحياة النباتية ليستثمرها مصدر طاقة وكان كذلك يفتقر الى التعقل ويملك في ذات الوقت ذاكرة قوية بشكل غير اعتيادي. الا ان القوى العدائية التي اسماها شتاينر (اهريمان) دفعت بالانسان ليكون مجرد اداة تحقيق علمي فأزداد فسادا وتبجحا وان محاولته توظيف قوى مدمرة قد سببت اخيرا الكارثة التي حلت بالاطلنطس. وقد أرخ شتاينر وعلى خلاف مدام بلافاتسكي تأريخ هذه الكارثة حوالي ٨٠٠٠ سنة ق.م مما يجعل منه احتمالا عقلانيا. (وحقيقة ان اولى المزارع في العصر الحجري الاوسط قد ظهرت وطبقا لما جاءت به الابحاث الاثرية لاول مرة على الارض في هذه الفترة، فأن أحد اساتذة التأريخ الامريكان ويدعى جارلس هوبجود أصر ان هناك خرائط للملوك البحر القدماء تشير الى وجود حضارة متطورة سادت المعمورة حوالي ٨٠٠٠ سنة ق.م) ويبدو ان قصة الاطلنطس قد وقعت في أيدي السحرة ورواد الخيال العلمي. فقد برز الى الساحة هذه المرة نصير جديد اكثر جدية من سابقية ألا وهو المحرر الصحفي الاسكتلندي لويس سبنس الذي سبق له كتابة بحوث دراسية عن اساطير بابل ومصر والمكسيك وامريكا الوسطى.

وقد نال كتابه (مشكلة الاطلنطس) عام ١٩٤٢ ما ناله كتاب دونيللي من شهرة واسعة. لقد اقترح سبنس أن هناك أدلة جيولوجية تؤكد وجود قارة عظيمة في منطقة الاطلنطس في الفترة المتأخرة من العهد الموسوني (قبل حوالي ٢٥-١٥ مليون سنة) وقد انقسمت الى مجاميع جزر صغيرة وتقع اكبر مجموعتين للجزر في المحيط الاطلسي أقرب الى منطقة المتوسط اما الجزيرة الكبيرة الاخرى فقد ظهرت في منطقة الهند الغربية ثم بدأ انقسام آخر في القارة الشرقية قبل حوالي (٢٥) ألف سنة حتى انتهت قبل حوالي (١٠) الاف سنة كما ذكر افلاطون. اما القارة الأخرى الواقعة غرب (انتيليا) فقد بقيت حتى وقت قريب

مضى. ويجادل سبنس ان الانسان لم يكن بحارا قبل حوالي (١٠) آلاف سنة (وربما سيعترض هيجود على ذلك) وعليه يجب ان يكون هناك دليل على ان سكان الاطلنطس قد لجأوا الى اراض مجاورة.

وبعد دراسته للساحل الجنوبي الغربي لفرنسا واسبانيا الشمالية وخليج بسكاي، استنبط سبنس دليلا مفاده ان السلالات البدائية الثلاثة وهي (الكروماكنون) و (الكاسيين) و (الازيلين) قد هاجرت جميعها من الغرب معتقدا ان انسان الكروماكنون قد وصل قبل حوالي٢٥ الف سنة وازاح انسان النيندرتال (فيما تقول الدراسات الحديثة لعصر ما قبل التاريخ ان انسان النيندرتال انقرض قبل حوالي ١٠ الاف سنة من التاريخ الذي اورده سبنس).

اما سلالتا الكاسيين والازيلين فقد وصلتا بعد حوالي (١٥) الف سنة وعرف عن الازيلين انهم استخدموا القوارب للصيد في المياه العميقة ويعتقد سبنس ان الجسر الارضي الذي كان يربط اطلنطس بأوروبا لم يعد موجودا الآن. كما ويعتقد ايضا ان الازيلين قد أوجدوا حضارتي مصر وكريت. وقد توجهوا غربا الى انتيليا ومكثوا هناك حتى غرقت جزئيا قبل عهد المسيح واصبح سكانها (المايانس) (هذا التطابق بين المايانس والاطلنطيين هو احد صور المضاربة للاطلنطس). اما اكثر نظريات سبنس غرابة هي ان اللاموس (وهو نوع من القوارض قصير الذيل غالبا ما تنسحب باعداد كبيرة) قد حاولت العودة الى اطلنطس. أما الحقيقة فهي وكما نعلم ان اللاموس انها يستجيب للاكتظاظ كما هو الحال مع الكثير من الحيوانات وان مسألة الانتحار الجماعي هي ليست احدى عاداتها بل انها مجرد محاولة منها للتفرق عشوائيا من المناطق التي تزداد فيها نسبة الولادة باضطراد.

ان ما ورد اعلاه لم يكن الاعتراض الوحيد لما جاء به سبنس فجداله ان

حضارات مصر وكريت وامريكا الجنوبية قد ظهرت فجأة كان موضع اعتراض علماء الآثار الذي نفى ذلك مؤكدا منذ البداية انها حضارات نمت تدريجيا من مجتمعات بدائية. الا انا نقول ان ماورد في كتب سبنس الثلاثة الاولى وهي (مشكلة الاطلنطس) و (اطلنطس في امريكا) و (تأريخ اطلنطس) الكثير مما يستحق النظر فيه. وفي الوقت ذاته لا يحق لنا قول الشهادة نفسها على كتابيه اللاحقين وهما (هل ستلحق اوروبا ركب الاطلنطس) والذي يتساءل فيه فيما لو ان عالمنا سيغرق بتأثير الوصولية الشريرة التي دمرت الاطلنطس (وكان ذلك في الفترة الهتلرية) وكتابه الثاني (العلوم السحرية في الاطلنطس) الذي يميل فيه الى ايجاد شيء من العدم (على القارىء أن يضع في حساباته اننا نتعامل هنا مع الكيمياء القديمة للاطلنطس فقط). ويبقى سبنس رغم ذلك اكثر الكتاب وثوقاً ومتعة ممن كتبوا عن الاطلنطس وان كتابه (مشكلة ليموريا) يحمل ذات العقلية والدراسة المنهجية على الرغم من أنه اضطر الى الاعتماد كثيرا على التوقعات والتخمين.

لقد استعان الكاتب كونان دويل في كتابه (اعماق ماراكوت) من توجيهات سبنس الذي توافق (سبنس) مع المكتشف الكولونيل بريسي فاوست بنظرته ان البرازيل كانت جزءا من اطلنطس القديمة وهي النظرية التي استثمرها دويل في كتابه (العالم المفقود) وقد اهدى الروائي (ريدر هاجرد) فاوست صورة من البازلت نقشت عليها اشكال عدة وعندما لم يتمكن المتحف البريطاني من كشف هويتها ذهب بها فاوست الى متكهن نفسي (التكهن النفسي هو القدرة على قراءة تأريخ شخصية او شخص ما من خلال لمس شيء كان ذلك المرء قد لمسه). وعلى الرغم من ان هذا المتكهن لم يكن يملك مفتاحا يدله على هوية فاوست فقد اخبره (انني ارى قارة كبيرة غير منتظمة تمتد من الساحل الشمالي لافريقيا الى امريكا الجنوبية وتنتشر على سطحها العديد من الجبال ويظهر بركان كأنه على

وشك الانفجار وأما على الجانب الافريقي من القارة فنرى السكان وقد تناثروا هنا وهناك وهم حسنوا الشكل ولكنهم ينتمون الى صنف يصعب وصفه، ذوي بشرة داكنة ولكنهم ليسوا زنوجا واكثر سماتهم تميزا بروز عظام الخد وتلألؤ العينين وكل ما استطيع قوله ان اخلاقهم تستحق منا العرفان اليها اما عبادتهم فهي اقرب الى الايمان بالشياطين والعفاريت.

من ناحية اخرى نرى سكان الجانب الغربي اكثر رقيا من غيرهم فالبلاد كثيرة التلال زينتها المعابد المنحوتة المشيدة باتقان لتطل جزئيا من واجهات المنحدرات الصخرية بينما تدعم واجهاتها البارزة بشكل جميل اعمدة منحوتة.. اما المعابد فداخلها مظلم وفوق المذابح يوجد ما يمثل عينا كبيرة يبتهل اليها الكهنة ويطغي على كامل طقوسهم الدينية السحر والتنجيم المقترن بتقديم الضحية وعلى مواضع مختلفة من المعبد تنتشر صور كتلك الموجودة بين يدي يبدو انها لكاهن ذي منزلة رفيعة.

ومضى المتكهن النفسي في سرده ان هذه الصورة ستقع اخيرا بين يدي من يجسد الكاهن من جديد (عندما تتوضح اشياء كثيرة طواها النسيان من خلال تأثير تلك الاشياء) ويتضح ايضا ان سكان المدن الغربية يتألفون من ثلاث طبقات وهي طبقة الكهنة والحزب الحاكم يقودهم ملك تولى الحكم بالوراثة والطبقة الوسطى وطبقة الفقراء او العبيد. وهؤلاء هم اسياد العالم بلا منازع. وقد مارس العدد الكبير منهم (الفن الاسود) الى درجة خطيرة. وذهب المحلل ليقول كيف ان الارض قد تحطمت بفعل بركان وغرقت تحت البحر عقوبة على ممارسة التكهن (لا استطيع تحديد متى حدثت هذه الكارثة ولكنها قبل فترة طويلة من ظهور مصر طواها النسيان عدا ما تذكره عنها الاساطير).

وهكذا ايقن فاوست بحقيقة الاطلنطس ومن انه سيجد دليلا آخر لها في

بعض مدن الغابات المفقودة في البرازيل وبوليفيا وكان لديه سببا آخر يدعوه للذهاب الى (ماتوكروسو) جنوب غرب البرازيل. فقد عثر في ريو دي جانيرو على وثيقة قديمة باللغة البرتغالية كتبها رجل يدعى (فرانسكو رابوسو) الذي ذهب الى الغابات عام ١٧٣٤ بحثا عن مناجم موربيكا المفقودة وهو ابن مغامر برتغالي وأم هندية وطبقا لمخطوطة رابوسو التي اوردها فاوست في كتابه (اكتشاف فاوست) الذي نشر بعد وفاته فأنه وجد مدينة محطمة بارزة لابد وان يكون زلزال قد دمرها حيث نجد الاعمدة المكومة وكتل الاحجار التي تزن الواحدة منها خمسين طنا او أكثر. وبعد ان قضى رابوسو بعض الوقت في هذه المدينة المحطمة عاد وفريقه الى (باهايا) حيث كتب تقريره الى نائب الملك الذي لم يأبه له.

وهكذا وضع فاوست وهو يشرع برحلته عام ١٩٢٤ بعد احباطات وعقبات لاحد لها هدفا ذا ثلاثة ابعاد وهي البحث عن مناجم موربيكا وعن مدينة رابوسو المفقودة والعثور على بقايا من الاطلنطس بقيت كصورته البازلتية. واخيرا اتجه فاوست يرافقه ولده جاك وصديقه رالي ريميل الى مخيم الجواد الميت (ديد هورس كامب) في مدينة (زنكوباسن) وهناك التقط صورة لولده جاك وصديقه رالي وفي التاسع والعشرين من آيار (مايو) عام ١٩٢٤ كتب آخر مذكرة له الى زوجته ثم اختفى الثلاثة معا.

وفي سنة ١٩٣٢ كتب احد الصيادين السويسريين ويدعى راتن تقريرا مفاده ان فاوست اسيرا لدى احدى القبائل الهندية بعد أن كان راتن نفسه قد ذهب بحثا عن كولونيل ابيض ولم يعد. ثم كثرت الاشاعات عن اختفاء فاوست تناقلها المستكشفون والمبشرون حتى اعترف زعيم قبيلة (كالابالوس) ويدعى (ازاراري) سنة١٩٥١ وهو على فراش الموت انه قتل فاوست ورفيقيه. لقد رفض هذا الزعيم اعطاء فاوست قوارب وحمالين بحجة وجود نزاع قبلي فصفعه

فاوست على وجهه فضربه الزعيم حتى الموت ثم قتل رفيقيه بعد ان هاجماه. كما ادعى ان جاك فاوست كان يضاجع احدى زوجاته وان الرجل البرازيلي الذي روى هذه القصة ذكر ان اكبر ابناء الزعيم كانت تجري في عروقه دماء رجل ابيض. بيد ان فريقا من الخبراء اعلن ان العظام التي وجدت في قبر غابي لم تكن عظام فاوست فبقي سر اختفائه غير معروف. وزعم البعض انه (فاوست) قد وجد مدينته المفقودة وفضل البقاء فيها بدلا من العودة الى المدنية.

وفضل طلبة آخرون ممن درسوا اسطورة الاطلنطس الاعتقاد بأنها موجودة على الجانب الآخر من المحيط الاطلسي وبدأ فريق من علماء الآثار الالمان (سشلتن وهيرمان وجيسن وهتكك) بحثهم عن مدينة مفقودة اخرى الا وهي (تارتيسوس). لقد كان الاعتقاد السائد عام١٩٠٥ أن هذه المدينة تقع على ساحل الاطلنطس لاسبانيا بالقرب من مصب نهر (كاد لكلويفر) واستولى عليها القرطاجيون سنة ٥٣٣ ق.م. كما ويعتقد هذا الفريق ان هذه المدينة هي اطلنطس افلاطون ولابد ان تكون على الجانب الايمن من مضيق جبل طارق. أما عالمة الآثار (ايلينا ماريو ويشو) فقد قضت (٢٥) سنة في دراسة نفس المنطقة حول قلعة (نيبلا) القديمة وقد ارشدها دليل البناء والهندسة الهايدروليكية المتقدمة في مناجم (ريو تنتو) الى الاستنتاج ان الاندلس قد استعمرها سكان من شمال افريقيا كانوا قد فروا من اطلنطس وهذا مايفسر عنوان كتابها (اطلنطس والاندلس) سنة ١٩٣٠.

وفي مطلع الثلاثينات من هذا القرن استقطبت نظرية شيقة اخرى عن دمار الاطلنطس ملايين الانصار لها وكانت خلاصة عمل مهندس المناجم الفينيسي (هانز هور بجر) (١٨٦٠-١٩٣١). كان هور بجر في صباه فلكيا هاويا وبينما كان ينظر الى القمر والكواكب بواسطة تلسكوب فاجأته حقيقة ان الطريقة التي تعكس بها هذه الكواكب اشعة الشمس توحي انها مغطاة بالجليد وفيما بعد رأى

تربة مشبعة بالماء تطلق نفحات بخار عندما يمر فوقها حديد مصهور. واعتقد أنه وجد الجواب الذي يفسر تفجر الطاقات في الكون. اذبرى هور بجر ان الفضاء مليء بالهيدروجين والاوكسجين على الرغم من وجودها بحالة مخلخلة جدا (هذا صحيح بالنسبة للهيدروجين). وهذه تتكاثف متجمدة حول النجوم الصغيرة وعندما تسقط كرات الثلج هذه في نجوم حارة يحدث انفجار مدوي كالانفجار الذي اوجد نظامنا الشمسي. وهو يقول ان معظم الكواكب مغطاة بطبقة كثيفة من الجليد تصل الى مئات الاميال سمكا فيما تغطي قمرنا الحالي طبقة من الجليد تصل الى (١٢٥) ميلا. وسيكون من الضروري الحديث عن قمرنا الحالي (لونا) لانه الاخير من مجموعة الاقمار قد يصل عددها الى الستة. ان الحركة الطبيعية للاجسام السماوية على حد قول هوربجر هي لولبية وان الكواكب تتلولب باتجاه الشمس كالابرة على مسجل كرامافون وان الاجسام الصغيرة تتحرك اسرع من الاجسام الكبيرة وربما تكون قد وقعت في الاسر واصبحت اقمارا بينما هي تتلولب بجوار الكواكب الكبيرة. وقبل حوالي ربع مليون سنة كان للارض قمر اخر عبارة عن مذنب أسير وعندما اقترب هذا المذنب اكثر الى الارض كان يتحرك بسرعة مما جعل البحار تنضم مجتمعة لتكون اخدودا من الماء لم يكن له وقت ليتراجع وغطى الجليد باقي الارض فاضطر الانسان الى الصعود الى قمم الجبال كما حدث في اثيوبيا وبيرو. (ويعتقد الكولونيل فاوست ان تياهو ناكو في التبير بيرو تحوي ادلة بوجود حضارة مفقودة غامضة). ان قلة الجاذبية في هذه المرتفعات قد جعلت من الانسان عملاقا (وهكذا ورد التعليق في الانجيل ان هناك عمالقة على الارض في تلك الايام) وعندما انفجر القمر اخيرا كانت النتيجة فيضان عظيم كالذي ورد في الانجيل وبقية الكتب المقدسة.

وعندما استولت الارض على قمرنا الحالي (حوالي ١٢ ألف سنة مضت) كانت النتيجة فيضان مدمر آخر مع زلازل وبراكين كانت السبب وراء دمار

الاطلنطس وليموريا.

توفي هوربجر عام ١٩٣١، لكن عمله استمر على يدي واحد من ابرز تابعيه الا وهو (هانز شند لربيلامي) النمساوي الاصل الذي كتب كتابه (القمر الاسطورة والانسان) المنشور بعد سنة من وفاة هور بجر آلاف المهتدين اليه في بريطانيا وامريكا. وكان من بين من اهتدوا بنظرية هوربجر (هتلر) الذي اقترح بناء مرصد اهداه الى الفلكيين العظماء الثلاثة على مر التاريخ وهم (بطليموس وكبرنيكاس وهور بجر). وربما كان ايمان هتلر بما جاء به هور بجر سبب خسارته الحرب. فقد تنبأ مكتب الانواء الجوية الذي انشىء استنادا الى مبادىء هوربجر بحدوث شتاء معتدل لسنة ١٩٤١-١٩٤٢ فأرسل هتلر جنوده بملابس صيفية الى روسيا. واستمر هوربجر في كسب الألف المؤيدين حتى فترة الستينيات عندما اوضحت اكتشافات الفضاء اخيرا ان اعتقاد هوربجر بأن القمر والكواكب مغطاة بالجليد اعتقاد خاطيء. وتكمن المشكلة في الكتب (الحاذقة) مثل كتاب هور بجر (نشأت الكون الجليدية) سنة ١٩١٣ في انها غالبا ما تحوي اكثر من بذور الحقيقة. وهذا ما يصح قوله في الكتاب الذي نشر في الخمسينيات وحقق افضل المبيعات الا وهو كتاب (العوالم المتصادمة) للمؤلف ايما نويل فيلوكوفسكي وهو يهودي روسي الاصل ومن مواليد عام ١٨٩٥. لقد تأثر فيلوكوفسكي كثيرا بكتاب فرويد (موسى والتوحيد) الذي يقترح ان موسى ليس يهوديا بل مصريا وانه كان من اتباع (عابد الشمس) الفرعون اخناتون. ثم يخرج فيلوكوفسكي بالنتيجة المذهلة وهي ان الفرعون اخناتون هو ذاته الملك الاغريقي (أوديب) وفي سنة ١٩٣٩ وهي السنة التي انتقل فيها من فلسطين الى الولايات المتحدة اصبح شاغل فيلوكوفسكي هو نظرية هور بجر ومع هذا قرر في نهاية المطاف الوقوف ضدها. الا انه تأثر بنظرية وستون (خليفة نيوتن) في جامعة كمبرج التي تقول ان المذنب لعام١٦٨٠ قد احدث الطوفان التوراتي باول مواجهة

مع الارض. كما وقف ضد ما جاء به كتاب دونيللي واكناروك (عصر النار والجليد) ١٨٨٣ والذي اصدره بعد كتابه (اطلنطس) والذي توصل فيه دونيللي الى نتيجة مفادها ان (رواسب الانجراف) وهي رواسب تركتها الرياح والمياه المنتشرة على بقع غير منتظمة على سطح الارض هي نتيجة انفجار عنيف حدث عندما ضرب مذنب ما الارض.

كان لدونيللي وستون تأثيران رئيسيان على كتاب فيلوكوفسكي (العوالم المتصادمة) الذي يعتقد فيه ان دمار الاطلنطس اضافة الى العديد من الكوارث التوراتية تعزى الى مناوشة حدثت على مقربة جدا مع مذنب ما.

اما النظرية الاخرى الاكثر مصداقية حول الاطلنطس فهي ما قدمها عالم الآثار اليوناني أواخر الستينات (أنجلوس كالانوبيولس) والتي تستند على اكتشافات الاستاذ (سباير يدون ماربنوتوس) على جزيرة (سانتوريني) او (تيرا) في منطقة البحر المتوسط. في سنة ١٥٠٠ ق.م على وجه التقريب دمر بركان هائل جزيرة سانتوريني وربما ازال معظم الحضارة على الجزر اليونانية والمناطق الساحلية لشرق اليونان وشمال كريت. وهذه هي الكارثة التي دمرت اطلنطس على حد اعتقاد كالانوبيولس. فدمار سانتوريني حدث قبل سولون ب (٩٠٠) سنة وليس قبل (٩٠٠٠) سنة وهذا هو جوهر جدال كالانوبيولس. فهو يعتقد ان كاتبا ما قد ضاعف جميع الارقام بمعدل عشر مرات وهو يقول ان جميع ارقام افلاطون تبدو كبيرة جدا. فالمقياس البعدي (١٠،٠٠٠) (١،١٥٠) ميل للقناة المحيطة بالسهل يعني انها تمتد حول لندن الحديثة عشرين مرة. كما أن عرض القناة وهو (٣٠٠) قدم وعمق (١٠٠) قدم لابد وان يكون رقما مضحكا ومن الاكيد انها بعرض ٣٠ قدم وبعمق (١٠) اقدام. أما بالنسبة للسهل الواقع خلف المدينة فمن المعقول ان يكون بمساحة ٢٣ x ٣٤ ميلا. واذا ما صغرت ارقام افلاطون بهذه الطريقة فأن جزيرة سانتوريني ستكون شبها باطلنطس برغم أن

كـالانوبيـولس يقترح أن حـضـارة الاطلنطس قـد امتدت على طول البحر المتوسط وان كـريت نفـسـها كـانت المدينة الملكية. ولكن كيف يمكن ان يحدث مثل هذا الخطأ؟ وهنا يقترح كـالانوبيـولـس ان الناسخ الاغريقي قد اساء فهم الرمز المصري للرقم (١٠٠) وهو حبل ملتف إذ انه نفسه الرمز للرقم (١٠٠٠) زهـرة اللوتس.

ويـبـقـى اعـتراض واحـد لـكـل ذلـك وهو ان افـلاطون يؤكـد بوضـوح ان اطلنطس كـانت وراء اعـمـدة هرقل. اما كالانوبيولـس فيجادل بقوله ان هرقل قد انجـز معظم اعماله في (بيلوبوتس) وان اعمدة هرقل يجب ان تشير الى (الجبلين) الجنوبيين النائيين لليـونان وهما (كيب ماتاپان وكيب مايس).

أمـا افـلاطون فـيـقـول بوضوح انهم (الاطلنطيون) الذين تـسلطوا على امتداد البـلاد داخل الاعـمـدة حـتى مصر وترهينيا. وليس بمقدور اية مراجعة جغرافية وضـع مـصر واتـروريـا داخل جـبلي اليـونان وهكذا يجب ان نـتـخلى مكرهين عن احـدى النظريات المشوقة. بيد أن مجرد فكرة ان سانتو ريني كـانت هي اطلنطس الاسطورة قـد جلبت اليـهـا الوف السياح وطورت كثيرا من قدراتها الاقتصادية.

وهنا عقدت في جامعة انديانا سنة ١٩٧٥ ندوة ناقشت السـؤال التالي:

اطـلنطس أهي خـرافـة ام حـقـيـقـة؟ وقـد طرح العـديد من الخبراء آراءهم وتوصـوا الى النـتيجة المتوقعة ألا وهي ان اطلنطس مجرد خرافة.

لا مندوحـة من الاعتراف هنا اننا نفـتـقـر حقيقة الى دليل قاطع واحد يثبت وجـود حـضـارة غـارقة اذا ما استثنينا في هذا الجانب الدليل الحضاري الذي قدمه دونيللي وسـبنس ووشـو. كما رفض الجـيـولوجـيـون وعلماء الآثار وحـتى البـاحثون المنهـجيون دليل (المتكهن النفسي) الذي اقنع الكولونيل فاوست، ثم أن من اطلع من القـراء على هذا البرهان سـيـشـاركـنـا الرأي انه برهان بحـاجـة الى كـثير من

التوضيح ناهيكم عن عجزه عن الاقناع والا كيف فكر المتكهن النفسي بأطلنطس؟ ونحن لو نشاء الحكم ان ذلك الدليل له من القيمة ما تذكر، علينا ان نعرف اشياء كثيرة عن هذا المتكهن نذكر منها على سبيل المثال: هل قرأ لدونيللي وسبنس؟ واذا ما اقنعنا ان عقله اللاواعي لم يكن يخدعه فستبقى احتمالية انه كان يقرأ الى حد ما أفكار فاوست ومع ذلك فأن اي شخص يرغب في دراسة دليل المتكهن النفسي بعقل متفتح سينتهي الى الرأي ان هناك حالات عديدة لايمكن تفسيرها على أنها مجرد خداع نفس دون وعي او أنها تخاطر.

وقد تم طرح الاسئلة ذاتها في شرح مفصل عن حضارة الاطلنطس جاء بها المعالج النفسي (ادجار كاسي) الذي كان يعاني من شلل نفسي-جسدي في الحبال الصوتية ولما يبلغ الثانية والعشرين من عمره (سنة ١٨٩٩) وقد تمت معالجته بواسطة التنويم المغناطيسي. اذ سأله المعالج جملة اسئلة تتعلق بمشاكله الصحية فكانت اجابة كاسي عليها توحي بألمام طبي لم يكن يملكه بوعيه. فكسب من قدرته على التشخيص (عند اللاوعي) شهرة ثانوية. كما وجه اليه سؤال سنة ١٩٢٣ عن احتمالية حياة بعد الموت وعندما استيقظ من غشيته ارهبته معرفته انه كان يوعظ بمذهب التناسخ. الا انه رفض الفكرة باعتباره مسيحيا ارثوذوكسيا ثم قبل بها في نهاية المطاف. وفي سنة ١٩٢٧ وبعد أن اعطى قراءة لحياة صبي بعمر (١٤) سنة، وصف كاسي حياته السابقة في عصور لويس الرابع عشر والكسندر العظيم وفي مصر القديمة واطلنطس واستمر بقية حياته يضيف اجزاء الى كتبه عن الاطلنطس.

واستنادا الى كاسي فأن اطلنطس تمتد من بحر (سار جاسو) الى (جزر الآزورس) وكانت بمساحة اوروبا، وقد شهدت فترتي دمار تقسمت في الاولى الجزيرة الرئيسة الى عدة جزر بينما حدث الانفجار الاخير حوالي (١٠) آلاف سنة ق.م استنادا لما قاله افلاطون. وأن آخر الامكنة الغارقةيقع بالقرب من الباهاما.

وكان لقوله هذا صدى كبيرا لدى (شتاينر) (لقد جلب الانسان قوى مدمرة اتحدت مع المصادر الطبيعية من الغازات والقوى الكهربائية التي احدثت الانفجارات الاولى التي بدأت من اعماق الارض البطيئة الانجماد).

وهو يقول ان الوثائق الخاصة بأطلنطس يمكن العثور عليها الان في ثلاثة اماكن في العالم احداها مصر. وقد تنبأ كاسي سنة ١٩٤٠ ان جزيرة تدعى (بوسيديا) ستظهر من جديد بين عامي ٦٨-٦٩ في منطقة الباهاما.

في مطلع عام ١٩٦٨ اصطحب مرشد صيد يدعى (بونفش سام) عالم الآثار الدكتور (مانسون فالنتاين) ليرى خطا من الاحجار المستطيلة بعمق (٢٠) قدما تحت الماء شمالي بيميني في الباهاما.

لقد اندهش فالنتاين لرؤية خطين متوازيين من هذه الاحجار تمتد لمسافة (٢٠٠٠) قدما طولا وباتت تعرف بأسم (طريق بيمينو). الا ان العلماء رفضوا الفكرة في مهدها ويقول الاستاذ جون جيفورد ان هذه الاحجار لو تكونت نتيجة (شد جيولوجي) لتواجدت منها كميات في اماكن اخرى وخلص الى القول انه لا يوجد دليل واحد يدحض تدخل الانسان في هذا. وقد الف احد الباحثين ويدعى (الدكتور ديفيد زنك) كتابا اسماه (احجار اطلنطس) جاء فيه ان بعض هذه الاحجار كانت من صنع الانسان دون ادنى شك بل ان احد هذه الاشياء كان ذا رأس حجري. وحتى لو ظهر ان طريق بيمين جزء من معبد، تبقى استحالة اثبات ان بناءه تم قبل عشرة الآف سنة.

أما الرأي الارجح فهو انه نتاج حضارة أحدث من هذا التاريخ بكثير. وبات جليا ان تنبؤات كاسي ان اطلنطس (ستظهر من جديد) لم تتحقق وان هذه نفسها لم تبرهن التنبؤ بأنه محض خيال، فعلماء الباراسايكولوجي ممن درسوا(الاستبصار) غالبا ما لاحظوا ان معرفة الوقت نادرا ما كانت صحيحة ولكنها تعني وضع

كاسي في الوقت الحاضر في مصاف سكوت-اليوت وشتاينر ومدام بلافاتسكي على انه شاهد على درجة كبيرة من (الخطورة).

كما يبدو ان نظرية معاصرة قدمها عالم طبقات الارض البريطاني (رالف فرانكلين ولورث) هي واحدة من اكثر النظريات اقناعا في جوانب عديدة فكتاب ولورث (اخضاع الارض) انما يتعامل مع اطلنطس هامشيا وهو بالاساس محاولة لشرح العصور الجليدية. فلم يتوصل عالم في هذا الحقل الى نظرية مقنعة لشرح التقلب الكبير في حالة الجو والتي غطت الارض بصورة دورية بطبقات كثيفة من الجليد. فيما يضم كتاب روبرت اردري (أصل نشوء افريقيا) صفحات عديدة تطرق فيها الى مختلف النظريات بهذا الصدد. فنظرية (القطب الشمالي الجوال) لا تفسر سبب امتداد طبقات الجليد الى افريقيا. أما مسألة الاصطدام القريب مع مذنب انما هي اعجز من ان توضح سبب تعدد العصور الجليدية وكذلك عدم انتظام الفترة الفاصلة بين عصر وآخر (علما ان نفس المذنب يعود بأنتظام). ويعد اليوغسلافي ميلانكوفيج صاحب النظرية الاكثر مصداقية في هذا الشأن وهي تستند على حقيقة ان كوكبنا يمر بتغيرات ثانوية في المناخ واذا ماصادف وان تزامن مثل هذا التغير في الجو في وقت واحد كحدوث البرق مرتين على نفس المكان فستكون النتيجة عصرا جليديا. بيد ان اردري يقول ان الاختلاف المتزامن لميلانكوفيج غير كاف ايضا لتفسير سبب وجود (٢٠) مليون ميل مكعب من الجليد. اما السيد (جورج سمبسون) فقد قدم نظريته الاكثر منطقا وهي ان العصور الجليدية انما تعزى الى ارتفاع درجة حرارة الشمس التي تسبب سقوط الامطار على المناطق المرتفعة على شكل جليد والنتيجة ان هناك كميات كبيرة من الثلج قد تراكمت يصعب اذابتها خلال مواسم الصيف وهكذا بدأ العصر الجليدي. واذا ما سلمنا بصحة نظرية سمبسون فستكون البحار اذا اكثر دفئا خلال العصور الجليدية (في الوقت الذي اوضحت فيه الدراسات

لاعماق البحار خلال فترة بليستوسن -اخر العصور الجليدية الكبرى- ان الاختلاف في درجة الحرارة لم يتجاوز بضع درجات فقط). أما نظرية أردري نفسها فهي ان الارض تمر دوريا بسحابة غاز واسعة داخل المجرة وان الحقل المغناطيسي للارض قد امتص غازا مظلما الى غلافنا الجوي حجب معه اشعة الشمس. الا ان اردري نفسه يقر ان نظريته نفسها قد فشلت في توضيح سبب عدم حدوث العصور الجليدية في فترات منتظمة.

وشرع ولورث موضحا بعض المشاكل التي سبقه الى الاشارة اليها دونيللي وفيلوكوفسكي والمتمثلة بارتفاع قشرة الارض كثيرا حتى طمرت معها كافة الغابات. وهو يقول ان معظم علماء طبقات الارض هم الان (متماثلين). فقد تشاطروا الرأي القائل ان الارض قد نشأت ببطء عبر حقب سحيقة مضت وان الكوارث العظيمة مثل الفيضانات والزلازل وغيرها والتي افترض وجودها علماء القرن الثامن عشر حين كان الاعتقاد السائد آنذاك ان الارض قد نشأت قبل حوالي بضعة آلاف سنة فقط غير ضرورية لشرح كيفية نشوء الارض. ويضيف ان هناك الكثير من الدلائل مازالت موجودة تتعلق بتلك الكوارث المدمرة. وقد طرح بعض الاسئلة البسيطة والمحيرة في ذات الوقت نذكر منها على سبيل المثال: كيف باستطاعتنا معرفة عمر المتحجرات؟ والجواب المثالي هو ان متحجرات الاسماك والحيوانات قد غطست في الطين الذي تصلب حولها وحفظها. ولكن كيف سيكون الحال لو ماتت سمكة في النهر: إما انها ستتعفن بسرعة أو تأكلها الضواري وحتى لو غطست بضعة انجات في الطين فانها ستتعفن ايضا وهو يعتقد ان افضل حال يمكن ان تكون فيه المتحجرات هو بوجود تراب منشط قذفته البراكين.

وتتلخص نظريته ان العصور الجليدية قد احدثتها انفجارات براكين مدمرة كانت كافية لقذف الغازات والرواسب البركانية والغبار الى الفضاء وهنا سيفقد

الهواء المقذوف كامل حرارته وعندما تسحب الجاذبية هذا الهواء ثانية الى الارض سيصبح هواء متجمدا وغازا مميتا قادرا على ابادة الحياة في مناطق واسعة واغراق حتى المخلوقات الكبيرة مثل الماموث ليحيلها الى حيوانات متجمدة في اللحظة. فالغبار البركاني قادر على احداث عصر جليدي اذ تسقط الثلوج على المناطق المرتفعة حتى تتحول المحيطات الى برك صغيرة. وتؤكد دلائل قياس سطح البحر انه كان ولفترات طويلة اقل عمقا مما هو عليه الان بثلاثة اميال. وهنا ستتحول مواطن اسكان الانسان الى الشواطيء القريبة من البحار حيث الحرارة فيها اكثر من المناطق الداخلية وسترفع طبقات الجليد رواسب رقيقة وثقل (تراب منشط يقذفه البركان) الى ارتفاعات عالية لتتجمع كأنها الراسانات مكونة الجبال (رواسب الانجراف) التي كانت لغزا لدونيللي. وما ان بدأ العصر الجليدي بالانتهاء حتى اضطر المستوطنون بالتحرك الى اماكن اكثر ارتفاعا بعد ان غرقت بيوتهم السابقة بل ان بعضهم تحرك الى قمم الجبال كما هو الحال مع حضارة (تايهو تاكو) واختفت حضارات عظيمة تحت امواج المياه...

والسؤال الذي يطرح نفسه الان هو لماذا، ان كان الحال كذلك، لاتحدث مثل هذه الانفجارات في الوقت الحاضر؟ فبركان (كراكاتو) الذي اندلع سنة ١٨٨٣ وارسل موجة مد هائلة عبر المحيط الهادي حطمت معها جزرا باكملها لم يقذف بغازاته الى ابعد من سبعين ميلا في الجو. ويشير ولورث الى كوكب المشتري الذي يولد انفجارات هائلة في الطاقة كل عشر سنوات ويقترح ان هذا مجرد ظاهرة كهرومغناطيسية اذ ان التيارات الدائرية التي تنمو بحركة المشتري عبر رياح شمسية مكهربة تولد حرارة تحت سطح الكوكب، ولأن الارض اصغر بكثير وان ذات الميكانيكية قادرة على احداث مثل هذه الانفجارات بفواصل زمنية اطول بكثير، ستوصل بذلك الى سبب حدوث العصور الجليدية. وربما اكثر الجوانب تناقضا في نظرية ولورث اقتراحه ان مركز الارض

قـد لايكون كـتلة حـديد منصـهـر كما يعـتقد بذلك علماء الارض. واذا ما كانت الرياح الشـمـسـيـة المكهـربة على حقل الارض المغناطيـي والمحدثة ضغوطا هائلة تحت السطح مـباشرة وراء حـدوث نـشـاط مـغناطيـي فـلا بد ان مـركـز الارض سـيكون حـينذاك بارداً وصلبا نـسبيا. ولابد ايضا ان ينجح العلم يوما ما في تطوير (مجـسـات اعماق) سـتاصر او تعـارض هذه الفكرة غير المألوفـة. وقـدر ما يتعلق الامـر بالـسلالة البشرية فأننا سنتنفس الصعداء حين يثبت العلم خطأ نظريته التي تنذر بحـدوث كارثة مدمرة خلال الالف سنة القادمة، يتبعها عصر جليدي سيعيد الينا الظروف نفـسها التي دمرت اطلنطس.

مقبرة بربادوس

لغز التوابيت المتحركة

تم في التاسع من آب (اغسطس) سنة ١٨١٢ نقل نعش الشريف توماس جيس أحد مالكي العبيد في جزيرة الكاريبي في بربادوس الى مقبرة عائلة اسفل سلم المنزل. لقد تجلى بعد تحريك جثة النعش الثقيلة وإضاءة فانوس مدخل المقبرة ان شيئاً ما غريباً قد حدث. فأحد التوابيت الثلاثة التي سبق دفنها كان ملقياً على جانبه، اما الآخر وكان نعش طفل فقد وضعوه في احدى الزوايا عاليه سافله، فأمسى واضحاً أن ضريح العائلة قد تم تدنيسه. بيد أن غرابة الأمر لاتكمن هنا بل في عدم وجود دليل يثبت أن مجموعة قد دخلت القبر عنوة. ومع هذا أعادت العائلة توابيت موتاها الى مكانها السابق وأغلقت الضريح. أما اهالي المنطقة من البيض فما ظنوا بغير العمال الزنوج سوءاً وأنهم وراء عملية التدنيس هذه، ذلك أن توماس كان قاسياً غليظ القلب حتى أن آخر تابوت دخل المقبرة كان قبل شهر من وفاة توماس وهو نعش ابنته دوركاس جيس التي أشيع عنها أنها أجاعت نفسها حتى الموت بسبب وحشية والدها.

وبعد مرور اربع سنوات وبالتحديد في ٢٥ أيلول (سبتمبر) سنة ١٨١٦ تم دفن نعش صومائيل بروستر أميس وهو طفل لم يتجاوز الشهر الحادي عشر من عمره، ومرةً أخرى كان كل شيء على غير ما يرام، إذ تبعثرت التوابيت الاربعة على الأرض بضمنها تابوت توماس جيس المغطى بطبقة ثقيلة جداً من الرصاص والذي احتاج الى ثمانية اشخاص لنقله. ومرة أخرى أعيدت التوابيت الى وضعها السابق وتم غلق القبر بإحكام.

لم تمض سوى سبعة اسابيع حين أعادوا فتح القبر من جديد ليستقبل هذه المرة والد الطفل صاموئيل بروستر الذي قتله العبيد في مظاهرة قاموا بها. ومن جديد وجدوا الفوضى قد عمت المقبرة وأن كل شيء في غير مكانه السليم. وبات يقيناً لدى الجميع أن الزنوج وحدهم وراء عملية الإختراق هذه وأنها تمت بدافع الإنتقام، بيد أن السر كان يكمن في السؤال التالي: كيف تم ذلك؟ فالقبر قد احكموا إغلاقه بالخرسانة وليس هناك ما يوحي أنهم قد كسروا الخرسانة وأعادوا بناءها.

في هذه المرة كان تابوت السيدة توماسينا كودارد -وهي أول من تم دفنها في هذه المقبرة- قد تحطم وتفككت ألواحه على ما يبدو جراء التعامل القاسي معه، ثم شدوا الالواح المفككة الى بعضها بحبل ووضع التابوت مقابل الجدار. كما وضعوا توابيت الاطفال، لما ضاق القبر بعدد التوابيت المدفونة فيه، وهو بمساحة ١٢ قدماًطولاً في ٦,٥ قدماً عرضاً فوق توابيت البالغين وأعادوا غلق القبر بإحكام.

وغدت قصة التوابيت الآن مدار حديث مثير وباتت كنيسة المسيح وكاهنها توماس اوردرسون مركز فضول مزعج من العامة، فأبدى الكاهن نفاذ صبره حيال مثيري الشغب وأظهر في ذات الوقت أدباً لا لبس فيه تجاه ذوي المنزلة الرفيعةموضحاً انه قدأجرى بمعية احدالقضاة بحثاًدقيقاً عن القبر بعد آخر عملية خرق له في محاولة للتوصل الى الكيفية التي دخل بها الأدنياء اليه، فلم يجد باباً سرياً. أما الممر والجدران والسقف المقوس فكانت متلازةً لاينفذ منها حتى الهواء. ووجد أن فكرة الفيضان بعيدة الأحتمال برغم أن القبر كان بعمق قدمين تحت مستوى أرض البناء وهو فوق هذا قد تم بناؤه في أرض حجرية صلبة. ثم أن الفيضان كان سيترك اثراً ما، وهل يعقل أن يطفو نعش مطلي بالرصاص الثقيل؟ كما رفض اوردرسون في ذات الوقت ما اشاعه سكان المنطقة السود بأن

النعش قد نزلت عليه لعنةٌ ما وأن قوىً خارقةً مسؤولة عنه.

خيم على المنطقة جو من الرغبة والإثارة العامتين حين تم في السابع من تموز "يوليو" ١٨١٩ (ويؤرخ ذلك البعض في السابع عشر من ذات الشهر) دفن الجثمان التالي والأخير العائد للسيدة ثيومازينا كلارك بنعش مصنوع من خشب الارز. لقد احتاجت عملية رفع الكونكوريت من باب القبر وقتا طويلا بعد ان استخدمت بكميات كبيرة لغلقه ولم يكن سهلا فتح الباب حتى بعد تقطيع السمنت الى اجزاء صغيرة ذلك ان النعش الثقيل من الرصاص للسيد توماس جيس كان يقف حجر عثرة امام بقية النعوش فكانت هي الاخرى في فوضى تامة باستثناء نعش السيدة كوادرد. وكان ذلك دليلا على ان الفيضان لم يكن تفسيرا لما حدث، أفهل يعقل أن يطفو نعش من الرصاص ولا يتزحزح قيد أنملة نعش قسم الى الواح خشبية عديدة؟

في هذه المرة كان المحافظ اللورد كومبرمر من بين اول من دخلوا القبر وامر باجراء تفتيش واسع ودقيق، لكنه لم يخرج بشيء سوى ما يؤكد قول اوردرسون مبكرا من انه لا وجودلسلك شق من خلاله المخربون طريقهم ولا مدخل سري او منفذ لتسرب الماء قد يساعد على حدوث فيضان. وقبل اعادة غلق الضريح امر المحافظ برش الرمل على طول الممر لانها ستكشف عن آثار الاقدام. وفي هذه المرة ايضا وبعد غلق الباب بالخرسانة استخدم اللورد كومبرمر ختمه الشخصي ليتعذر على الجاني فتحه دون ان يترك اي اثر للعيان.

وبعد مرور ثمانية اشهر وبالتحديد في الثامن عشر من نيسان (ابريل) عام ١٨٢٠ تجمع فريق في مقر اللورد كومبرمر ودار الحديث كالعادة حول سر القبر حتى قرر المحافظ الذهاب والتحقق من ان تحوطاتهم قد اسفرت عن نتيجة ايجابية ام لا. وضم الفريق تسعة اشخاص بضمنهم اللورد كومبرمر والقس

وعـامـلا بناء. وتأكـد لهم اولا ان الخـرسـانة مـازالت سليمة وان الختم لم يمسسه احـد، وفـتح العـامـلان البـاب ليـجدوا ايضا ان القبر بحالة فوضى تامة. فنعش الطفل كـان على السلم المؤدي الى اسفل الحجرة ونعش توماس جيس كان مقلوبا رأسـا على عـقب ولم يبق سليما سـوى نعش السـيـدة كـودارد بألواحـه الخـشـبيـة المشـدودة الى بعـضـهـا. وما كان غريبا حقا ان الرمل المنثور في الممر لم تطأه قدم مخلوق. ولم تجـد نفـعـا طرقـات عـاملي البناء للتأكد من وجود مدخل سري للقبر وبات واضـحـا للجميع ان اللغز صعب عليهم معرفة سره فأمر اللورد بنقل جميع التـوابيت ودفنها في مكان آخر، فبقي الضريح بعدها فارغا.

وفي الحـقـيـقـة لم يقـدم اي كـاتب تناول القـصـة تفـسـيرا معقولا لها وكل ما توصلوا اليـه تفـسيران (طبـيـعـيان) هما حدوث فيضان او هزة ارضية. فلو قلنا ان وراء اللغـز فـيضانا فلماذا لم يتحرك نعش السيدة كودارد ولم يتحرك الرمل في الممر وفـوق ذلك لابد وان يكون شـخـص مـا قد لاحظ هطول امطار غزيرة لدرجة انها قـد اغـرقت منطقـة القبر. ولا يختلف القـول ان كـان وراء السـر هزة ارضية كافية لتـحـريك التـوابيت جميعها كزهر النرد في كوب خشبي. اما كون ان دويل فيرجع السـبـب في ذلـك الى نـوع مـن الانـفـجـارات داخل القبر ولشرح هذا يقترح ان التـبـخـر (التـعـفن) غير المرئي للزنوج قـد اتحد مع قوى مجهولة داخل القبر لتولد انفـجـارا غـازيا ولايـبـدو ان هناك شيئا اقل احتمالية من ذلك. اما التعليل بوجود قـوى خـارقـة فـهـو ليـس باكـثـر معقولية من غيره ذلك ان ما اشيع قوله ان حالة الاضطراب قـد عـمت القبر بعد دفن امرأة يعتقد انها قد انتحرت والمقترح هو ان بـقـيـة الارواح لم تهدأ مع حـالة الانتـحـار هذه. الا ان حـركـة التـوابيت توحي بوجـود (روح شريرة) ويرى جميع المحـقـقين ان الروح الشريرة تحتاج الى مصدر طاقـة وهي غـالبـا مـاتكون قـوى عاطفية تثير المراهقين الذين يعيشون في المناطق التـابعة للقبر وان ضريحا فارغا لا يمكن ان يؤمن مصدر الطاقة هذه.

اما اعتقاد الزنوج فهو ان هناك نوعا من الشعوذة في العمل وان قوة سحرية قد وظفها عمدا ساحر او مشعوذ بدافع حب الانتقام من مالك العبيد غليظ القلب توماس جبس. ويبقى هذا الرأي على الرغم من ضآلة احتماليته افضل تفسير تيسر لحد الان.

بعد ظهيرة الخامس من كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٤٥ اقلعت خمسة قاصفات طوربيد (افنجر) من قواعدها في فورت لودردال - ولاية فلوريدا في رحلة استطلاع جوية عادية لمدة ساعتين فوق الاطلنطس بقيادة الرائد جارلس تيلور يرافقه اربعة طيارين تحت التدريب كان القصد من ورائها زيادة عدد ساعات طيرانهم دون مشرف. وفي الساعة الثانية والربع كانت الطائرات الخمس جميعها فوق الاطلنطس تسلك طريقها المعتاد في جو صافٍ ودافيء.

في الساعة ٤٥و٣ تسلم برج المراقبة رسالة من القائد تيلور (حالة طواريء يبدو اننا ضللنا طريقنا - لانرى ارضا يابسة- اكرر لانرى ارضا يابسة).

- برج المراقبة: اين موقعكم؟

- القائد تيلور: لسنا متأكدين من موقعنا -لايمكن لنا التأكد أين نحن- يبدو اننا قد ضللنا طريقنا.

- برج المراقبة: يجب ان يكون مسار الرحلة غربا الان.

- القائد تيلور: لانعلم اي الاتجاهات يؤدي الى الغرب -كل شيء يبدو خطأ -غريبا - لايمكن ان نتأكد من اي اتجاه.. حتى المحيط ليس كما يجب ان يكون عليه.

ساد الارتباك برج المراقبة اذ من المفروض ان يرى الطيارون الخمسة انخفاض الشمس في السماء الغربية حتى لو اوقف تداخل مغناطيسي جميع بوصلات الطائرات الخمسة عن العمل. وساء الاتصال اللاسلكي في هذا الوقت

واخذت الرسائل تتقطع الى جمل قصيرة وفي نقطة ما التقط البرج صوت احد الطيارين وهو يتحدث الى زميله (ان جميع اجهزة طائرته قد (اصابها الجنون)).

وفي الرابعة عصرا قرر قائد الرحلة اناطة مهمة القيادة لشخص آخر وفي الرابعة والدقيقة الخامسة والعشرين، اخبر القائد الجديد برج المراقبة (لسنا متأكدين اين نحن). لقد كان معلوما لديهم أن الطائرات اذا ما فشلت في ايجاد طريقها والعودة الى الارض خلال الساعات الاربعة القادمة ستستنفذ ما لديها من وقود وسيكون هبوطها على سطح البحر اضطراريا وعليه فقد انطلق في الساعة السادسة والدقيقة السابعة والعشرين فريق انقاذ مؤلف من ثلاثة عشر ملاحا وطائرة مائية ضخمة (مارتن مارتر) بأتجاه الموقع المفقود للطيارين. ولم تمض سوى ثلاث وعشرون دقيقة حتى اومضت السماء من جهة الشرق ببريق برتقالي وهاج لبرهة واحدة تلاشى بعدها الطيارون الخمسة و(مارتن مارتر) الى الأبد. لقد اختفوا تماما كما اختفت قبلها السفن والطائرات في المنطقة التي عرفت بـ (مثلث الشيطان) او مثلث برمودا.

من المؤكد ان ماحدث في نهاية المطاف للطائر ات المفقودة ليس بلغز محير فقد ساء الجو بعد ان كان صحوا بعد ظهيرة ذلك اليوم فيما ذكرت السفن وجود (رياح عالية وامواج بحر هائجة) وان الرحلة ١٩ ومعها فريق الانقاذ قد استنفذا وقودهما وهبطا في البحر. بيد أن اللغز يكمن في السؤال التالي:

لماذا أضلوا جميعا طريقهم وسادهم الارتباك التام؟ هب أن اجهزة الملاحة قد توقفت عن العمل وتحددت الرؤية ببضعة امتار لغدا ممكناً الطيران اعلى الغيوم ليحددوا اتجاههم ثانية.

الا ان الاكثر غرابة في الامر هو ان هذه المسألة لم تثر انتباه السلطات بوجود شيء مخيف وخطير حول منطقة المحيط الممتدة بين ولاية فلوريدا وجزر الباهاما

وهي سلسلة جزر تبدأ على بعد خمسين ميلا قبالة شاطيء فلوريدا وفيها يبدو فأن هذه هذه السلطات قد اخذت بعدئذ بوجهة نظر المتشككين وهي ان حالة الاختفاء كانت اكثر من حدث بسيط وهي تعزى الى مجموعة عوامل تفاعلت من قبيل الصدفة منها تردي حالة الطقس والتداخل الكهربائي الذي اوقف الموصلات وقلة خبرة بعض الطيارين وكذلك حقيقة ان قائد الرحلة جارلس تيلور قد تم تعيينه مؤخرا في قاعدة فورت لودردال ولم يكن على اطلاع تام بجغرافية المنطقة. وتم تبني ذات التعليل طوال العقدين التاليين لشرح مآسي مشابهة حدثت، منها اختفاء (سوبر نورترس) عام ١٩٤٧، طائرة تيودور (٥) ذات المرحكات الاربعة في كانون الثاني (يناير) عام١٩٤٨، (دي سي٣) في كانون عام١٩٤٨، طائرة تيودر (٥) اخرى عام١٩٤٩، (كلوبماستر) عام١٩٥٠، طائرة النقل البريطانية(يورك) عام١٩٥٢،برج البحرية العملاق عام١٩٥٤ طائرة بحرية اخرى من نوع مارتن عام ١٩٥٦، ناقلة تابعة للقوة الجوية عام ١٩٦٢، سفينتين (ستراتو) عام ١٩٦٣، طائرة شحن صندوقية عام ١٩٦٥، طائرة نقل مدنية عام ١٩٦٦، وأخرى عام ١٩٦٧ وأخرى عام ١٩٧٣، وقد تجاوز عدد ضحايا هذه الحوادث مجتمعة مائتي شخص. ومن الغريب ايضا ان يكون اول من ادرك ان وراء هذه الحوادث لغز مخيف هو صحفي يدعى(فنسنت كادس)الذي كتب مقالة عام١٩٦٤ في مجلة(اركوسي) الامريكية تحت عنوان(مثلث برمودا المميت) وكانت السبب في شهرة هذا الاسم للمنطقة الغامضة من المحيط. وبعد مرور سنة نشر كادس مقاله هذا في فصل اسماه (مثلث برمودا) في كتاب عن اسرار البحار والموسوم بـ (الافاق الخفية) وقد ضم الفصل ايضا قائمة طويلة باسماء السفن التي اختفت في هذه المنطقة استهلها بأختفاء سفينة (روسالي) عام ١٨٤٠ وحتى اختفاء اليخت (كونيمارا) عام ١٩٥٦ وفي الفصل الاخير من كتابه اياه يدخل (كادس) حقل الخيال العلمي فيتنبأ باستمرار (الزمكان) الذي قد يتواجد حولنا على الارض ليخترق عالمنا المعروف وقد ورد في هذا الفصل ان بعض الطائرات

والسفن المفقودة ربما اختفت تحت نوع من القنوات رباعية الابعاد.

وقد تلقى كادس رسالة من رجل يدعى (جيرالد هوكس) حال صدور كتابه (الآفاق الخفية) اخبره فيها عن تجربته الشخصية مع مثلث برمودا عام ١٩٥٢. فاثناء رحلة له من مطار آيد لولد (كندي حاليا) الى برمودا هبطت طائرته فجأة ٢٠٠ قدم وهو لم يكن هبوطا اضطراريا بل راوده شعور وكأنه قد اسقط (عمود رفع) في الهواء ثم عادت طائرته لترتفع ثانية (كان يبدو لي وكأن يدا عملاقة قد امسكت بالطائرة وراحت تدفع بها اعلى واسفل). واخذ جناحا الطائرة يرفرفان وكأنهما جناحا طير. ومضى الكابتن هوك في رسالته يقول انه لم يعد حينها قادرا ان يحدد موقع برمودا وعجز جهاز التشغيل عن اجراء اي اتصال مع الولايات المتحدة او برمودا. وبعد مرور ساعة نجحت الطائرة في الاتصال باحدى السفن وتمكنت من معرفة وجهتها والطيران الى برمودا. وما ان القى الطيارون بأنفسهم خارج الطائرة حتى ادركوا ان السماء صافية مزدانة بالنجوم والجو صحو تماما... ثم اختتم الكاتب رسالته بقوله انه لازال حتى هذه اللحظة في حيرة ان كان قد سقط في منطقة يفقد فيها المرء الشعور بالزمان والمكان.

واليوم غير البارحة فالطيارون على علم بالجيوب الهوائية التي تؤدي الى ترنح الطائرة ومن ثم سقوطها وكذلك درايتهم بالاضطراب الجوي الذي يؤدي بجناحي الطائرة الى الرفرفة. الا ان مايبدو غريبا في هذهالمسألة هو التعتيم اللاسلكي التام. لقد اثار هذا حفيظة طلبة (UFO) (الاجسام الطائرة المجهولة) او الاطباق الطائرة الذين استنبطوا نظريات استثنائية منذ ذلك اليوم من شهر حزيران (يونيو) عام ١٩٤٧ عندما رأى الطيار كينيث ارنولد تسعة اطياف طائرة تتحرك خلف جبل (رينير) في ولاية واشنطن الامريكية ثم خرج هؤلاء المتحمسون لنظرية الاطياف الطائرة بفكرة شيقة مفادها ان سطح الارض يضم

دوامات غريبة تضعف فيها الجاذبية والمغناطيسية الارضيتين عن المعتاد لسبب لايمكن توضيحه واذا ما صادف وكشفت العقلية الارضية الفذة سر هذه الدوامات لوجدت ان من الافضل لها (الدوامات) جمع العينات البشرية هذه ودراستها بهدوء على كوكبهم البعيد.

الا ان ساندرسون الباحث في اسرار الارض وصديق كادس في نفس الوقت شعر ان مثل هذه الفكرة بعيدة جدا عن الواقع فأجرى دراساته وفق منهج علمي ووضع خارطة العالم امامه وبدأ بتعيين مواقع الاماكن الغريبة التي حدثت فيها ظواهر الاختفاء. اذ كان بجانب مثلث برمودا على سبيل المثال موقع آخر (مثلث الشيطان) جنوب الجزيرة اليابانية في هونشو حيث اختفت السفن والطائرات فيها. وقد اخبر احد المراسلين ساندرسون عن تجربة غريبة له في رحلته الى (كوم) غربي المحيط الهادي حيث قطعت طائرته المروحية القديمة (٣٤٠) ميلا في الساعة في جو هادىء قاطعة بذلك اكثر من(٢٠٠) ميل عن المسافة المقررة لها خلال الساعة الواحدة. وقد اوضحت الدراسات ان العديد من الطائرات قد اختفت في هذه المنطقة.

وبعد تعيين مواقع هذه الاماكن على الخارطة لاحظ اندرسون انها تتخذ شكل المعين وان هذه المعينات تحيط بالكون بتناسق منتظم دائرة في حلقتين تقع الواحدة منها ٣٠-٤٠ درجة جنوب وشمال خط الاستواء. وهناك حوالي (١٠) من هذه (الاماكن الرائعة) تقع حوالي ٧٢ خارجا. اما عالم الزلازل (جورج روز) فيرى ان الزلزال يتولد في طبقة محددة تحت سطح الارض ويتوقع وجود قناة ما تدور حول مركز الارض والتي تحدد اتجاه النشاط الزلزالي. ان خريطة (روز) لهذه المناطق الزلزالية المضطربة انها تتوافق وبشكل كبير مع معينات ساندرسون الذي اخذ يميل الى الاعتقاد ان هذه الدوامات اذا ما كانت هي السبب في اختفاء الطائرات والسفن فانها ستكون مجرد دوامات فيزيائية طبيعية

تتولد نتيجة ميل الارض الى التجشؤ.

وقد ظهرت نظرية اندرسون في كتاب (المستوطنون الخفيون) عام ١٩٧٠ . وبعده بثلاث سنوات حاولت الصحفية (أدي كنت توماس جفري) جمع كل الدلائل والمعلومات المتعلقة بمثلث برمودا بكتاب بذات الاسم (مثلث برمودا) تبنت طبعه احدى دور النشر الصغيرة في ولاية بنسلفانيا. الا ان الكتاب فشل في الوصول الى اكبر عدد من القراء لا لشيء سوى سوء حظ مؤلفته. ثم حاول (جارلس برلتز) وهو حفيد الرجل الذي اوجد اشهر مدارس اللغة في العالم افراغ جميع المعلومات المتعلقة بمثلث برمودا في قالب جديد ليقنع به الناشر التجاري (دويلدي) بتبني اصداره ليحقق وعلى حين غرة اعلى المبيعات في قائمة المنشورات الامريكية. فقد تزامن صدوره مع مرور(٢٠)عاما على اختفاء طائرات الرحلة ١٩، و (١٠) سنوات على اطلاق فنسنت كادس تسمية (مثلث برمودا). الا ان برلتز كان اول رجل احال اللغز الى اثارة عالمية لينال نصيبه من الثراء من عائدات كتابه فقط.

وبرغم الاقبال المنقطع النظير الذي لقيه كتاب برلتز (مثلث برمودا) الا انه افتقر الى المنهجية ويكفي ان نذكر انه لا يحوي على فهرست لمواضيعه. ويكمن السبب الرئيسي في شهرته الى تخطي برلتز حدود المألوف فأقحم نفسه في مناطق تنبؤات غريبة حول الاطباق الطائرةوالقواعد الزمكانية والذكاء الغريب ومراكب الآلهة ووسائل اخرى مشابهة. ومن اغرب توقعاته هي تلك المتعلقة بالطيار (موريس كي جيسب) الذي توفي في ظروف غامضة بعد ان تعثر في معلومات تتعلق بلغز آخر اسمه (تجربة فيلادلفيا). فهذه التجربة كان مؤملا ان تجري في ولاية فيلادلفيا عام ١٩٤٣ عندما كانت البحرية الامريكية تجري اختبارا لجهاز جديد كان الغرض منه احاطة السفينة بحقل مغناطيسي قوي. وطبقا لمعلومات

جيـب فـقـد احاط السفينة ضوء اخضر ضبابي حتى تلاشت حدودها في البحر ثم اختفت لتظهر ثانية في رصيف (نور فولك) في ولاية فرجينيا على بعد (٣٠٠) ميل. وقد توفي بعض من طاقم السفينة واصاب البعض الاخر الجنون. ويضيف جيب انه وبعد التحقيق في هذه القصة طلبت منه البحرية الامريكية اعلامها ان كان راغبا في العمل بمشروع سري مشابه ام لا. الا انه رفض وبقي هكذا حتى عثر عليه عام ١٩٥٩ مقتولا في سيارته (بعد استنشاقه غازا ساما) ويتوقع برلتز انه (أسكت) قبل ان يعلن عن اكتشافاته حول ذلك المشروع.

ولكن ما علاقة كل هذا بمثلث برمودا؟ الاجابة ببساطة هي ان تجربة فيلادلفيا التي كان مقررا لها ان تكون محاولة لخلق دوامة مغناطيسية كالتي افترضها ساندرسون تملك القدرة (على حد قول جيب) في ادخال السفينة في قاعدة زمكانية تنقلها لمئات الاميال.

وكان من الطبيعي ان يتحول الشك الى غضب في مسألة كهذه فظهرت دون سابق انذار المقالات والكتب وبرامج التلفزيون استهدفت جميعها فضح زيف مثلث برمودا وتبنب الرأي العام الذي تميزت به السلطات البحرية الامريكية عام ١٩٤٥. بمعنى اخر انهم افترضوا أن حالات الاختفاء هذه انها تعزى جميعها الى اسباب طبيعية لاسيما حدوث عواصف وفي جوانب عديدة لايمكن التناقض مع هذا التفسير بل يبدو انه اكثر التفاسير معقولية للمسألة. بيد انه سيغدو في الوقت ذاته تفسيرا واهنا بمجرد النظر الى القائمة الطويلة من حالات الاختفاء في هذه المنطقة والتي لم تترك جميعها اثرا او ركاما.

وعليه، أيوجد بديل يتفاعل فيه الشعور العام مع الجرأة الضرورية لأدراك ان جميع حالات الاختفاء هذه لايمكن اعطاءها التعليل الدقيق؟ نعم وهذا البديل يرتكز على الادلة التي يمكن الحصول عليها من اولئك الذين نجوا من

مثلث برمودا.

ففي سنة ١٩٦٤ كان الطيار جاك وكلي في طريق عودته من ناسو الى ميامي في فلوريدا عندما شاهد وهو على ارتفاع (٨٠٠٠) قدم وهجا خافتا احاط بجناحي الطائرة خاله مجرد خدعة بصرية سببتها اضاءة مقصورة الطيار. لكن الضوء ازداد وهجه وتشوشت جميع معدات الطائرة الالكترونية فكان مجبرا على تشغيلها يدويا وازداد الوهج حتى اغشى بصره بعدها خفت ببطء وعادت اجهزة الطائرة للاشتغال ثانية.

وفي عام ١٩٦٦ كان الكابتن دون هنري يقود زورقه من بورتوريكو الى فورت لودردال في نهار هادىء ودافىء وقد سمع دويا فأسرع الى منصة الربان ليرى ان البوصلة آخذه بالدوران السريع باتجاه حركة عقرب الساعة وحجبت عنه سحابة سوداء رؤية الافاق الزرقاء وبدا الماء وكأنه قادم من كل اتجاه وعلى الرغم من ان المولدات الكهربائية مازالت عاملة فأن الطاقة الكهربائية قد توقفت وتوقف معها المولد الثانوي وكل ما كان يتراءى اليه ان الضباب قد احاط بالزورق ولحسن حظه ان المولدات مازالت تشتغل ليخرج من مطبته هذه. الا ان ما ادهشه في الامر هو ان الضباب قد تركز على ضفة صلبة واحدة كان البحر فيها هائجا فيما نراه هادئا خارجها. وما شد انتباهه ايضا ان حركة البوصلة كانت مشابهة لحركتها في نهر (لورنس) في كنكسون عندما اثرت على اتجاه الابرة كومة حديد او الاحجار النيزكية.

ان كوكبنا الارضي عبارة عن مغناطيس هائل (دون ان يعرف احد السبب) وان خطوط القوى المغناطيسية تدور حول سطحها باشكال غريبة وتستخدم الطيور والحيوانات خطوط القوة هذه في (العودة الى المواطن) وان الطيور الغطاسة تبدو قادرة على الاستجابة لها بواسطة (عصا الاستنباء)، لكنها قد تضل

طريقها في مناطق اخرى على سطح الارض حيث تمسح الخطوط المغناطيسية احدها الاخر مشكلة ما يسمى بالدوامة المغناطيسية. لقد حذرت صحيفة (مارن ونزرفو) عام ١٩٣٠ البحارة من وجود منطقة اضطراب مغناطيسي في المناطق المجاورة لبركان (تامبورا) بالقرب من (ساميباوا) والتي احرفت بوصلة السفينة (٦) درجات مبعدة اياه عن طريق رحلتها. كما لاحظ القبطان سكوت قبطان السفينة استراليا سنة ١٩٣٢ وجود منطقة اضطراب مغناطيسي بالقرب من (فريانتل) احرفت بوصلة السفينة (١٢) درجة في كل الاتجاهات. كما جمع الباحث الامريكي (وليم كورلس) العشرات من مثل هذه الحالات الغريبة في كتابين اسماهما (الارض المجهولة) و (الكوكب الغريب)، وقد اخبرني كورلس نفسه بنتيجة الابحاث التي اجراها الدكتور جون دي لوريد من (اوتاوا) الذي ذهب سنة ١٩٧٤ للتخييم في مناطق الطوق الجليدي شمال كندا بحثا عن وجود دوامات مغناطيسية هائلة بطول(٤٣) ميلا يعتقد انها تتولد على مسافة (١٨) ميلا تحت سطح الارض يظن انهاتعزى الى احتكاك الصفائح المعدنيةالتكتونية للارض وهي الحالة التي تسبب الزلازل ايضا.

ان النقطة الرئيسة التي يمكن الخروج بها من كل ماورد اعلاه هي ان الارض ليست حقلا مغناطيسيا طبيعيا متناسقا ودقيقا بل انها مليئة (بالشواذ والحفر المغناطيسية). ولم يتاكد العلماء بعد من سبب امتلاك الارض حقلاً مغناطيسيا بيد ان احدى النظريات تعزو ذلك الى حركة في مركزها الحديدي المنصهر. ان مثل هذه الحركة ستولد خطوطا متغيرة في الحقل الارضي وانفجار في الطاقة المغناطيسية يمكن مقارنتها بانفجارات الطاقة الشمسية التي تسمى الكلفة الشمسية. واذا كانت هذه الخطوط ترتبط بمناطق الجهد الارضي ومن ثم بالزلازل،اذا ستوقع حدوثها في مناطق محددة فقط كما تفعل الزلازل. ولكن اي تأثير سيحدثه (زلزال) مفاجيء لنشاط مغناطيسي؟ انها ستسبب في دوران سريعه

للبوصلة فهي ستكون اشبه بهدير احجار نيزكية هائلة في مركز الارض، وستسبب ايضا بهيجان البحر وانها ستؤثر على الماء بنفس تأثير القمر على المد والجزر ولكن بنموذج غير منتظم وسيبدو الماء وكأنه قادم من (كل الاتجاهات) وستمتص الدوامة الغيوم والضباب مشكلة (ضفة) في مناطق حدوثها مباشرة وقد تتعطل الالات الالكترونية.

ومن هنا سندرك ان جميع التعليلات المبسطة للمشكلة هذه والتي قدمها على انها مجرد اختراع صحفي هي ليست تعليلات بسيطة بل خطيرة. بل انها ستحط من شأن بحث قد يكون واحدا من اكثر الالغاز العلمية تشويقا في عصرنا الحديث وسيتيسر لدينا بمساعدة الاقمار الصناعية الدائرة على ارتفاع ١٥٠ ميلا حول الارض ملاحظة انفجارات الطاقة المغناطيسية بذات الدقة التي تسجلها المراسم الزلزالية للهزات الارضية وستسهل ايضا مهمة ملاحظة حالات تكرارها وشدتها بدقة كافية لتشخيصها مقدما. والمحصلة النهائية اذا ليست في نجاح حل اللغز بل في منع حدوث كوارث مستقبلية كما حدث للرحلة ١٩.

اختفاء اجاثا كريستي

تورطت أجاثا كريستي عام ١٩٢٦ في لغز بدا كأنه حبكة لاحدى رواياتها، الا انه لم يكن قصة خيالية نسجت خيوطها ليحلها هرقل بايروت. لقد كان لغزاً لا يأتي يسيراً حل رموزه.

عندما بلغت اجاثا السادسة والثلاثين من عمرها كان لها شخصية تحسد عليها. كانت امرأة جذابة ذات شعر احمر يميل الى اللون الرمادي تعيش مع زوجها الكولونيل ارشيبالد كريستي في بيت ريفي حالم كانت قد وصفته في احدى المرات على انه جناح سافوي بطراز مليونيري وقد انتقل الى الريف.

وكانت حينها قد الفت سبع روايات ذات طابع بوليسي احدثت اخرها وهي (مقتل روجر اكرويد) ردود فعل متناقضة لنهايتها (غير العادلة). ومع هذا فأن اجاثا لم تحقق تلك الشهرة المتوخاة بل ان مبيعات رواياتها لم تتجاوز بضعة الآف نسخة.

بعدها وفي احدى الليالي القارسة البرودة وبالتحديد ليلة ٣ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٦ غادرت بيتها الكائن في سانتكدال في بيركشاير ولم تعد.

في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي تسلم مدير مركز شرطة (سيري) تقريرا عن (حادثة طريق) في نيولاند كورنر) خارج مدينة (كلفورد) مباشرة. لقد تم العثور على سيارة أجاثا نوع موريس ذات المقعدين على منتصف الطريق جنوب منحدر عشبي وان الادغال قد غطت بدن السيارة الامامي. ولم يكن ثمة دليل يرشد الى مكان السائق ولكن اجاثا لم تكن تعتزم الذهاب بعيدا ذلك انها تركت فرءاها داخل السيارة.

وسرعان ما سمعت الصحافة باختفائها وكان ذلك عصر اليوم التالي واحاط الصحفيون بيت زوجها. لقد كان ظن الشرطة بادىء الأمر انها انتحرت فيما استبعد زوجها مثل هذا الشيء مشيرا بنوع من المعقولية الى ان معظم الناس انما يرتكبون جريمة الانتحار في منازلهم دون ان يضطرهم الامر الى السياقة منتصف الليل. وجرت عملية تفتيش واسعة للمنطقة المحيطة بنيولاند كورنر كما تم الغوص في اعماق ما يسمى (البحيرة الصامتة) التي يزعم انها بحيرة متناهية العمق تقع في جوار منطقة الاختفاء.

ان مالم يكن يعلمه عامة الناس هو ان حياة اجاثا لم تكن بتلك الرفاهية التي يفترضون. فقد احب زوجها فتاة تصغره بعشر سنوات تدعى (نانسي نيل) وقد اخبر زوجته اجاثا قبل فترة قصيرة برغبته في الطلاق منها. بينما احدثت وفاة والدتها صدمة نفسية كبيرة لها فباتت تعاني كثيرا من الارق او تتناول وجبات طعام غريبة ولم تكف عن نقل اثاث البيت هنا وهناك عشوائيا. لقد كان الاضطراب واضحا عليها وربما كانت على وشك انهيار عصبي ولم تتضح معالم اللغز في اليومين او الثلاثة التالية ولم يعلم احد بمكان وجودها. وما ان اعلن عن العثور على ملابس نسائية في كوخ معزول بالقرب من نيولاند كورنر وبجانبها علبة دواء (مخدر) حتى اندفع الصحفيون الى المكان المعني. الا انه كان انذارا خاطئا فالدواء لم يكن سوى علاج للمعدة خال من اية اضرار جانبية وهنا تناقلت بعض الصحف ان ارشيبالد كريستي سيستفيد كثيرا من وفاة زوجته ولكنه كان يملك الدليل الكافي لاثبات براءته من التهمة التي قد توجه اليه، فقد كان موجودا في حفلة نهاية الاسبوع في سيري. فيما تساءل بعض الصحفيين ان كان اختفاؤها عملا مقصودا منه اثارة انتباه العامة من الناس ورأى (ريتشيه كالدر) انها كانت تقصد بأختفائها اغاظة زوجها وان تفضح علانية علاقته الغرامية مع نانسي نيل بل انه شرع بقراءة رواياتها لعله يجد ضالته في احدى

حوارتها. وما ان اعلنت (الديلي نيوز) عن مكافأة لمن يكشف سر الاختفاء حتى انهالت تقارير المشاهدة العينية لمكان الحادث محللة سر الاختفاء لكنها جميعا لم تتوصل الى حل سليم.

وما زاد الطين بلة هو ان شقيقها كامبيل اعلن انه قد تلقى رسالة من شقيقته اجاثا ويشير الختم البريدي عليها انها مرسلة من لندن في الساعة ٤٥و٩ من يوم ٤ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٦ اي اليوم الذي كان مفروضا فيه ان تكون تائهة في غابات سيري.

في يوم الاحد التالي نشرت صحيفة (الميل) لقاء مع زوجها اقر فيه (ان زوجتي قد تناقشت معي في احتمالية اختفائها طواعية) وقبل هذا كانت اخبرت شقيقتها (انني استطيع ان اختفي عندما ارغب بذلك وسأضع تدابير هذه العملية بتمعن) وفي هذا الوقت تجلت عملية الاختفاء بأنها ليست بالانتحار او فقدان ذاكرة.

في الرابع عشر من كانون الاول (ديسمبر) اي بعد مرور احد عشر يوما على اختفائها اقترب اكثر رئيس نادلي فندق (هايدرو باثك) في (هاروكيت) شمال يوركشاير الى احدى نزيلات الفندق، لقد شاهد صورتها في الصحف- نعم انها الكاتبة المفقودة!

وسرعان ما اخبر مركز شرطة يوركشاير الذين اتصلوا بدورهم بزوجها في بيته الذي استقل قطار مابعد الظهر من لندن الى هاروكيت بعد ان علم ان زوجته موجودة في فندق المدينة منذ اسبوع ونصف الاسبوع. لقد حجزت غرفة مريحة في الطابق الاول بسبعة جنيهات اسبوعيا وكانت تبدو هادئة طبيعية، تغني وترقص وتلعب البلياردو وتقرأ تقارير الصحف عن اختفائها وتتبادل الحديث مع ضيوفها النزلاء او تخرج للنزهة سيرا على الاقدام.

واتجهت الى المائدة لتناول عشائها واخذت احدى صحف المساء لتقرأ قصة البحث عنها مع صور شخصية لها. وكانت تقرأ في الوقت الذي كان فيه زوجها يقترب اليها ونظرت اليه وبدا لها مجرد صديق قد تعرفت عليه دون ان تتمكن من تشخيص هويته على حد قول مدير الفندق. وقد اخبر ارشيبالد كريستي الصحافة (انها تعاني من فقدان الذاكرة التام ولا اعتقد انها تعرف حتى نفسها). فيما أكد الطبيب بعدئذ انها تعاني من فقدان الذاكرة. الا ان اللورد ربشيه كالدر تذكر فيما بعد ان تصرفاتها لاتتوافق الا جزئيا مع اعراض فقدان الذاكرة ثم انها كانت ترتدي عند اختفائها تنورة خضراء محاكة مع سترة رمادية وقبعة مخملية ولم تكن تحمل معها الا بضع جنيهات في الوقت الذي كانت تبدو فيه لحظة العثور عليها في اعلى درجات الاناقة وفي محفظتها(٣٠٠) جنيها. وهي قد اخبرت بعض نزلاء الفندق انها قادمة من افريقيا الجنوبية. لقد احدث ذلك صدى سلبيا فالاحتجاج الجماهيري الذي تولت الصحافة قيادته اراد معرفة من سيتحمل تكاليف البحث عنها والتي قدرت بثلاثة الاف دولار.

لقد تلقت روايتها التالية (الكبار الاربعة) نقدا عدائيا ومع هذا تجاوزت مبيعاتها تسعة الآف نسخة وهو رقم يعني اكثر من ضعفي مبيعات روايتها (مقتل روجر اكرويد). ومنذ ذلك الحين حافظت رواياتها على وتيرة التزايد في المبيعات (كما وصفتها اليزابيث وولتر في مقال لها اسمته قصة تنامي المبيعات) وبحلول عام ١٩٥٠ وصلت مبيعات رواياتها الى(٥٠) الف نسخة للرواية الواحدة فيما تجاوزت مبيعات روايتيها الاخيرتين (الانسة ماربل) و (القاتل النائم) الـ٦٠ الف نسخة للرواية الواحدة وللطبعة الاولى فقط.

طلقت السيدة كريستي زوجها الذي تزوج الانسة نانسي نيل فيما تزوجت هي الاستاذ ماكس مالوان عام ١٩٣٠. الا انها رفضت بقية حياتها ان تناقش في مسألة كيفية احتفائها واكتفت بأعطاء الوعود للصحفيين بالحديث عن الظروف

التي لم تكن قد كشفت عنها. أما السيدة جانيت مورغان (التي تبنت كتابة سيرة حياة أجاثا) فقد قبلت الفكرة التي مفادها ان اختفاء أجاثا كان مسألة انهيار عصبي اعقبه فقدان ذاكرة. ومع هذا فإن قبول هذا التفسير لايبدو بالبساطة التي تصورها. فمن اين حصلت على الملابس والنقود للذهاب الى هاروكيث؟ ولماذا خفت اسمها وصرحت بأسم مستعار كان اسم عشيقة زوجها؟

وهل يجوز التصديق انها كانت تعاني من فقدان الذاكرة التام في الوقت الذي كانت تتصرف فيه بشكل طبيعي جدا فتقرأ الصحف وما يكتب عن قصة اختفائها وترى صورها المنشورة ولم تشكك حتى في شخصيتها؟

اما اللورد ريتشيه كالدر الذي عايشها عن كثب في الفترة المتبقية من حياتها، فلم يتزحزح عن رأيه (ان اختفاءها قد اعدت له بشكل دقيق بذات اسلوبها الذي اعتدنا عليه في رواياتها) فيما تنبأت احدى المسرحيات التي عرضها التلفزيون بعد وفاتها ان اختفاءها كان جزءا من مؤامرة شرعت بتدبيرها لمقتل نانسي نيل. ان الشيء الوحيد الذي بقي بين ايدينا والذي يصح لنا قوله هنا هو ان الاختفاء قد جعل من اجاثا كريستي اكثر الكتاب الذين تتصدر كتبهم قائمة المبيعات وان تصبح هي السيدة المليونيرة.

آثار اقدام الشيطان

كان شتاء عام ١٨٥٥ شتاء قاسيا تعرضت له حتى المناطق الجنوبية الغربية من بريطانيا التي غالبا ما عاشت شتاءً معتدلاً. وفي صبيحة الثامن من شباط (فبراير) من تلك السنة خرج السيد البرت بريلسفورد وهو مدير مدرسة قرية (توبشام) في مدينة (ديفن) من منزله ليكتشف ان الثلوج قد تساقطت طوال الليل ولم يكترث لذلك حتى رأى خطا من آثار اقدام او على وجه التحديد آثار حوافر حصان تتجه جنوب شارع القرية.

للوهلة الاولى كانت تبدو حوافر حصان، فأقترب منها وتأكد له استحالة تخمينه الاول ذلك ان هذه الاثار اتخذت شكل خط مستقيم، الاثر بعد الاخر، فلو كان حصانا لكان بساق واحدة ولكان يحجل طوال الطريق واذا كان هذا المخلوق بساقين فلابد وان يكون قد وضع احداهما امام الاخرى بكل حذر وكأنه يسير على حبل مشدود. والاكثر غرابة في الامر ان هذه الآثار وهي بطول اربعة انجات كانت تفصل الواحد منها عن الاخرى ثمانية انجات تماما وكان كل اثر منها واضحا جدا وكأنك قد بصمت علامة بحديد ساخن على جليد صلب.

وسرعان ما تبع اهل القرية الاثار المجهولة جنوبا وتوقفوا مذهولين عندما وصلت اثار الاقدام الى جدار من الطابوق، وبعدها كانت دهشتهم اكبر حين اكتشف احدهم ان هذه الاثار قد استمرت على الجانب الاخر من الجدار وان الجليد في اعلى الجدار لم تطأه قدم مخلوق ثم وصلت الى كومة تبن واستمرت على الجانب الاخر منها على الرغم من أن التبن لم يظهر ان مخلوقا غريبا قد مر فوقه. ومرت الاثار تحت اشجار الكشمش بل انها ظهرت على قمتها ايضا ولاح الامر وكأن مهرجا متمرسا مجنونا اراد ان يضع القرية في لغز محير. لكنهم سرعان ما

ادركوا ان هذا التفسير ابعد من المعقول ذلك ان المحققين قد اتبعوا الآثار ميلا بعد ميل على طول ضواحي مدينة (ديفن) واكتشفوا انهم يتخبطون في قرى ومدن صغيرة (لمبستون-اسماوث-تيناوث-دولش وحتى توتنس) حوالي منتصف الطريق الى بلايماوث). فلو افترضنا انه مهرج متمرس لتوجب عليه ان يقطع اربعين ميلا معظمها فوق جليد كثيف وفوق هذا، ان مثل هذا المهرج كان لزاما عليه ان يسرع الى الامام ليقطع اكبر مسافة ممكنة. فالآثار كانت تقترب في اكثر من موضع الى ابواب المنازل الخارجية ثم تبتعد وهكذا، وبينما عبر هذا المخلوق مصب نهر (الاكس) وكأن عملية العبور كانت بين (لمبستون وباودرهام) نجد اثار اقدام اخرى في (اكسماوث) أبعد الى الجنوب وكأنه قد عاد على اعقابه ولم يكن ثمة منطق يبرر اتباعه مسلكا كهذا.

وفي مواقع معينة ظهر الحصان بحافر مشقوق. لقد كان ذلك في منتصف العهد الفكتوري فشكك بعض من اهالي الريف وجود الشيطان وتسلح الرجال بسلاحهم واستخدموا المذراة في تتبع الاثار وبحلول الظلام نرى الابواب وقد اوصدت وحشوا البنادق بالرصاص.

بلغت القصة مسامع الصحافة في السادس عشر من شباط (فبراير) عام ١٨٥٥ أي بعد اسبوع من الحادث حين نشرت (التايمز) اللندنية القصة بأكملها مضيفة ان معظم مزارع (لمبستون) قد شهدت آثار الزائر الغريب. وفي اليوم التالي نشرت (بلايماوث كازت) تقريرا اشارت فيه الى مقترح احد القساوسة من ان هذا المخلوق هو كنغر دون ان يدرك ان للكنغر مخالبا. بينما رأت صحيفة (اكسترفلانيكك بوست) ان هذه الاثار هي آثار طائر. لكن مراسلا في صحيفة (لندن نيوز) رفض هذه الفكرة مؤكدا ان لا طائر يترك اثارا تأخذ شكل حوافر حصان مضيفا انه قد امضى خمسة اشهر في غابات كندا الجنوبية ولم ير قط مثل هذه الآثار الواضحة المحددة. وفي الثالث من آذار (مارس) نشرت صحيفة

(نيوز لندن) تقريرا لعالم التأريخ الطبيعي والمشرح (ريتشارد اون) اعلن فيه بتعصب انها آثار الاقدام الخلفية لحيوان الغرير (وهو حيوان ثدي يحفر جحره بالارض) ويقترح ان اعدادا كبيرة من هذا الحيوان تخرج من سباتها ليلا بحثا عن الطعام ولكنه لم يوضح اسباب حجلان هذه الحيوانات على قدم خلفية واحدة (وبعد مرور خمس سنوات كان هذا العالم متعصبا ومخطئا في ذات الوقت حول نظرية دارون في اصل الاجناس).

وكتب مراسل آخر وكان طبيبا انه امضى مع طبيب آخر وقتا طويلا في محاولة لاكتشاف خصوصيات (اكثر الانطباعات تفردا) (يحب الفكتوريون هذا النوع من التزويق اللفظي) وادعى (ان اضافة دقيقة اكثر في فحص هذه الآثار سيجعل من الممكن تمييز آثار الاصابع وراحات الاقدام لاي حيوان ما). اما مرشحه فكان كلب البحر. ويرى الصحفي (أوريتشر) ان هذه الآثار تعود دون ادنى شك الى طائر (الحباري الكبير) وهو طائر مخالبه الخارجية مدورة حسب ادعائه. وادعى آخر وهو من مدينة (ساوبيري) أنه رأى مؤخرا آثار فأر في مزرعة بطاطا وانها تشبه تماما هذه (الاقدام الشيطانية) مضيفاً ان هذه الفئران كانت تقفز على الجليد لتسقط بكامل ثقلها مولدة آثارا تشبه حوافر الحصان. ويظن مراسل اسكتلندي ان هذا المجرم ربما يكون ارنبا وحشيا او قطا قطبيا. ان هذه التفسيرات جميعها هي اقل سذاجة مما تبدو عليه اذ قد تنجح في توضيح اكثر الخصائص غموضا لهذا اللغز وهي ان هذه الاقدام يتبع احدها الآخر بنسق منتظم وكأنها نتاج حيوان احادي الساق ولكنها فشلت في ذات الوقت في شرح سبب استمرارها ما يعادل اربعين ميلا.

وربما تكون اكثر الفرضيات احتمالية هي تلك التي قدمها فيما بعد (جفري هاوسهولد) في كتاب صغير ضم كل ما يتعلق بالمسألة وعلق ادناه في رسالة بعثها الى المؤلف:-

«اعتقد ان مدرج مطار ديفن اطلق بمحض الصدفة منطادا مختبريا انفلت من الحبال الشادة له وترك قيدين على حافة الحبال وان الآثار التي تركها القيدان على الثلج قد خطت طريقها على جوانب البيوت . . فوق كومة التبن . . وقد اخبرني (الميجر كارتر) وهو من اهالي المدينة ان جده كان يعمل في المطار وقتها وبأن كل شيء قد انطفأ في لمحة بصر فقد دمر المنطاد عددا من البيوت الزجاجية والابنية الزجاجية والشبابيك حتى هبط اخيرا في (هونتون)».

وربما تتجلى هنا عوامل الاثارة في مثل هذه المعلومات وربما تكون هي الحل المناسب لهذا اللغز، الا ان نقاط الضعف لما تزل عالقة به. فرسم خارطة مسار هذه الآثار يبين وبشكل واضح انها قد اتخذت مساراً دائريا بين ثوبشاوم واكسماوث. فهل يعقل ان يتجول منطاد هارب بهذه الكيفية؟ مما هو مؤكد انه سيسلك طريقا مستقيما بشكل او بآخر ومع اتجاه الريح السائدة انذاك والتي كانت على الارجح قادمة من جهة الشرق.

ان مضي اسبوع قبل نشر هذا اللغز في الصحافة لهو الدليل والحقيقة على ان مفاتيح مهمة لحله قد اختفت مرة والى الابد ولكان شيقا معرفة جوانب اخرى تتعلق به نذكر منها ان ليلة الثالث من شباط (فبراير) كانت الليلة الاولى التي سقطت فيها الثلوج لشتاء عام ١٨٥٥؟ لقد كان شتاء قاسيا -نعم- فهذا يعني ان العديد من الحيوانات الصغيرة كالفئران والارانب لابد وان تكون نصف جائعة بحلول شباط وقد خرجت تبحث عن غذائها. ثم ان الرسالة الموجهة الى صحيفة (بلايماوث كازت) تبدأ (ليلة الثلاثاء -الثالث من شباط شهدت تساقط ثلوج كثيفة اعقبتها الامطار والرياح العاتية القادمة من الشرق اما الصباح فكان ضبابيا).

ان الحيوانات الصغيرة كانت تخرج كل ليلة ولكنها لم تترك آثارا يمكن ملاحظتها الا في صباح تلك الجمعة وعلى سجادة الجليد التي فرشتها السماء في

تلك الليلة. ولكن مثل هذه الاثار كان مفروضا ان تغطس في طبقة الجليد الحقيقية اولا ثم يزداد عمقها مع سقوط الامطار قبل ان تتجمد وان هذا سيوضح سبب ظهورها وكأن أحداً قد بصم بها على الجليد.

واذا ما غطى الجليد الارض قبل ليلة الثالث من شباط (فبراير) لتوجب التخلي عن احدى النظريات الواردة الاحتمال -لقد فشلت كل الحالات في توضيح كيف ان هذه الآثار قد اتخذت حتى من اعالي الاشجار واكوام التبن مكانا لها وبهذه المسافة وفي مثل هذا الوقت -وهكذا بقي اللغز لغزا مستعصيا دون ادنى شك.

لغز ا ايليان مور

الجزيرة التي يختفي فيها الرجال

تقع في المحيط الاطلسي، غير المأهول، وعلى بعد سبعة عشر ميلا الى الجنوب من "هير يدز"، جزر فلاتن المعروفة بين الملاحين بـ "الصيادات السبع".

وتسمى أكبرها وابعدها باتجاه الشمال "ايليان مور" وتعني في حقيقة الامر الجزيرة الكبيرة "ماري سيليست" التي ارتبط اسمها باحد ألغاز البحر المبهمة والمعقدة. اقتبست هذه الجزر المنعزلة اسمها من اسقف عاش في القرن السابع عشر ويدعى "اس. ت. فلاتن" كان قد شيد كنيسة صغيرة في "ايليان مور". اما رعاة قرية "هيرابس" فقد تعودوا العبور بأغنامهم الى الجزر لترعى الأعشاب الغزيرة، ولكنهم أنفسهم لايمكثون الا ليلة واحدةً هناك لما يظن من أن هذه الجزر تؤمها الارواح والأقزام.

لما ازدهرت تجارة البحر في بريطانيا خلال العقود المتأخرة من القرن التاسع عشر، أبحرت من "كلايد بانك" سفن عديدة صوب الشمال والجنوب بيد أنها تحطمت جميعاً في جزر فلاتن. وفي عام١٨٩٥، أعلنت هيئة الفنارات الشمالية أنها ستشيد فناراً في ايليان مور، وتوقعت أن يستغرق البناء سنتين ولكن مشكلات رفع الاحجاروںصب العارضات على جرف يتجاوز مائتي قدم حالت دون التقيد ببرنامج العمل المحدد. وأخيراً افتتح فنار "ايليان مور" في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٩، وفي السنة التالية كان بريق شعاعه يبدو للعيان فوق البحار الهائجة بين جزر "لويس" و "فلاتن". ثم انطفأ ضوءه قبل اعياد الميلاد لعام١٩٠٠ بأحد عشر يوماً. كان الطقس عاصفاً جداً مما حال دون تمكن باخرة هيئة الفنارات الشمالية

من الذهاب وإجراء التحقيق. بيد أن الفنار كان مبنياً برصيفين احدهما الى الشرق والثاني الى الغرب، ولذلك فإن احدهما سيكون بعيدا عن مهب الريح السائدة.

تملك جوزيف مور شعور بالعجز التام وهو يحدق باتجاه الغرب الى جزر فلانن من على حافة البحر في "روك روج". إنه لأمر غير طبيعي أن يمرض سوية في لمحة بصر الرجال الثلاثة في "ايليان مور" -جيمس دوكات وملك ارثر وتوماس مارشال- ومن المستحيل عملياً أن يتحطم الفنار نفسه بفعل العواصف. وفي عيد الإهداء ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩٠٠ كان الفجر صافيا والبحر أقل هيجاناً، وكانت الباخرة "هسبرس" قد غادرت المرفأ بعد طلوع الصباح بقليل. انتاب القلق مور ورفض تناول الفطور، وشرع يذرع ظهر الباخرة جيئة وذهابا وهو يتطلع بعيداً صوب الجزر. لقد عذبه لغزها وأفقده هدوءه ولم يعد يقوى على تناول الطعام، وكان على هسبرس أن تقطع ثلاث مرات قبل أن تتمكن من الرسو قرب الرصيف الشرقي. كما لم تلق إشاراتهم اي رد سواءاً كان علماً ام رايةً، ولم يكن ثمة ما يشير الى وجود حياة هناك. كان مور اول من وصل بوابة الدخول وكانت مغلقة، حرك يديه وصاح ثم أسرع الخطى في الطريق المنحدر. كان الباب الرئيس مغلقاً ولم يسمع أحد نداءه. لقد وجد الفنار خالياً والساعة في الغرفة الرئيسية قد توقفت والرماد في الموقد بارداً. أطال مور صبره حتى لحقه اثنان من البحارة قبل أن يغامر بالصعود الى أقسام النوم في الطابق الاعلى خشيةً مما قد يلاقيه هناك، فوجد الاسرة مرتبةً بدقة وكذلك المكان. فيما دون جيمس دوكات المسؤول الرئيس بيانات على لوح الكتابة ومنها يشير تاريخ آخر بيان أن (١٥ كانون الاول الساعة التاسعة صباحاً) كان اليوم الذي انطفأ فيه ضوء الفنار. بيد أن سبب هذا لم يكن نفاذ الزيت فالفتائل كانت مهيأة والمصابيح على وشك أن تضاء وكل شيء كان على مايرام،

وهو دليل أن الرجال قد أحسنوا أداءاً في واجباتهم لليوم الذي سبق حدوث المأساة. الا أن أحداً لم يكن موجوداً بحلول المساء ليضيء المصباح برغم ان يوم ١٥ كانون الاول كان يوماً هادئاً.

عادت "هسبرس" الى "لويس". حاولوا إعادة تنظيم الاحداث وظنوا بادىء الامر أن الحل واضح المعالم. لقد وجدوا في الرصيف الغربي دليلاً يشير الى حدوث ضرر بسبب عاصفة حيث تشابكت الحبال حول رافعة كانت على مستوى (٦٥) قدماً فوق سطح البحر، كما فقد صندوق أدوات كان محفوظاً في شق على ارتفاع (٤٥) قدما فوق الرافعة، وبدا وكأن موجةً بارتفاع (١٠٠) قدم في المحيط الاطلسي قد حطمته واكتسحته بعيداً وكذا الحال بالنسبة للرجال الثلاثة. لقد عززت حقيقة فقدان معطفي المطر العائدين الى دوكات ومارشال هذه النظرية فهما يرتديانها عند زيارة الارصفة، لذا فقد توصل المحققون الى نظرية مقبولة ظاهرياً. فالرجلان خشيا أن الرافعة قد تحطمت بفعل العاصفة وتقدما بصعوبة نحو الرصيف بمعطفيهما المطريين ثم أخذتها موجة قوية..

الا أن مصير الرجل الثالث دونالد مك ارثر مازال معلقاً. فمعطفه المطري ما زال موجوداً في الفنار. أيمكن أن يكون قد اندفع صوب زميليه لإنقاذهما ثم اكتسحته العاصفة؟؟.

هذه النظريات انهارت جميعها عندما أشار أحدهم الى أن يوم ١٥ كانون الاول كان يوماً هادئاً، وأن العواصف لم تبدأ الا في اليوم التالي. ربما يكون دوكات قد سجل تاريخاً غير صحيح سهواً!!. لقد توجب إسقاط هذه النظرية عند العودة الى "لوشف روك" يوم أخبرهم هولمان، قبطان الباخرة "ارجر"، أنه مر قريباً من الجزر في ليلة ١٥ كانو ن الاول وكان الضوء منطفئاً... ربما كان الرجال الثلاثة واقفين على الرصيف في ذاك الصباح الهادىء الذي يدل عليه عدم

ارتداء ملك ارثر معطفه المطري وزلت قدم أحدهم في الماء، فقفز بعدها الأخران وراءه الى الماء فغرقوا جميعاً!! ولكن لم لم يقذفا بالحبال وأحزمة الأمان الموجودة على الرصيف؟. فلو افترضنا أن الرجل الغارق كان فاقد الوعي ولم يتمكن من الإمساك بحزام الأمان الذي رموا به لتوجب إذاً أن يقفز أحدهما وراءه تاركاً الآخر على الرصيف يمسك بالحبل. . . وثمة نظرية اخرى تقول أن أحد الرجال الثلاثة قد أصابه مس من الجنون ودفع بالآخرين الى حتفهما ورمى بنفسه في البحر. هذه النظرية، وإن لاحت معقولة، فانها تفتقد الى ابسط دليل يؤكد صحتها. كما اقترح المذيع فالنتاين داربل (الرجل المتشح بالسواد) تفسيرات أكثر قبولاً في كتابه (ألغاز مستعصية). وفي عام ١٩٤٧ زار جزيرة "ايليان مور" صحفي اسكتلندي يدعى آيان كامبل، وذات يوم هادىء كان جالساً على المرفأ الغربي عندما جاش البحر فجأة وارتفع سبعين قدماً فوق الرصيف وبعد حوالي دقيقة هدأ ثانية وعاد الى طبيعته، لكن هذا قد يكون شذوذاً من الأمواج او هزة أرضية تحت الماء. واعتقد كامبل أن كل من كان على الرصيف في تلك اللحظة قد ابتلعه البحر، وأخبره مسؤول الفنار أن هذا الجيشان الغريب يحدث بشكل دوري. لكن الأمر ما زال غامضاً، فكيف يمكن أن تبتلع الحادثة ثلاثة رجال معاً؟

هب أن ملك آرثر كان في البرج ساعة وقوع الحادثة (ان كانت قد حصلت فعلاً) غير مرتدياً معطفه المطري، فهل وصل به الغباء أن يرمي بنفسه الى الرصيف ويقذف بها الى البحر الذي ابتلع صديقيه؟.

لم يبق أمامنا الا شيئاً واحداً الا وهو أن ذلك اليوم الهادىء من كانون الاول (ديسمبر) قد اختطف ثلاثة رجال خارج (ايليان مور) آخذاً معه حتى تزير الاثر الذي يمكن ان يوصلنا الى حل اللغز.

الكفن المقدس في تورين

يلوح الاعتـقـاد أن قطعـة القماش مـستطيلة الشكل البالغ طولها اربعة عشر قـدمـا والمحفوظة في كاتدرائية (تورين) هي الكفن الذي دفن فيه مؤسس المسيحية في الضريح اعـتـقـاداً منافـيـاً للعقل بشكل واضح سـيما وان هناك أربعـون كفنا غـريبا تنافس كفن تورين في مناطق اخرى من اوروبا. واذا كان (الكفن المقدس) مـزيفـا فأن اللغز سيكون اكثر غموضا من قبل، لاننا سنواجه مشكلة تفسـير عدد كبير من القطـع ذات الادلة القاطعة والمقنعة. يبدأ تأريخ الكفن من عام ١٣٥٣ حين قـام (جـيـفري ديشارمي) سيد منطقتي (سافوازي) و (ليري) ببناء كنيـسة في (ليري) وعـرض فـيـهـا (الكفن) الحـقـيـقي للمـسيح والذي كان قطعة قماش من الكتـان يناهز طولها اربعـة عشر قـدمـا وعـرضها ثلاثة اقدام ونصف القدم وعليها صـورة بنيـة معتمة لرجل او ربما صورتان واحدة لجبهته والثانيـة لظهره. ويتضح ان الجـسـد قـد كـفن بالجزء السـفلي من القماش الذي لف الى الداخل فوق قمة الرأس وبطريقـة غريبة طبعت صورة الرجل على الكفن حتى تجلت كأنهـا صورة فـوتوغـرافية رديئـة جدا. إن أثراً مقدساً كهذا ليعادل اكثر من وزنه ذهبـا حيث سـيؤدي الى تدفق الحـجـاج على الكنيـسة لمشاهدته ووضع نقودهم في الصندوق المخصص لجمعها. وفي عام ١٣٨٩ صرح (بيتر دراسين) مطران كنيـسة (ترويز) ان الكفن مـزيف ورسـمه احد الفنانين، وحاول الاستيلاء عليه لكنه اخفق. وفي عام ١٥٣٢، أحـرقت النار التي شبت في (سينت شابيل) بمقاطعة شامبري في فـرنسـا أغلب الكفن وتخللتـه عـدة ثقـوب احدثتها الفضة المنصهرة لكن شيئاً لم يحدث قط لمركـز القماش الذي يحوي الصـورة لدرجـة أن أضـحـى جديداً بعد أن اصلحـته راهبات كنيسة (أس- كيلو). لقد بدأ التأريخ الحقيقي للكفن -وهذا ما يكترث اليه القراء المعـاصرون- في ٢٨ مايس (مايو) عـام ١٨٩٨ بعد أن حفظته

كاتدرائية تورين منذ عام ١٥٧٨م ضمن ملكيات دوق سافوي حتى تم عرضه ثانية عام ١٨٩٨ في معرض عام.

كلف (سيكوتورابايا) مصور تورين بالتقاط صور فوتوغرافية له. كان المصور في غرفته في حدود منتصف الليل حين اخرج اولى الصورتين من سائل التحميض فكان ما رآه جعله يرمي بها. اذ رأى بدلاً من مسودة الصورة صورة حقيقية لوجه واضح المعالم برغم انه كان ينظر الى صورة فوتوغرافية سالبة ليست بالصورة النهائية، وهذا لا يعني الا شيئا واحدا هو ان الصورة التي كانت على الكفن كانت صورة فوتوغرافية سالبة، وعليه ظهرت الصورة عندما أعاد (بايا) تصويرها موجبة وحقيقية، واذا كان الاثر حقيقيا فأن (بايا) كان ينظر الى صورة المسيح. وصل الخبر الى دوق سافوي الذي كان في هذه الاثناء الملك الاول (الذي اغتيل بعد سنتين) وشرع موكب من الزوار المتيبزين يتوافدون على بيت المصور لايمانهم انه (الكفن المقدس) مادام لم يخطر ببال اي رسام تزوير صورة سلبية، والاحتمال الاخر ان ذلك تحقق بالصدفة على يد احد المزورين، وهو احتمال لايبدو قابلا للتصديق. وبعد اسبوعين نشر احد الصحفيين الخبر ناشراً اياه في كل انحاء العالم. لكن شهرة الكفن لم تدم طويلا. فبعد سنتين كتب عالم فرنسي متخصص بدراسة القرون الوسطى يدعى (يوليس شيفاليه) تقريرا مفصلا حول الموضوع هدأ من الانفعال، فقد درس شيفاليه كل ماعثر عليه من وثائق من بينها تأكيد (بيتر داسيس) ان الكفن مزيف حين ادعى ان الرسام نفسه اعترف له ان الصورة التي على الكفن هي رسم يد، واورد مصور مشهور بأن الصورة السلبية الفوتوغرافية هي مجرد مصادفة تقنية. اقنع ذلك العلماء ليستشفوا ان الكفن المقدس كان اثرا مزيفا مثل الاف القطع التي يعتقد انها (الصليب الحقيقي)والمنتشرة في كنائس العالم المختلفة. ثم دفعت الساحة بنصير جديد يدعى (بول فينون) وهو رسام أبدى اهتماماً بعلم الاحياء حتى اصبح مساعدا للاستاذ

(يفن ديلاك) في جامعة السوربون. كان (فينون) كاثوليكيا أما (ديلاك) فينتسب الى مذهب (اللاارادية)* وهو الذي عرض على (فينون) الصور الفوتوغرافية للكفن وأثار اهتمامه بالموضوع عام١٩٠٠م ومما لا ريب فيه أن فينون قد ادرك ان الاختبار الدقيق هو الذي يثبت مرة واحدة والى الابد فيما اذا كانت الصورة من صنع اليد على الكفن. فذهب الى تورين وحصل على الصورة الفوتوغرافية التي التقطها (سيكوتروبايا) بالاضافة الى صورتين للكفن التقطها في الوقت ذاته رجلان آخران. وكان السؤال الاول الذي طرحه(فينون) على نفسه هو كيف تم وضع البقع البنية واذا كان قد رسمها فهل كان بأمكانه رسم مثل هذه الصورة السالبة المؤثرة؟ وقد يعني هذا انه كان يرسم دون ان ينظر حقيقة الى ماكان يعمل، ويحس الفنان ادرك(فينون) ان ذلك غير ممكن، لان التصوير الفوتوغرافي لم يكن معروفا في عام١٣٥٣، لذلك فإن الفنان لم تكن لديه وسائل لفحص عمله ولماذا اراد ان يرسم صورة سالبة واذا كان القصد تضليل الحجاج فمن المؤكد انهم يفضلون وجها يمكن تمييزه. حاول (فينون) ان يطلي وجهه بغبار الطباشير ومن ثم اضطجع وغطى وجهه بقطعة قماش ضغطت بلطف على وجهه فكانت النتيجة أن طبعت مناطق التماس على قطعة القماش مكان الشكل الاجمالي بقعاً لا تحدد ملامحاً محددة ولا حتى صورة سلبية. واذا كانت الصورة قد انتجت بطريقة (التلامس) فلا يمكن ان تكون قد تولدت من هذا النوع من التلامس، اذن في هذه الحالة، اي نوع من التلامس هذا؟ أحد الالغاز هو ان الطبع شمل حتى تجاويف الوجه حيث تظهر في الصورةقصبة الانف على الرغم من ان وضع قطعة قماش على الوجه لا تمس قصبة الانف. هل يمكن افتراض ان الصورة نتجت بتأثير العرق؟ وكانت مراهم الدفن الشائعة في زمن (الصلب) هي صمغ المر والآلو وهي مواد يمكن للعرق أن يؤثر فيها والعرق يحتوي على مادة تدعى اليوريا والتي تتحول الى الامونيا ذات الرائحة الكريهة، وقد لوحظ ان العرق ينتج بقعا بنية على قطعة القماش اذا بللت فيها.

من الغريب أن يصبح (اللاارادي) ديلاك اخيرا مقتنعا ان الكفن حقيقي وغير مزيف على الرغم انه لم يكن مسيحياً متزمتاً. ويظهر على الصورة الفوتوغرافية للرجل آثار سوط وطعنة رمح في جهة واحدة وعلامات على الجبهة قد تنطبق على اكليل الشوك وهناك آثار مسامير على المعصمين والقدمين. وعلى الرغم من ان اغلب رسوم (الصلب) تظهر عليها مسامير غرزت بالكفين فأن (فينون) برهن ان ذلك لا يمكن ان يقيد رجلاً على الصليب، وفي الحقيقة اظهر البحث التأريخي ان المسامير اثناء الصلب غرزت في المعصمين وليس في الكفين وقرىء التقرير الذي اعده (فينون) و (ديلاك) في اكاديمية العلوم يوم ٢١ نيسان (ابريل) ١٩٠٢ وآثار ضجة وصار (فينون) و (ديلاك) بين مادح وقادح. ومن الغريب ان بعض الكاثوليك المؤثرين ما انفكوا يعتبرون الكفن خدعة. وكان اليسوعي* الاب (هربرت ثرستن) من شارع فارم في لندن قد شارك في الموسوعة الكاثوليكية بموضوع بين فيه وجهة نظره ان الكفن كله مجرد (مساعدة دينية) رسمه وتبرع به ناسك من القرن الرابع عشر.

وخمد الجدل، وبعد ما يقارب ثلاثين عاما وفي مايس (مايو) ١٩٣١ تقرر ان يعرض الكفن ثانية في الاحتفال المتأخر لزواج ولي العهد (امبرتو) والتقطت صور فوتوغرافية كثيرة قام بالتقاطها (غايسب آري) وكانت احسن بكثير من الصور الفوتوغرافية الاولى التي التقطها (بايا) وكان الحس الواقعي فيها اقوى وفوق ذلك فان الاختبار الدقيق للقماش يثبت ان نظرية الرسم بعيدة الاحتمال. فالاصباغ يتشربها القماش، لكن البقعة البنية كانت على سطح القماش ولم تظهر للعيان شظايا للاصباغ حتى باستخدام المجهر. وقد عرضت الصور الفوتوغرافية على خبير التشريح الفرنسي (بيير باربت) الذي واصل دراستها بتفصيل دقيق واظهرت الصور ان المسمار الذي اخترق المعصم خرج من ظهر الكف. ايمكن ان يكون هذا غلطة مزور؟ وحاول (باربت) غرز مسمار في معصم ممزق وعندما

اصطدم المسمار بالعظم انزلق الى الاعلى وخرج من نفس المكان الذي ظهر في الصورة ٢٥ كما ظهر على كل معصم اثران للدم كما لو كان المعصم في موقعين مختلفين وبرهن (باربت) ان الرجل الذي يعلق من المعصمين يختنق في الحال ولذلك فأنه يدفع جسمه الى الاعلى ليتنفس وهو واقف على المسامير التي تمسك قدميه، لكن هذا سيرهقه بسرعة فينخفض جسمه ثانية، وينطبق اثرا الدم تماما مع هذين الوضعين واعتمادا على وصف الرول (جون) للرمح المغروز في جانب جسد المسيح الميت: "وفي الحال خرج دم وماء" اي مزيج من الدم وسائل شفاف. واوصلت كل هذه التحقيقات (باربت) الى صورة مروعة عن معاناة رجل يموت على الصليب وعند هذا الحد اعترف انه لم يعد يجرؤ على التفكير فيها واصبح كتابه (الآم المسيح الجسدية) موضوع مواعظ لاحد لها في اعياد الفصح و(باربت) نفسه تأثر عاطفيا عندما تمكن من القاء نظرة عن كثب على الكفن في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣ وأدرك ان بعض البقع البنية كانت بقع دم من دم المسيح... وسجد بعدها على ركبتيه وحنى رأسه اجلالا: واتضح امر واحد: وهو ان المعلومات التي احتواها الكفن كانت معقدة جدا لدرجة ان فرصة كونه حقيقيا كانت واحدة في الالف واصبحت دراسة الكفن علما بحد ذاته اطلق عليه اسم (سندونولوجي) وهو مشتق من كلمة (سندون) الايطالية التي تعني كفن واضحى (بول فينون) المؤسس المشهور لهذا العلم وكان قد اقترح رأيا مثيرا وهو ان الكفن قد يكون سبب التغيير المفاجيء في تماثيل المسيح في زمن الامبراطور قسطنطين (٢٤٧-٣٣٧م).ففي القرون الاولى بعد صلب المسيح كانت صورة تظهره شابا غير ملتحٍ ثم بعد ذلك تظهر صورة رجل ذو لحية وشارب، هل يمكن ان يكون اكتشاف الكفن سبب التغيير؟ درس (فينون) مئات الرسوم وانتهى الى ان عددا كبيرا منها قد تأثر بالكفن وعلى سبيل المثال: كان هناك مربع صغير فوق الانف يسبب عيبا في نسيج القماش وقد وجد هذا المربع في العديد من صور المسيح، وفيما يسمى (وجه ايديسا المقدس) وهي

لوحة تعود الى قرن بعد قسطنطين كان هناك شبه واضح بينها وبين الوجه المرسوم على الكفن. وبرهن عالم آخر وهو (آيان ولسن) بشكل مقنع ان الكفن مطابق للاثر المعروف بـ (مانديلاين) وهو المنديل الذي مسحت به القديسة (فيرونيكا) وجه المسيح عندما كان في طريقه الى كالفاري والذي طبع عليه وجه المسيح بمعجزة. والمانديلاين او (الاثر الذي يدعى انه منديل القديسة فيرونيكا الاصلي) كان محفوظا في بيزنطة حتى نهبها الصليبيون عام ١٢٠٤ وقد جاء الى هناك من ايديسا ("ارفا" في تركيا حاليا) في آب اغسطس ٩٩٤م.ويبرهن ولسون ان الكفن كان مطويا ولذلك لم يكن يظهر عليه الا الوجه وانه نفسه (مانديلاين)، وفي كتابه (كفن تورين) كتب ولسن اكثر من مائة صفحة في دراسة المصادر الوثائقية ومحاولة تعقب تاريخ الكفن (مانديلاين) قبل ظهوره في اواسط القرن الرابع عشر وكانت ذات براهين طويلة لامجال لتفصيلها هنا، لكن اعادة التنظيم التجريبية كانت كالآتي:-

بعد صلب المسيح في (حوالي ٣٠ ب م) كان الكفن مطويا ومخبأ وذلك لطبيعته (غير النظيفة كونه قماش دفن) وأخذ الى ايديسا وفيها مجتمع مسيحي مزدهر، ولكن عندما ارتد (مانيو السادس) الى الوثنية عام ٥٧ ب.م واضطهد المسيحيين تم اخفاء الكفن في كوة في جدار فوق بوابة ايديسا الغربية.وعلى الرغم من ان المسيحيين عانوا ثانية بعد (١٢٠) سنة بقي مكان الكفن مجهولا. وفي الفيضانات الشديدة التي اصابت (ايديسا) عام٥٢٥م والتي ازهقت ارواح ثلاثين الفا ودمرت العديد من البنايات العامة، عثر على الكفن ثانية عند اعادة بناء الجدران (وهذه الرواية تناقض بالطبع افتراض فيتون ان الكفن عثر عليه ثانية في عهد قسطنطين قبل ثلاثة قرون)،وفي عام ٩٤٢م حاصر الجيش البيزنطي (ايديسا) وعرض اخلاء المدينة مقابل (مانديلاين)وهكذا نقل (مانديلاين) الى القسطنطينية واكتشف انه كفن طمر في عام ١٠٤٥م وذلك عندما حاول احدهم فتح اطار

مانديلاين لتجديده. وفي عام ١٢٠٤ وعندما اخذ الصليبيون القسطنطينية من الاغريق المسيحيين اختفى الكفن ثانية ولا يعرف ماذا حدث بعد ذلك الا حدس واحد وهو انه وقع في ايدي الداويون* الذين اتهموا بعبادة رأس رجل ذي لحية شقراء. وفي عام ١٢٩١ وبعد سقوط (اكري) وهي مكان ثروة الداويين، جلب القماش الى صيدا ثم الى قبرص.

وفي عام ١٣٠٦ أنتقلت ثروة الداويين الى فرنسا حيث جلبها جاكسن مولاي وفي ١٣ تشرين اول (اكتوبر) ١٣٠٧ القي القبض على الداويين بأوامر الملك فيليب العادل الذي كان تواقا لوضع يده على نقودهم. وفي آذار (مارس) ١٣١٤ أعدم حرقا كل من جاكسن مولاي وجفري دي شرناي الزعيم الديني. ولا يعرف فيما اذا كان جفري دي شرناي يبدو انه هو الذي عرض الكفن هناك حوالي عام ١٣٥٥ وعندما قتل (جفري) في (بوتيرس) في ايلول (سبتمبر) ١٣٥١ تحولت ملكية الكفن الى ابنه الصغير والذي يدعى (جوي) ايضا وعرض الكفن (ربما للحصول على النقود) في عام١٣٥٧ . لكن (هنري) اسقف كنيسة (بوتيرس) امر بالتوقف عن عرضه وفي عام ١٣٨٩ تم عرضه مرة اخرى مما آثار حفيظة (بيتر دارسين) اسقف كنيسة (ترويز) الذي ناشد الملك والبابا لوضع اليد على الاثر واكد ان الكفن زيفه فنان حوالي عام ١٣٥٥ ، وقد ساند البابا عائلة (ديشارني)، لكن محاولة الاسقف اخفقت وفي عام ١٤٠٠ وبعد وفاة (جفري ديشارني) الصغير تزوجت ابنته (مارغريت) من (همبرت) احد سكان (فلر سكل) وسلم الكفن له لغرض الحفاظ عليه وتم وضعه في كنيسة القديس (هيوليت) على نهر دوبسن وصار يعرض سنويا في مرج على نهر (دوبسن) عرف فيما بعد بـ مرج المنقذ

حاول كهنة كنيسة ليري استعادته حوالي عام ١٤٤٣ وعلى الرغم من انهم نجحوا في حرمان مارغريت من الكنيسة الا انهم اخفقوا في الحصول عليه،

وعندما توفيت مارغريت عام ١٤٦٠ تحولت ملكية الكفن فورا الى دوق سافوي الذي منح مارغريت قلعتين فرنسيتين. وفي عـام ١٥٥٢ أودع الكـفن في قلعـة (شـامبري) وبـعـد ثلاثين سنة اتلفت النار اجزاء كبيرة منه ثم اخـذ الكفن الى كنيسة (تورين) عـام ١٥٧٨ حيث بقي هنـاك منذ ذلك الحين عدا ايام الحرب العـالميـة الثـانية حيث نقل الى دير (مونت فرجين) في (اميلينون) لضمان سلامته. وفي عـام ١٩٥٥ جلب الكـابتن فتـاة اسكتلنديـة مشلولة الى تورين وسمح لها بحـمل الكفن في حـضنهـا ومع ذلك لم تشف وربما بسبب هذا الاخـفـاق قـرر (بلغرينو) كـاردينال كنيـسة تورين القيام بمحاولة فاصلة لاثبات اصالة الكفن او استخدام الوسائل العلمية لاثبات ذلك. وفي حزيران (يونيو) ١٩٦٩ سمح لهيئة علميـة بالكشف على الكفن والتـقطت صـور اخرى له (بعـضـهـا ملونة) قـام بالتـقـاطهـا كل من جيـوفـاني وبـاتـستا جودكيا وكورد غليا، ودرست الهيئة الكفن لمدة يـومين وطلبت اجراء سلسلة من الاختـبـارات والتي شـملت (ازالة النماذج الاصـغـر) ووافق الملك امبرتو الثـاني المنفي في البرتغال على اجراء الاختبارات وفي ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ عرض الكفن لاول مرة على شاشة التلفاز وفي اليـوم التـالي نقل الى غـرفـة صـغيرة خلف كاتدرائية (تورين) ونقل بعناية مجموعة من سـبـعة عشر نموذجا ونقل كذلك جزءاً من القماش الذي يغطيه والذي خاطته الراهبـات بعـد تعـرضـه للنار. كشف الغطاء هنا عن الحـقـيـقـة المثيرة وهي ان الصـورة لم تنفـذ الى الوجـه الثـاني من القماش وفي الحـقـيـقـة ان الاخـتبار الدقيق للخـيـوط بين ان البقعـة البنية كـانت مقتصرة على سطح القماش وهذا قـد يلغي احتمال وجـود دم حـقيقي. وهنا نتذكر بيير باربت حين سجد على ركبتيه عندما صدمتـه حقيقة انه كان ينظر في بقع دم حقيقي، ثم بينت الاختبارات بأنه ليس ثمة دم على الكفن وجاء عالم اخر هو الدكتور (ماكس فري) خبير في غبار الطلع واحـد اول اكتشافاته كانت حبوب غبار طلع من شجرة ارز لبنان، عدا ما انتشر من هذه الشـجـرة خـارج لبنان وخـاصـة في المتنزهات العـامة ثم توصل الى شيء

كشف الكثير وهو حبوب طلع لنباتات فريدة تعيش في غور الاردن متكيفة للتربة ذات النسبة العالية من الملوحة، وراح يحدد هوية تسعة واربعين نوعا من حبوب الطلع اغلبها من القدس واخرى من استانبول (القسطنطينية) وغيرها من ليرفا (اديسا) ومن فرنسا وايطاليا وقدم هذا دليلا قاطعا على ان اصل الكفن من (الارض المقدسة) وانتقل الى تركيا ثم فرنسا وايطاليا وكان هذا اكثر الاكتشافات اثارة دون شك المنبثقة من اختبار عام ١٩٧٣. وفي وقت هذا الاختبار كان بحثا مهما آخر يقوم باجرائه في امريكا الفيزيائي (جون جاكسن) وصديقه الدكتور (اريك جمبر) كابتن في القوة الجوية الامريكية واستخدما كفنا (وهميا) بأستعمال الشفافية وحددوا كل السمات الرئيسيةللكفن على قطعة قماش مشابهة ووضعوا الكفن الوهمي على رجل مضطجع ثم عينوا علامات البقع البنية الداكنة نسبيا واكتشفوا حقيقة غريبة وهي ان العلامات كانت اوضح في اماكن تلامس القماش مع الجسم واتضح ان لها علاقة بنسبة المسافة التي يبعد فيها القماش عن اللحم، على سبيل المثال كانت البقع باهتة جدا اسفل الذقن حيث يكون القماش مشدودا بين الذقن والصدر، ولكنهما في عام ١٩٧٦ توصلا الى اكثر المعلومات اثارة وربما اكثر الاكتشافات تشويقا منذ الصورة الفوتوغرافية التي التقطها (سيكوندو بايا)،فقد قررا اخضاع الكفن لعملية (تعزيز الصورة) وهذه تقنية حديثة الغرض منها تحليل الوضوح النسبي في مقاطع الصورة الفوتوغرافية وعلى سبيل المثال التقطت احدها بواسطة مجس المساحة وتم تكثيفها بصورة انتقالية لاستخراج الصور التحتية (وقد استخدمت هذه الطريقة على الصور الفوتوغرافية لوحش بحيرة نيس) وبما ان (جهاز تعزيز الصورة) بأمكانه ايضا ان يعطي معلومات عن المسافة فأنه كذلك يستطيع تحويل الصورة الفوتوغرافية المستوية الى صورة ذات ثلاث ابعاد وهو ما يساوي تحويلها الى تمثال و (التمثال) يمكن بعد ذلك تحريكه من جهة الى اخرى. ومن القطعة الشفافة الصغيرة للكفن حصل جاكسن وجمبر على صورة كاملة ومدهشة للوجه

واثبتت ان العلامات البنية على الكفن توفر بالفعل للعقل الالكتروني معلومات كافية لاعادة صياغة الاصل وذلك يبعدبالفعل احتمال ان الكفن كان رسما مزورا. وفي الحقيقة وكما اشار جاكسن وجمبر فأن الكفن افضل بكثير في نواحي عدة من الصورة الفوتوغرافية الحديثة فربما لاتحتوي الصورة الفوتوغرافية (على معلومات كافية عن المسافة) لتكوين (تمثال) دقيق، لذلك فأن المحاولة التي اجريت لتحويل الصورة الفوتوغرافية للبابا (بيوس الحادي عشر) الى صورة ذات ثلاثة ابعاد، جعلت الانف مسطحا وشوهت الفم وجعلت العينين عميقتين اكثر من الطبيعي، وكانت الصورة التي على الكفن ادق من ذلك بكثير وكشفت كذلك شيئا لم يكن معروفا ابدا وهو الدراهم التي وضعت في كلتا العينين استنادا لمراسيم الدفن اليهودي في ذلك الزمان.وكان باحثان اخران وهما دونالد لين وجان لور قد تمكنا من تحديد هوية الدراهم تجريبيا على انها (لبتونات) او (فلس الارملة) في العهد الجديد ، وفي عام ١٩٧٧ تقدم الدكتور ورلتر ماكرون وهو محلل مجهري في جامعة شيكاغو بطلب لاخذ نماذج من الكفن وكان ماكرون قد دحض نظرية (خارطة فنلاند) التي تفترض ان قرصانا اسكندنافيا اكتشف امريكا عندما برهن انه برغم ان الرق الذي رسمت عليه الخارطة يعود الى العصور الوسطى الا ان الحبر يحتوي على مواد لم تستعمل الا بعد عام ١٩٢٠ .

وصرح ماكرون انه باستخدام المجهر الالكتروني سيتمكن من تحديد طبيعة صورة الكفن، وفي عام ١٩٧٧ تضاءلت فرص الحصول على قطع من الكفن. وقد طالبت (تورين) باعادة النماذج الصغيرة،ثم عين كاردينالاً جديداً لكنيسة تورين وهو(انستاسيو بالستريو) الذي نظم عرضا جديدا للكفن وكان واضحا انه لم يكن كارها لاجراء المزيد من الاختبارات العلمية.واستطاع جاكسن وجمبر ولين ولور الحصول على المزيد من المواد واخذ ماكس فري المزيد من غبار الطلع

والنماذج واخذ ماكرون نماذج اختبار وكانت نتائج ماكرون مخيبة لامال المؤمنين واعلن ان اختباره المجهري كشف له آثار اوكسيد الحديد وجزيئات اصباغ على الكفن وخلص الى القول ان هذا اثبت ان الكفن مزيف، واشار علماء آخرون الى ان الكتان منقع في الماء قبل تحويله الى اقمشة كتانية وقد يكون هذا مصدر الآثار الدقيقة لاوكسيد الحديد، وعلاوة على ذلك فقد تعامل مع الكفن العديد من الفنانين، وتحوي النسخ العديدة المنتشرة في انحاء اوربا نقوشا تؤكد انهم تعاملوا بشكل مباشر مع (الكفن المقدس) في تورين وبذلك يبدو أن قيمته قد تضاءلت، ولاشيء اكثر احتمالا من ان فيه آثار الاصباغ التي استخدمت في مثل هذه النسخ. وفي زمن كتابة هذه الاسئلة وبقائها دون حل، كانت المدرسة التشكيكية قد عادت الى التأكيد القديم الذي قاله اول مرة الاب يوليس شيفاليه بأن الكفن مزيف والذي ظهرت خواصه بعد ان اخضع للتصوير ومن ثم تعزيز الصورة وتبين انها تعزى بطريقة او بأخرى الى (تخمر) الصبغة الاصلية وهذا الاعتقاد يبدو الان قليل القيمة كما كان يبدو عند بداية القرن العشرين وربما يكمن الحل النهائي في نظير الكاربون ١٤-اذ اثبت ان الكتان الذي صنع منه الكفن يعود تأريخه الى فترة طويلة بعد الصلب وهذا مالم يتم اجراؤه عندما كتب هذا الكتاب لان طريقة نظير الكاربون مازالت في تقنيتها تضم مخاطر تدمير القطعة الصغيرة من الكفن.بيد انه يتضح ان الموافقة على هذا قد تم الحصول عليه الان ولكن حتى لو ثبت ان الكفن يعود في تاريخه الى زمن الصلب كما يبدو محتملا في نتائج غبار الطلع التي خرج بها ماكس فري فأننا ما زلنا نواجه لغز كيفية انطباع الصورة عليه، وعزى المحققون الامريكيون تشابه العلامات الى(حروق اشعاعية) بسبب تفجيرات ذرية واعتقدوا ان الصورة ربما طبعت على الكفن بفعل انفجار اشعاعي قصير الامد ومكثف وربما عندما اعيدت الحياة الى المسيح في القبر. ويواجه التشكيكيون هذا بالسؤال:لماذا تكون (المعجزة) في الاشعاع الذري؟ويبدو سؤالهم غير قابل للاجابة وكذلك الحال بالنسبة لدليل الكمية غير الاعتيادية في

المعلومات التي حوتها رموز الكفن. وحين ثبت ان الكفن مزيف في القرن الرابع عشر فأن المعجزة ستكون عظيمة بمقدار عظمتها لو ان الكفن ثبت انه حقيقي...

الرجل الرمادي في قمة

بن ماكدوي

في الاجتماع السنوي العام السابع والعشرين لنادي كيرن غورم في (ابردين) وفي شهر كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٥ كشف متسلق الجبال البارز البروفيسور نورمن كولي عن سر مروع، فقدروى قصة تسلقه لوحده قمة بن ماكدوي البالغة (٤٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وذلك في عام١٨٩٠ وما مر به من تجربة مرعبة. فعند انعطافه من هرم على الهضبة واجه ضبابا كثيفا وطرق سمعه اصواتاً جلية وراءه وصفها بقوله «كأن شخصا كان يسير ورائي وخطواته اكبر من خطواتي بثلاثة او اربعة اضعاف». لكن حدث نفسه ان ذلك ربما كان خيالاً، ولكن مع شروعه بالمسير كان وقع الاقدام يستمر خلفه، ويضيف قائلا: «استولى علي الذعر فعدت ادراجي اترنح كالاعمى بين الصخور مسافة اربعة او خمسة اميال صوب غابة وتمبرخس». وفي الحقيقة ان نورمن كولي روى هذه القصة قبل ثلاث وعشرين سنة الى اصدقائه في نيوزيلنده وكانت النتيجة ان ظهرتقريرصحفي في احدى الصحف النيوزيلندية بعنوان(رعب البروفيسور). وفي اعقاب هذه القصة راح متسلق جبال اسكتلندي اخر وهو الدكتور اي. أم. كيلاس الذي اوشك على الموت اثناء رحلة بعثة استكشاف قمة افرست١٩٢١- ١٩٢٢ يكتب الى نورمن كولي عن تجربته الغريبة في قمة بن ماكدوي، فبعد ظهيرة احد الايام كان كيلاس وشقيقه هنري يكسران الصخور بحثا عن (البلور) والكرستال حين شاهدا جسما عملاقا قدم اليهما من الهرم الذي فوق الهضبة وسرعان ما اختفى في منحدر، هرب الرجلان باتجاه الجبل، كان كلاهما مقتنع ان العملاق يتبعهما.

هذه الرواية جعلت الامر يبدو كأنهاحد اشكال انسان الثلج الذي يقطن منحدرات بن ماكدوي -لكن روايات متسلقين اخرين اكدت ان التفسير ليس بهذه البساطة. فبيتر دنشام الذي كان يعمل في طائرة انقاذ (كيرن غورم) ابان

الحرب العالمية الثانية وصف في لقاء صحفي معه رحلته في مايس (مايو) ١٩٤٥ من قرية (افيمور) وتسلقه تلك القمة حيث كان ينظر الى قمة (بن نيفس) وفجأة انتشر الضباب، فجلس يتناول بعض الحلوى وطرق سمعه اصوات غريبة عزاها الى تمدد الصخور وتقلصها وساوره شعور راسخ بأن هناك شخصا بجواره ثم احس بشيء بارد على رقبته من الخلف مع نوع من الضغط ثم وقف وسمع اصوات ضجيج من جهة القمة وتوجه اليها ليتحقق من الامر دون اي شعور بالخوف وبعدها شعر فجأة بالخوف مما جعله يفر هاربا الى (ليرتز كريك) رغم انحدارها الشديد ووصف ذلك بالقول: (حاولت التوقف ووجدت ذلك صعبا جدا فكأن شخصا ما كان يدفعني، وبذلت عناءا كبيرا للانحراف عن الطريق.) لقد قطع اغلب الطريق نازلا الى الجبل... وفي مناسبة اخرى كان دنشام مع صديقه ريتشارد فريد فوق الجبل يبحثان عن طائرة ذكر انها تحطمت هناك وفوجيء دنشام حين سمع فرير يتحدث الى نفسه في الجهة المقابلة من القمة ثم ادرك انه يتحدث الى شخص آخر، ويقول دنشام: ذهبت اليه ووجدت نفسي اشارك في الحديث، لقد كانت تجربة غريبة ويبدو انها حالة نفسية فقد تحدثنا الى شخص غير مرئي لفترة من الزمن ويبدو اننا واصلنا الحديث لفترة قليلة اخرى بعد ان ادركنا فجأة اننا وحدنا وبعد ذلك وياللغرابة لم يتذكر اي منا فحوى هذه المحادثة غير العادية. والاغرب من ذلك ان فرير نفسه عندما التقى به افليك غراي مؤلف كتاب الرجل الرمادي في بن ماكدوي لم يكن يتذكر سلسلة الاحداث التي رواها دنشام لكنه يتذكر تجاربا خاصة به فوق الجبل الذي يصفه قائلا (اغرب جبل تسلقته).وروى للمؤلف غراي عن احد الايام الذي تسلق فيه الشعاب العاليه في (ليركرد) فوق بن ماكدوي حين جلس يحدق في المنحدرات الصخرية في (ليرضركريك) وشلالاتها المائية فوجد نفسه ينزلق في سلسلة غريبة لاتقاوم من الافكار الحزينة لذا نهض وراح يتمشى لكن شعوره بالحزن تطور الى كآبة عميقة وفتور في الاحساس ثم تأكدله فجأةانه لم يكن وحيدا ويضيف قائلا:

«كـان قريبا جدا مني، يخترق نسيم الصيف العليل، كان شيء ما موجودا لا اراه، ولكنني احس به حـقـيـقـة ثم لاحظ فرير امرا آخر. فقد كسر صمت الجبل نغمة غناء قـوية كـان صوتها ضمن مدارك السمع لا يرتفع ولا ينخفض. . وكان يبدو الصـوت انه قـادم من تربة الجبل نفـسـها واستمر هذا الصوت حتى تعد (ليرضر كريك) حيث بدت الموسيقى خافتة ولم يعد بامكانه التيقن من انها موجودة حقا، لكن هذا الوجـود المجـرد وافق شـعور (فرير) بالاشتياق اليائس والتحمس لمغادرة الجبل الذي يأويه. ثم عاش لحظات سريعة من الخوف مالبثت ان تلاشت.

وتجـربة النغـمـة الغريبة الثابتة لم تكن غير عادية كما اعتقد فرير، ففي سيرتها الذاتـيـة «الخلية غير المحـدودة» تطلق المحـقـقـة النفـسـانيـة روزالندهيوود تـسمية (الغناء) على تلك النغـمـة وقـد وصـفـتها بأنها نوع من الصوت الداخلي المتذبذب والمسـتـمـر واقـرب الشـبـه اليـه صـوت ضغط قواقع البحر على الاذن او ضجيج محرك بعيـد، وتسـتطيع روزالند سماع هذا الغناء بشكل مستمر تقريبا رغم خفوته عندمـا تركـز اهتمامـهـا الكامل اليـه وتقـول انه واضح في امـاكن اكثر من غيرها وخـاصـة في الغـابة الهادئة على سـبيل المثال او في المرج أو الجبل. . . وتذكر انها كـذلك تـسـتطيع سماعـه في الكنائس ومكتبات الكلية والاماكن التي تركزت فيها الافـكـار والـتـأمـلات لعـدة سنوات. ووجـدت ان غناء الجبل يختلف عن غناء الكنيـسـة كما يختلف صـوت المزمـار عن صـوت البـوق، وتقول انها قابلت اربعة اشـخـاص سـمـعـوا هذا الغناء وفي احدى المناسبات ذكرته لمهندس شاب كانت مقتنعة انه مؤمن بالسببية وفـاجأها بالاجابة «نعم، انني اسمعه ايضا في الاماكن التي فـيـهـا انفعالات قوية»، لذا كان الغناء يبدو الى حد ما نوعا من (التسجيل) وتقـول روز الند هيـورد انها تشـعـر به عندمـا تدخل غـرفة كان فيها تفكير مركز. ومع ذلك فـهو لايمكن ان يعود بشكل كامل الى (ذبذبات) انـسانية مادامت تذكر ان محطة سكك هاستيد التي تعد اخفض مكان في لندن هي المكان الوحيد الذي لم يـسـمع فـيـه (الغناء) وتقـول: «كان الصمت مطبقا هناك» ومادام هذا (الغناء)

يمكن سماعه في الامـاكن المليئة بالافكار او اماكن العبادة فأن هذا يؤكد انه يعتبر نوعا من (التسجيل).

وفي عام ١٨٤٠ تـوصل بروفـسـور اميركي في التشريح يدعى جـوزف رودس بوشـاتن الى النتيجة المشوقة وهي ان لكل جسم تأريخه المحدد سلفـاً عليه بطريقة او بأخـرى وان الناس الحـساسين للاشيـاء الروحية يستطيعون ادراكه وقد سمى هذه القـابليـة (القـدرة على التكهن) وبين ان الرسائل المكتوبة تبدو بشكل واضح (تـسـجـيـلات) للحالة الذهنية للكاتب وخاصة اذا كان هذا الكاتب تنتابه عاطفة جياشة في ذلك الوقت.

وفي بداية القـرن العشرين قـدم العـالم والبـاحث النفسـاني السير اوليفر لوج نظريته التي تقـول ان (الاشـبـاح) قـد تكون نوعـا من (التـسجيلات) التي تكون فـيـهـا العـواطف الجـيـاشـة المتصلة ببعض المآسي مختومة على جدران الغرفة التي حـدثت فيها، لذلك فالشخص (الحساس) عندما يسير في الغرفة قد ينتابه شعور غـريب بالبـؤس والكآبة او حـتى يرى المأساة تمثل امامه. وكان مدرس في جامعة كـامبردج يدعى توم ليثبرج قـد اقترح مـا يشابه ذلك بعد نصف قرن وهو نظرية (الشريط المسجل) حـيث يعـتـقـد ان هذه التسجيلات مختومة في نوع من المجال الكهـربائي ويرى ان لكل من الجـبـال والصـحاري والغابات (مجاله) الخاص به، وهو يشـعـر ان مجال الماء هو الاحـسن للتـسـجـيل ولذلك غـالبا ما يكون تواجد الاشـبـاح في الامـاكن الرطبـة، ويـبـدو امرا مقنعا ان روز التدهيورد كانت تلتقط نـوعـا مـن المـجـال الكهـربائي عندمـا كـانت تـسـمـع (الغناء). وهو مجال طبـقـا لخـاصـيـاته يمكن ان نطلق عليه اسم (المجال النفسي)، اما كيف شعر فرير فجأة بهذا المجـال على منحـدرات قـمـة (بن مـاكدوي) فلابد أن يبقى سؤالا مفتوحا، لكن هذا يؤكـد على الاقل ان شـعوره بالخطر والحزن لم يكن مجرد خيال، والحادثة التي تكلم فـيـهـا فـريد ودنشام مع كائن غير مرئي تبدو اكثر غرابة ومن المحتمل

انهما كانا يستجيبان لـ (طيف) على مستوى شبه واع بما يشبه الحلم تقريبا وهذا يفسر لماذا لم يتذكرا ما جرى بعد ذلك. وروى فريد ايضا لـ (افليك غراي) قصة غريبة عن صديق لايستطيع الكشف عن هويته والذي قرر قضاء ليلة فوق (بن ماكدوي) لكسب رهان وقد نصب خيمته قرب هرم القمة في احدى ليالي كانون الثاني(يناير) (وهذا الهرم ليس من صنع الانسان وانما تكون بفعل عوامل طبيعية) وبدأ يجرب الشعور المألوف بالوهم و (التوجيه التحليلي المريض للافكار).ويشرح فريد بأنه لم يشعر بالجنون ابدا والرعب الذي يتملكه يتعلق بالتأثير وشيك الحدوث للمعرفة والذي كان يعلم انه ينفرد به بين رفاقه، وكان يبدو كأنه قلق غير مقصود لسلسلة بعيدة من فيضانات فكر ثوري مصمم في عقل جبار، وهذا العقل ليس انسانياً ولا ضد الانسان وليس له علاقة به على الاطلاق...

ونام قليلا ثم نهض خشية من رعب اكثر وتسلل ضوء القمر من خلال شق في خيمته وعندما حدق فيه رأى لطخة بنية وعرف ان ثمة شيء ماصار بينه وبين القمر واستقر في مكانه في سكون حتى ابتعد الظل وسحب بعدها طرف الخيمة، كان الليل جميلا وعلى بعد عشرين ياردة كان ثمة مخلوق بني ضخم يختال على التل وبدا عليه سيماء القوة والغطرسة. وكان انطباعه ان المخلوق يناهز ارتفاعه عشرين قدما ويغطيه شعر بني قصير وكان منتصبا مما يؤكد انه لم يكن قرداً ضخماً، وكان خصره مستدقا واكتافه عريضة، ويحتوي كتاب (افليك غراي) صورة فوتوغرافية لآثار اقدامه في الثلج مأخوذة من قمة (بن ماكدوي) وتبدو غريبة وشبيهة بالصورة الفوتوغرافية المشهورة لآثار اقدام (انسان الثلج) التي اكتشفها (اريك شبتون) عام ١٩٥٠ فوق قمة افرست.

كان فريد متحيرا فيما اذا كان المخلوق ذو الشعر البني حقيقة او ربما ابتدعه بطريقة او بأخرى خيال صديقه في تلك الحالة الذهنية (الوهمية) الغريبة. وفي كتابها (سر الجاسوس) شرحت الكاتبة (وندي وود) تجربتها التي عاشتها فوق

(بن مـاكـدوي) حين وصلت مدخل منحدر (لبريلك كرو) في يوم ثلجي وكانت تستعد للعودة،تناهى الى سمعها صوت (ضخم رنان) بالقرب منها، كان يلفظ الحروف الصحيحة وحروف العلة في اللغة (الغلية) بشكل سليم وشكت في ان يكون ثمة احد ما مصاب في الثلج وطفقت تسير وتدور حول نفسها حتى اقتنعت انها كانت وحيدة. وعندما احست بالخوف شرعت بالنزول بسرعة صوب الجبل وتراءى لها انها تسمع وقع اقدام خلفها وساورها شعور غريب ان احدا يسير وراءها واعتقدت في البداية أن ذلك وقع اقدامها حتى ادركت ان وقع تلك الاقدام لايتطابق فعلا مع خطواتها،وتتناول في كتابها فيما اذا كان من المحتمل ان الاحداث الغريبة في (بن ماكدوي) قد تكون (تحجر تصورات السلالات المرتبطة بمكان معين لايدركها الا اولئك الذين تكون حساسيتهم الفطرية معدة لاستقبال الانطباعات الاولية والمخاوف من الايام الخوالي) وبمعنى ادق فانها تعني ان (الشبح) في بن ماكدوي هو (تسجيل) ويؤكد هذا ايضا ماروته الروائية (جون غرانت) في سيرتها الذاتية المرسومة (زمن خارج العقل) ويكشف اسلوبها ماوصلت اليه من درجة عالية في علم النفس، ولم تصل هي وزوجها الى بن ماكدوي فقط وانما وصلا الى (افيمور) ويقول غراي زوجها انهما كانا في ممر لبريك كرو وقرب جسر كويلم ومن دون سبب واضح تملكها الخوف فجأة وتصفه قائلة: «انه شيء مخيف ذو اربع ارجل واقذر من ان يكون انسانا وغير مرئي وكنت احس وقع اظلافه وهو يحاول الوصول الي ولو فعلها لكنت قد مت خوفا من عدم استطاعتي الدفاع عن نفسي» وهربت مذعورة وتقول: - «لقد ركضت مسافة نصف ميل حتى اخترقت حاجزا غير مرئي... احست خلفه انني في امان رغم اني قبل ثانية كنت في خطر مميت اكيد وكأني«مصارع ثيران قفز حاجزا امام ثور هائج». وما يمكن ان يستنتج من اغلب تلك الروايات عن (بن ماكدوي) هو ان المظهر الرئيسي هو شعور مفاجيء بالكآبة ويليه شعور بالذعر، وتحدد جون غرانت في روايتها نقطة مهمة اخرى وهي ان (توم ليبشرج) الذي

سبق الحديث عنه قد لاحظ مرارا ان هذه المشاعر المحزنة المفاجئة من الخوف او القرف، لها مناطق معينة بدقة، لذلك فمن الممكن الدخول فيها او الخروج منها في خطوة كبيرةواحدة ويضرب مثلا كيف انه وزوجته مينا قصداشاطيء (لادرام) في (ديفون) لجمع الطحالب البحرية للحديقة، وفي منطقة على الشاطيء يصب فيها جدول قادم من المنحدر انتابهما شعور غريب بالغم ويقول: «مررت بنوع من الشبكة او الضباب او الكآبة او الخوف كما اعتقد». وذهبت مينا ليبترج لجمع الطحالب في النهاية الاخرى للشاطيء، ولكنها سرعان ماعادت ادراجها وهي تقول: «لا استطيع احتمال هذا المكان مدة اطول فثمة شيء مخيف هنا».

وعادا الى المكان في الاسبوع التالي في يوم غائم كئيب وثانية انتابهما نفس الشعور بالكآبة ويقارن توم هذا الشعور برائحة نتنة يبدو انها تسبب له الدوار، وذهبت مينا الى قمة المنحدر لرسم مخطط فساورها شعور مفاجيء بأن هناك من يلح عليها بالقفز، واكدا بعدذلك ان شخصا ما قد انتحر في هذه البقعة المحددة.

ولاحظ توم ان من الممكن الدخول الى (الكآبة) او الخروج منها ولاحظ ذلك ثانية عندما توفيت سيدة عجوز مجاورة لبيته تحت ظروف غريبة بعد محاولة تجريب السحر الاسود. حيث كان هناك شعور (غير مريح) يحوم حول بيتها وكان من السهل الدخول في نطاقه او الخروج منه وكأنه حاجز غير مرئي كالحاجز المشوش الذي رأته جون غرانت.

وقد روى (غراي) عدة قصص تفرز نظرية ليبترج (الشريط المسجل) وكان الشاعر الاسكتلندي (جيمس هوك) المعروف بالراعي لكونه كان راعيا محترفا قد شاهد ذات مرة قطيعا من الماشية في الطرف البعيد من الجدول.وبما انه لا يحق له تركها في ذلك المكان، ارسل راعيا مع اثنين من عمال المزرعة مسلحين بالمراوات لابعادها عن المكان، بيد انهم لم يجدوا اي دليل على وجود القطيع ولا حتى اثر

اطلاقها ولم يشاهد احد قطيع ماشية في ذلك المكان ذلك اليوم. لقد كان نوعا من (السراب) او ربما (تسجيل) لشيء حدث في الماضي السحيق. ويستشهد (غراي) ايضا بكتاب (مشهد الجبل) للمتسلق (فرانك. أس. سميث) وهو يصف كيف عبر التلال من (مورفيش) الى (لومش ديش) ذات يوم مشمس جميل تخلله منظر مدهش للغيوم المتقطعة فوق التلال والبحر البعيد، ودخل ممراً ضيقاً مزداناً بالعشب واشعة الشمس الدافئة فأحس كما لو أن هالة شيطانية في المكان. وكأن شيئا مزعجا قد حدث هناك يوما ما واخفق الزمن في تبديد الجو الذي كونه ذلك الحدث. قرر سميث تناول الغذاء هناك وحالما دخن غليونه أحس أن الجو يبدأ يغدو محزنا شيئا فشيئا ثم بذل جهدا ليتلقى التأثير الغريب وترآى له انه يشاهد مجزرة: عشرة او اكثر من الناس يرتدون اسمالا وقد انتشروا مبحرين في الممر الضيق ثم اطبق عليهم رجال مختفون مدججون بالرماح والفؤوس وقتلوهم جميعا. وعندما هرب سميث مسرعا طرق سمعه صرخات خلفه. وتأكد له بعد ذلك ان مجزرة حدثت بين مالكي الارض والقوات الانكليزية في الطريق لكنه بقي مقتنعا انه ليس ذلك ماراه فهو يقول: «الاسلحة التي رايتها او بدا لي اني رأيتها كانت من اسلحة الماضي السحيق».

مع ذلك فأن روايات عديدة زرعت الشك في فكرة ان (رجل الثلج الرمادي) هو مجرد(تسجيل)، وكان (جورج دوتكن)وهو محام ومتسلق من(ابروين) مقتنعا جدا انه شاهد الشيطان في منحدرات الجبل وقد هبط هو وزميله المتسلق (جيمس. أي. باركر) من مايسمى (نقطة الشيطان) وكانا يسوقان عربة يجرها كلب في (ديري رود) ويقول دونكن: «فجأة صدمت اكبر صدمة في حياتي عندما شاهدت امامي شكلا بشريا طويلا في رداء اسود وهو الشكل التقليدي للشيطان ويلوح لي بذراعيه ذات الاكمام الطويلة ويتجه نحوي». ويبدا له أنه يرى ذلك الشكل محاطا بالدخان وفي غضون لحظات اختفى بعد ان انعطفت العربة عند الزاوية. واكد (جيمس. أي. باركر) الرواية قائلا: كان الوقت مساء وعند

تناول العشاء اخبرني دونكن انه عندما كنا على بعد ميل من (ديري لوك) نظر الى الاعلى صوب التل الذي على يمينه وشاهد الشيطان على بعد ربع ميل يلوح له بذراعيه».

وربما كان اغرب وامتع ماصدفه (غراي) هو ماارواه (كابتن سره بارت وزوجته وهو بوذي ماهاياني* وزوجته بوذية زينية) وقد كانا يركبان دراجات هوائية من (روثمير شس) الى (مار) عن طريق ممر (ليريك كرد) وكان الممر باردا جدا رغم ان الوقت كان شهر تموز (يوليو) وعندما وصلا (بولز اودي) شعرا فجأة بشيء (موجود) خلفهم والتفتا وشاهدا رجلا كبيرا ذا بشرة زيتونية يرتدي ثوبا طويلا وخفين من الصندل وذا شعر طويل متهدل ويقول سيرهي: «لم نكن نشعر بأدنى خوف ولكوننا بوذيين فقد عرفناه في الحال وركعنا له باجلال». حيث اعتقدا فورا ان الغريب هو (بوذا سكافا). هو احد الخمسة الموصوفين بالرجال الكاملين الذين بيدهم اقدار هذا العالم ويلتقون مرة في السنة في كهف في جبال الهملايا». ويذكر سرهي ان ذلك الشيء (الموجود) خاطبهما بلغة يعتقد انها السنسكريتية وأجاب برزانه باللغة الادردية ويقول (سرهي): «طوال الوقت الذي كان فيه بود سكافا معنا وهو ما يقارب عشر دقائق كان صوت حشد كبير من الموسيقيين يعزفون في السماء. . . وحالما غادرنا البودسكافا توقفت الموسيقى ولم نسمعها ثانية» وهنا يبدو كأنهما قد سمعا (الغناء) لكن قوله بأن الشيء (الموجود) كلمهم بالسنسكريتية، يطرح سؤالا فيما اذا كانت (وندي ودد) قد اخطأت او لا حين قالت ان اللغة غلبيه ولم تقل سنسكريتية عندما سمعته فوق الجبل. وقبيل وفاته قدم (ان. دبليو. هوالداي) مؤلف الكتاب الكلاسيكي عن وحش(بحيرة نيس)نظرية مروعة وهي ان الرجل الرمادي مثل وحش (الوثرنس) و (حيوان الكوجر في سري) وحتى رجل الثلج في الهملايا هو واحد من مجموعة من (الوحوش الخيالية) وهي مخلوقات تعود الى عالم آخر، وفي كتابه (عفريت

الكون) يورد في الفصل السادس منه قصصا متنوعة عن (فيرليات مور) وهو اسم الرجل الرمادي في اللغة السيلتيه ويقول: «(الاله بان الذي له اقدام ماعز ليس مضحكا عندما يواجهك... والصفة الرئيسية التي ترافق الاله (بان) هي الرعب والذي عرفه قاموس اكسفورد «الرهبة الزائدة غير المعقولة».

وهذه الظاهرة لايقتصر وجودها في (كيرن غورم) فقط، فعندما كان (هامش كوري) يدنو من قمة (سكروبرغ) على جبل (سكاي) عاد ادراجه عندما تملكه رعب غير محدود. وروى الراحل (جون بوشن) عن نفس المؤثر في جبال بافاريا فقد وصف ما حدث له عام ١٩١٠ حين كان عائدا وسط غابة صنوبر صباح يوم مشمس يرافقه احد سكان الغابة فاصابهما رعب غير متوقع وفر كلاهما دون ان ينبسا ببنت شفة حتى ارداهما الارهاق في احد الوديان البعيدة ويضيف (بوشن) ان احد اصدقائه ازداد حبا في الحياة عندما تسلق جبل (موثمين) في النرويج، اذن لاله الرعب (بان) تأثير في كل انحاء المعمورة ويربط (هوليداي) بين الوحوش الخيالية واجسام طائرة غير معروفة وتطرق الى قدرة الاجسام الطائرة المجهولة (اليوفو UFO)، وكان جون كيل اول من افترض ان (اليوفو) نوع من الطائرات المجهولة والتي قد تعود الى كواكب اخرى ويختتم روايته بتصديق قدومها من (بعد آخر) وانها تحوي دون شك عنصرا خارقا للطبيعة، يتحدث (كيل) في احد كتبه (نبوءات موثمان) عن جسم عملاق مجنح يظهر مرارا في (غرب فرجينيا) ويصف شعوره (بالرعب) عندما كان في احد الطرق المجاورة لمناطق ظهوره. وقد وجد (كيل) ما وجده (ليبترج) من ان منطقة (الرعب) يمكن تحديدها بدقة ويمكن الدخول فيها او الخروج منها بخطوة كبيرة واحدة، ومنطقة ظهور (موثمان) تحدث فيها ايضا ظواهر (اليوفو).

والغريب ان (افليك غراي) بنوي اعتبار نظرية (زوار الفضاء) تفسيرا لظاهرة (بن ماكدوي) ويشير الى حادثة عام ١٩٤٥ حيث افتتح سائق اجرة سابق

يدعى (جورج كنك) جمعية ايثروس في كاكستون هول في لندن وقد ادعى (كنك) انه قابل السيد المسيح في هو لوستون شمال (ديفون) وانه اعلم بأنه انتخب بمثابة القناة العقلية الاساسية لـ (مخابرات فضائية) معينة واخبر بأن عليه ان يجوب العالم ومهمته ان يخدم قناة (شحن) الجبال الثمانية عشر بالطاقة الشمسية الكونية، واحد هذه الجبال كان (كريك ليث شوان) الذي يقع على بعد ثلاثة اميال شمال غربي (بن ماكدوي) ويؤكد (كنك) ان هناك قاعة استماع على شكل قبة وهي مقر (الاخوة البيضاء العظيمة في احواض (بن ماكدوي) وتعقد مجموعة اخرى من الباحثين في اكاديمية الحقيقة الفعالة في (ادنبره) ايضا). ان (بن ماكدوي) اضحت المهبط الارضي للكائنات الفضائية، ولكن قراءة الفصل الذي كتبه (غراي) عن (الكائنات الفضائية) توضح لنا انه يعامل هذا التفسير بشك وريبة، ولو اردنا التفسير (العلمي) لظواهر (بن ماكدوي)، فأن اقربها احتمالية هو ان الجواب يكمن في (بن ماكدوي) نفسها: وهي ان الرعب تسببه ظاهرة طبيعية معينة مثل نوع من (القوة الارضية) قد يكون له علاقة بالحقل المغناطيسي الارضي فهناك مناطق على سطح الارض تضل الطيور فيها طريقها لان خطوط الجاذبية الارضية تلغي بعضها البعض فتكون دوامة مغناطيسية، وصيادو المراعي يعتقدون ايضا ان مايسمى (خطوط الرعي) والمرتبطة بالاماكن المقدسة كالكنائس والقبور القديمة والاحجار الواقفة هي اساسا خطوط لقوة الجاذبية، وفي الحقيقة ان مثل هذه الاماكن (تسجل) العواطف الانسانية التي ينتج عنها تأثير مايسمى (الاشباح) وهذا التفسير يعلل تجربة فرانك في وادي الاشباح حيث وقعت المجزرة والتفسير غير العلمي قد يكون في ايمان الناس البدائيين جدا بأن الارض كائن حي وفيها اماكن معينة مقدسة وان مثل هذه الاماكن تسكنها الارواح، والعقل الغربي يميل الى رفض مثل هذه المعتقدات باعتبارها خرافات وكذلك صار عدد من السياح الذين كانوا على اتصال قريب بالغرب اكثر وعيا وتفتحا.

وفي كـتـابه (عـالم كـالهاري المفـقـود) يروي (لورنز فـاندر بوست) قـصته في البـحث عن اليـوشـمن في جنوب افـريقـيـا وكـيـف اخذه دليله (ساموسوشو) الى مكان يدعى (سلبري هلز) واصر الدليل على ان الصـيـد محرم قـرب التلال او ان الالهة ستغضب، ونسي (فاندر بوست) ان يخبر جماعته المتقدمين فاصطادوا خنزيرا وحشـيا ومنذ ذلك الحين رافقهم حظ عاثر وعندما حاول (ساموسوشو) ان يصلي شـاهد (فـاندر بوست) وهو يجر من الخلف بقـوة مجهـولة وتعطلت كل تجـهيزاتهم الفنيـة ثم (شـاور) سـامـوشـوسـو الارواح وطفق يتحدث الى طيف غير مرئي ثم اخبر (فـاندر بوست) انهم كـانوا غـاضـبين وسـيـقـتلوه ان حـاول ان يصلي ثانيـة واقترح (فـاندر بوست) ان يكتـبـوا رسـالة اعـتـذار تدفن في زجـاجـة عند صخرة مـقـدسـة واتضح ان ذلك قـد فـعل فعله فقد رضيت الارواح وفجأة توقف عطل التـجـهـيزات واخبرت الارواح (فـاندر بوست) عن طريق الدليل انه سـيـصـادف اخـبـاراً سيئة تنتظره عندمـا يصل المكان الاخر في طريقـه، وفي الحـقـيـقـة وجد مـسـاعـده رسالة تفيد ان والده قد توفي وان عليه العودة الى البيت حالا، بعد كل هذا اصـبح (فـاندر بوست) لايشك بوجـود حقيقي (لارواح الارض) التي يعبدها الـناس البـدائيـون، ويرى (اف. دبليـو. هوليـداي) ان تفـسير مـثل هذه الظواهر (كـالرجل الرمـادي) هو احـد نوعين من التـفـسيرات: العلمي و (افـارق) لكنه يعـتـقـد ان العـقل الغـربي سيتمكن من معرفة الجواب فقط عندما يوسع مفهومه للعلم.

كاسبر هوزر

الولد القادم من اللامكان

ربما تعد حالة كاسبر هوزر من اعظم الالغاز التاريخية في القرن التاسع عشر وربما اكثر من ذلك. كان الشاب سيء الحظ موضوع تجربة قاسية مما تسمى هذه الايام (الحرمان الحسي) ونتائج هذه التجربة كانت بطريقة او بأخرى اكثر اقناعا من لغز هوية كاسبر الشيق باعتراف الجميع.

في يوم الأحد ٢٨ مايس (مايو) ١٨٢٨ كانت ساحة انشليت خالية تقريباً حيث كان اغلب الناس في الضواحي الريفية يستمتعون بالعطلة.وفي الساعة الخامسة عصراً كان ثمة شاب بدت عليه امارات التعب يجرجر نفسه في الساحة واوشك ان يتداعى بين يدي اسكافي المنطقة (جورج وشمن).وكان ذا بنية قوية ولكنه يرتدي ملابس بالية ويسير بأسلوب غريب متيبس الأعضاء، واخذ (وشمن) الرسالة التي قدمها له ووجد انها معنونة الى (قبطان الفرقة الرابعة فوج الفرسان السادس).وبدا على الصبي عدم القدرة على الأجابة على الأسئلة، لقد كان يرد بغمغمة غريبة فشك (وشمن) بأنه ثمل فقاد الشاب الى اقرب مخفر للشرطة واخذه العريف الخافر الى بيت الضابط وعندما عاد الكابتن (وستك) الى البيت بعد ساعات وجد المكان متوتراً.فقد تبين ان الشاب ابله، لقد حاول لمس لهب الشمعة بأنامله فصرخ عندما لذعته، وعندما عرضوا عليه اللحم والبيرة جعل يحدق فيهما وكأنه لا يعرف ماذا يفعل ثم راح يأكل بنهم وجبة خبز اسمر وماء. وكان يروعه صوت الساعة، والكلمة الوحيدة التي يعرفها الولد هي: لا اعرف.

ثم تبين ان الظرف يحوي رسالتين، الاولى:

(فضيلة الكابتن، ارسل لكم صبياً يرغب في خدمة بلده في الجيش. لقد جلبوه لي يوم ٧ تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٨١٢ وانا عامل فقير وبذمتي اطفال اربيهم وطلبت مني والدة الصبي ان اربيه ومنذ ذلك الحين لم اسمح له بالخروج من البيت).

ولم تكن الرسالة موقعة ونصت الرسالة الثانية:

(عمد هذا الطفل واسمه كاسبر ولك ان تمنحه اسماً اخراً وكان والده جندياً في سلاح الفرسان، وعندما يبلغ السابعة عشر خذه الى(نيويورك) الى فوج الفرسان السادس فوالده يعودالى ذلك الفوج وقد ولد في٣٠ نيسان(ابريل)١٨١٢ وانا امرأة فقيرة لا استطيع العناية به ووالده متوفي).

تلك هي الرسالة التي يفترض انها سلمت الى (العامل الفقير)وعندما نقل الى قسم الشرطة اخذ قلما وكتب (كاسبر هوزر) لكن اجابته على باقي الاسئلة كانت بكلمة «لا اعلم».

وبدا كل شيء واضحا، طفل غير شرعي عطف عليه شخص غريب ووضعه عند عتبة باب شخص ما، ولكن لماذا حجزه داخل البيت لمدة سبعة عشر سنة؟

كانت قدما الصبي رقيقتين جدا وكانتا تنزفان دما لانه لم يتعود السير عليهما، كانت بشرته شاحبة كأنه كان محجوزا في الظلام وعلاوة على ذلك تبين من خلال التدقيق ان الرسالتين كانتا بخط واحد وبنفس التأريخ وليست بينهما ستة عشر سنة -كانت الملابس التي يرتديها تبدو كأنها لا تعود اليه وقد حاول احدهم رسم سمكة على ردائه من الخلف، كان الولد محجوزا في زنزانة ولاحظ سجانه

انه يبدو راضيا تماما بالجلوس ساعات دون حركة ثم اتضح انه يعرف مفردات قليلة فكان يستطيع ان يقول انه يريد ان يصبح فارسا مثل ابيه، وهي عبارة يبدو انه علم ترديدها كالببغاء وكان يشير الى كل حيوان بكلمة (حصان) ويبدو انه كان مولعا بالخيول.

وقد اعطاه احد الزوار الذين كانوا يتوافدون كل يوم ليتفرسوا في وجهه لعبة مزخرفة بالاشرطة وراح يلعب معها ساعات ويتظاهر باطعامها اثناء وجبة الطعام، ولم يكن يقلقه وجود المتفرجين وكان يمتعهم وهو يؤدي وظائفه الغريزية بطلاقة ودون حياء ولم يكن يجيد التمييز بين الرجال والنساء ويشير الى كليهما بكلمة (اولاد).

ومن اغرب الاشياء فيه قابلياته البدنية الحادة، وبدأ يتقيأ عند وضع القهوة او البيرة في نفس الغرفة وكان منظر اللحم ورائحته تسبب له الغثيان والقليل من رائحة الخمرة تسكره وقطرة واحدة من البراندي في شرابه تسبب له المرض. كان سمعه وبصره حادين بشكل غير طبيعي وفي الحقيقة كان يستطيع الرؤية في الظلام واظهر بعدها قدرته على قراءة الانجيل في غرفة مظلمة تماما وكان حساسا ازاء المغناطيس حيث كان يستطيع معرفة فيما اذا كان القطب الموجه اليه هو الشمالي او الجنوبي. ويستطيع التمييز بين المعادن المختلفة بامرار يده فوقها حتى لو كانت مغطاة بالقماش. وبعد سنوات قليلة عثر الطبيب الامريكي (جوزيف رودز بوشنان) على مثل هذه الموهبة بين عدد من طلابه واسماه التكهن النفسي.

في اول الامر كان كاسبر يبدو معتوها ويعيش في انبهار وكان يخاف العواصف الرعدية كالحيوانات. ولكن الرأي القائل بأنه متخلف عقليا اصبح غير معول عليه،وكان انتباه الزوار اليه يدخل السرور الى قلبه واصبح شيئا فشيئا اكثر حذرا تماما كالطفل الذي يتعلم بالتجربة،ويوما بعد اخر اخذت مفرداته

تزداد وتتلاشى بلادته، فقد تعلم استخدام المقص واقلام الريشة وعود الثقاب وبتحسن ذكائه تغيرت معالمه فقد لفت انتباه الناس اليه على انه نموذج الابله الرديء البليد الاخرق والمثير للاشمئزاز لغرابته.

ثم راحت قسمات وجهه تتغير واضحى اكثر تهذيبا بيد انه مافتيء يسير ببلاده. تتميز ركبته من الخلف بنتوءات ولذلك فعندما كان يجلس ويمد ساقيه فان كل ساق تمتد على الارض، وفي اثناء تعلمه الكلام تمكن من سرد شيء عن قصته، لكن ذلك جعل لغزه اكثر تعقيدا.وفي نشرة اصدرها (برغو مستر باتيدر) والمجلس البلدي في (نيومبرغ) نشر ان ابعد مايستطيع كاسبر تذكره هو انه كان يعيش في حجرة صغيرة طولها حوالي سبعة اقدام وعرضها اربعة اقدام ونوافذها مكسوة بالخشب من الاعلى ولم يكن فيها سرير وانما حزمة قش على ارض مكشوفة وكان السقف واطئا لايستطيع الوقوف تحته ولا يرى احدا وعندما يستيقظ يجد الخبز والماء في زنزانته وفي بعض الاحيان يكون طعم الماء مرا ثم يغط في نوم عميق وعندما يستيقظ يجد القش قد بدل وان شعره واظافره قد قصت ولم يكن لديه من اللعب الا ثلاثة خيول خشبية وفي احد الايام دخل غرفته رجل علمه كيف يكتب اسمه كاسبر هوزر وكيف يردد عبارات مثل: «اريد ان اكون جنديا» و «لااعرف» وفي احد الايام نهض فوجد نفسه مرتديا الملابس الفضفاضة التي عثر عليه فيها واخذه الرجل الى العراء وبعد ان مشيا طويلا وعده الرجل بحصان حقيقي كبير عندما يصير جنديا ثم تركه هناك في مكان ما قرب بوابات (نيومبرغ) وفجأة اصبح كاسبر مشهورا وتناقش قضيته في كل انحاء المانيا، ولابد ان هذا اقلق كل من كان مسؤولا عن حالة ضياعه وربما تمنى معتقله او معتقلوه ان يتلاشى بين الجيش وينسى، وصارت شهرته الان شعبية والكل يتساءل عنه، وقد أمر عمدة المدينة والمجلس البلدي وضع كاسبر تحت حمايتهم وان يطعم ويكسى على نفقة بلدية المدينة واضحى موضوع متعة لا

حدود لها في مدينة (نيومبرغ) الكئيبة والكل يفكر في حل لغزه. وقد دفعت المدينة ثمن النشرات التي تطلب حلولا لمعرفة هويته واعدت جائزة ايضا لذلك، واجرت الشرطة تفتيشا دقيقا للضواحي المحلية عن مكانه والذي اتضح انه على مسافة يمكن قطعها مشيا لكنهم لم يعثروا على شيء. وعين المجلس البلدي حرسا عليه لشهرته وكان العالم والمحاضر الذي يدعى (جورج فردريك دومر) الذي كان مولعا في (الجاذبية الحيوانية) اول من اجرى الاختبارات التي كشفت ان كاسبر يستطيع التمييز بين الاقطاب المغناطيسية والقراءة في الظلام وتحت ارشادات دومر تحول كاسبر الى شاب ذي ذكاء طبيعي ومثل اي مراهق اسعده ان يكون مركز الاهتمام واصبح مظهره انيقا جدا وفي الاشهر الاخيرة من حياته اضحى لايختلف عن التماثيل النصفية الرومانية للامبراطور (نيرون) بوجهه الرصاصي والتفافات شعره.

ثم اختبره احد الرجال المتعلمين وهو المحامي وعالم الاجرام (انسيلم فوت فيرباخ) المؤلف المشهور لقانون العقوبات في (بافاريا) وتوصل الى النتيجة المثيرة. وهي ان كاسبر لابد ان يكون من سلالة ملكية ولايمكن ان يكون هناك تفسير لحجزه طويل الامد الا اذا كان وريثا لشخص ما ولم يظهر كاسبر اي استياء من هذا الموضوع، وبعد مرور سبعة عشر شهرا على العثور عليه حاول احدهم قتله وحدث ذلك بعد ظهر يوم السابع من تشرين اول (اكتوبر) ١٨٢٩ حيث وجد كاسبر ملقاً في بيت(دومر) ينزف من جرح في رأسه وقد قدقميصه حتى الخصر. وصف كاسبر كيف هاجمه رجل يرتدي قناعا حريريا وضربه بهراوة او سكين وقد قامت الشرطة على الفور بأجراء تفتيش في (نيومبرغ) ولم تفلح في العثور على اي شخص تنطبق عليه الصفات التي ذكرها كاسبر عن الشخص الذي هاجمه وانتشرت اقاويل في (نيومبرغ) انه لم يكن هناك اي مهاجم وانما افتعل الحادثة كاسبر نفسه للفت الانتباه اليه.ولم يصدق الكل كما فعل دومر ان كاسبر

كـان ملاكاً. لكن اغلب الناس ادركوا ان حياته في خطر وقد تم تحويل اقامته الى مكان جـديد وعين شرطيـان لحراسـته كما عين (وبزفرون فيرباخ) وصيا عليه وفي السنتين التـاليـتين تلاشى كـاسبر عن نظر الناس ولكن ليس عن عـقولهم.واصبح الان الخبر الجـديد قديما ويوجد الكثير في (نيومبرغ) ممن يرفضون دعم كاسبر من خـلال الضرائب. ثم عـرض حل امتع الجميع فقد ظهر ثري انكليزي وهو لورد سـتـانوب ابـن اخ رئيـس الـوزراء السـابق (بلك) واصبـح مـولعـا بكاسبر وقـدم لمقـابلتـه وبدا على الاثنين انهما احبـا بعضهما على الفور وراحا يتناولان الطعام في المطاعم وشـوهد كـاسبر مـرارا في عربة (لورد ستانوب) وكان هذا مقتنعا ان كاسبر ينتمي الى سـلالة ملكيـة وبدا عليه استمتاعه الواضح باللغز، وعندما طلب اخذ كـاسبر في رحلـة الى اوربا، اسعد ذلك المجلس البلدي وبين عام ١٨٣١ وعام ١٨٣٣عرض كاسبر على عدةمحاكم صغرى في اوربا حيث تجح في جلب الانتباه، لكن اعـضـاءاً من البيـوت الملكيـة في (بافـاريا) هددوا بتقديم دعاوى اذا ربطت اسمائهم امـام الناس بقـضيـة كا..بر. . . يبدو ان كل هذا الاهتمام والعيش الرغيد لم يكن جيـدا لشـخص كـاسبر فأصبـح مغرورا وصعبا ومختالا بنفسه وخاب امل سـتانوب فيـه، وفي عـام ١٨٣٣ عـاد سـتانوب الى (نيومبرغ) وحصل على اذن لايوائه في مدينة(انسـباش) على بعد(٢٥) ميلا حيث يتلقى التعليم على يد صديق (سـتانوب) الدكتور (ماير) ويحرسه ضابط امن يدعى (كابتن هكل) وعندما شعر سـتانوب انه ادى الواجب الذي عليـه، اختفى عائدا الى انكلترا. لم يكن كاسبر سـعيـدا في (انسـبـاش) فـقـد كـانت اكثـر انعزالا من (نيومبرغ) وفي الحقيقة ان نيـومبرغ كـانت مـدينة متـألقـة بالمقـارنة مع انسباش. واستاء كاسبر من الدروس وخـاصـة اللاتينيـة واشـتـاق للحيـاة القديمة في الماحكم وحفلات العشاء وازداد حنينه الى الوطن بعـد زيارة قـصيرة الى (نيـومبرغ).وسـاوره شـعـور ان (انسـباش) افـضل بكثير من الزنزانة التي امـضى فـيـهـا سنوات عـمـره الاولى، بعدئذ وقبل حلول الميـلاد بعدة ايـام، وافاه الاجل في ١٤ كانون الاول (ديـسمبر) ١٨٣٣.ففي

ظهيرة يوم ثلجي دخل كاسبر الى بيت (ماير) يترنح لاهثا: «رجل طعن... سكين... هوفكارتن... اعطى سكينا... اذهب انظر بسرعة». واكتشف الطبيب الذي استدعي على الفور ان كاسبر قد طعن في خاصرته تحت الاضلاع ودمرت الضربة رئته وكبده واسرع (هكل) الى المتنزه الذي كان كاسبر يسير فيه، فوجد كيسا حريريا يحتوي ملاحظة كتبت بصورة معكوسة وتقول: هورز سيتمكن من اخبارك كيف ابدو، ومن اين اتيت ومن انا، ولاختصر عليه الجهد سأخبرك بنفسي، انا من... على الحدود الباقارية... على نهر... واسمي هو (ام. آل. أو) غير ان كاسبر لم يتمكن من اخبارهم اي شيء عن هوية ذلك الرجل واستطاع فقط ان يشرح انه استلم رسالة عن طريق العامل مطلوب منه فيها الذهاب الى (هوف كارتن) وان رجلا ملتحيا طويل القامة يرتدي معطفا اسود سأله «هل انت كاسبر هورز»؟ وعندما اشار بالايجاب سلمه الكيس وحالما تناوله كاسبر طعنه الرجل وهرب بعيدا.

وكشف (هكل) حقيقة تلقي الشك على هذه القصة: لم تكن هناك سوى اثار اقدام كاسبر في الثلج، ولكن وبعد مرور يومين وفي ١٧ كانون الثاني (يونيو) وبينما كان كاسبر يرزح في غيبوبة كانت كلماته الاخيرة «لم افعلها بنفسي» وكانت وفاته خاتمة لظهور الاف الكتب والكراسات التي تقدم نظريات لحل اللغز، ونشر (فيورباباخ) كتابا بعنوان (نموذج جريمة روح الانسان) حاول فيه ان يبرهن ان كاسبر من سلالة ملكية، ولتجنب التشهير بالسمعة تجنب ذكر اسماء اي من المشكوك فيهم، لكن قراءه لم يجدوا صعوبة في معرفتهم وكان المرشحون المرجحون هم دوقات بيدن الكبار، وكان الدوق العجوز كارل فريدريك قد عقد صفقة زواج غير متكافيء من شابة جميلة في الثامنة عشر اسمها (كارولين غاير) والذي حامت حوله الشائعات عن تسميم اولاده من زواج سابق ليتأكد من ان اولاد زوجته الاخيرة سيصبحون الدوقات الكبار، ويعتقد ان كاسبر هورز

هو احد هؤلاء الاولاد وتبدو الحكاية سخيفة لانها تعني ان طفلا قدسرق وسلم الى (متعهد). واحد الاقتراحات يقول ان هذا المتعهد كان رجلا يدعى (فرانز ريختر) وان بيت طفولة كاسبر كان قلعة (بلزاك) قرب (نيومبرغ) وفي الحقيقة ان هذه القلعة كانت مجرد بيت كبير في مزرعة ويعتقد ان (ريختر) قرر ارسال كاسبر الى (نيومبرغ) عندما توفيت زوجته بيد انه لم يقدم دليلاً نهائياً على هذا الرأي او على اية نظرية اخرى عن اهل كاسبر، ولم يكن هناك ايضا اي دليل ان كاسبر من سلالة ملكية او انه كان وريثا شرعيا لعرش ما او حتى لاحد الاثرياء، ومن الصعب معرفة سبب حجزه في غرفة صغيرة طوال حياته فقد كان يكفي للتخلص منه تسليمه الى (متعهد) في مكان بعيد. والمعادلة الوحشية غير الانسانية التي عومل بها كاسبر تعد نموذجا لمعاملة يقوم بها فلاح جاهل اكثر منه ارستقراطي يؤنبه ضميره. وفي قضية (كورفشن) في القرن العشرين كان احد الهاربين من الجيش في الحرب العالمية الاولى هو (ويليام غرانيلد رو) قد ظل محتجبا في بيته في المزرعة لمدة ثلاثين شهرا ولم يكن ذلك ليثير الدهشة فلم يشك احد أن ذلك نوع من الجنون الذي هو اسوأ بكثير مما لو سلم نفسه ليسجن بضعة اشهر وقد شاع خبره عندما اغتاله عاملان حكم عليهما بالاعدام بعد ذلك. والنظرية التي ترى ان كاسبر كان ابنا من زواج سابق لدوق شرير تبدو اقل احتمالا بكثير من انه ابن غير شرعي لبنت احد المزارعين المحترمين خطبت الى مالك ارض في منطقتها وتخشى ان يذاع سرها بين الناس.

وفي هذه الحالة ترى من كان وراء محاولات الهجوم عليه؟ التي من المحتمل انها لم تحدث فبعد محاولة الهجوم الاولى ذاعت اشاعات في (نيومبرغ) ان كاسبر هو الذي ضرب نفسه بعد الاخفاق في نشر سيرته الذاتيه، وبعد محاولة الهجوم الثانية أفل نجم شهرته واضحى حزينا ويائسا من وضعه. ومن المهم هنا محاولة كسب بعض التبصر في قضية صبي يمضي سبعة عشرة سنة من عمره في نوع من

سجون الزنزانـــات، حيث يرغب اغلب الاولاد ان يكونـوا مـركز الاهتمـــام ويعـملون الكثير لتحقيق ذلك (ويبين مارك توين كيف فهم العقل بعمق في قصة توم سـويـر عـنـدمـا يتظاهر بأنه يغـرقـه ويحضر مـوكب جنازته). واغلب الأولاد يتوقـون الى نيل اسـتـحـسـان الكبار ويـنـسجون الاكاذيب للوصول الى ذلك. وفي كـتـابه عن كـاسبر يصف (جـاكوب وسرمان) خيبة امل (دومر) عندما اكتشف ان كـاسبر لم يكن صادما كما يبدو عليه. لقد خرج كاسبر من لب العزلة ليجد نفسه مـركـز الاهتمام ومـشهورا في اوربا، ورغم ان عمره لم يبلغ الـسابعة عشرة فقد كان بعـقليـة طفل في الثانية من عمره،ولو فكرنا عقلانيا فأن نموه كان سريعا ومدهشا ولو تحـدثنا عنه عـاطفـيـا فأنه مازال طفلا ولذلك فمن المؤكد تماما انه كان يستعد لوضع نفـسـه في مـواضع يأس لكسب التعاطـف الشعبي. في ضوء هذا الاشتباه فأن قصة كاسبر عن محاولتي الهجوم عليه تبدو غير قابلة للتصديق فهل يمكن ان يجد رجل ملثم طريقـه في قـبـو بيت (دومر) ثم يضرب كاسبر على رأسه بهراوة او سكين ويـبـدو انه غير مـتأكـد من نوع السـلاح ثم يفر هاربا قبل ان يتأكد من انه مـيت؟ وفي محاولة الهجوم الثانية ايمكن ان يكون (هكل) على خطأ عندما اكد انه لم يكن هناك سـوى اثار اقـدام كـاسبر في الثلج؟ ثم لماذا كتبت الرسالة الغامضة مـعكوسـة؟ هل كـانت كـذلك لان كـاسبر كتبها بيده اليـسرى وهو ينظر في المرآة لكي يخفي كـتـابتـه؟(من المعـروف انه من الـسـهل تمرين اليد اليـسرى على الكتابة المعكوسـة باسـتـخدام المرآة)، ولماذا كانت الرسالة عديمة المعنى: (هورز سيكون بمـقـدوره ان يروي لك كيف ابدو ومن اين اتيت ومن انا. . . الخ) ولماذا يكتب الـقـاتل المحترف رسـالة؟ اليس الاحـتـمال الاقـوى ان كـاسبر قـرر في حـالة يأس وحـزن ان يضرب نـفـسـه ضرب غـير مـؤذية بقـوة؟ وان كـان الامـر كـذلك فأن كاسبر قد نال في الاقل ما كان يريده من تعاطف كوني ومكاناً في كتب التاريخ.

لغز التوائم المتطابقة

عقل واحد في جسدين

علم «جيم لويس» لما بلغ العقد الثالث من عمره أن له أخاً توأماً أبعدته وإياه والدتها التي عرضتها للبيع بعد ولادتها بفترة وجيزة في آب عام ١٩٣٩. وقد تم تبنى (جيم). وفي عام ١٩٧٩ قرر جيم لويس، وقد بلغ عامه التاسع والثلاثين، البحث عن أخيه التوأم بمساعدة المحكمة التي رتبت عملية التبني. وبعد ستة أسابيع طرق جيم لويس باب جيم سبرنكر في دايتون وحالما تصافحا أحسا بالتقارب وكأنها قطعا مشوار حياتها سوية. وعندما شرعا يقارنا فيما بينهما وجدا سلسلة من المصادفات المتشابهة، فقد عانيا باديء ذي بدء نفس المشاكل الصحية، وكلاهما اعتاد قضم الاظافر اللاارادي والمعاناة من الارق وبدت على الاثنين حالة من الصداع النصفي في عمر الثامنة عشر وتوقف عند كليهما في نفس العمر، وكلاهما لديه مشاكل في القلب والبواسير ولهما بالضبط نفس الوزن، وكلاهما زاد عشرة باوندات في نفس الفترة أيضاً. وتلك دلائل تؤكد أن الترتيب الوراثي أكثر دقة وتعقيداً مما يعتقد. بيد أن حالتهما في التطابق تعدت حدود الوراثة، إذ تزوج كلاهما بفتاة اسمها ليندا ثم تطلقا سوية وتزوجا فتاتين اسمهما بيتي ورزقا بولدين سمياهما جيمس آلن وامتلك كلاهما كلباً اسمه (تيدي) وعملا بوظيفة وكيل شريف وعامل في محطة بترول وفي مطاعم ماكدونالد هامبرغر وتعودا قضاء عطلتيهما في ساحل فلوريدا وأن يدخنا نفس النوع من السجائر وعمل كل منهما ورشة يصنع فيها الأثاث تحت الأرض... كان التوأمان رائعين ليس في التطابق في تجارب الحياة فقط وانما في التطابق في الأفكار فقد يبدأ احدهما قولا ويكمله الآخر.

كان لقاؤهما الثاني قد قوبل بتغطية صحفية واسعة ثم ظهر في برنامج جوي كاست (معرض الحديث). وفي فينيسونا كان عالم نفساني يدعى توم بوشارد مولعاً جداً بموضوعهما حيث اقنع الجامعة بالسماح له بدراسة (التوأمين جيم) علمياً ثم استمر يبحث عن ازواج متشابهين غيرهما، اي توائم منفصلين في مرحلة مبكرة من العمر ولم يروا بعضهم منذ تلك الفترة. وفي السنوات القليلة الأولى من البحث اكتشف اربعة وثلاثين زوجاً من هؤلاء التوائم ثم اكتشف الكثير من المصادفات من تلك التي لايمكن تفسيرها علمياً. وتوأما بريطانيان وهما مارغريت ريتشاردسون وتيري واللتان لم تعرفا انهما توأمان حتى بلغتا اواسط الثلاثينات من العمر فقد تزوجتا في نفس اليوم والساعة. وغيرهما اثنتان دوروي لو وبيرجين هاريس اللتان قررتا كتابة يومياتهما لمدة سنة عام ١٩٦٢ وكلتاهما كتبت بنفس الأيام وبدت يوميات كل منهما متطابقة لأنها كانت بنفس الترتيب واللون.

وكلتاهما عزفتا على البيانو في طفولتهما وتركتاه في نفس السنة، وتحبان الجواهر الملفتة للنظر. ومنذ ذلك الحين استمرت الدراسات حول التوائم لتبين انه في عدة حالات، وخاصة التوائم المتطابقة توجد مصادفات لاتصدق والتوائم هي تلك التي تنشأ عن انقسام نفس البيضة فتكون لهم نفس الجينات والتي تعني انهم يملكون عينين واذنين واعضاء وحتى بصمات اصابع متطابقة والمصطلح العلمي لمثل هذا التوأم هو (الزايكوت الأحادي)، وفي الحقيقة ان التشابه في عدة حالات يصبح مملاً تقريباً وعلى سبيل المثال التوأمان اللذان ذكرهما بيرجيت هاريسون ودورني لو لديهما اولاد يدعون ريتشارد اندريو واندريو ريتشارد وابنتاهما تدعيان كاثرين لويس وكارين لويس، لكن دوردني لو هي التي قررت اصلاً تسمية ابنتها كاثرين وغيرته الى كارين لارضاء شقيقتها.

وكلتاهما تستعمل نفس العطر وتترك غرفة نومها مفتوحة جزئياً وكلتاهما

مـصـابتـان بألتـهاب السحايا وتجمعان اللعب الرقيقة وتملك كل منهما كلباً يدعى تايكر واظهـرت اختبـارات بوشـــارد للذكاء انهما تمتلكان نفس حاصل الذكاء*. كـذلـك بـربـارة هـابرت ودافن كـوشب كـانتـا توأمين والدتهما طالبـة فنلندية غير متـزوجـة وتبنتـاهما عـائلتـان مختلفتـان منذ الولادة وتوفيت كلتا الوالدتين اللتين تبنتهما وهما طفلتـان. وكلتـاهما سـقطتـا من السطح في الخامسة عشر من عمرها وكسـر كـاحـلاها، وكلتـاهما قـابلتـا ازواج المسـتـقـبل في مـراقص دار البلدية في السـادسة عشر من العمر وتزوجتا في العشرين وحصل لكلتاهما اجهاض مبكر ثم خلفت كلتـاهما ولدين وبنت وكلتـاهما مـصابتان باضطراب القلب وتضخم الغدة الدرقـيـة وتقـرءان لنفس الروائيين الشعبيين وتشتريان نفس المجلة النسائية وعندما التـقـينا اول مـرة كـانت الأثنتـان تضـعـان نفس الصـبـغـة السمراء على شعريهما وتـرتـديان فـسـتـانين بلون بيـجي وسترتين مخمليـتين بنيـتين وتنورتين بيـضـاويين متطابقتين.

وفي عام ١٩٧٩ اكـتـشـفت جانيت هاملتن وايرين ريد ان لكل منهما اخت توأم واسرعتـا في جمع شملهما واكتشفتا ان كلتاهما مصابتان بأرهاب المناطق المقفلة والضـيـقـة ولاتحبـان الماء وتجلسـان وظهراهما الى البحر عندما يكن على الشاطيء وتـكـرهـان المرتفـعـات وتصـابان بألم في نفس المكان من السـاق الأيمن في المناخ الرطب وحـذرتان بشكل لا ارادي وفي طفـولتـيـهما عـملتـا في فـرق الاسـتـكشـاف وعـملتـا في نفس الوقت في شركة مستحضرات واحدة.

كـمـا درس بوشـارد توأمين تربيـا بعيـداً عن الأنظـار لايختلفـان كثيراً عن الآخـرين وهمـا اوسكار سـتـوهر وجاك يوف وقد ولدا في تريتداو عام ١٩٣٣ ثم تفـرق والداهما الى جـهـتين مـتضادتين وكل اخذ معه توأم، اوسكار ذهب الى المانيـا واصـبح عـضـواً في حـركـة الشـبـاب النازي بينما تربى جـاك تربيـة يهودي ارثوذكسي وتقـابلا لأول مرة عـام ١٩٧٩ ووجـدا انهما كانا يرتديان نفس النظارة

والقميص الأزرق ذي الكتافات وكان شارباهما متطابقين واظهرت دراسة عن قرب تشابهات متميزة في عاداتهما وكلاهما يشغل غطاس التواليت قبل وبعد الاستعمال ويضعان رباطات مطاطية على معصميهما ويرغبان تناول الطعام على انفراد في المطاعم وكذلك في القراءة وكانت نغمات صوتيهما متطابقة رغم ان احدهما يتكلم الألمانية والأخر يتكلم الأنكليزية وكلاهما له نفس طريقة المشي والجلوس ونفس روح المرح، على سبيل المثال ميلهما الى العطاس بصوت عال لترويح المسافرين الأخرين. ويتضح انه من الصعب ان لم يكن من المستحيل تفسير مثل هذه السلسلة من المصادفات دون افتراض وجود نوع من (التخاطر) اي نوع من الأتصال الخفي بين التوأم والذي يستمر حتى حين تفصلهم مسافات طويلة، وفي الحقيقة ان (يونغ) اول من استعمل كلمة (اكترافيد) بمعنى (المصادفات ذات المعنى) فقد امن بالتفسير التخاطري واحتوى عمله على العديد من القصص صممت لتوضيح طبيعة التخاطر، لكن حتى التخاطر لا يستطيع تفسير كيف تقابل شقيقتان زوجيهما في ظروف متشابهة وتعملان في نفس شركة المستحضرات.

وعليه لابد من احد الأمرين؟ اما ابعاد فكرة اعتبارها مصادفات او شرحها حسب نظرية خاصة عن (المصائر الفردية) او حتى كما اسماها البروفسور جود ذات مرة (غرابة الزمن غير المشكوك فيها).واذا كان بأستطاعة الناس ان يعلموا لمحات من المستقبل او علم بالأحداث قبل وقوعها، فأن ذلك يوحي بطريقة غريبة بأن هذه الاحداث (مبرمجة) كالفلم الذي تم انجازه، واذا كانت حياة الأفراد الى حد ما (مبرمجة بشكل مسبق) فربما كانت حياة توائم الزايكوت الأحادي) ذات برنامج اساسي واحد... وهناك حالات اخرى تعرض حقيقة التخاطر.

وفي عام ١٩٨٠ ظهر توأمان من الأناث في احدى محاكم يورك وجلبتا

اشتباه الصحفيين لأنها كانتا تستعملان نفس الاشارات في ذات الوقت وتبتسمان معا وترفعان ايديها الى ثغريها بنفس اللحظة وهلم جرا، وكان توأما الكنيسة كما تسميانه فريدا وغريتا قد اظهرتا افتتانا قويا لسائق شاحنة يدعى السيد كن ايفسون والذي كان يسكن في البيت المجاور لهما وما برحتا تتابعانه منذ خمسة عشرة سنة ويبدا عليهما ان لهما نفس الطريقة الغريبة في اظهار الحب، تشتمانه وتضربانه بحقيبة اليد وعندما استمر هذا لمدة خمس عشرة سنة قرر السيد ايفسون طلب الحماية من المحكمة، وقد عرف تعلقهما بالسيد افيسون طبياً بالشبق وهو حالة يغرق فيها مريض الكآبة (المنخوليا) او القلق الذهني بسبب حب رومانسي رغم ما طرأ من تطورات لاحقة، ففي المدرسة كانتا بطيئتين لكنهما غير متخلفتين وكان وصف المعلمات لكل منهما بأنها رقيقة ونظيفة وهادئة،وقد وجه معاون مدير المدرسة اللوم الى والدتها وقال انه من الواضح ان والدتهما امرأة شغوفة لهما ولم تسمح لهما بتكوين شخصية منفصلة لكل منهما وكانتا ترتديان فساتين متطابقين ولا تختلطان بالاصدقاء، وظهر على التوأمين ميل الى التشابه على شكل صورة المرآة الذي يعني انه اذا كان الأول اعسر يكون الثاني ايمن واذا كان شعر الرأس ينمو بأتجاه عقرب الساعة فأن نموه عند الثاني يكون عكس ذلك وهكذا، وغالباً ما يحدث في توائم (الزايكوت الاحادي) ان ترتدي احدى التوأمين السوار في معصمها الأيسر بينما ترتديه الثانية بالأتجاه المعاكس. وعندما حلت احداهما شريط حذائها شدته الثانية بالأتجاه المعاكس. وعند نقطة ما اضطر التوأمان الى مغادرة البيت ولم يكشف اي من التوأمين او والدتاهما سبب ذلك ولم تتزوجا حتى عمر السابعة والثلاثين ولم تحصلا على وظيفة واقامتا في قسم داخلي محلي وتعدان فطورهما معاً وكل واحدة تمسك بالمقلات ثم تخرجان وهما ترتديان ملابساً متطابقة وعندما ترتديان سترتين ماويتين متطابقتين بأزرار مختلفة الألوان فأنهن يتبادلن نصف الأزرار فيصبح لكلتاهما لونا،وعندما تمنحان زوجان مختلفان من الكفوف تأخذان واحداً من كل زوج وعندما تمنحان قالبان

مختلفان من الصابون تقطعاهم وتتقاسماهما وقد اخبرتا صحفية ان لهما عقلاً واحداً وانهما حقاً شخص واحد وتدعيان ان احدهما تعرف بالضبط ما تفكر به الأخرى وذلك يوحي بوجود نوع من التخاطر بينهما وتتخاصمان احياناً وتضرب احداهما الأخرى بخفة بالحقائب اليدوية، ولكن رغم هذه الخصومات فأنه يبدو عليها بشكل واضح ان هدفهما المشترك هو هجر العالم الخارجي والعيش في عالمهما الخاص المصغر.

والتوأمان غريس وفرجينيا كندي من كاليفورنيا طورتا لغة خاصة تتفاهما بها وذلك عندما كانتا في السابعة من العمر، قام محلل لغوي يعمل في مستشفى ساندريفو للاطفال بدراسة لغتهما الخاصة واكتشف انها خليط من كلمات مخترعة مثل (نوفوكيد) و (يولانا) وخليط من كلمات اللغة الأنكليزية والألمانية اسيء لفظها (ووالداهما امريكي والأخر الماني) وتنادي احدهما الأخرى يويو وكابتينيا وتتكلما لغتهما المجهولة بسرعة وطلاقة واخيراً تعلمتا اللغة الأنكليزية لكنهما توقفتا عن لغتهما السابقة او ربما لم يكن بأمكانهما اجادتها.

واحد اغرب الحالات المتعلقة بالتوائم سجلت في نشرة نيويورك للكتب (٢٨ شباط (فبراير) ١٩٨٥) وقام بذلك النفساني اوليفر ساكس. كان ميكل وجون المعروفان ببساطة (بالتوأمين) قد امضيا حياتهما في معاهد الدولة منذ ان كانا في السابعة عام ١٩٧٤ وشخصا على انهما مصابان بالذهان والأسترسال في الخيال ومعاقان بشدة رغم انهما يملكان قابلية فريدة وهي قابلية معرفة اي يوم من ايام الأسبوع يصادف اي تأريخ في الماضي او المستقبل فعندما يسألان عن تاريخ ١١ حزيران(يونيو) عام ٥٥ ب.م فأنهما ينطقان فوراً (الأربعاء) ويثبت ان ذلك صحيح. ويقول ساكس انهما توأمان منسجمان لايمكن التفريق بينهما وهما من التوائم التي على شكل صورة المرآة المتطابقين في الوجه والشخصية وحركات الجسم وكذلك الامر في اصابتاهما في العقل والنسيج، يرتديان نظارت سميكة

جداً بحيث تبدو عيونهما مشوهة، ويستطيعان اعادة اي عدد من الأرقام العشرية بعد سماعهما مرة واحدة وهما ليسا مثل (الأطفال المعجزة في الحساب) المتمكنين من ضرب اعداد كبيرة خلال ثواني واستخراج الجذر العاشر لعشرين من الأرقام العشرية كما يفعل الأطفال المعجزة، ولكن عندما تسقط علبة الثقاب على الأرض فان كلاهما يتمتم(١١١) قبل اصطدامه بالأرض ويثبت ان ذلك صحيح، وذات يوم وجدهما ساكس جالسين في زاوية يرتديان ملابس غريبة ويبتسمان وهما يتبادلان ارقاماً سداسية وقد دون بعضاً منها. وعندما عاد الى البيت دققها في كتاب للرياضيات واكتشف ان كل الأرقام كانت اعداداً اولية وهي الأعداد التي لاتقتسم على غيرها بدون باق، ولكن الغريب في الأمر انه لاتوجد الأن طريقة رياضية فيما اذا كانت بعض الأرقام الكبيرة هي اعداد اولية او زوجية عدا محاولة الأجتهاد في تقسيم كل الأرقام الصغيرة عليه واذا كان هناك باق في كل عدد صغير حتى نصف حجمه فهو عدد اولي ورغم ذلك كان التوأمان يستخرجان اعداداً اولية من الهواء دون اقل عناء. وفي اليوم التالي شاركهما ساكس في لعبتهما وفجأة قاطعهما بعدد من ثمانية ارقام اخذه من كتاب الرياضيات فنظرا اليه بدهشة وبعد توقف لمدة نصف دقيقة انفرج وجهاهما عن ابتسامات عريضة ثم بدأ التوأمان بتبادل اعداد اولية ذات تسعة ارقام وقدم ساكس عموداً ذا عشرة ارقام وثانية اصابتهما الدهشة وبعد صمت طويل استخرج جون عدداً ذا اثني عشر رقماً ولم يكن لدى ساكس اي طريقة لتدقيق ذلك لأن كتاب الرياضيات الذي لديه لا يتجاوز الأعداد ذات العشرة ارقام بيد انه لم يكن يشك في كونه اولياً وبعد ساعة كان التوأمان قد تبادلا اعدادا اولية ذات عشرين رقما. ترى ماذا كان التوأمان يعملان خلال نصف الدقيقة من الصمت عندما تقدم ساكس اليهما بالعدد الأولي ذي ثمانية ارقام؟ والجواب لايمكن ان يكون الا انهما كانا يبذلان جهداً لرؤية العدد وذلك بطريقة متناسقة تجعلهما يران ان كان هناك باق او لا. واغلبنا يستطيع ان يتصور تسعة او ستة عشر بتصور مجموعة من النقاط

موضوعة في ثلاثة صفوف من ثلاثة او اربعة صنوف ذات اربع نقاط لابد ان التوأمين يستخدما نفس الطريقة على مستوى ابعد بكثير.

وهذا يقدم لنا مفتاحاً مهماً فنحن نعرف ان نصفي الدماغ لهما وظيفتان مختلفتان في الفعالية، الأيسر عالم والأيمن فنان والأيسر معني باللغة والمنطق والأيمن معني بالحدس والبصيرة والأيسر يرى العالم من الأسفل بينما يراه الأيمن من الأعلى وفي الكائنات البشرية المتحضرة يكون النصف الأيسر هو (النصف المسيطر) مثلاً شعوري بهويتي يوجد في النصف الأيسر ولذلك عندما استخدم كلمة (انا) فهو من كلام نصف الدماغ الأيسر، وفي الغالب تكون طاقات الدماغ الأيمن لتصور الأنماط على سبيل المثال محدودة الى حد ما بالمقارنة مع الطاقات العقلية للنصف الأيسر ويتضح في حالة التوائم المتماثلة تكون طاقات النصف الأيسر محدودة جداً، لكن طاقات النصف الأيمن اعظم بمئات المرات مما هي الحال في بقية الناس.

ويبدو ان الدرس العام الذي نتعلمه من التوائم هو ان الفعالية المستمرة دون توقف للنصف الأيسر التي تتطلبها الحضارة تخمد كل انواع الطاقات (الطبيعية) في النصف الأيمن كالتخاطر والتقمص الجسدي والقدرة على معرفة الحقيقة بنظرة شاملة بالتلسكوب وليس بالمجهر (المكرسكوب) كما اعتدنا، وفي حالة التوأمين جيم التي تحدث فيها نفس الاشياء للتوأمين رغم افتراقهما منذ الولادة لم يبدأ العلماء والفلاسفة حتى الشك بوجودهما لحد الآن.

أين الموناليزا؟

قد يبدو جواب هذا السؤال بديهياً: في متحف اللوفر. بيد أن الامر ليس بهذه الدرجة من السهولة. لقد عرفت اوروبا الموناليزا باسم (الجيوكاندا) او المرأة الباسمة وهي تعني في الانجليزية القديمة (مرحة). هذه اللوحة رسمها كما يعلم الجميع الفنان الايطالي العظيم ليوناردو دافنشي الذي ولد في المدينة الصغيرة فنيسيا بالقرب من فلورنسا في عام ١٤٥٢. وقد كانت موناليزا (مونا هي اختصار لكلمة مادونا) حين التقاها ليوناردو أول مرة امرأة شابة في الرابعة والعشرين من عمرها متزوجة من رجل موسر يكبرها بعشرين عاماً يدعى فرانسسكو ديل جيوكوندو، وكانت، حين شرع ليوناردو برسمها حوالي ١٥٠٠، قد فقدت طفلا لها. ويقول فاساري، كاتب سيرة حياة ليوناردو، لقد توجب على زوجها أن يستأجر المهرجين والموسيقيين كي يولدوا فيها الابتسامة في الجلسات الاولى أمام الرسام.

لقد انتابت ليوناردو المواجس حول لوحته فاستمر برسمها سنوات عديدة كان في اغلبها غير راض عن عمله، وهذا هو اصل الروايات التي أشاعت انه ارتبط بعلاقة حب معها، بل إن بعضها قالت انها خليلته وهو أمر بعيد الاحتمال إذا ما علمنا أن ليوناردو كان مصاباً بالشذوذ الجنسي، وقد تبنى فكرة زهيدة حول الجنس حيث يقول بأسلوب سويفتي ساخر: «إن عمل الجماع والاعضاء التي تقوم بتأديته لشيء بشع جداً وان لم يكن ذلك من أجل جمال الوجوه فإن الجنس البشري سيفقد انسانيته». ومع ذلك كان ثمة شيء حول مادونا ليزا جعله يكافح من أجل اظهار سيماءها لمدة ست سنوات على الأقل وربما اكثر. ويقول انتونيا فالانتين، كاتب سيرته، بأنها سحرته أكثر من أي امرأة قابلها في

حياته، وعندما غادر فلورنسا عام ١٥٠٥ أعطى اللوحة لزوج موناليزا وهي لم تنته بعد ولكنه بقي يعمل فيها في فترات عودته.

يقول جورجيو فاساري في كتابه (سير الرسامين) بأن ليوناردو قضى اربع سنوات في رسم موناليزا وتركها وهي لم تنته بعد (ان هذا العمل هو الآن في حيازة فرانسس ملك فرنسا في فونتينبلو. . .) ونحن نعتقد ان هذا العمل هو اشهر لوحة موجودة الآن في متحف اللوفر. ومع ذلك فأن هذا يثير التساؤل والحيرة، فلقد اعطى ليوناردو اللوحة للرجل الذي حصل على عمولة من ايراد بيعها وهو زوج الموناليزا في عام ١٥٠٥.

وبعدها بأربعين عاماً او اكثر عندما كان فاساري يكتب سيرة حياة ليوناردو كانت اللوحة بحيازة فرانسيس الأول ملك فرنسا، ومن المؤكد ان عائلة جيوكوندو لم تكن لتتخلى عن رائعة ليوناردو بهذه السهولة؟ علاوة على ان لوحة اللوفر تبدو مكتملة بشكل واضح.

ثمة حقيقة مهمة اخرى، ففي عام ١٥٨٤ اصدر مؤرخ الفنون جيوفاني باولو لومازو كتابا عن الرسم والنحت والعمارة يشير فيه الى (الجيوكندا) و (الموناليزا) كما لو انها لوحتان منفصلتان والكتاب مهدى الى (دوق كارلوس ايمانويل) دوق سافوي العظيم الذي كان شديد الأعجاب بليوناردو، لذا لم يبد على الأرجح ان ذلك كان مجرد زلة قلم. . . جيوكندا اثنتان؟ اين الأخرى اذا؟ والأهم من ذلك، من تكون الجيوكوندا الثانية؟

ان جواب السؤال الأول والذي يدعو للأستغراب هو في متحف اللوفر. وان اللوحة الأكثر شهرة في العالم والتي استنسخت اكثر من اية لوحة اخرى في التاريخ هي على الأغلب ودون ريب ليست الموناليزا التي كنا نتحدث عنها. اذن اين لوحة المرأة التي سحرت ليوناردو مما حدا به الى عدم انهاء رسمها؟

ثمة دليل يرينا ان لوحة موناليزا الأصلية هذه قد جلبت من ايطاليا في منتصف القرن الثامن عشر واخذت الى بيت فخم لرجل نبيل في سوفرست. وقبل الحرب العالمية الأولى اكتشفها في باث خبير في تذوق الفن يدعى (هيوبليكر) وقد التقطها مقابل بضعة جنيهات واخذها الى مرسمه في جزيرة دورث ومن هنا اصبحت معروفة بـ(موناليزا جزيرة وورث) وكانت اكبر من لوحة متحف اللوفر، والأهم من ذلك انها لم تكن مكتملة حيث لم يكن في المنظر الخلفي سوى لمسات خفيفة. وقد تركت لدى بليكر انطباعاً قوياً، اذ كانت الفتاة اصغر واجمل من موناليزا متحف اللوفر. وشعر بليكر بأن موناليزا الجديدة هذه تتوافق بأحكام مع وصف فاساري اكثر من لوحة متحف اللوفر. وقد كتب فاساري بحماسة مفرطةعن واقعيتها قائلاً: (للعينين ذلك البريق واللمعان الباهت الذي اعتدنا ان نراه في حياتنا اليومية. وحولها كانت تلك اللمسات من اللون الأحمر والأهداب التي صورت بحذق عظيم... وانفراج الفم منضماً بالشفاه الحمر الى مجموعة اللمسات اللونية للوجه التي بدا من خلالها اللحم كأنه غير ملون وانما نابض بالحياة.)

ويتساءل السيركينيت كلارك مستشهداً بهذا المقطع في كتابه عن ليوناردو:- (ومن الذي يميز الهة اللوفر الفاتنة؟) الذي اجاب عليه بليكر قائلاً (آه بالضبط) ولكن الوصف ينطبق على موناليزا جزيرة وورث.

هناك نقطة اساسية اخرى يبدو انها ترقى فوق كل شك وهي ان لوحة بليكر هي موناليزا ليوناردو. وقد شاهدها الرسام رافائيل في مرسم ليوناردو حوالي عام ١٥٠٤ وعمل فيما بعد مخططاً لها ويرينا المخطط عمودين اغريقيين في كل جانب، وهذه الأعمدة يمكن ان تراها في موناليزا جزيرة وورث ولا يمكن ان نراها في لوحة متحف اللوفر.

ويؤمن بليكر بأن موناليزا جزيرة وورث هو عمل اكثر جمالاً من الآخر، والكثير من خبراء الفن قد اتفقوا معه. ومن الصحيح القول ان لوحة متحف اللوفر لها الكثير من المعجبين.

كتب والتر باتر مقطعاً منمقاً مشهوراً عنها في كتابه (النهضة الأوربية) يقول فيه (انها اقدم من الصخور التي تجلس عليها وهي كالهامة قدماتت مرات عديدة» وقد احس و.ب.بيتر بجمال هذه الكلمات مما حدا به الى تقطيعها الى ابيات من الشعر الحر، وطبعها كقصيدة في كتابه «اكسفورد للشعر الحديث».

ومن جهة اخرى كتب عنها برنارد بيرنسون الخبير في تذوق الفن قائلاً:- ان الذي شاهدته حقا في هيئة موناليزا هو تلك الصورة المنفرة للمرأة التي هي خارج مدى تعاطفي وخارج نطاق اهتمامي... محترسة، متكتمه مأمونة، مع ابتسامة الرضا المتوقع والجو الغامر للترفع العادي...» لقد شعر ان جمال موناليزا متحف اللوفر قد ضحي به قربانا للبراعة الفنية. ولايمكن لاحد ان يقول هذا عن موناليزا جزيرة وورث المفعمة بالحياة والحيوية.

ولكن اذا لم تكن سيدة متحف اللوفر هي ليزا ديل جيوكوندو التي تخص ليوناردو فمن تكون اذن؟ وهناك حقيقة اكثر اهمية وقد وجدت في وثيقة ما من قبل انتونيو بينس سكرتير كاردينال اراغون.

فعندما ذهب ليوناردو الى قصر فرنسيس الاول عام ١٥١٧ زاره الكاردينال ودون السكرتير الحديث الذي دار بينهما. وقد عرض ليوناردو أعمالاً على الكاردينال من ضمنها «القديس جون» و «مريم العذراء» مع القديسة «آن» و «صورة شخصية لسيدة ما من فلورنتين رسمت على الطبيعة بناء على طلب نبيل سابق يدعى جيوليانو دي مديسي...».

وفي كتابها عن سيرة حياة ليوناردو. تخمن انتونيا فالنتاين بأن هذا العمل

هو الموناليزا وتتساءل: «هل احب جوليانو دي مديبي موناليزا في صباها. . . وهل كان يفكر باشتياقها وهي متزوجة من السيد ديل جيوكوندو؟ وهل اعطى ليوناردو عمولة ليرسم صورتها الشخصية؟».

ولكن هذا المشروع الوهمي الرومانسي المبهج حطمه البحث المجرد في التواريخ. فقد كان جيوليانو دي مديبي شقيق لورنزو سيد فلورنس الرائع قد قتل في كاتدرائية فلورنس عام ١٤٧٨. وكان المتآمرون، وهم على الاغلب اصحاب موائد القمار المتنافسين، يتمنون ان يقتلوا لورنزو ايضا، ولكنه كان اكثر دهاء منهم. كل هذا حدث قبل ان تولد موناليزا بسنة. اذن من هي تلك السيدة التي رسمها ليوناردو بناء على طلب جيوليانو دي مديبي؟ الجواب في الغالب ودون ريب هو كوستانزا دي افالوس، خليلة جيوليانو، السيدة ذات الخلق الحسن والتي عرفت ب «السيدة الباسمة». لا جيوكوندا. . .

وهكذا يبدو ان اللوحة الموجودة في متحف اللوفر قد وضعت تحت عنوان «الموناليزا» بسبب سوء فهم بسيط. وموضوع هذه اللوحة يمثل بشكل واضح امرأة في العقد الثالث من عمرها وليس في العقد الثاني كما تبدو موناليزا ديل جيوكوندو.

اخذها ليوناردو معه الى فرنسا ثم انتقلت الى مجموعة فرنسيس الاول واخيرا استقر بها المقام في متحف اللوفر. اما موناليزا غير المكتملة فقد بقيت في ايطاليا ثم جلبت الى انكلترا وقدا اشتراها هيوبليكر عام ١٩١٤.

وفي عام ١٩٦٢ اشترتها مقابل مبلغ ضخم من المال (دون ان يكشف عن مقداره، والذي يساوي الملايين دون ريب)، مؤسسة سويسرية تبيع مواداً للنشر في عدة صحف ومجلات في وقت واحد يترأسها جامع الاعمال الفنية الدكتور هنري. ف. بولترز. ومنذ ذلك الحين ألف بولترز كتابا صغيرا أسماه «اين

الموناليزا؟» معلنا فيه مطالبته بلوحته التي تمثل مادوناليزا دي جيوكوندو.

وموضوع النزاع الذي تناوله بولترز بسيط، فهناك جيوكونداتان اثنتان، حيث ان لمادونا ليزا الحق الكامل في ان تدعو نفسها بأسم زوجها بنهاية مؤنثة. ولكن ثمة موناليزا واحدة فقط وهي ليست في متحف اللوفر وانها في لندن.

حفرة المال.

من دفن الكنز؟

يحتوي خليج ماهون في نيوفاوندلاند على عدد من الجزر بقدر عدد أيام السنة، وقد قرر في صيف عام ١٩٧٥ شاب يدعى دانيال مك غينيس أن يستكشف واحدة من هذه الجزر، ومن دون أغلب الجزر الاخرى كانت هذه الجزيرة مغطاة بأشجار السنديان، اذ قلما يوجد شجر في الشمال الاقصى. وقد أثار دانيال اهتمام الآخرين باكتشافه اشارات واضحة تدل على سكنى البشر على الرغم من أنها لم تكن حديثة العهد. ومن المستبعد أن يكون المستوطنون قد اختاروا مثل هذه البقعة النائية، فإن هذه الاشارات كانت تدل على أن الزوار كانوا إما هنوداً او قراصنة. وقد قضى المراهق حياته كلها على الساحل الشرقي من خليج ماهون مع حكاياته عن القرصنة والكنز المخفي. وعندما وجد بالصدفة شجرة سنديان وقد تعلقت في احد اغصانها السفلى بكرة لرفع الاثقال تعود لسفينة ما، أيقن انه في اثر كنز مدفون لأحد قراصنة البحر. وقد ازداد اندفاعه عندما لاحظ غوراً تحت شجرة السنديان، مفترضاً أن ثمة حفرة قد نقبت هناك ذات يوم ومن ثم طمرت مرة أخرى.

اندفع دانيال مك غينيس الى بيته وطلب المساعدة من صديقيه الحميمين. وفي اليوم التالي عاد معه الى الجزيرة جون سميث البالغ من العمر عشرين عاماً وانتوني فاوغان وعمره ثلاثة عشر عاماً وهم يحملون المعاول والمجارف. وفي خليج صغير على شكل هلال في الساحل الجنوبي الشرقي من الجزيرة، وجدوا جلموداً نصف مدفون وقد ثبت عليه مسمار بحلقة، وكان ثقيلاً ومصنوعاً من الحديد وكانت الحلقة صلبة الى درجة انها كافية لربط مركب كبير. ومن هناك شقوا طريقهم الى داخل الجزيرة ،اكتشفوا بقايا طريق جيد رغم وجود بعض

العشب فيه يمتد ما بين الركن الشرقي الشمالي والركن الغربي الجنوبي من الجزيرة. وفي ارض مقطوعة الاشجار وجدوا ان الغصن الموجود فوق الصخور والذي طوله ستة عشر قدماً قد فصل عن الجذع بحوالي اربعة اقدام وأن لحاء الشجرة كانت فيه علامات خدوش عميقة تدل على انها آثار حبل ملفوف على الجذع. ولكن عندما حاولوا ان يصلحوا بكرة الحبال، سقطت وتهشمت الى أجزاء.

شرع الاولاد يعملون بالمعاول والمجارف حتى وجدوا انفسهم في نفق عمودي دائري بعرض ثلاثة عشر قدماً وجدرانه من الطين الصلد المزرق الذي لم تزل آثار المعاول التي استخدمت لحفره ظاهرة عليه واكتشفوا بعد حفرهم اربعة اقدام طبقة من الاحجار المربعة، ولم تكن هذه الاحجار من الجزيرة ولا بد انها جلبت من النهر الذهبي الذي يبعد عن الجزيرة بمسافة ميلين.

وفي عمق عشرة اقدام، وجدوا بالصدفة قطعاً كبيرة مرصوفة من خشب السنديان وممتدة عبر النفق ونهاياتها مثبتة بقوة في الجدران وكانت كلها متعفنة وتوحي الى انها تركت هناك لعدة اعوام. فقاموا بخلع القطع وسحبها الى خارج النفق يحدوهم الأمل في كل لحظة في ان يجدوا صناديق خشبية مليئة بالدبلونات والاحجار الكريمة. لقد خاب املهم فلم يكن ثمة غير الطين. وفي عمق عشرين قدما وجدوا بالصدفة طبقة اخرى من قطع الاشجار ومن ثم وجدوا طبقة ثالثة على عمق ثلاثين قدما. واخيراً بعد ان ادركوا ان المهمة كانت اكبر من قدرتهم، قرروا الاستسلام على الرغم من انهم مقتنعون بان الكنز يبعدبضعة اقدام عن متناول ايديهم. وعندما كانوا يجرون اذيال الخيبة وهم في طريقهم الى البيت، بدأوا يخمنون بالكادان مغامرتهم الصبيانية لا بد وانها ادت الى موت خمسة رجال وانفاق مئات الآلاف من الدولارات.

وبما ان تنقيب الحفرة يحتاج الى آلات ومكائن كما هو واضح فقد حاول الاولاد ان يجمعوا رأس مال من اصدقائهم فلم يعرهم احد اي اهتمام. وكان الكثير من سكان البلدة يؤمن بان المكان مسكون بالاشباح. واخذ الطاعنون في السن يتذكرون انهم عندما كانوا اطفالا كانوا يلمحون أضواء غريبة في الجزيرة شبيهة بالنيران التي تضرم في العراء ويشاع ان بضعة رجال من البلدة قد ذهبوا بمركب ذي مجاذيف للتحري ولم يرهم احد بعد ذلك. وازاء فقدان الهمة اضطر صيادوا الكنز اخيراً الى الاعتراف بالهزيمة. ولكن عندما تزوج دانيال وجون انتقلا الى الجزيرة التي اطلقوا عليها اسم جزيرة السنديان.

وبعد تسعة اعوام من تلك الزيارة الاولى اصبحت زوجة سميث حاملاً فاخذها زوجها الى الجزيرة الرئيسية للولادة. وعندما كانت هناك تحدثت عن اكتشاف زوجها مع طبيب يدعى سيمون لايندز. وقد اثار الموضوع اهتمامه الى درجة انه جمع رأس المال الكافي من اصدقائه. وفي عام ١٨٠٣ بدأ العمل مرة اخرى في حفرة المال وقد ترسبت في السنوات الفاصلة بين المحاوليتين كمية من الوحل في قعر الحفرة وكان لا بد من ازالتها قبل ان يعثر على العصي التي تركها الاولاد الثلاثة كاشارة للبقعة التي عملوا فيها. وباستخدامهم نظام الحبال والبكرات والدلاء، وصلوا على عمق ثمانين قدماً عن السطح دون ان يجدوا اي اثر للكنز الذي كانوا يأملون ان يكون هناك. وفي الاسفل من ذلك بدأ يصادفهم حاجز جديد بعد كل عشرة اقدام. وكما هي الحال بمثل هذه المغامرات لم يحتفظ صيادوا الكنز بسجل للاحداث فثمة امر مشوش حول تعاقب الطبقات التي كانت تصادفهم بشكل متوالي. وتصف احدى الروايات الطبقات المتوالية كما يلي: في عمق اربعين قدماً هناك طبقة من السنديان مكسوة بمعجون وعند عمق خمسين قدما ثمة سنديان صرف وعلى عمق ستين قدما يوجد خشب سنديان مع الياف جوز الهند ومعجون ومن ثم سنديان صرف عند عمق سبعين قدما وعند

عمق ثمانين قدما هناك طبقة اخرى من السنديان مكسوة بالمعجون. وقد اصبح الباحثون بعد ذلك على قناعة ان الحفرة قد حفرها قراصنة،اذ كان المعجون من النوع الذي يستخدم في السفن وقد اخرجت كمية من خارج الحفرة وكانت كافية لتثبيت زجاج شبابيك عشرين بيتا في خليج ماهون وقد اخذ البحارة مرة اخرى يوحون الى ان الياف جوز الهند لا بد انها قطعت الفي ميل على الاقل حتى وصلت نوفاسكونيا. استمروا في الحفر لمسافة اعمق وعند عمق تسعين قدما وجدوا بالصدفة طبقة من المعجون الذي يستخدم في السفن وكانت صلدة كالآجر. ووجدوا تحتها مباشرة صخرة كبيرة ذات نوع غير معروف في نوفا سكونيا، وفي الجانب السفلي من هذه الصخرة عثر الباحثون على صور ورسائل مشقوقة بخشونة ليس لها مغزى واضح. وقد اخذها سميث الى بيته واعاد تشكيلها وثبتها على الموقد. وكان صيادوا الكنز يشعرون انها في الاقل تشير الى انهم قريبون من هدفهم.

دفعوا عتلة الى داخل الارض التي اصبحت فيما بعد مشبعة بالماء حيث كان يتعين عليهم ان يرفعوا برميلاً من الماء لكل برميلين من التراب. وتحت الطبقة الاخيرة ببضعة اقدام فقط اكتشفوا سطحاً صلبا يمتد عبر النفق الطولي. واتفق الجميع على انه من الخشب وربما يكون صندوقاً خشبياً، واخيرا بدا الامر وكأن هدفهم في مجال الرؤية.

حصل الاكتشاف في مساء السبت وعندما حل الليل تسلقوا خارج النفق ولم يعملوا يوم الاحد، ولا بد انهم قضوا الوقت حتى صبيحة يوم الاثنين وهم يرزحون تحت عذاب توقعاتهم. وقد قال سميث فيما بعد انهم قضوا الوقت وهم يقررون فرحين كم نصيب كل رجل منهم. ولا شك ان المنظر الذي طالعته اعينهم عندما وصلوا في صبيحة يوم الاثنين قد بدا لهم وكأنه كابوس، فقد امتلأ ما يقارب الثلاثين قدما من النفق الذي حفروا منه تسعين قدماً بالمياه الموحلة

وقد حاولوا ان يصرفوا المياه الى الخارج بواسطة الدلاء ولكن مستوى المياه بقي كما هو عليه. وأدخلوا مضخة لتقوم بالمهمة ولكنها تعطلت بسبب الجهد الاضافي ولم يزل مستوى المياه كما هو عليه. فتخلى الرجال عن العمل وهم محبطون كلياً.

وفي ربيع عام ١٨٠٥ عاد صيادو الكنز ليجربوا خطة جديدة للعمل حيث قاموا بحفر نفق ثان بجانب النفق القديم الى عمق مائة وعشرة اقدام اي اعمق من النفق الاصلي بخمسة عشر قدما تقريبا، وبدأوا يشقون نفقاً عرضيا بالاتجاه الذي كانوا يأملون فيه ان يحصلوا على صناديق الكنز من الاسفل. ولسوء الحظ فقد حفروا بمحاذاة النفق الاصلي تماماً حيث سبب ضغط المياه الى انهيار الجدار الطيني الفاصل غامراً الحفارين بمئات من الغالونات من المياه الموحلة. ولحسن حظ الرجال فقد امتلأ النفق الثاني بسرعة جدا مما ساعدهم على الهرب بجلودهم.

نفذ كل ما عند الجماعة من مال ولم يكن امامهم سوى ان يتخلوا عن المشروع. وقد قال سميث مراسلاً احد اصدقائه: «لولا اضرار الطبيعة المتعددة التي خدعتنا فاننا الآن جميعا في عداد الرجال الاغنياء». ولم يدرك ان السبب في فشله ليس اضرار الطبيعة وانما براعة قرصان ما توفي منذ زمن بعيد.

وبقيت حفرة المال دون ان يمسها احد اكثر من اربعين سنة. وفي عام ١٨٤٩ شكلت مجموعة من المستثمرين من جزء آخر من نوفاسكوتيا نقابة جديدة وقاموا بمحاولة اخرى. واشتملت المغامرة الجديدة على الدكتور ديفيد لايندرز وهو من اقرباء سيمون لايندرز، وانتوني فاغون الذي كان يعد اصغر واحد من بين المستكشفين الاوائل اما الآن فهو في اواخر العقد السادس من عمره. اما بالنسبة الى الاثنين الآخرين فقد توخى مك غينيس وآثر سميث ان لا يورط

نفسه.

وفي جزيرة السنديان وجدوا ان كلا النفقين قد انهار، فحفروا خلال الاثني عشر يوما التالية الى عمق ستة وثمانين قدما وفرحوا لعدم وجود اية اشارة تشير الى الفيضان. ومرة اخرى فرغوا من عملهم في مساء السبت وتأكدوا في الصباح التالي من عدم وجود اية اشارة للماء في الحفرة بل وجدوا انها ما زالت جافة تماما ولكنهم عادوا في الساعة الثانية بعد الظهر من الكنيسة ليجدوا ان الحفرة قد امتلأت بالماء بمقدار ستين قدما. وبدأوا في الايام التالية بمحاولة تصريف الماء خارج الحفرة بواسطة الدلاء، وخلاصة القول «بدت النتيجة غير مرضية وكانهم كانوا يشربون الحساء بالشوكات». وعندما ادركوا صعوبة المهمة التي كانوا يواجهونها قرر الباحثون ان يكتشفوا الشيء الموضوع في قعر الحفرة، فقاموا باستخدام بريمة حفر محددة وهي عبارة عن حفار بقدرة حصان واحد يظهر عينات من المادة التي يقوم بحفرها. وقد كانت هناك طبقة ما قائمة فوق الماء وقد ثقبت فيها خمسة ثقوب الى عمق مائة وستة اقدام اثنان منها في غرب مركز الحفرة قليلا، ولم يظهر سوى الوحل والصخور. وقد قدم الرجل الذي يدير عملية الحفر بياناً يبين فيه ما وجدوه في الثقوب شرق مركز الحفرة يقول فيه:

"بعد اختراق الطبقة الموجودة في المستوى الذي وصلت اليه العتلة عام ١٨٠٤ والتي كان سمكها خمسة انجات والتي ثبت انها مكونة من قطع صغيرة من خشب البيسية هبط الحفار لمسافة اثني عشر انجاً وبعدها اخترق اربعة انجات من خشب السنديان ومن ثم اخترق اثنين وعشرين انجا من القطع المعدنية، ولكن الحفار فشل في اظهار اي شيء عن طبيعة الكنز ما عدا ثلاثة حلقات تشبه حلقات سلسلة ساعة قديمة.وبعدها اخترق ثمانية انجات من خشب السنديان الذي بدا كأنه يمثل قعر الصندوق الاول والسطح الاعلى من الصندوق الثاني ومن ثم اثنين وعشرين انجا من خشب السنديان وستة انجات

من خشب البيسيه (الراتنج) ثم اخترق سبعة اقدام من الطين دون ان يعثر على اي شيء".

وكان الثقب الثاني الذي ثقب الى الاسفل اقل نجاحا اذ يبدو وكأنه اضاع طريق الصناديق ولكن الحركة الارتجاجية للمثقب اوحت الى انه من المحتمل انه قد عثر على حافة احد الصندوقين او كليهما. وهذه المرة اظهر الثقب كسرا من الياف جوز الهند مختلطة مع كسر حادة من خشب السنديان وقد أوحت عملية ثقب الثقبين هذه الى أن حفرة المال تحتوي على صندوقين احدهما فوق الآخر. ولكن... هل يحتويان على الكنز المدفون؟.. لم يسجل احد طبيعة القطع المعدنية ولكن في وقت لاحق وصف احد اعضاء النقابة "حلقات سلسلة الساعة" على انها "قطعة سلسلة ذهبية" ولكن من المحتمل ان رأيه كان معتمداً على لمس الزخرفة فقط.

لقد كان الثقب الاخير اهم الثقوب الخمسة حيث قرروا ان يزيلوا بعناية كل قطعة صغيرة من المعدن الذي رفعته بريمة الحفر المخددة الى السطح لكي يتسنى لهم ان يختبروها بالمكرسكوب وقد كانت هذه العملية مستمرة بشكل جيد حتى حصلت بعض القلاقل بين الرجال الذين كانوا يبحثون عن العينات التي يظهرها المثقب. فقد لاحظ احد الرجال ان رئيس العمال جيمس بتيلادو قد وجد شيئاً ما وتفحصه بعناية ثم وضعه في جيبه. وعندما طلب منه ان يعرضه عليه رفض قائلاً انه سيعرضه في الاجتماع المقبل لمدراء النقابة. وقد تصرفوا بوحي من الاعتقاد بصدق ما يقول ولكنه لم يظهره وبدلاً من ذلك حاول ان يقنع رجل اعمال من المنطقة بشراء الجزء الشرقي من جزيرة السنديان. وقد كان رجل الاعمال راغباً في ذلك ولكن النقابة رفضت ان تبيع. وقيل ان بتيلادو توفي في حادث منجم بعد وقت قريب ولم يكشف عن السر الذي وجده ولكن الاسطورة المحلية تصر على انه كان جوهرة.

لقد اصبح صيادو الكنز بعد ذلك مقتنعين من ان الحفرة تحتوي على صندوقين مليئين بالكنز. ولكن السؤال الوحيد الذي بقي هو كيف الوصول اليهما. ولم تردعهم الكارثة التي كادت ان تصيب النقابة السابقة عام ١٨٠٤ فقد قرروا ان يحفروا نفقاً آخر بجانب النفق الاصلي وحاولوا ان يشقوا طريقهم عرضيا نحو الصناديق من الاسفل فوصلوا الى عمق مائة وتسعة اقدام دون ان تصادفهم اية اشارة تدل على وجود مياه، ولكن عندما بدأوا الحفر باتجاه حفرة المال انغمر العمال فجأة بمئات من الغالونات ومرة اخرى هربوا بشق الانفس بجلودهم. وامتلأ النفق الجديد الى نفس المستوى في النفق الاصلي اي بمسافة ثلاثة وثلاثين قدما عن السطح.

وبشكل لا يصدق لم يتساءل احد حتى ذلك الحين من اين تأتي كل هذه المياه وقد لاحظ احد الرجال المبللين ان طعم الماء كان مالحاً. وعندما قاموا بمراقبة مستوى الماء في الحفرة لمدة اثنتي عشرة ساعة، وجدوا ان الماء قد ارتفع وانخفض مع المد والجزر في الخليج فادركوا ان حفرة الماء كانت مليئة بماء البحر. وقد كانت الارض في ذلك الطرف من الجزيرة طينية في الغالب، لذا فمن المستحيل ان يترشح الماء من خلالها الى الحفرة، اذن لا بد من وجود نفق. حول صيادو الكنز انتباههم الى اقرب شاطىء والذي يدعى خليج سميث ويمتد نحو الشمال الشرقي خمسمائة قدم فلاحظوا عند انخفاض المد ان التربة الرملية اصبحت مسيلا للماء وكأنها اسفنجة قد عصرت.

كشف الحفر طبقة من الياف جوز الهند تحت الرمال بثلاثة اقدام. وكان تحت الالياف مباشرة طبقة من حشيش الانفليس او عشب البحر بسمك اربعة او خمسة انجات وفي الاسفل من هذه كمية من الاحجار المستوية. لقد كانت هذه الاسفنجة الضخمة التي هي من صنع الانسان تمتد مائة وخمسين قدما على طول الشاطىء بين العلامتين المائتين المرتفعة والمنخفضة. وعند عمق خمسة اقدام

وجدوا خمسة مصارف للمياه على شكل صناديق تبعد بشكل متساو عن بعضها البعض ومبنية بمتانة من الاحجار المستوية وتؤدي هذه المصارف الى بالوعة على شكل قمع انشأت فوق علامة ارتفاع الماء. لقد كانت هذه المصارف مبنية بشكل جيد فعندما كشفوا النقاب عن واحد منها، لم يجدوا اي رمل مترشح خلالها يعيق جريان الماء والذي قد يحصل بعد مائة عام. لقد كان الماء يمر من البالوعة على طول ممر منزلق الى الاسفل لمسافة خمسمائة قدم الى حفرة الماء واصلا اليها تحت مستوى التسعين قدما مباشرة. ولو كان بناء الحفرة نفسها رائعا لكان نظام النفق والفيضان من عمل مهندس عبقري بلا شك. فعند ارتفاع المد في الخليج تمتص اسفنجة الياف جوز الهند الماء ليشق طريقه خلال المصارف ثم ينزلق عبر الممر الطويل نحو الحفرة. وطالما ان النفق الطولي مليء بالرمل فان الماء يتراجع بالضغط. وازالة الرمل يقلل من الضغط وعندما يصل الحفارون الى مستوى التسعين قدم فان قوة المد تكون قادرة على دفع الماء خلاله لتفيضه.

كان الباحثون فرحين فمثل هذه الاجراءات الوقائية المفصلة توحي بكنز ضخم. وكل ما بقي الآن هو منع الماء من الفيضان واخراج ما هو موجود في الحفرة. بدأوا يعملون بهمة من جديد ببناء سد الانضاب عبر حلق الخليج ويبلغ طوله مائة وخمسين قدما. ولكن يبدو ان الطبيعة مصرة على احباط جهودهم، فقبل ان ينتهي بناء السد حطم مد عال غير طبيعي العمل برمته. ولما كان العمل مستحيلا في مد كهذا فقد قرروا ان يقطعوا النفق من مكان يتوسط الشاطيء والحفرة. وعندما حفروا نفقا طوليا بالقرب من خليج سميث اضاعوا النفق العرضي تماما. حفروا بعدها نفقا طوليا آخر بالقرب من الحفرة ولكن عندما وصلوا الى عمق خمسة وثلاثين قدما صادفتهم صخرة كبيرة وعندما ازاحوها امتلأ النفق الطولي مرة اخرى بدفعة من الماء. لقد اصبحوا بعد ذلك مشوشين بشكل تام اذ قرروا ان هذا لا بد وان يكون نفق الفيضان، وعندما

فشلوا ادركوا ان نفق البحر لا بد ان يجدوه بعد ستين قدما اخرى في الاسفل او لا بد وان النفق الطولي قد فاض عندما وصل الحفارون الاصليون لعمق ثلاثين قدما. وفي محاولة لايقاف التسرب قاموا بدحرجة الاخشاب فوق الارض وعندما فشلوا في ذلك حاولوا ايضا الوصول الى الصناديق من الاسفل.

وعند عمق مائة وثمانية عشر قدما بدأ العمال بشق طريقهم نحو النفق الطولي الاصلي. وعندما كان العمال متوقفين عن العمل في فترة الغداء اخترق الماء الموجود في حفرة المال مرة اخرى النفق الطولي الجديد وافاضه. وبعد هذه الضربة القاضية توقف العمل لمدة تسع سنوات.

وفي عام ١٨٥٩ استعادت النقابة نشاطها من جديد فقاموا مرة اخرى بحفر انفاق طولية اما لافراغ حجرة المال من الماء او لقطع نفق الفيضان ومع ذلك وحتى بقوة عاملة تقدر بثلاثة وستين رجلا لم يتمكنوا من كبح الفيضان. وفي عام ١٨٦١ استبدلت المضخات اليدوية بمضخات بخارية وعندما احترق المرجل ساحقا احد العمال حتى الموت، توقف العمل مرة اخرى. وفي السنوات التالية تتابعت محاولات عديدة وكان يقوم بها منقبون اظهروا همة اكبر من البراعة المألوفة، وقد اتفق معظمهم على حفر انفاق كثيرة حول حفرة المال في محاولة منهم لايقاف سيل الماء ولم يبد ان ايا منهم قد ادرك ان الامر سيكون اسهل لو حفروا بالقرب من خليج سميث حيث لا يتوجب عليهم سوى حفر انفاق طولية بعمق عشرة الى خمسة عشر قدما بدلا من الانفاق التي كانت تحفر بالقرب من الحفرة بعمق تسعين قدما. وكنتيجة لكل هذه الاعمال اصبحت المنطقة المحيطة بحفرة المال مليئة بالانفاق الطولية الممتلئة بالمياه مما جعل المهمة اكثر صعوبة.

وفي عام ١٨٦٦ قامت نقابة هاليفاكس المشكلة حديثا بالعمليات فحاولوا مرة اخرى انشاء سد في خليج سميث ولكن المد العالي غير الاعتيادي هزمهم.

وقد اكتشفوا بالفعل في نقطة ما المكان الذي يدخل منه نفق الفيضان الى حفرة المال واصبحوا مطلعين على الخبرة المدهشة التي كانت في مدار المناقشة لانشاء مثل هذا النفق. لقد كان حلق النفق بعرض قدمين ونصف القدم وبطول اربعة اقدام وكانت منطقة التقاء نفق الفيضان بحفرة المال في مستوى مائة وعشرة اقدام من السطح، ولتقوية نفق الفيضان قام البناؤون بعناية وضع احجار من الشاطىء حول طرف النفق. ولا بد ان يكون هذا الاكتشاف الجديد قد حل مشكلاتهم فكل ما يتوجب عليهم الآن عمله بعد ذلك هو اغلاق النفق ومنع ماء البحر من الدخول. ولكن لسوء الحظ كانت المنطقة برمتها مليئة بالانفاق الطولية مما يمكن الماء الآن من الدخول من عدة اتجاهات اخرى.

وكان ثمة شيء جلي في ذلك الحين: وهو ان كل هذه المهارة تعتبر ضائعة اذا لم يكن القراصنة ينوون العودة لجمع كنزهم واذا كانوا ينوون ذلك فعلا فلا بد انهم قاموا بطريقة تمكنهم من قطع جريان ماء البحر. والطريقة الاكثر مباشرة هي بوابة تقطع الفيضان من مروره عبر النفق. ولو كان الحال كذلك فاين هي هذه البوابة؟. لقد قاموا ببحث دقيق على طول شقة الارض المحصورة بين خليج سميث والحفرة التي يبلغ طولها خمسمائة قدم ولكنهم فشلوا في تحديد مكان البوابة. وهكذا اعترف صيادو الكنز مرة اخرى بالهزيمة. وفي وقت لاحق قال احد اعضاء الشركة ويدعى ايزياك بلاير لابن اخيه فريدريك: «لقد رأيت ما يقنعني بما فيه الكفاية ان ثمة كنز مدفون هناك ورأيت ما يقنعني الكفاية ايضا انهم لن يحصلوا عليه».

وعندما بلغ فريدريك بلاير الرابعة والعشرين من عمره كانت له محاولة للبحث عن الكنز فانضم اليه مجموعة من المنقبين اطلقت على نفسها اسم شركة كنز جزيرة السنديان وكان ذلك في عام ١٨٩١ اي بعد مرور مائة عام تقريبا على وصول دانيال مك غينيس الى الجزيرة اول مرة. وقد كان في نيتهم "ان

يستخدموا احدث المواد ليقطعوا جريان الماء خلال النفق. . ". ولكن لسوء الحظ فان " احدث المواد " لم تشكل اي فرق عملي عن سابقتها والسبب الرئيسي لذلك هو ان صيادي الكنز حاولوا مرة اخرى كبح سيل الماء عند نهاية النفق المتصلة مع حفرة المال. وعندما نفذت اموالهم كانت النقابة الجديدة قد حققت القليل مثل الذين سبقوهم.

اعادوا التفكير بخططهم وعملوا في عام ١٨٩٧ ما كان ينبغي عليهم ان يعملوه منذ البداية، فحفروا عند نهاية النفق في خليج سمث واكتشفوا ماء البحر عند عمق خمسة عشر قدما تقريبا تحت السطح. وفي هذه المرة وبدلا من ان يحاولوا سد النفق بحائط من الاخشاب وضعوا في الثقب حشوة ديناميت تزن مائة وستين رطلا. وعندما تفجرت كان ثمة صخب مفاجيء لاضطراب الماء في حفرة المال على بعد اربعمائة وخمسين قدما. لقد انهار نفق الفيضان بشكل مؤكد ومع ذلك عندما حاولوا ان يخرجوا ما هو موجود في الحفرة عاد الماء يندفع الى داخلها بسرعة. وعندما كانت النتائج غير مشجعة قرروا ان يجربوا طريقة اخرى ليروا ان كان باستطاعتهم ان يحددوا مكان صناديق الكنز في الطين المشبع بالماء. فقاموا بدفع انبوب الى الاسفل بسمك ثلاثة انجات يستطيع من خلاله ان يعمل المثقاب بكفاءة اكثر. وعند عمق مائة وستة وعشرين قدما اجبر الانبوب ومثقابه على التوقف عائق ما وصف على انه " حافة حديد ". وقد نجح مثقاب اكبر في اختراقه واستمر في نزوله حتى عمق مائة وواحد وخمسين قدما. وعند هذا المستوى اوقفته طبقة من الحجر الاملس وصف فيما بعد على انه سمنت وتحت هذا بعشرين انجا اخترق المثقاب خمسة انجات من خشب السنديان. ولقد بدت هذه الاشياء مجتمعة وكأنها تعدهم بشيء ما، وعند هذه النقطة بدأ المثقاب يتصرف بشكل غريب فلم يستمر في سده اكثر من بضعة انجات حتى التقى بما كان يبدو كأنه شيء معدني يمكن تحريكه من جانب الى آخر بأقل من انج. هل

يمكن ان يكون ذلك غطاء الصندوق؟؟.. لقد استمروا في الثقب وبدا المثقاب كأنه اكتشف فجأة اشياء معدنية اصغر من المحتمل انها نقود معدنية او مجوهرات. بالاضافة الى انهم عندما دفعوا المثقاب مرة اخرى وجدوا قطعة من الورق النفيس وهي عالقة به وكان مكتوبا عليها الحروف "I.V" .

وعندما بدا الامر كأنهم على وشك النجاح اخيرا، خانهم حظهم. فعندما حاولوا ان ينفذوا مثقاباً آخر الى الاسفل نحو الصندوق مرة ثانية فشلوا في ايجاده. وعاد الامل من جديد عندما عثر مثقاب آخر على شيء ما ربما يكون حافة الصندوق. ولكن المثقاب الثالث اخترق قناة للمياه تحت سطح الارض حيث تدفق الماء لأعلى الانبوب بنسبة اربعمائة غالونا في الدقيقة مبللا كل شيء يقع على مرمى منه. وهكذا بدا وكأن ثمة نفق فيضان ثان اكثر انخفاضا من الاول بمقدار كبير. وللتأكد من ذلك سكب فردريك بلاير صباغا احمر وثقيلا في حفرة المال واكدت هذه الطريقة ظنونه عندما ظهر الصباغ مرة اخرى بعيدا في الجانب الجنوبي من الجزيرة. ويستدل من ذلك ان النفق الاعمق لا بد وان يكون طوله ستمائة قدما على اقل تقدير.

حفرت النقابة ستة انفاق طولية اخرى في محاولة منهم لغلق هذا النفق الذي اكتشف حديثا. وقد اضطروا للتخلي عن كل واحد منها عند تدفق المياه. لقد كان من الحماقة ان يستمروا في العمل. فقد انفقوا اكثر من مائتين وخمسة وعشرين الف دولار على العمليات. وحتى لو اكتشفوا الكنز في نهاية المطاف فليس ثمة ما يضمن لهم انه سيعوضهم عن مثل هذه التكاليف الضخمة. لذا فقد قرروا التوقف عن العمل على مضض. وقد كانت هناك بضعة محاولات اخرى لحفر حفرة المال خلال السنوات الثلاثين التالية وكانت محاولة شركة كنز جزيرة السنديان اكثرها طموحا. لقد كانت كل محاولة تظهر قلة احتمال اكتشاف الكنز، فقد اصبح الموقع الاصلي محطما تماما حيث يوجد اكثر من مستنقع واحد.

وفي عام ١٩٣١ عثر وليام تشايل الذي كان في نقابة جزيرة السنديان عام ١٨٩٧ على معول ومصباح زيتي مانع للتسرب يعود لعامل في التعدين ورأس فأس مدفونة في الوحل. وقد اظهر فحصها ان عمرها مائتان وخمسون سنة تقريبا، وبهذا فقد يكون تاريخ حفرة المال الاصلية في بداية سنة ١٦٨٠. لقد اصبح التشكيل الجيولوجي لجزيرة السنديان بمرور السنوات مفهوما بشكل جيد واصبح واضحا ان قاعدتها المكونة من حجر الكلس تحتوي على تجاويف عديدة وثقوب غائرة فاذا كان الكنز قد غار في احد هذه الثقوب فليس ثمة احتمال لاكتشافه عمليا. ومع ذلك ففي عام ١٩٣٧ امضى رجل اعمال ثري من نيو انكلاند ويدعى جلبرت. د. هيدن فصلين من فصول السنة وهو يحفر ويثقب حتى توصل الى استنتاج غير مشجع مفاده ان صناديق الكنز قد تحطمت في التربة المشبعة بالماء. وقد فكر انه اذا ما امكن غلق نفق الفيضان الثاني فان المستنقع سينشف ببطء وكانت اسهل طريقة لمنع تدفق مياه البحر هي ايجاد بوابة في النفق لذلك الغرض. وخلافا لاسلافه قرر هيدن الا يبحث بين حفرة المال والبحر. وبدلا من ذلك جرب علم المنطق فأخذ يتساءل: لماذا لم يعد القراصنة من اجل كنزهم؟ وقد كانت اكثر التوقعات احتمالا هي تحطم سفينة او امساكهم من قبل السلطات. وفي هذه الحالة من المحتمل ان تكون مفاتيح اللغز مخفية في سيرة احد قباطنة القراصنة المشهورين. واذا كان هذا الرجل قد مات شنقا فإن المفتاح الاساسي قد يكون في طيات سجلات المحكمة او في اعترافات الرجل للكاهن. وبدأ هيدن يقضي ايامه في المكتبات وفي فترة قصيرة جدا وجد الرجل الذي بدا له أن أفكاره تتوافق والقبطان كد. في الحقيقة لم يكن وليام كد سفاحا قاتلا مثل العديد من اسلافه، ولكنه كان قرصانا حكوميا اي بحارا تدفع له الحكومة مقابل مهاجمة السفن التي تخص الدول العدوة فقط. والعديد من هؤلاء القراصنة الحكوميين كانوا يعتبرون انفسهم وطنيين موالين للدولة وبشكل اساسي جزءا من اسطولها البحري. ومثالا على ذلك فقد كان السير فرنسيس دريك

القرصان البريطاني الشهير قرصانا حكوميا.

في عام ١٦٩٦ كلف وليام الثالث كد بوضع حد للقرصنة ومصادرة غنائم القراصنة ولكن كد كان ضعيفا ورجلا طموحا حيث وجد ان مهاجمة السفن التجارية اسهل من مطاردة القراصنة. وخلال السنوات الخمس التالية كانت سفينة " ادفنتشر" تجول في الطرق البحرية وقد هاجمت جميع سفن البلدان عدوة كانت ام غير ذلك. ولم يكن لدى الحكومة البريطانية اعتراض شديد منذ ان هاجم كد الاجانب. ويبدو ان القرار الذي اتخذ بشأن خروجه عن القانون كان اساسه هو شكهم في انهم لم يحصلوا على الحصة العادلة من غنائمه. وقد اسرع كد الى نيو انكلاند وهو قلق بشأن هذا الطعن باسمه وكان في نيته ان يدافع عن نفسه ولكن الحاكم اللورد بيلومونت كبله حالا بالاصفاد وصادر من سفينته كنزا تقدر قيمته بحوالي اربعة عشر الف دولار. وقد ارسل بعد ذلك الى انجلترا حيث حوكم واعدم وعلق جسده المطلي بالقطران في موقع تلبري كتحذير لبقية القراصنة.

وقد اكتشف هيدن انه في ليلة اعدام كد طلب منه ان يرسل الناطق بلسان مجلس العموم ويقول انه اذا ما ابقي على حياته فسوف يدل السلطات على كنزه المدفون الذي قدره بمائة الف دولار. وقد ادعى كد ان كنزه قد دفن في جزيرة ما في البحار الصينية ولكن قد يكون ذلك محاولة مقصودة منه لتضليلهم. وقد خطر ببال هيدن ان الكلمة الفرنسية chene تعني سنديان وربما يكون كد قد رمى مفتاح اللغز حول مكان كنزه.

وبينما كان هيدن يقرأ كتابا بعنوان "القبطان كد وجزره (سكيليتن)" الذي الفه عام ١٩٣٥ هارولد ولكنز، اكتشف بالصدفة خارطة يفهم منها انها جزيرة كد، وفيها شبه واضح من جزيرة السنديان على الرغم من الملاحظات المكتوبة

على الحافة التي تشير الى انها تقع في البحار الصبية وكان في حافتها السفلى مجموعة من الاتجاهات الخادعة.

١٨ غرب وباتجاه ٧ شرق على صخرة ٣٠ جنوب غرب ١٤ شمال شجرة ٧ باتجاه ٨ باتجاه ٤.

تجول هيدن حول حفرة المال والكتاب بيده فوجد صخرة كبيرة من الغرانيت مباشرة شمال الحفرة وكان قد حفر فيها ثقب وقد ذكرته هذه الصخرة بصخرة مشابهة كانت قد وجدت في خليج سمث قبل عدة سنوات. وعندما اخذوا يبحثون في الخليج عثروا على الصخرة بالصدفة فوجدوا ان المسافة بين الصخرتين الكبيرتين كانت تساوي اكثر من خمسة وعشرين قصبة والقصبة تساوي ستة عشر قدما ونصف القدم.

استدعى هيدن مساحا للارض وأخذ يقيس من الموقع ثمانية عشر قصبة من الصخرة المثقوبة الى الشرق وثلاثين قصبة غرب هذه النقطة قد اوصلتهم الى مساحة من الارض المستوية مغطاة باشجار خفيضة. وعندما نظفوا الارض من الاشجار عثروا على احجار مختلفة من الشاطيء كانت موضوعة بشكل واضح في نسق معين. وعندما استمروا في العمل وجدوا انها تتخذ شكل رأس السهم مع اغناء نحو الخارج في الجانب السفلي وربما كانت تمثل آلة السدس بشكلها المبدئي. وقد كان الرأس يشير باتجاه الشمال الى حفرة المال وشجرة السنديان الكبيرة التي كانت فوقها في السابق. لقد كانت الخارطة على ما يبدو غير دقيقة. فالشجرة تبعد عن السهم اكثر بقليل من اربعة عشر قصبة. وعلى الرغم من ذلك فقد كان هيدن مقتنعا من ان خريطة الكنز تمثل جزيرة السنديان وان حفرة المال قد بناها القبطان كد.

انطلق مبتهجا في رحلة الى انكلترا وذهب لمقابلة مؤلف الكتاب هارولد

ولكنز. وكان يأمل ان يكون لدى ولكنز معلومات اخرى قد تقوده لاكتشاف بوابة الفيضان المخفية. لكن ولكنز اصابته الدهشة فلم يكن قد سمع بجزيرة السنديان قط. وقد بين ان الخريطة الموجودة في كتابه ربما كانت غير دقيقة فقد اضطر الى رسمها من الذاكرة بعد ان رأى الاصلية في مجموعة خرائط خاصة. وعندما بين هيدن ان الاتجاهات الموجودة على الخريطة كانت دقيقة تماما، اصبح اكثر استغرابا وأصر على انه اختلقها وذلك ببساطة لكي يملأ المكان الفارغ على الخارطة وفي وقت لاحق اصبح ولكنز متأثرا جدا بما وجده هيدن في الجزيرة فبدأ يضمر اقتناعا غريبا بانه كان يمثل تجسدا جديدا للقبطان كد.

كل هذا لم يدعم هيدن كثيرا فقد فشل في الحصول على اعترافات الرجل للكاهن التي قد تساعده على تحديد مكان بوابة الفيضان ومن ثم قطع مياه البحر. وهكذا ومثل كل اسلافه وصل هيدن الى نهاية مغلقة.

وقد جاء من بعده المهندس الميكانيكي أيدون هـ. هاملتون وقام بالحفر الى عمق مائة وثمانين قدما اي اعمق من كل المحاولات السابقة وقام باكتشاف مثير: وهو ان حلق نفق الفيضان يلتقي بحفرة المال من نفس الجانب الذي يلتقي منه النفق الاول بالحفرة. وقد اوحى هذا الى ان كلا النفقين ينشآن من خليج سمث وان النفق الاكثر انخفاضا لا يمتد جنوبا كما قد اوحى صباغ بلاير الاحمر. واستنتج هاملتون انه لا بد من وجود جدول تحت الارض وتحت نفق الفيضان الثاني (والذي كان على عمق مائة وعشرة اقدام) وان هذا الجدول نقل الصباغ الى البحر في الجانب الجنوبي من الجزيرة محدثا تشوشا اكثر من ذي قبل. وقد كان جليا ان هيدن كان محظوظا عندما تخلى عن العمل.

وبعد ان تخلى هاملتون عن حفرياته، كان ثمة فارس سبق وان كان يلعب الحركات البهلوانية في السيرك يدعى روبرت رستول قد لقي حتفه في حفرة المال

عندما امتلأ النفق الطولي بغاز العادم من المضخة. وعندما حاول ابنه البالغ من العمر الثانية والعشرين ورجلان آخران انقاذه لقوا حتفهم ايضا.

واخيرا في عام ١٩٦٥ جرب جيولوجي يشتغل في استخراج النفط يدعى روبرت دانفيلد مرة اخرى طريقة القوة الوحشية فاحضر حفارا. وفي ستة اسابيع حفر حفرة عرضها ثمانين قدما وبعمق مائة وثلاثين قدما. ولم يجد شيئا فعمد الى ان يمحو كل اثر لحفرة الكنز. وهكذا بقي اللغز قائما: من بنى حفرة المال ولماذا؟ ان الجواب الواضح -القراصنة- هو اقل اقناعا مما يبدو، فمعظم الغنائم التي يجمعها القراصنة هي من الانواع القابلة للتلف السريع: الطعام والشراب والتوابل والحرير والساتان. وعندما يجدون مالا فانهم يقتسمونه بسرعة فيما بينهم ثم يصرفونه، وحتى المعروف بالطائر الاسود قد عمد الى جمع صندوق واحد فقط من الاشياء الثمينة. بالاضافة الى انه يبدو من المستبعد ان القراصنة تمكنوا من بناء حفرة المال، اذ انها تتطلب قبطانا قويا جدا ذا ارادة يجبر مجموعة من السفاحين الكسالى على قضاء اكثر من اسبوع لحفر الانفاق في جزيرة نائية.

واكثر الافتراضات قبولا بالاجمال مذكور في كتاب روبرت فيرنو "حفرة المال". فقد افترض ان المهارة والدقة التي يتطلبها بناء الحفرة تشير الى عملية عسكرية فالجيش لديه ما يحتاج من الرجال والمهندسين المهرة ليتموا مثل هذا المشروع. لقد افترض فيرنو ان الحفرة بنيت حوالي عام ١٧٨٠ في الوقت الذي خسر فيه الجيش البريطاني حرب الاستقلال الامريكية•فقام الجيش البريطاني بوضع خطط للانسحاب السريع وقد كان من المقرر حسب الخطة ان تتراجع الحامية العسكرية في نيويورك الى هاليفاكس في نوفاسكونيا في الوقت الذي كانت فيه اقرب مستوطنة كبيرة لجزيرة السنديان. وافترض فيرنو ان قطاع المهندسين الملكي ربما يكون قد اصدرت له الاوامر ببناء حفرة لاخفاء الخزائن الحربية للحامية العسكرية ومن ضمنها مؤونة المال التي من المقرر ان تعطى للجيش

البريطاني ومن المحتمل ان المال لم يدفن اصلا في الحفرة وان كان كذلك فمن المحتمل انهم استردوه في وقت لاحق وارجعوه الى انكلترا. ويبدو هذا انه التفسير الاكثر احتمالا للفشل التام لكل النقاشات في ايجاد اضأل اثر للكنز.

انه لمن المحزن القول ان جهود ما يقارب القرنين من الزمان قد ضاعت على ما يبدو في نهاية المطاف... انها مجرد خدعة.

اكثر المخطوطات غموضا في العالم

مخطوطة فوينتش

في عام ١٩١٢ سمع تاجر امريكي ببيع الكتب النادرة يدعى ولفريد فوينتش بنتاج غامض كان قد اكتشف في صندوق خشبي قديم في المدرسة اليسوعية في موندرا كون في فرانسكاتي في ايطاليا وتمكن من شرائه مقابل مبلغ غير معروف. وقد كان عبارة عن مجلد ذي اوراق مطوية ثلاث طيات بحجم ستة في تسعة انجات تحتوي على مائتين واربع صفحات وله ثمانية وعشرون صفحة اخرى في الاصل ولكنها ضائعة. وهذا الكتاب مكتوب بالشفرات التي تبدو من اول نظرة شبيهة بكتابات القرون الوسطى المألوفة، والصفحات مغطاة برسوم صغيرة غريبة لنساء عاريات ومخططات بيانية فلكية وكل انواع النباتات الغريبة بعدة الوان. وكانت مع المخطوطة رسالة مؤرخة في التاسع عشر من اغسطس عام ١٦٦٦ كتبها جانيس ماركوس رئيس جامعة براغ ومعنونة الى العالم اليسوعي المشهور اثانا سيوس كيرتشر -الذي يذكر في ايامنا هذه بصورة رئيسية لبعض تجاربه المثيرة في تنويم الحيوانات مغناطيسيا- ويبن فيها ان الكتاب كان قد اشتراه الروماني المبجل رودلف الثاني امبراطور براغ مقابل ٦٠٠ دوكاتيه. وكان كيرتشر خبيرا في الكتابة بالشفرة وقد اصدركتابا في هذا الموضوع عام ١٦٦٣ ادعى فيه انه قد حل لغز اللغة الهيروغليفية. وربما يكون هذا قد دون بالذات ليدلل لنا ان كيرتشر كان ميالا للاعتقاد بصحة شيء لمجرد تمنيه، اذ نحن نعرف جميعا ان قرنا ونصف القرن قد مرمنذ ذلك الحين قبل ان يتمكن تشامبليون من قراءة اللغة الهيروغليفية بنجاح. وكان كيرتشر على ما يبدو قد حاول في الحال فك رموز بعض صفحات الكتاب الذي ارسله له مالكه السابق الذي كرس حياته كلها من اجل فك رموزه ولكنه في النهاية ارسل له المخطوطة بكاملها.

نحن لا نعرف كيف حدث ان وجدت المخطوطة في براغ ولكن الامكانية الاكثر احتمالا هي انها نقلت من انكلترا الى هناك عن طريق الساحر الاليزا بيثي المشهور بواسطة الدكتور جون دي الذي ذهب الى هناك عام١٥٨٤. ويخمن احد الكتّاب ان دي ربما حصل عليه من دوق نورثمبرلاند الذي كان قد نهب اديرة الرهبان تلبية لامر هنري الثامن. وقد قال في وقت لاحق الكاتب الانجليزي سيرتوماس براون أن آرثر ابن دي كان قد تحدث حول "كتاب لا يحتوي الا على اللغة الهيروغليفية" وكان يعكف على دراسته في براغ. وقد آمن ماركي ان الكتاب الغامض اوجده راهب وعالم من القرن الثالث عشر يدعى روجر بايكون.

ان مخطوطة فوينتش (كما صادف ان عرفت بذلك) لغز محير لانها تبدو بسيطةللغاية. انها تبدومن رسومات النباتات التي عليها وكأنهاكتاب في الاعشاب من القرون الوسطى المعروفة، كتاب يصف كيفية استخلاص الادوية الشافية من النباتات. ان وجود المخططات الفلكية والتنجيمية في كتاب للاعشاب امر متوقع، لان النباتات يفترض ان تجنى عند اكتمال القمر بدرا او عندما تكون النجوم والكواكب في مواضع معينة. ومن الواضح ان كيرتشر لم يحرز نجاحا في فك رموز المخطوطة فاودعها في نهاية المطاف في الكلية اليسوعية في روما حيث اصبحت في حوزة يسوعي فرانسكاني. وقد كان فوينتشر واثقا تماما ان المخطوطة لن تبقى غامضة طالما ان العلماء الجدد قد سنحت لهم الفرصة لدراستها. وهكذا اخذ يوزع النسخ المصورة للكتاب لكل من كان مهتما بالموضوع. وكانت المشكلة الاساسية بطبيعة الحال هي على اية لغة كانت تحتوي المخطوطة اللاتينية ام الانجليزية المتوسطة، ام لغة المناطق الغربية. لا بد ان هذه المهمة كانت سهلة طالما ان النباتات كانت مصنفة ولو بنوع من الرموز تشير الى رسومها. ولكن معظم النباتات ثبت انها خيالية. وقد امكن تمييز ابراج معينة من بين المخططات

الفلكية ولكن مرة اخرى ثبت انه من المستحيل ترجمة اسمائها من الرموز. لقد جرب محللو الالغاز طريقة مألوفة في البحث عن اكثر الرموز تكرارا ومعادلتها مع اكثر حروف الألفباء استخداما، فقاموا بتمييز ٢٩ حرفا او رمزاً مفرداً دون صعوبة ولكن كل محاولة لترجمة هذه الحروف الى لغة معروفة كانت تؤول الى الفشل. والذي جعل الامر مغيضا "هو ان الكتابة لم تبد شبيهة بالشفرات" بل بدت وكأن شخصا ما قد جلس وكتبها بطلاقة وكأنها لغته الام. لقد قدم العديد من العلماء ومحللي الالغاز وعلماء اللغة والفلكيين والخبراء لبايكون المساعدة. وفتحت مكتبة الفاتيكان ارشيفها للباحثين ولكن المخطوطة رفضت ان تعطي سرها او حتى واحداً من اسرارها. بعد ذلك صرح في عام ١٩٢١ برفسور في الفلسفة من جامعة بنسلفانيا يدعى وليم روماين نيوبولد بأنه تمكن من حل الشفرة. وقد قام بشرح اكتشافه قبل اجتماع جمعية الفلاسفة الامريكية في فيلادلفيا وقال: «ان الشيء الذي فعلته هو البدأ بترجمة الرموز الى حروف رومانية وقد قمت بتقليلها من ٢٩ الى ١٧ حرفا. وباستخدام الكلمة اللاتينية (commuto : يغير) واعتبارها الكلمة المفتاح»، استمر في انتاج ليس اقل من اربعة عمليات قلب للنص وكان آخرها (استنادا لنيوبولد) يمثل لغة لاتينية بسيطة محولة الى جناسات تصحيفية. وما ان حلت هذه الجناسات حتى كانت النتيجة بحثاً علمياً قد كشف لنا ان روجر بايكون كان واحدا من الالمعين العظام على مر العصور. لقد كان هذا بالطبع مثار شك دائم، فبايكون هو الذي الهم كولبوس للبحث عن امريكا عن طريق قراءة فقرة من كتابه (اوبوس مايوس) الذي افترض فيه ان الهنود الأوبيين يمكن الوصول اليهم بالابحار غربا من اسبانيا. لقد كان بايكون يدعو الى التعلم من الطبيعة عن طريق التجربة والملاحظة في الايام التي اشتقت فيها الكيمياء القديمة وعلم اخر متزمت ومشوش من ارسطو طاليس، فرمي في السجن عقوبة له على ذلك. ان رفضه لسلطة ارسطو طاليس كان يعني ضمنا رفضه لسلطة الكنيسة. لقد حذر القديس

اوغسطين المسيحيين في كتابه (مدينة الله) وطلب منهم ان يجتنبوا العلم والبحث الفكري مثلما يجتنبون الخطر طلبا للنجاة. ورأى روجر بايكون كما رأى سميه الاليزابيثي فرنسيس ان مثل هذا الموقف يضارع الانتحار الفكري.

وبالرغم من كل ما قيل لا بد من الاقرار ان بايكون كان رجل عصره وبأن كتاب (اوبوس مايوس) مليء بالعبارات التي يعتبرها العالم العصري اخطاء فادحة وخرافات. ولكن اذا كان نيوبولد على صواب، فان بايكون يعتبر واحدا من اعظم العلماء قبل نيوتن، فقد قام بصنع الميكروسكوب وفحص الخلايا البيولوجية والحيامن المنوية، تلك التي تسحب في اطرافها ذنيبات شبيهة بذنيبات افراخ الضفدع. وكان قد صنع التلسكوب قبل غاليلو بوقت طويل. وقد ميز ايضاً سديم اندروميدا (المرأة المسلسلة) على انه مجرة حلزونية. وقد ترجم نيوبولد احد التعليقات وادعى انه وصف للسديم: (بمرآة مقعرة شاهدت نجماً على شكل حلزون. . . بين سرة بيغاسوس، حزام اندروميدا ورأس ذات الكرسي). ومن المعروف ان بيكون عرف كيف يستخدم المرآة المقعرة كعدسة حارقة، وقد اوضح نيوبولد انه لم يكن لديه ادنى فكرة عما سيجده عند امعانه النظر في المنطقة المشار اليها وقد اصابته الدهشة عندما وجد ان (الحلزون) كان يمثل سديم (المرأة المسلسلة).

ولكن في كتابه (محللو الشفرات) بين خبير الشفرات ديفيد كهن واحداً من العيوب الاساسية في نظام نيوبولد. فقد اعتمدت طريقة نيوبولد على مضاعفة حروف الكلمة وهكذا فقد اصبحت كلمة (oritur) على سبيل المثال هكذا: - - it - ri - or -ur -tu-، وقد قام بحل هذا النص بمساعدة الكلمة المفتاح (commuto) واضافة q a.ولكن كيف تتحقق العملية بالاتجاه العكسي. وبكلمة اخرى، عندما يحول بايكون نصه الاصلي الى شفرة؟ يقول كهن: «بالامكان استنباط العديد من الشفرات ذات الاتجاه الواحد وبالامكان كتابة

الرسائل بالشفرة ولكن ليس بالامكان ارجاعها الى النصوص الاصلية. ويبدو ان نيوبولد هو الوحيد الذي يمثل الموقف المضاد).

توفي نيوبولد عام ١٩٢٦ وعمره ستون عاماً، وبعد سنتين اصدر صديقه رونالد ج. كينت نتائج اعمال نيوبولد في كتاب تحت عنوان (شفرة روجر بايكون) وقد كان مقبولاً على نطاق واسع وخصوصاً من قبل مؤرخ الحضارة المشهور ايتان جلسون. ولكن احد العلماء الذين قاموا بدراسة نظام نيوبولد لم يكن مقتنعاً الى حد بعيد. انه العالم في فقه اللغة الدكتور يوحنا م. مانلي الذي كان يترأس قسم اللغة الانجليزية في جامعة شيكاغو والذي كان قد اصبح مساعداً لهيربرت اوسبورن ياردلي العظيم الذي وصف بأنه اعظم محلل شفرات في التاريخ عندما انشأت الاستخبارات العسكرية الامريكية قسماً لتحليل الشفرات عام ١٩١٧. وكان مانلي قد اصدر الطبعة الواضحة لـ (تشوسر) بثمان مجلدات وكانت تضاهي اكثر من ثمانين نسخة معدلة من مخطوطة (حكايات كانتربري) التي كتبت في القرون الوسطى.وكان من احد اعماله المجيدة حل شفرة احد الرسائل التي وجدت في حقائب سفر جاسوس الماني يدعى (لوثر وتزك) الذي القي القبض عليه في نوغاليس في مكسيكو عام ١٩١٨. وبثلاثة ايام من العمل المتواصل توصل مانلي الى حل شفرة الرسالة ذات الاثنتي عشرة نقلة المتفق عليها رسمياً عن طريق تحويلات افقية متعددة لثلاثة او اربعة مجموعات من الحروف رتبت في نهاية المطاف على شكل كتابة عمودية منسوخة. وفي محكمة عسكرية تمكن من قراءة رسالة من الوزير الالماني في مكسيكو بصوت عال قائلاً: «ان حامل هذه الرسالة هو من اتباع الامبراطور ويسافر كوفيتي تحت اسم (بابلو وابرسكي). وهو عميل سري الماني» وكانت الرسالة تمثل وثيقة اعدام الجاسوس (على الرغم من ان الرئيس ولسون قد خفف عقوبته الى السجن المؤبد).

والآن بعد ان درس مانلي كتاب نيوبولد (شفرة روجر بايكون) استنتج انه على الرغم من نزاهته التي لا شك فيها فان نيوبولد كان يخدعه وقد كانت نقطة ضعف الشفرة تكمن في عملية التصحيف. فاغلب الجمل يمكن تصحيفها الى عدة جمل اخرى، وهي الطريقة التي يبرهن فيها المعجبون بـ (فرنسيس بايكون) دون صعوبة بانه هو الذي كتب مسرحيات شكسبير. ففي حالة جملة تحتوي على اكثر من مائة حرف، ليس هناك ما يضمن لنا ان عملية معينة لاعادة ترتيب الحروف توفر لنا حلاً وحيداً. ويبين لنا (ديفيد كهن) ان الكلمات(هايل ماري، ايها المليء بالرحمة، الله معك) يمكن ان تصحف بالاف الطرق المختلفة.

وقد اوجد نيوبولد ايضا (علامات اختزال) معينة وهي الجزء الرئيسي من نظامه في الترجمة. وعندما امعن مانلي النظر فيها من خلال عدسة مكبرة قوية اكتشف انها لم تكن مختزلة اطلاقاً بل كانت تمثل الاماكن التي ينتشر فيها الحبر على ورق الرق. وبتبيان الكثير من الحالات التي منح من خلالها (نيوبولد) المجال لترجمته كي تتأثر بها افتراضات القرن العشرين الذي عاش به، قام(مانلي) بدحض ادعاء (نيوبولد) بصورة تامة بانه حل (شفرة روجر بايكون).

ومنذ عام ١٩٣١ كانت هناك العديد من المحاولات لحل شفرة مخطوطة (فوينتش). ففي عام ١٩٣٣ اصدر الدكتور (ليونيل س. سترونغ) المتخصص في امراض السرطان الاجزاء التي تخصه من الترجمة وبرهن اشباعاً لرغبته ان العمل كان عبارة عن كتاب في الاعشاب كتبه العالم الانجليزي (انتوني اسكام) وقد اصدر ايضاً وصفة طبية لمنع الحمل وهي على ما يبدو ناجحة. لكن (سترونغ) فشل في شرح طريقته التي توصل بها الى ترجمته ولهذا لم تلق ترجمته قبولاً واسعاً. اما (وليام ف. فريدمان)الذي نظم مجموعة كاملة من المتخصصين ليعملوا في حل المشكلة في السنة الاخيرة من الحرب العالمية الثانية، فقد اصابه الاحباط بنهاية الحرب وبتفرق مجموعته. لكن (فريدمان) اوضح ان مخطوطة (فوينتش)

مـشـفـرة بطريقة تختلف عن بقية الشفرات في موضوع هام، وهو ان مخترع الشفرة يحاول ان يعبق محللي الشـفـرات بمـحاولته ازالة التكرارات التي قد تفضحه (على سـبيل المثال لا بد ان تكون المجموعة المكررة لثلاث كلمات (واو العطف) و (ال التـعـريف). وفي الواقع تحـتـوي مخطوطة (فـوينتش) على تكرارات اكثر بكثير مما يحتـويه النص الاعـتـيـادي. وقـد قـاد هذا (فـريدمـان) على ان يفترض ان النص المكتـوب بلغـة اصطناعية معينة وبسبب الحاجة الى تبسيطها لا بد ان يحتوي على تكرارات اكـثـر مما تحتويه لغة طبيعية بالغة التعقيد. ولكن هذا يفترض ضمناً ان (روجـر بـايكون) (او اياً كـان كـاتب المخطوطة) كـان قلقـاً جـداً مما يجعله يخفي مـقصده الذي بذل من اجله جهوداً اكبر من تلك التي يعتبرها الخبير في الشفرات مـعـقولة، ويبدو من المستبعد ان يكون لدى راهب من القرن العشرين سبباً معيناً ليخاف من محللي الشفرات.....!

وهذا يعـتـبر بطبـيـعـة الحال نواة اللغز فنحن لا نعرف متى كتبت المخطوطة ومن كـتـبها وباية لغة كتبت، ولكن حتى لو عرفنا الاجوبة على هذه الاسئلة فمن الصـعـوبة بمكان ايجاد اي سـبب مـعـقـول لمثل هذه الشـفـرة المحيرة. ان اقـدم الشـفرات في ارشيف الفاتيكان مؤرخـة بتاريخ ١٣٢٦ (عندما كان روجر بايكون صـبـيـاً) وهي عبارة عن اسماء مشفرة تتعلق بالصراع بين (الغبلينز والغلفر) وهم عـلى التـوالي انصـــار الامبراطور الرومـاني المبـجل والبـابـــا. و(الغـبلينز) يدعـون بـ(المصريين) و (الغلفـر) يدعـون بـ (اطفـال اسرائيل) ومن الســهل تخمين مع اي جـانب كـان مخترع الشفرة. وان اقدم شفرة غربية وهي (الاستبدال) تعود الى عام ١٤٠١، وان اول بحث عن الشـفـرات كـتـبـه (يوحنا تريشـيميوس) تحت عنوان (بولغرافيا) الذي لم يطبع حتى عام ١٥١٨ اذ مـرت ستـان على وفاة مؤلفه. لذا من الصـعـوبة بمكان ان نتصور لماذا يتوجب على (روجر بايكون) او اياً كان اثناء العصر الذي توفي فـيـه ان يبـذل جـهـوداً مضنية لاختراع شفرة بمثل هذا التعقيد

الواضح وهناك ما هو ابسط بكثير ويمكن ان يفي بالغرض؟

ويقدم لنا (كهن)مفتاحاً لحل اللغز يبين فيه لماذا اراد مؤلف كتاب الاعشاب (الذي تبدو مخطوطة فوينتش وكأنها كذلك) ان يخفي مقصده، عندما يتحدث عن واحدة من اقدم عمليات التشفير، وهي لوح مسماري صغير جداً يرجع تاريخه الى ١٥٠٠ قبل الميلاد (انه يحتوي على اقدم وصفة معروفة لصنع طلاء لمعمل الخزف والفخار. وقد كان كاتبها يقوم بحراسة سر مهنته بحرص شديد مستخدماً اشارات مسمارية... بمدلولاتها غير الشائعة)

وقد يكون مؤلف مخطوطة (فوينتش)حرفياً ذا مهارة عالية في الاعشاب وقد دون اسراره لاستخداماته الخاصة ولاستخدامات طلابه واصر على ان يحتفظ بها بعيداً عن متناول منافسيه. وقد خطرت هذه الفكرة ببال بائع الكتب القديمة والنادرة (هانز كراوس) وكأنها شيء مألوف للغاية بمجمله. وعندما توفت (ايثل فوينتش) بعمر السادسة والتسعين عام ١٩٦٠، اشترى كراوس المخطوطة من اوصيائها وعرضها للبيع مقابل ١٦٠,٠٠٠ دولاراً. وقد اوضح انه اعتقد انها يمكن ان تحتوي على معلومات قد تمد سجل الانسانية بتبصرات جديدة وانها اذا ما امكن حل شفرتها فقد يقدر ثمنها بمليون دولار. لم يأخذها احد بهذا السعر فاعطاها (كراوس) بنهاية المطاف الى جامعة ييل عام١٩٦٩ حيث تقبع الآن هناك بانتظار فكرة تهبط كالوحي على محلل شفرات بارع.

اورفيريوس

والآلة ذات الحركة الدائمية

ان الحلم بتحقيق الحركة الدائمية وهم بلا شك. فقانون حفظ الطاقة يقول ان الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من العدم، وهذا يعني ان اية آلة تعطيك طاقة مساوية على الاكثر للطاقة التي تصرفها. لذا فمن المغضب حقا ان تقر بوجود قصة موثوق بصحتها عن آلة ذات حركة دائمية تحدت كل المحاولات لتفسيرها. هذه الآلة اخترعها رجل يدعو نفسه (اورفيريوس) وقد ورد وصفها في كتاب (المعرفة الاجرائية) في (لايزيك) عام ١٧١٧.

اسم المخترع الحقيقي هو (يوحنا ايرنست الياس بيسلر Bessler)وقد ولد في (زيتاو) في (ساكسوني) عام ١٦٨٠، وعندما قرر ان يختار اسماً مستعاراً كتب حروف الالفباء في محيط دائرة ثم اخذ ينتقي الحرف الثالث عشر بعد كل حرف من حروف الاسم الاصلي (بيسلر)، وكانت النتيجة (اورفيري) الذي اعطاه شكلاً لاتينياً فاصبح (اورفيريوس). ومثل (ليوناردو)، يبدو انه رجل ذو عدة مواهب، فقد درس اللاهوت والطب والرسم بالاضافة الى الميكانيك. وقد صرح في بواكير العقد الثالث من عمره بانه اكتشف سر الحركة الدائمية.

تبدو الحركة الدائمية افتراضاً يمكن تحقيقه عملياً. فلنفترض على سبيل المثال انك انشأت عجلةً قائمة عمودياً تدور على محور مدهون بشكل جيد، فاذا الصقت ثقلاً صغيراً جداً على الحافة العليا من العجلة (ولنقل قطعة من معجون تثبيت الزجاج) فانها سوف تهبط بثقلها الى الجزء الاسفل من العجلة ومن ثم تستمر -بسبب كمية تحركها- حتى تصبح مرة اخرى قريبة جدا من القمة. ولنفترض ان شخصاً ما تمكن من ايجاد وسيلة بارعة معينة يمكن من خلالها حمل هذه القطعة الى القمة بدفعة اضافية صغيرة جداً . . . طريقة ما لجعل اثقال

صغيرة على اطار العجلة تغير اماكنها، على سبيل المثال . . . ولكن التجربة تثبت انه من المستحيل عمل ذلك دون خداع . . اي دون دفع العجلة دفعة اضافية صغيرة جداً .

لقد ظهر (اورفيريوس) عام ١٧١٢ في مدينة جيرا في مقاطعة ديوس وعرض عجلة ذاتية الحركة، وكان قطرها ثلاثة اقدام وسمكها اربعة انجات . وعندما اعطيت لها دفعة ضئيلة جداً بدأت في العمل ومن ثم اشتغلت بنفسها بسرعة الى ان وصلت الى سرعة قياسية . وقد كانت قادرة على ان تحمل ثقلاً من عدة باونات وهي في حركتها، وهذا شيء لا يصدق . فاذا كانت هناك سفينة فضائية فارغة تهيم في الفضاء بعيداً عن تأثير اي نجم، فانها سوف تستمر بتحركها في خط مستقيم الى الابد لأنه لا يوجد شيء يمكن ان يوقفها، وهذا هو (قانون نيوتن الاول في الحركة) . وبشكل مشابه اذا ما اعطيت عجلة تدويراً ضئيلاً جداً في فضاء فارغ فانها سوف تستمر في الدوران الى الابد ولكن لا يمكن جعلها تقوم باي شغل (لحمل ثقل على سبيل المثال) . وحالما تستنفذ طاقتها الاصلية فانها سوف تتوقف . ومع ذلك واستناداً لـ(اورفيريوس) فان بامكان عجلته ليس الاستمرار بالدوران الى الابد فحسب وانما بامكانها ايضاً حمل الاثقال، ويتم ذلك بواسطة لف حبل ما حول المحور مع ثقل مربوط به .

وبشكل يدعو الى الاستغراب، لا يبدو على سكان (جيرا) انهم تأثروا بشروحاته . وقد يكون السبب في ذلك ببساطة انهم لا يفهمون في الآلات بصورة كافية ليدركوا انه كان يعرض عليهم اختراعاً يمكن ان يغير العالم (واذا ما اعيد اكتشاف سره في ايامنا هذه فانه سيمكننا من الاستغناء عن الفحم والنفط والطاقة الذرية)، او ربما ان السبب في ذلك ببساطة هو ان (اورفيريوس) كان شخصاً مزعجاً على نحو استثنائي ومتبجحاً ودوغماتياً . وعلى اية حال فقد اتخذ له اعداءاً اكثر من الاصدقاء فكان عليه ان ينتقل الى مكان آخر في القريب

العاجل. ترك (اورفيريوس) جيرا دون ان يأسف على ذلك وذهب الى (دراخوتز) بالقرب من (لايزيك) حيث صنع فيها عام ١٧١٣ عجلة اكبر وقد كان قطرها خمسة اقدام وسمكها ستة انجات وبامكانها ان تدور خمسين دورة في الدقيقة وتحمل ثقلاً وزنه اربعين باوناً. وبعدها ذهب ثانية الى (ميرسبيرغ) وصنع عجلة قطرها ستة اقدام وبسمك قدم واحد. وقد فحص عجلته عدد من علماء المدينة واتفقوا انها لا تتحرك بواسطة قوة خارجية ووقعوا شهادة بذلك. ولكن هذا الانتصار الثانوي جعل اعداء(اورفيريوس)يتميزون من الغيظ،فقد اصدر احدهم كتيباً يعرض فيه على (اورفيريوس) الف طالر* اذا تمكن من صنع عجلة تدور في غرفة مغلقة لمدة شهر، وابدى آخر استعداده لصنع عجلة (خدعة باعتراف الجميع) يمكن ان تفعل كل شيء تفعله عجلة (اورفيريوس). واصدر (ج. جي بورلاخ) من لايزيك كتيباً برهن فيه (وكان يقول الحقيقة دون ريب) ان الآلة ذات الحركة الدائمية ضد قوانين الطبيعة.

وفي تلك السنة نفسها، اي عام ١٧١٦، غادر (اورفيريوس) ميرسبيرغ الى ولاية مستقلة صغيرة تدعى هيس- كاسيل التي احرز فيها انتصاره العظيم. ويبدا ان حظه قد تغير في نهاية المطاف هناك، فقد تأثر النبيل الحاكم (او الكونت) الذي كان اسمه (كارل) بالمخترع الى درجة جعلته ينصبه عضواً في مجلس المدينة ويقدم له غرفاً في القلعة الدوقية في ويسنتين (وبعد قرن ونصف كان هناك مخترع آخر يدعى الكونت دي سانت وهو الماني قد وضع تحت رعاية كارل وهو دوق آخر هيس كاسيل في ذلك الوقت). وخلال سنة ١٧١٧ صنع في القلعة آلته الكبيرة التي بلغ قطرها اثني عشر قدماً وسمكها اربعة عشر انجاً. وعلى الرغم من حجمها فقد كان وزنها خفيفاً بعض الشيء. وقد وصفها البروفيسور (سفريغاساند) من لندن في رسالة له ارسلها الى سير (اسحق نيوتن)... (عجلة مجوفة، او شيء شبيه بالطبل.. مغطاة بقماش سميك لتمنع رؤية ما بداخلها،

وقد فحصت المحاور واقتنعت بشكل تام انه لا يوجد شيء من خارج العجلة يشارك في تحريكها على الاقل. وعندما ادرتها برقة، هدأت حالما رفعت يدي عنها...).

وعندما تبدأ في الحركة تدور العجلة خمساً وعشرين او ستاً وعشرين مرة في الدقيقة وقد امكن ربط لولب (ارخميدس) لرفع الماء بمحورها بواسطة حبل ما. وفي هذه الحالة انخفضت السرعة الى عشرين دورة في الدقيقة. لقد بقيت العجلة معروضة في القلعة لعدة شهور وقد تفحصها عدة علماء واستنتجوا جميعاً انه لا يمكن ان يكون في الامر خدعة. وفي الحادي والثلاثين من اكتوبر عام ١٧١٧ طلب من (اورفيريوس) ان ينقل العجلة الى غرفة اخرى في القلعة من المحتمل انها كانت اكبر حيث لا توجد جدران قريبة من الآلة. وفي الثاني عشر من نوفمبر جاء النبيل ومختلف الموظفين فلاحظوا انها تتحرك لوهلة من الزمن ومن ثم شاهدوا ابواب الغرفة ونوافذها التي كانت موصدة باحكام حيث لا يستطيع المرء دخول الغرفة دون ان يترك وراءه آثاراً. وبعد مضي اسبوعين كانت الاقفال محطمة والغرفة مفتوحة والعجلة ما زالت تدور. وقد اعيد غلق الباب باحكام وهذه المرة بقي مغلقاً حتى الرابع من يناير عام ١٧١٨ حيث ما انفكت العجلة تدور ستاً وعشرين دورة في الدقيقة.

اما وقد هدأت شكوكه الآن سأل النبيل (اورفيريوس) وهو متأثر جداً بما شاهده كم يريد مقابل اعطاء سره وقد انقلب وجهه شاحباً عندما اجابه (اورفيريوس): «عشرين الف باوند».

وقد ذكرهم بان هذا هو اعظم اختراع له وقد قضى حياته وهو يعمل من اجله وبأنه يستحق مقابله اجراً ملائماً. وقد مال النبيل وحاشيته من العلماء للموافقة ولكنه لم يكن يملك كل هذا المبلغ ليسلمه، فبين البارون (فيترشر)

المهندس المعماري لامبراطور النمسا ان الامر سيكون سهلاً اذا ما جمع المال في لندن ووفقاً لذلك كتب رسالة الى الدكتور (ج. ت. دياغيولرز) في الجمعية الملكية. فاقترح انه اذا ما ثبت ان حركة العجلة دائمية فان العشرين الف باوند يجب ان تعطى للمخترع واذا ما ثبت العكس فان المال سوف يسترد. وفي غضون ذلك قام البروفيسور(سفريفساند)بفحص شامل لمحور الآلةوكتب تقريراً فحواه انه استناداً لما رآه لم يكن ثمة مجال للقول ان العجلة خدعة. ولسوء الحظ اخذ المخترع المصاب بجنون الارتياب تنتابه الشكوك في ان (سفريفساند) طلب منه ان يفحص المحور على امل ان يكتشف السر دون ان يدفع له مقابل ذلك. تميز (اورفيريوس) من الغيظ فاغلق على نفسه الغرفة وحطم العجلة ثم كتب رسالة على الجدار موضحاً ان حب استطلاع (سفريفساند) الذي تعدى حدوده هو الذي استفزه.

اما الآن فان (اورفيريوس) وآلته قد تلاشيا بشكل غامض يدعو للاسف. ولو تسنى لـ (اورفيريوس) ان يعيش بعد قرن من الزمان لاصبح مطارداً من الصحفيين الفضوليين ولاصبح لدينا تاريخاً مفصلاً عن بقية حياته.

ولكن في تلك الايام لم تكن هناك صحفاً. وكل ما نعرفه هو ان (اورفيريوس)قد اعاد صنع آلته بعدعشر سنين اي في عام١٧٢٧ وان (سفريفاند) قد وافق على فحصها مرة اخرى. ولكن لم يكن ثمة شيء مدون يؤكد انها فحصت. وكل ما نعرفه هو ان (اورفيريوس) توفي عام ١٧٤٥ بعمر الخامسة والستين وان سره اياً كان قد دفن معه.

ومن المؤكد ان اللغز هنا نفساني اكثر مما هو علمي. فاذا كنا نؤمن ان الطاقة لا يمكن ان تفنى او تستحدث من العدم فعلينا اذن ان نستنتج ان العجلة كانت مجرد خدعة. ولا يهم كيف نجح مخترعها في اخفائها. واستناداً لاحد

معاصريه فقد كان (اورفيريوس) ساعاتياً لفترة من الزمن. لذا يتوجب علينا ان نفترض انه وجد طريقة ما لاخفاء نابض آلي في مكان ما في المساند. وربما من الصحيح القول ان بقية التفسيرات مثل احتمال اخفاء رجل ما بداخلها قد استبعدت بالاختبار الحاسم عندما تركت الآلة في غرفة مغلقة لثلاثة اشهر. وحتى لو افترضنا ان (اورفيريوس) كان مخادعاً فان اللغز يظل قائماً. فما الذي يأمل ان يحصل عليه منه؟ ليس هناك مجال للقول انه قد هرب بالعشرين الف باوند واختفى لاننا كما نلاحظ من رسالة البارون (فيترتشر) ان المال لن يسلم له ما لم يقتنعوا اولاً انه قد اكتشف بشكل بارع مبدأ الحركة الدائمية. ويجب علينا ان نعترف ايضاً ان شخصية (اورفيريوس) استبعدت احتمالية ان يكون غشاشاً مباشراً. فالجمال والرقة هما الجزء الاساسي من متطلبات الرجل الواثق من نفسه وما دام ليس هناك ما يضمن ان جنون الارتياب والطبع السيء هما علامة العبقري فليس هناك ما يمنعنا من ان نعتقد انه من الصعوبة بمكان ان تلازم مثل هذه الصفات محتالا يتظاهر بالثقة بنفسه. ومن المحتمل جداً ان تلازم هذه الصفات صفة الانانية بسبب اعتقاد المرء الراسخ بمواهبه الرائعة.

ومن السهل الاعتقاد ان (اورفيريوس) كان يخدع نفسه اكثر من الاعتقاد انه كان مخادعاً. ولكن هل يمكن لشخص يخدع نفسه ان يصنع عجلة تدور لمدة ثلاثة اشهر في غرفة مغلقة؟ ومن جانبا آخر، دعنا نفترض ان (اورفيريوس) كان رجلاً حقوداً، رجلاً واثقاً جداً من عبقريته ولكنه يغتاظ من عدم تقديره. وبهذا يمكننا ان نصدق انه في نوبة من الغضب والازدراء قرر ان يخدع الآخرين بسلعة مغشوشة عن قصد، ومن ثم يستخدم المال ليكرس بقية حياته لابحاثه. كيف حداه الامل لتنفيذ مثل هذه السلعة المغشوشة؟

ان دراسة دقيقة للحالة تفترض بعض الاجوبة الممكنة. فقد اصدر (اورفيريوس) كتيباً تحت عنوان (الحركة الدائمية لـ (اورفيريوس)) عام ١٧١٩

يعرض فيه وصفاً غامضاً للغاية لمبادئه الاساسية. انه يعترف ان عجلته تعتمد على الاثقال التي تولد الحركة الدائمية عندما تستقبل الاثقال من بعضها البعض الحركة الجامعة التي ينبغي ان تؤديها ما دامت باقية خارج مركز الجاذبية. ويقول ان هذه الاشكال موضوعة بشكل ما بحيث لا يمكنها ان تحصل على التوازن.

وقد وصف العلماء الذين فحصوا الآلة امكانية سماع حركات حوالي ثمان اثقال من المفترض ان تكون موضوعة على اطار العجلة. وهذا المبدأ يعرف بـ"العجلة اللاتوازنية" والذي كان يعتبر سند المخترعين الذين حاولوا احداث الحركة الدائمية. وبامكاننا ان نلاحظ الفكرة الاساسية في رسم (روبرت غولد). فاذا ما كان للعجلة اطارات في حقيقة الامر، واحداً بداخل الآخر، واذا ما تسنى لمخترع عبقري ان يخترع طريقة ما لنقل الاثقال بصورة آلية من اطار الى آخر فان مشكلة الحركة الدائمية سوف تكون محلولة. فعندما تنتقل الى الاطار الخارجي فانها تجعله يفوق في وزنه الاثقال الموضوعة على الاطار الداخلي في الجانب المقابل. وبهذا يهبط هذا الجانب من العجلة. وحالما يبدأ بالارتفاع مرة اخرى تحت تأثير مقدار حركته فان الكلاليب (او اي شيء كان) تنقل الثقل على الاطار الداخلي.وبما انها الآن اقرب الى المركز فانها تصبح بالنتيجة اخف من تلك الموجودة على الاطار الخارجي الهابط فترتفع الى قمة العجلة حيث تنتقل مرة اخرى الى الاطار الخارجي. ان الامر يبدو سهلاً ولكن من الصعوبة فهمه.

ولكن ماركيز مدينة ورسستر (الذي خطرت له الفكرة في الاصل) بيّن نقطة اساسية وهي ان الاطار الخارجي اكبر من الاطار الداخلي بطبيعة الحال، لذا فهناك اثقال اقل عدداً على الاطار الهابط من التي على الجانب الآخر. (وفي رسم غولد يمكن ان ترى ان هناك عشرين ثقلاً على احد جوانب العجلة يضاهي ثمانية عشر ثقلاً على الجانب الآخر) وهكذا يتوازن الجانبان بالضبط مع بعضهما البعض وتتوقف العجلة حالاً.

ولم تكن هذه النقطة لتستوقف في الحال اي شخص تفحص الرسم او نموذج الآلة اللاتوازنية. وقد يكون بالامكان تصديق ان اورفيريوس ربما اعتمد على هذا في خداع النبيل ورجاله الحكماء. وقد نفترض انه اخفى نوعاً من نوابض الساعات القوية داخل مساند الآلة مع عجلة مسننة لتدير المحور. ولو جاء الزمان الذي يتنازل فيه عن سره لأزال غطاء القماش السميك من على عجلته وكشف للعالم "عجلته اللاتوازنية" المصممة بشكل بارع. وما لم يكن العلماء عندئذ اذكياء جداً وما لم يولوا اهتماماً كبيراً جداً بالمشكلة، فانهم سيقرون ان اورفيريوس قد حل مشكلة الحركة الدائمية حقاً بطريقة سهلة ومنافية للعقل ولسوف يعمدون بعد مضي فترة من الزمن الى تفكيك اجزاء العجلة ليجدوا فيها تقنية نابض الساعة، وسيكون (اورفيريوس) حينذاك بعيداً عنهم بمئات الاميال.

ولكن ثمة اعتراض ايضاً على هذا التفسير، فمن السهل تصميم ساعة حديثة تدور لمدة سنة، لان الاجزاء المتحركة فيها خفيفة جداً بحيث يمكن تشغيلها بواسطة بطارية صغيرة جداً. ولكن الامر سيتطلب طاقة كبيرة جداً في حالة عجلة بقطر طوله اثني عشر قدماً مع اثقال حول الاطار. وقد تنفع لذلك بطارية سيارة لا تبلى بسرعة. ولكن لا بد لنابض الساعة الذي قد يشغل مثل هذه العجلة لمدة شهرين ان يكون ضخماً، وليس ثمة حجرة واضحة داخل عجلة (اورفيريوس) لمثل هذا النابض. واذا لم يكن (اورفيريوس)قد اكتشف مبدأ المولد قبل (فارادای) بقرن ونصف القرن فيبدو ان ليس ثمة امكانية اخرى لذلك. وهكذا نترك مرة اخرى ونحن نتعذب بين تأكيد او استبعاد ان يكون (اورفيريوس) قد عثر بالصدفة على سر بسيط ولكن عميق فاتت ملاحظته على كل من جاء بعده.

هل كان روبن هود

موجوداً حقاً

بعد (الملك آرثر)، يعتبر (روبن هود) اكثر الابطال البريطانيين شهرة، ويشارك الملك آرثر في المعاملة المهينة التي يتعرضان لها من قبل العلم الحديث الذي يشك في وجودهما. وقد استنتج العالم الفلكلوري اللورد (راغلان) بانه كان الهاً (سلتياً)، بينما تبين مارغريت موراي في كتابها (آله السحرة) ان اسمه يعني (روبن ذو القلنسوة) وبانه ربما كان يمثل الشيطان (او الها ذا قرون) في احتفالات السحر القديمة. ومع ذلك فهناك ايضاً دليل مقنع على ان روبن كان شخصاً حقيقياً وانه -كما تبين لنا القصائد الغنائية- قد قام بنهب غزلان الملك في غابة شيروود وان له ثأراً قديم العهد مع عمدة نوتنغهام.

ان الاسناد الادبي الاول لـ(روبن هود) يظهر في كتاب (وليام لانغلاند) الموسوم بـ (فلاح بيرس) الذي يعود تاريخه الى حوالي عام ١٣٧٧ . ويقدم (لانغلاند) تعليقاً اشبه ما يكون بتعليق الراهب الذي لا يمكن ان يتلو صلاته الربانية دون الوقوع في اخطاء. ولكن مع ذلك (انا اعرف الاشعار التي قيلت في (روبن هود) وراندولف ايرل تشيتر). اذاً فقد كانت هناك قصائد غنائية عن (روبن هود) في ذلك التاريخ، وقد قام (ونكن دي وورد)عام ١٥١٠،وهو واحد من الطباعين الاوائل،باصدار كتاب (حكاية ليتيل عن مغامرات (روبن هود) الذي حقق لـ(روبن هود) ما حققه مالوري للملك آرثر في منتصف القرن المنصرم.

وبمرور الوقت يظهر(روبن هود) في كتاب(آيفينهو) للسير (وولتر سكوت)

(١٨٤٧) وقد اصبح الرفيق المرح والنصير لـ(ريتشارد قلب الاسد)، والبطل الخارج عن القانون الذي يعيش في الغابات. وقد ظهر بعدها ان كل ما كان يحتاجه احد الفولكلوريين هو ان يلاحظ كم مرة ارتبط اسم (روبن هود) بالمهرجانات الفولكلورية كما هي الحال بالنسبة الى مراسيم الحصان الخشبي في عيد اول ايار في باوستو في كورنوول ، ومن ثم يقترح بان (روبن هود) هو في الحقيقة روبن وود وبأن اسمه مشتق من اله الاسكندنافيين الخشبي. ويشار اليه في كتاب (سيف في الصخر) باسم روبن وود لمؤلفه ت. هـ. وايت ويظهر فيه معاصراً للملك (آرثر) الذي (اذا كان موجوداً) قيل انه توفي عام٥٤٠ بعد الميلاد تقريباً.

ويميل هؤلاء الذين يفترضون ان لا دخان من دون نار الى الاعتقاد بأن (روبن هود) كان شخصاً حقيقياً خارجاً عن القانون. وقد عاش في زمن ما في غابة (شيروود) واصبحت له شعبية واسعة اثناء فترة حياته مثل (بيلي ذي كد)، وقد ادى به ذلك الى ان يكون موضوع الحكايات والقصائد الغنائية في وقت قصير. ومع ذلك فيبدو من غير المحتمل امعانه في القدم كما كان (ريتشارد قلب الاسد) (١١٥٧- ٩٩) او انه جاء ذكره بشكل مؤكد في المخطوطات قبل ورود ذكره في كتاب (فلاح بيرس) اي قبل قرنين لاحقين. ويشير (اندرو ويتناون) في كتابه (تاريخ اسكوتلندا) الذي الفه عام ١٤٢٠ الى (روبن هود) وجون الصغير (ليتل جون) العام ١٢٨٣ الذي من المحتمل جداً انه قد كتب قبل (فلاح بيرتس) بقرن من الزمان.

ولكن اين كان يقوم بسلسلة عملياته؟. أحد المفاتيح المهمة للغز هو انه كانت هناك مدينة صغيرة يصاد فيها السمك تدعى (خليج روبن هود) في روكشاير ليست بعيدة عن ويبني وكان ثمة رابيتان (او ركامان من التراب) فوق المستنقعات القريبة تسميان (بمرامي روبن هود). والمفتاح الآخر هو ان انكلترا

القرون الوسطى انضمت فيها غابة (بارنسديل) في يوركشاير بغابة (شيروود) في نوتنغهام شاير. ومن بين مخطوطات (سلون) مخطوطة من القرن السادس عشر تتحدث عن(روبن هود)انه ولد في لوكسلي في يوركشاير عام١١٦٠ تقريباً. ويربط كتاب (تاريخ اسكوتلندا) اسم روبن بـ (بارنيسيل) الذي من المحتمل انه يمثل (بارنسديل) وبهذا يتبين لنا ان هذه الاشارة توحي لنا انه كان رجلاً من يوركشاير.

وتقول الاساطير فيما بعد بأنه كان يمثل (السير روبن من لوكسلي) او على نحو مماثل (ايرل هانتيغدون). ولكن يتضح من القصائد الغنائية انه كان فلاحاً صغيراً يملك الارض التي يزرعها، وهذا يفسر لنا الى حد ما لماذا اصبح بطلاً: ليس لانه كان من النبلاء ولكن لانه كان نموذجاً لعامة الشعب (واحداً من الفلاحين المالكين الصغار الذين هم اعلى درجة من الفلاحين الذين لا يملكون ارضاً). وقد ظهر في منتصف القرن التاسع عشر احد المفاتيح المهمة جداً لتحديد هوية (روبن هود) عندما كانت لجنة الوثائق التاريخية تفهرس الافاً من الوثائق التي تمثل ثمانية قرون من تاريخ بريطانيا. فقد ادعى جامع الاثريات (جوزيف هانتر) عام ١٨٥٢ انه عثر بالصدفة على رجل بدا من المحتمل انه يمثل (روبن هود) الاصلي وقد كان اسمه في الحقيقة (روبرت) وهو ابن آدم هود الذي كان يشتغل حارس غابة في خدمة(ايرل دي ويرن)(كان اسم روبن يمثل ببساطة صيغة تصغير لروبرت ولم يكن روبن يمثل في تلك الايام اسماً قائماً بحد ذاته). ولد (روبن) عام١٢٨٠ وفي الخامس والعشرين من يناير عام١٣١٦ دفع (روبرت هود) وزوجته (ماتيلدا) شلنين مقابل قطعة من الارض البور التي يملكها الايرل في (يكهل) (او بتش هل) في ديكفيلد. وكانت مساحتها لا تساوي سوى مساحة ارض لزراعة الخضر، طولها ثلاثون قدماً وعرضها ستة عشر قدما، وكان ايجارها بستة شلنات في السنة.

وتشير وثيقة (قصر العزبة) لعام ١٣٥٧ الى بيت على الموقع (كان فيما مضى من املاك روبرت هود). لذا فمن المحتمل ان (روبرت هود)كان متوف في ذلك الوقت.

لقد كان عام ١٣١٦ يمثل منتصف فترة حكم (ادوارد الثاني)، الملك الشاذ جنسياً والمسرف في اناقته الذي قتل في نهاية المطاف بواسطة سفود متوهج الحرارة غرز في احشائه في سبتمبر عام ١٣٢٧، وقد قام بعد تتويجه عام ١٣٠٧ بطرد وزراء وقضاة ابيه واتخذ من (بيرس غامستون) ايرل (كورنوول) صديقاً محباً له مما اثار غضب باروناته. وكان اكثرهم قوة ايرل (لانكستر) الذي اجبر (ادوارد) على قبول قرار اتخذه ثمانية وعشرون باروناً (يدعون بمصدري الاوامر) والذي قام في نهاية المطاف باعدام(بيرس غامستون) عام١٣١٢. ان عدم اهتمام (ادوارد) بشؤون البلد اعطى الفرصة للاسكتلنديين الذين حاربهم ابوه (ادوارد الاول) بنجاح كبير للتخلص من اسيادهم الانجليز. لقد مني (ادوارد الثاني) بالهزيمة في (بانتوكبورن) عام ١٣١٤ قبل ان يستأجر (روبن هود) قطعة الارض البور ويبني له بيتاً مع زوجته(ماتيلدا) بسنتين. لذا فمن الممكن الاستنتاج بانه عندما امر ايرل (ويرن) من قبل الملك بتحشيد قوة لمقاتلة الاسكتلنديين اهمل (روبرت هود) اداء الواجب، وتظهر سجلات الاحداث انه دفع الغرامة وفقاً لذلك. ولكن عندما حشدت قوة ثانية عام١٣١٧ لم يكن اسم(هود) في قائمة الذين دفعوا الغرامة، مما قاد المؤرخ الحديث (ج. و. وولكر) الى الاستنتاج ان (روبن هود) انضم الى الجيش في ذلك الوقت. وكان ايرل (لانكستر) قد حشد الجيش بعد خمس سنوات لاحقة للقتال ضد الملك. ولكن مرة اخرى لم يكن اسم هود من بين الذين دفعوا الغرامة. لذلك فيبدو انه قد لبى الدعوة. اندحر جيش لانكستر في (بورو بريدج) والقي القبض على لانكستر وقطع رأسه. وقد كان النزاع حول المقربين الجدد لـ (ادوارد) وهما (آل دسبنسر الاب والابن)، اللذان أجبر (ادوارد) على

نفيهما، اما الآن فقد كان بامكانه ان يدعوهما الى العودة. وقد اعلن عن اعتبار العديد من مؤيدي (لانكستر) خارجين على القانون. وقد اكتشف (وولكر) وثيقة اشارت الى (مبنى من خمس غرف) في بتشهل في ويكفيلد كان من بين الاملاك المصادرة. ويعتقد(وولكر) انه كان يمثل بيت (روبرت هود) وأن الخارج عن القانون قد اتخذ له الآن مأوى في غابة (بارنسديل) المجاورة حيث اصبح في وقت قصير لصاً محترفاً.

والآن ينبغي ان يكون مفهوماً انه اذا ما كان (روبرت) يمثل (روبن الاسطوري) وأنه قد اتخذ له مأوى في الغابة معتاشاً على الغزلان فمعنى ذلك انه كان يعرض نفسه لعقوبات جسيمة.

وقد صرح (وليام الفاتح) عندما جلب النورمنديين الى انكلترا بأن الغابات (التي كانت تغطي ثلث الارض) كانت من املاكه وأن اي مزارع يقتل غزالاً يعرض نفسه لعقوبة سلخ جلده حياً. وقد عانى السكسونيون تحت حكم (وليام) ما عانت الدول المحتلة من قبل النازيين في الحرب العالمية الثانية. وبعد قرنين ونصف كان النورمانديون يعتبرون انفسهم انجليزاً، وقد توقف استخدام اللغة الفرنسية في انكلترا ولكن كانت القوانين ما تزال قاسية. وقد خففت (قوانين الغابات) حيث لم تعد تقطع ايدي الانسان وشفتيه بسبب اصطياده غزالاً في منطقة محرمة. ولكن العقوبة كانت ما تزال غرامة باهظة الثمن والحبس لمدة سنة وضمانات للتصرف بسلوك حسن في المستقبل، واذا لم يجد من يضمنه فقد كان يتوجب عليه ان يترك المملكة الى الابد.

لقد حدثت معركة (بورو بريدج) في السادس عشر من مارس عام ١٣٢٢ بالقرب من نهر (اوري) في يوركشاير وقد قامت قوة راجلة من الرجال المسلحين والنبالين بصد الفرسان ثم ظهر جيش ملكي آخر من وراء المتمردين واجبروهم

على الاستسلام. والقي القبض على (لانكستر) وحوكم، وقد كشفت شهادته بأنه كان يعتزم ان يعقد تحالفاً مع (روبرت ذي بروس) العدو القديم للملك. قطع رأس (لانكستر) الذي هو ابن عم الملك وحرم (روبرت هود) من بيته فاصبح خارجاً عن القانون في غابة الملك. ولكن اذا ما كان (وولكر) صائباً في تحديد هوية (روبرت هود) الذي هو من مدينة ويكفيلد باعتباره (روبن هود)، فانه لم يكن خارجاً عن القانون لمدة طويلة. ففي ربيع السنة التالية قام الملك برحلة ملكية عبر شمال انكلترا وقد وصل الى يورك في الاول من مايو. وقد بقي الملك في روثويل الواقعة بين ويكفيلد و ليدز للفترة من السادس عشر من مايو وحتى العشرين منه. وقد قضى ثلاثة ايام للصيد في حديقة (بلومبتون) في غابة (كنيز سبورو). وتذكر حكاية (ليتل) هذه الزيارة كجزء من قصة (روبن هود) وتصف كيف (اتى الملك الى حديقة بلومبتون وافتقد العديد من غزلانه)، حيث كان الملك معتاداً على رؤية قطعان الغزلان، اما الآن فلم يجد سوى غزالاً واحداً (كان يحمل قرناً قوياً) مما جعل الملك يقسم بالثالوث الاقدس(اتمنى لو اضع يدي على روبن هود).

واستناداً الى هذه القصيدة الغنائية فقد اوحى احد حراس الغابات ان الملك لا بد وانه قام بالتنكر بهيئة رئيس دير الرهبان وانطلق عبر الغابة الخضراء مع زمرة من الرهبان. وكانت الخدعة ناجحة حيث اوقف روبن ورجاله (رئيس دير الرهبان) ولكنهم استطاعوا ان يميزوه وعرفوا انه الملك. وقد وجد الملك ان (روبن) جدير بأن يحب فدعاه الى ان ينضم الى الاسرة الملكية كوصيف في حجرة النوم الملكية. استمر الملك في رحلاته حتى فبراير عام ١٣٢٤ اذ عاد الى ويستمنستر. وتشير حسابات الاسرة المالكة لشهر ابريل الى دفع اجور الاشهر الماضية الى (روبن هود) وثمانية وعشرين آخرين، حيث ان الدفع الاول لـ(روبن هود) كان في يونيو الماضي. وتخبرنا القصيدة الغنائية ان (روبن) طلب الاذن من

الملك للعودة الى بارنسديل بعد ان قضى ما ينيف على السنة في خدمته. وتشير حسابات الاسرة المالكة لشهر نوفمبر عام ١٣٢٤ الى ان (روبن هود) الذي كان يشتغل (وصيفاً) في حجرة النوم فيما مضى قد اعطي خمسة شلنات (لانه لم يعد قادراً على العمل). وتقول القصيدة الغنائية ان روبن طلب من الملك المغادرة للعودة الى بارنسديل. وقد اعطى له الاذن للبقاء فيها سبعة ايام. ولكنه لم يعد وقام بدلاً من ذلك باعادة تجميع رجاله المرحين وعاش في الغابة الخضراء اثنتين وعشرين سنة اخرى. واذا كان ذلك يستند الى الحقيقة فلا بد انه توفي عام ١٣٤٦ على وجه التقريب اي في منتصف عقده السادس. وقد اخذ حظ الملك بالتعثر بعد مغادرة (روبن) فقد قام باستدعاء (آل دسبنسر) المنفيين وقد اصبح اصغرهم مقرباً لدى الملك مما أثار اشمئزاز ملكته التي فرغت لتوها من مكافحة (بيرس غامستون) السابق. لقد كانت امرأة فرنسية وابوها (فيليب ذي فير) وبدأت تولي اهتماماً رومانسياً للشاب البغيض الطموح البارون (روجر دي مورتايمر)، الذي زج في القلعة لمعارضته (آل ديسبنسر). لقد اصبحت الملكة (ايزابيلا) خليلته ومن المحتمل انها هي التي خططت لهروب مورتايمر، ففر الى باريس وانضمت اليه هناك وهي في مهمة رسمية لاجل الملك. وقد نزلا في اورويل في سوفلك مع جيش من ثلاثة الاف جندي. وعندما سمع الملك بالاخبار فر هارباً والقي القبض عليه وسجن في قلعة(بيركلي) واجبر على التنازل عن العرش، وقد توج ابنه (ادوارد الثالث) الذي يبلغ من العمر خمسة عشر عاما. وفي ليلة الحادي والعشرين من سبتمبر عام ١٣٢٧ دوت صرخات رهيبة من القلعة. وقد اعلن في الصباح التالي ان الملك قد مات (لاسباب طبيعية). ولم تكن هناك علامات على جسده ولكن قيل ان ملامح وجهه كانت ما تزال تتلوى من الالام المبرحة، ويبين العرض التاريخي للثلاثين سنة التالية ان ثلاثة سفاحين قد دخلوا الى زنزانته عندما كان نائماً. وقيدوا النصف العلوي من جسمه بمنضدة ثم قاموا بادخال قرن مجوف في فتحة الشرج ثم استعملوا قضيباً حديدياً

متوهج الحرارة لحرق احشاء الملك.

لقد حكم (مورتايمر وايزابيلا) انكلترا كاوصياء على العرش لمدة اربعة اعوام. ثم فرض الملك الشاب على الآخرين الاعتراف بمركزه وقام باعتقال (مورتايمر)في قلعة نوتنغهام وقام باعدامه في تايبورن بتهمة الخيانة. وقدقاد الملكة الى الجنون فقدان حبيبها، ولكنها استردت حظوتها وعاشت لثمان وعشرين سنة اخرى.

ومن الممكن بالطبع ان نتصور ان (روبن هود) الذي عاش في فترة حكم (ادوارد) ليس له ارتباط بالخارج عن القانون الاسطوري في غابة(شيروود). وثمة مرجع تحت عنوان (من هم على ذمة التاريخ) يقول بانه كان حياً يرزق عام ١٢٣٠ في فترة حكم هنري الثالث على اساس ان ما مدون يظهر لنا ان عمدة يوركشاير قد باع ممتلكاته في تلك السنة (مقابل اثنين وثلاثين شلناً وستة بنسات) عندما اصبح خارجاً عن القانون ولكن نفس المرجع يعترف ان (روبن هود) الذي هو من مدينة ويكفيلد كان مناضلاً بارعاً ايضاً. وهناك ما يمكن ان يقال عن هذا التاريخ المبكر، اذ اعطى لاسطورة (روبن هود) الوقت الكافي لانتشارها خارج انكلترا. ولكن هناك الشيء الكثير ايضاً ليقال عن (روبن هود) الذي هو من مدينة ويكفيلد. فاذا كان قد اصبح خارجاً عن القانون في عام ١٣٢٢ كنتيجة لعصيان (لانكاستر)فهذا يعني انه قضى سنة واحدة فقط في غابة شيروود قبل ان يعفو عنه الملك. وتبدو قصة العفو عنه من قبل الملك الشاذ جنسياً حقيقية بشكل اكيد على اعتبار انه اعطاه وظيفة وصيف في حجرة النوم. ومن الطبيعي ان نخمن انه ربما وجد ان واجباته في حجرة النوم قد اصبحت اكثر مما كان يتوقع، على الرغم من ان الشاب (هوف لي دسبنسر) (الذي اعدمه مورتايمر وايزابيلا في عام ١٣٢٦) كان هو المقرب لدى الملك في ذلك الوقت.

لذلك فقد عاد (روبن) ادراجه الى الغابة الخضراء واصبح بطل الاسطورة ولا نعرف فيما اذا كان قد اصبح العدو الرئيسي لعمدة نوتنغهام. ولكن العمدة (وهو ما يقابل المسؤول الرئيسي عن الامن في المدينة في ايامنا هذه) كان مسؤولاً عن الامن والنظام في نوتنغهام شاير وجنوب يوركشاير، ولا بد انه استاء من زمرة الخارجين عن القانون الذين كانوا يعتاشون على غزلان الملك. وتنص احدى الاحداث التاريخية على ان (روبن) كان يمتلك ايضاً ملاذا في مكان اصبح يعرف بـ (خليج روبن هود) ويمتلك سفناً تساعده على الهروب الى البحر (وقيل ايضاً انه كان يقوم بعملياته في مناطق بعيدة خارج الوطن مثل كومبرلاند).
ولو ان محاولة جماعية قد شنت للتربص به فربما نجحت في اصطياده. ولكن معظم القرويين والفلاحين المالكين لاراضيهم كانوا الى جانب روبن. وكانت يومئذ غابات انكلترا ارضاً مشاعة. ولا بد ان الفلاحين نصف الجوعى قد شعروا انه من غير المعقول ان تخصص الاف من الاميال المربعة في الغابة لغرض صيد الملك في الوقت الذي لم يستفد الملك من جزء صغير من تلك المنطقة. ولكن كان ثمة سبب آخر جعل روبن يقوم بفعالياته دون معارضة قوية، فعندما كان في القصر لا بد انه قابل الصبي ذا الاربعة عشر عاما الذي اصبح فيما بعد(ادوارد الثالث)، وكان(ادوارد)في العمر الذي يجعله ينظر الى الخارج عن القانون المشهور بنظرة اعجاب. وهذا مجرد تخمين ولكنه دون ريب يفسر لنا لماذا سمح لـ(روبن) ان يصبح اللعنة الاسطورية على السلطة في العقود الاخيرة من حياته. ولكن السلطة لها طرقها في توجيه الضربة من الخلف، فاستناداً الى مخطوطة (سلون) اصبح (روبن) مريضاً فذهب الى ابنة عمه رئيسة دير (كيركليس) للراهبات لتسحب منه الدم وهو الاجراء المتبع في تلك الايام لمعالجة اي مرض. وقد قررت ان تأخذ بثأر العديد من رجال الكنيسة الذين قام بسرقتهم فجعلته ينزف حتى الموت. وتقول رواية اخرى انها وشت به نزولاً لرغبة حبيبها (السير روجري دونكاستر). وينص مصدر آخر على ان الرجل المسؤول عن موت

(روبن) كان راهباً طلب منه ان يكون مرافقاً له وقد وجد انه من الافضل للخارج عن القانون ان يموت. وقد دفن (روبن) في ارض دير الراهبات. ويبين العرض التاريخي لغرافتون (١٥٦٢) انه دفن تحت صخرة عليها كتابة محفورة. وقد ورد بعد قرن في عرض تاريخي آخر ان قبره المتكون من صليب اعتيادي على صخرة ملساء يمكن رؤيته في المقبرة حيث قام الدكتور (ناثانيل جونستون) عام ١٦٦٥ برسمه وقد ورد ايضاً النقش المحفور على صخرة القبر في كتاب (النصب القبرية) لمؤلفه (غوغ). ولكن في بداية القرن التاسع عشر قام بعض العمال غير الماهرين بتحطيم الصخرة عند بنائهم سكة حديد.

ويقال انهم كانوا يؤمنون بأن شظايا الصخرة تستخدم كعلاج لآلام الاسنان. وبهذا فان الأثر الاخير لوجود (روبن هود) الحقيقي قد اختفى. ولكن قبر رئيسة دير الراهبات قد اكتشف في ذلك الوقت من بين انقاض دير الراهبات وقد كان فيه بعض الشبه من قبر (روبن هود) بالاضافة الى انه يشير الى اسمها (اليزابيث ستينتون).

واهمية (روبن هود) الحقيقية تتأتى من كونه عاش في قرن كان فيه الفلاحون قد بدأوا يشعرون بالاستياء المتصاعد من حولهم، الاستياء الذي ترجم الى مبادىء (جون بول) الثورية والذي فجر ثورة الفلاحين عام ١٣٨١ بعد فترة وجيزة من الاشارة الى (روبن هود) في مطبوعات (لانغلاند). وبصورة عامة تعتبر ثورة الفلاحين مؤشراً لنهاية العصور الوسطى. ولكن بامكاننا ان نرى من خلال القصائد الغنائية عن (روبن هود) ان الحالة العقلية المعروفة بالعصور الوسطى توشك على الانتهاء.

سانت جيرمين الخالد

ما زال الكثير من السحرة يعتبرون (سانت جيرمين) الخالد من أكثر الشخصيات اثارة وغموضاً في تأريخ السحر، ويعتقد البعض انه ما زال على قيد الحياة. بيد ان كل من كتب عنه خلص الى الحيرة عن ماهية اسراره ان كانت مسألة لغز ام مجرد حيرة.

وبقيت هذه القضية معلقة لأن ملفه الكبير الذي جمع بأمر من (نابليون الثالث) قد اتلف في فترة الكميدن. وقال احد المؤرخين: «هكذا تخدم الصدفة ثانية القانون القديم الذي يقتضي ان حياة المبدع يحيطها الغموض دائماً». عندما ظهر الكونت (سانت جيرمين) (اعترف ان الاسم مزور) اول مرة في فرنسا في حوالي عام ١٧٥٦ كان يبدو بعمر الخمسين، ومتحدثاً بارزاً يجيد العديد من اللغات ومطلعاً بأمور الطب وكيميائياً مجرباً من الطراز الممتاز، كان نحيلاً يرتدي مخملاً اسوداً ذا ربطة عنق نسيجية بيضاء (ميزة لضبط النفس بالنسبة لملابس كبار الرجال آنذاك) وان اساليبه كانت في غاية الاتقان. كان الثراء واضحاً عليه اذ انه يرتدي الجواهر وبرفقته الكثير من الخدم المهذبين جيداً. وعندما قال مشكك لأحدهم: «سيدك كذاب»، أجابه الخادم:

«أعرف هذا أكثر منك فهو يقول للجميع ان عمره اربعة آلاف سنة ولكنني في خدمته منذ مئة سنة لا غير وعندما أتيت أخبرني أن عمره ثلاثة آلاف سنة وأنا لا اعرف إن هو أضاف تسعمائة سنة سهواً او انه كان يكذب». وعندما سئل خادمه المسؤول عن تنظيف الملابس عن بعض أمور التاريخ القديم أجاب:

«ربما ينسى الكونت انني كنت في خدمته منذ خمسمئة سنة فقط». يبدو من هذا انه كان محتالاً بارعاً او مجرد دجال ولكن من غير الواضح ما كان يروم الحصول عليه. اذن فهو مترف وعازف كمان ممتاز ورسام ماهر وذو معرفة واسعة بالموسيقى والرسم وكان يستطيع تشخيص أكثر الرسوم بمجرد نظرة عابرة. يبين (اندرو لانك) في كتابه (الالغاز التأريخية) ان (سانت جيرمين) هو ابن (ماري دي فيبرغ) ملكة اسبانيا التي عاشت في بايون في اعقاب وفاة زوجها (شارلس الثاني) وانه من الممكن ان يكون عشيقها (الكونت انديرنو) وزير المالية والد (سانت جيرمين). كان (سانت جيرمين) في فينا قبل ذهابه الى فرنسا حيث التقى بالمارشال (دي بيل -آيل) الذي كان يعاني من مرض اثناء قيامه بحملة في المانيا فعالجه (سانت جيرمين) فاصطحبه معه الى باريس. عالج بعد ذلك سيدة في البلاط بسبب تناولها الفطر السام وأصبح صديقاً لمدام(دي بمبارو) زوجة (لويس الخامس عشر). اكتشفت سيدات البلاط انه شخص مخادع واعتقدت الكونتيسة (فون كيركي) التي كان زوجها في فينا في حوالي عام ١٧١٠ انها تذكرت اسم (سانت جيرمين) وسألته ان كان ابوه هناك فأجاب انه كان هناك ذلك الوقت. اجابت الكونتيسة ان هذا الأمر مستحيل فالرجل الذي تعرفه كان عمره في الأقل ٤٥ عاماً ذلك الوقت فابتسم (سانت جيرمين) بغموض وقال: «انا طاعن في السن».

وأضاف تفاصيل عن فينيسيا الأمر الذي اقنع الكونتيسة انه كان يعرف عما يتحدث فأردفت قائلة: «انت شيطان لا ريب».

في هذه اللحظة ارتجف (سانت جيرمين) وتضايق وأسرع في مغادرة الغرفة. بعد ذلك بعشر سنين كان (سانت جيرمين) في لندن والقي القبض عليه في عام١٧٤٥ بتهمة التجسس لصالح (اليونغ بريتندر) الذي كان يقوم بمسيرة في ديربي: اشار هوراس دالبول في رسالته:

«القينا القبض في اليوم التالي على شخص غريب يدعي انه الكونت (سانت جيرمين). كان هنا منذ سنتين ولم يشأ ان يخبرنا من هو ومن أين قدم.... انه يغني ويجيد عزف البيانو ويؤلف ومجنون وليس شديد الحساسية، يدعي انه ايطالي واسباني وبولندي، متزوج من امرأة ثرية وفر بجواهرها الى اسطنبول، قس، نصاب، نبيل. شك فيه امير ويلز بدون سبب»

لم يعرف اي مخلوق مكانه في الفترة ما بين عام ١٧٤٥ وعام ١٧٥٥، ولكنه كان حديث باريس في اواخر الخمسينات، كتبت (مدام دي هوست): «كان يتردد علينا في الغالب رجل داهية.. انه الكونت (سانت جيرمين) الذي كان يأمل ان يصدقه الناس انه عاش لقرون عدة. سألته (مدام دي بمبادور) وهي في كامل زينتها:

- اي طراز من الرجال كان فرانسيس الاول؟

فأجابها سانت جيرمين بغضب:

- طيب القلب، لقد اسديت له بعض النصح ولم يأخذ بها.

ومن ثم بدأ بوصف جمال(ماري ستيوارت) و(لارين مارغريت) فقالت له:

- يبدو أنك شاهدت هؤلاء كلهم.

فأجاب (سانت جيرمين):

- انني احياناً احس بالدهشة لا لأن الناس يصدقون انني اعيش منذ سالف الأزمان ولكن بالسماح لهم بأن يفعلوا ذلك.

ثم سألته (مدام دي بمبادور) عن (مدام دي كيركي) التي اعتقدت انها تعرف (سانت جيرمين) منذ خمس واربعين سنة خلت فقال:

«قد يكون هذا صحيحاً ولكني اعترف ان الاحترام الذي تحظى به المرأة

يعظم وهي في ارذل العمر». يتضح من هذا ان (سانت جيرمين) كان يهزأ بالحكايات عن عمره الطويل ولم يحاول في الحقيقة خداع (مدام دي بمبادور).

كما قام وزير خارجية الملك (وكدي شوازيل) بتاجير محتال ينتحل شخصية (سانت جيرمين) في منتديات باريس ليجعله اكذوبة من خلال القيام بادعاءات واهية مثل انه كان صديقاً حمياً لـ(سانت آنا) ام السيدة مريم العذراء او جمل معينة مثل (كنت اعرف دائماً ان نهاية السيد المسيح ستكون سيئة). ولكن ما الذي نعرفه في الواقع عن (سانت جيرمين)؟

ان الخط اليدوي للرسالة كتبها عام ١٧٣٥ تثبت انه كان في هاغ في تشرين الثاني (نوفمبر) من هذه السنة دون ان يفصح عن السبب. كان عمره آنذاك نحواً من الخامسة والعشرين ونعرف انه كان في انكلترا منذ عام ١٧٤٣ وحتى عام ١٧٤٥ والقي القبض عليه بتهمة التجسس. ان القصة التي نشرتها السيدة (كوبر اوكلي) في كتاب عنه تقول ان شخصاً ما كان يغار منه(بسبب خصام حول امرأة) قد دس في جيبه رسالة تفضح خيانته والقي القبض عليه ولكنه اثبت براءته. وفي عام ١٧٥٥ كان يعيش في فينيسيا برفاهية اذ اصطحبه (المارشال دي بيل-آيل) الى باريس وحيث -كما أشير آنفاً- ان حديثه وثقافته الواسعة جعلته مرغوباً في المنتديات. ادعى انه كان يقتات على بعض الغذاء وكان يجلس الى موائد العشاء دون ان يتذوقها. وفي الحقيقة فإن أعظم اهتمام له قد انصب في الكيمياء ويتضح انه قد اكتشف بعض العمليات لصبغ الحرير والجلد المدبوغ.

اخبر الملك ان باستطاعته ازالة العيوب من الجواهر، وسافر وفي جعبته حجر يقدر بستة آلاف فرنكاً وعندما عاد بعد شهر ومعه الحجر خال من اي عيب قدر الجواهري ان سعره عشرة آلاف فرنكاً. من الواضح انه استبدل الحجر بآخر وحظي بذلك على رضا الملك بمبلغ أقل من اربعة آلاف فرنكاً. ونتيجة لذلك

أنشأ الملك مختبراً في ترايتون وعين (سانت جيرمين) في قلعة جامبورد لمواصلة عمليات الصبغ، فالملك كان يأمل ان ذلك سيعود بالمحصلة بمبالغ كبيرة لخزينة الدولة التي كانت بحاجة ماسة للتمويل ثانية. لقد اصبح مقرباً جداً من (لويس) بحيث كتب (دوق دي شوازيل) بتحسر: «من الغريب ان الملك يسمح في اغلب الاحايين الى الانفراد بهذا الرجل على الرغم من انه عندما يخرج يحيطه الحرس......». وأشار الى أن (سانت جيرمين) هو ابن يهودي برتغالي.

أرسل الملك (سانت جيرمين) عام ١٧٦٠ الى هولندا في مهمة ديبلوماسية، وكانت هذه المهمة على الرغم من سريتها بين الوزراء تهدف لمناقشة محادثات السلام مع انكلترا، اذ ان الملك كان يأمل في تخلي بريطانيا عن حليفتها بروسيا. اكتشف (سانت جيرمين) انه كان ينزل معه في نفس الفندق مغامرمسلٍ آخر يدعى (كازانوفا) الذي كان يروم التفاوض للحصول على قرض لفرنسا وتعارفا وأيقن (كازانوفا) ان (سانت جيرمين) كان دجالاً. يقول في مذكراته: «الرجل الغريب الذي فوضته الطبيعة ليكون ملكاً للسحرة والدجالين يدعي ببساطة وحزم انه عاش لمدة ثلاثمائة سنة وأنه يعرف أسرار الطب الشامل ويمتلك سيادة على الطبيعة، وعلى الرغم من أكاذيبه السافرة وتبجحاته وتناقضاته المتشعبة،لا أستطيع القول انه شخص عدائي». مع ذلك اغتنم (كازانوفا) الفرصة لتحطيم (سانت جيرمين) عندما أرسل حكيم فريقاً من (الكابال) ليحذره. كشف (دوق دي شوازيل) في تلك الأثناء المؤامرة، فرفض السلام وأمر بالقاء القبض على (سانت جيرمين) وارساله الى الباستيل، الا ان السفير الهولندي اسدى النصح لـ(سانت جيرمين) الذي استقل المركب التالي الى لندن. احرج (لويس) عندما اعترف انه هو وبيل آيل كان سبب رحلة (سانت جيرمين). لقد نجح أعداء (سانت جيرمين) في الاطاحة به، وإن عدم لباقته وسذاجته لعبا دوراً في ذلك. لقد صادق العديد من غير الموثوق بهم،وأخبرهم عن رحلته،قابل السفير الالماني

في انكلترا وأراد اللحاق بـ (فريدريك العظيم) في ساكسوني فكتب السفير على عجل لوزير خارجية بروسيا يحثه على بذل اقصى الجهود لاعاقة رحلة (سانت جيرمين) لأنه متهور بشكل خطر مما قد يقنع الملك باتخاذ اجراءات رادعة جمة، ويبدو انه لم يشكك في مقدرة (سانت جيرمين) في التأثير. يتضح أن (سانت جيرمين) أجبر على العودة سراً الى هولندة وباع ممتلكاته مدعياً انه (الكونت سيرمونت)، فلقد كان بحاجة الى المال ودفع قسطاً واحداً من ثمن البيع. وصفه السفير الفرنسي انه غير أهل للثقة تماماً. وفي كوبنزل وجد لنفسه زبوناً آخر -او مغفلاً- وهو وزير خارجية هولندا في النمسا الذي كان يروم استثمار عمليات (سانت جيرمين) الكيميائية في مصانع في (تورني).

أخبر هذا بدوره (كونتز) المستشار النمساوي بشتى ضروب المعجزات مثل تحويل المعادن القاعدية الى ذهب وصبغ الحرير والمواد الاخرى ذات الالوان الزاهية ودبغ الجلود لانتاج جلود ناعمة رائعة. دهش كوبنزل (سانت جيرمين) واضاف: «الشيء الوحيد الذي استطيع ان اوجه له اللوم عليه هو المديح المتكرر لمواهبه ومنشئه». وعلى الرغم من ان (كوبنزل) قد تغيرت فكرته حول شخصية العبقري فلم يشك البتة بالقيم التجارية الكبيرة لهذه العمليات فأنشأت المصانع في (تورني) وخطط (سانت جيرمين) لسرقة مئات الآلاف من (الجيلدرات) للاسرار التي وعد بمنحها مجاناً ورحل دون ان يحصل على الاسرار الموعود بها، واستمرت المصانع بتأدية عملها بشكل جيد. نستنتج من هذا ان طرق (سانت جيرمين) كانت رائعة بما فيه الكفاية.

كانت نشاطات (سانت جيرمين) في العقد التالي مجهولة ولكنه ادعى شخصياً انه كان في الهند مرتين واشترك في الحرب الروسية - التركية في البحر المتوسط (١٧٦٨- ١٧٧٤) ومضى الى شارع (بيتر سبرينغ) وصادق (الكونت الكسي اورلوف) قائد الحملة الروسية الى (الأرشيبيلاغو). اصبح شرابه المفضل

الشاي المصنوع من السينابودا (خليط معقد) يعرف بالشاي الروسي وجهز بكميات كبيرة الى البحرية الروسية لأسباب مجهولة.

ورقي (سانت جيرمين) الى رتبة جنرال روسي وعاش في عام ١٧٧٤ في سواسباش في آنسباش حيث وجد لنفسه زبوناً جديداً وهو (شارلس الكسندر مارغريف براند تبرغ). احرج المرغريف عندما مضى هو و(سانت جيرمين) للقاء ارلوف الذي عانق (سانت جيرمين) بحرارة. بعيد ذلك اصبح (سانت جيرمين) ضيف (المارغريف) في قصره في تريستودورف حيث يعيش هناك بهدوء ويواصل تجاربه، وسمى نفسه (الكونت تزاروكي). بيد أن رغبته في التأثير والدهشة جعلته يخبر مضيفه انه كان حقاً (راكوزي امير ترانسلفونيا). ولكن وعندما زار (المرغريف) ايطاليا في السنة التالية وشرع بسرد القصص عن ضيفه المدهش علم أن الابناء الثلاثة للعائلة الحاكمة في ترانسلفانيا قد فارقوا الحياة، فبدا ضيفه وكأنه (سانت جيرمين) المحتال الذي كان في الحقيقة ابن محصل الضرائب في (سانت جيرمينو). كتب (جيمنغن) وزير (انسباش) الذي ارسل لمكاشفة (سانت جيرمين) ان (الامير راكوزي) لم ينف انه سمى نفسه (سانت جيرمين) واستعار بأسماء في أكثر من مناسبة للتخلص من اعدائه ولم يسأ التصرف لأي اسم منها. كان هذا حقيقة وأقر المرغريف ان ضيفه قد تصرف بهدوء وكياسة ولم يحاول قط مشاطرته المبالغ الكبيرة. مع ذلك طرد المرغريف هذه الاحلام وأراد رؤية (سانت جيرمين) ثانية.

شرع (سانت جيرمين) عام ١٧٧٦ وهو في منتصف الستينات من عمره بزيارة برلين وهامبورغ، ومن ثم الى برلين املاً في لقاء (فريدريك العظيم) ولكن الملك لم يشأ التعرف بهذا المغامر الكذاب. أخيراً وجد (سانت جيرمين) شريكاً آخر له وهو (شارلس) امير هيسكاسيل الذي كان بارداً وغير راغب بالعمل معه ولكنه انجرف تدريجياً لاغراء (سانت جيرمين) وحماسه ولم يراوده اي شك عن

ادعاءه انه (الامير راكوزي) وانه نشأ عند عائلة مديسي وأن عمره ثمانية وثمانون عاماً. انشأ مصنعاً لـ (سانت جيرمين) في ايكنفورد في سوسلبخ- هولشتيز وقضى المغامر آخر سنواته بسلام معانياً بين الفينة والاخرى من الروماتيزم والكآبة الى ان وافاه الاجل في شباط (فبراير) عام١٧٨٤. وقال (الامير شارلس) في رثائه: «احد اعظم الحكماء الذين خلدوا ابد الدهر».

حالما توفي (سانت جيرمين) روجت اشاعات مفادها انه على قيد الحياة، ونشرت صحيفة في اليوم التالي تتوقع عودته قريباً. اقتنعت المدام(دي جينس) انها شاهدته في اواخر عام ١٨٢١ في فينا.

نشرت الكونتيسة (دي ادهيمار) التي كانت على مقربة من بلاط فرساي في اواخر ايام الملكية كتاباً بعنوان (الذكرى) عام ١٨٣٦ ادعت فيه انها شاهدت (سانت جيرمين) في اواخر عام ١٧٩٣ وحذرها من وفاة (ماري انطوانيت). اخبرها انها ستراه خمس مرات وان لا تأمل في رؤيته المرة السادسة، وتدعي انها شاهدته خمس مرات بين ذلك الوقت وعام ١٨٢٠. ويؤكد (ج. ب. فولز) الذي قام بالتحقيق عن حياة (سانت جيرمين) في عام١٩٢٠ ان الكونتيسة غير موجودة وأن كتابها ضرب من الخيال. يدعي (فرانز كرافر) في مذكراته لعام ١٨٤٥ انه شاهد (سانت جيرمين) واعلن انه سيظهر في الهيملايا مع انصراف القرن. هذا الادعاء حدا بمدام (بلافاتسكي) لضمه في كتاب (سادة السر) في التبت والاشارة اليه باحترام في مبدأ السر ولكن (فرانز كرافر) في مذكراته يعتقد انها مزورة. من ناحية اخرى تجشمت(مدام بلافاتسكي)عناء السفر لزيارة(الكونتيسة دي ادهيمار) عام ١٨٨٥ بينما اكتشفت السيدة (كوبر اوكلوي) التي ظهر كتابها عن (سانت جيرمين) عام ١٩١٢ ان هنالك العديد من الوثائق التي تخصه بحوزة عائلة (ادهيمار). ظهر في التلفزيون الفرنسي في اواخر شباط (فبراير)١٩٧٢ شاب يدعى (ريتشارد جانفري) متزعماً انه (سانت جيرمين) وحول الرصاص الى ذهب

باستخدام مرجل. وبعد دراسة الادعاءات والادعاءات المضادة ما الذي تقوله عن رجل السحر؟

أولاً -وللأسف- لا يمكن ان نحمل دعواه محمل الجد، وحتى اذا كان سفير بروسيا صائباً عندما قال: ان مبعث تقنيته هو زهو مبالغ فيه. وليس ثمة ادنى شك ان (سانت جيرمين) كان عديم الجدوى وثرثاراً -ان الكثير من معاصريه يجدون ان هذا التعليق غير حقيقي- لكن رجلاً ما قد يكون عديم الجدوى وثرثاراً وعبقرياً بنفس الوقت (مثال على ذلك برنارد شو الذي يدخل في الحال الى خلجات التفكير).

من الواضح تماماً ان (سانت جيرمين) عبقري متحمس وذو مستوى غير اعتيادي من المواهب. انه نفسه لم يدع الحكمة او دراسة السحر وانما اصر انه شخص اعتيادي ورغبته لفائدة البشرية.

وجد(ريديرت) و(دي المبرت)منه مثالاً لموسوعتهما. اللغز الحقيقي لـ(سانت جيرمين) انه كان عبقرياً ودجالاً في آن واحد، ويمتلك ما نسميه الآن بحاسية الان للاعلان متطورة جداً، ورغبته في الاثارة والدهشة والاحتيال. هذا الامر بحد ذاته يبرهن انه ليس كما ادعى،فهو ليس آخر فرد حي من (عائلة ترانسلفانيا المالكة)، فالتفاصيل الدقيقة معروفة حول آخر الافراد الثلاثة الاحياء.

ان هذه المعلومات تبين ان (سانت جيرمين) قد ولد في ظروف تعسة للغاية وأنه قضى معظم طفولته وشبابه يحلم بارتقاء سلالم المجد والشهرة. ان سجلات الدجل مليئة بـ(وولتر متي) و (بيلي المبارز)،ولكن من الصعب العثور على محتال ولد في قصر او بيت للرئاسة. لذا تعتبره الآن انه ليس الابن اللقيط لملكة اسبانيا.

من الواضح انه وفر لنفسه تعليماً جيداً، وكانت الكيمياء عشق حياته. ولو اختلفت الظروف لكان قد اصبح لافوازيه او روبرت بويل او ميشيل فارادي. ان اشراقته الطبيعية قد جعلته يزدري -بذكاء- معاصريه. وعندما ادعى ان عمره ثلاثة الاف سنة او عندما لمح بمعرفته بـ(فرانسيس الاول)ربما ناجى نفسه، انه كان يسخر من البلاهة البشرية. الغموض الوحيد هو مصدر امواله عندما ادعى انه امير لما كان يبدو انه رجل شريف (اذا ما استثنينا بعض قضية تورني) فان الاجابة على ذلك انه قد حول الابحاث الكيميائية نحو الاستخدام التجاري، والا فمن المخيب للآمال الاستنتاج ان رجل السحر او سيد السحر كان مجرد كيميائي صناعي مبدع، ولكنها النظرية الوحيدة التي تنسجم والحقائق التي نعرفها.

من هو شكسبير؟

اعلن احد نبلاء الطبقة المتوسطة في ستراتفورد (آيون آفون) ان مستهل عام ١٦١٦ كان ايذاناً لكتابة وصيته، وبعد ذلك بأشهر قلائل اي في نيسان توفي بعد ان اثقل بالشرب مع صديقيه كاتبي المسرحيات اللندنيين (بن جونسون) و (ميشيل دريدون). بعدها طوى النسيان هذا الكاتب تقريباً لكن بعد سبع سنوات على رحيله شيد له في كنيسة الأبرشية نصب تذكاري. بعدها قام الأثاري (السير وليم دكديل) الذي كان مهتماً بشعائر الحرب برسم صورة فنية عام ١٦٥٦ لهذا النبيل في كتابه (آثار دورروكشير).

اظهرت هذه الصورة ملامح غير دقيقة لرجل ذي شارب مفتول ويدين متدليتين في سترة صوفية وهو رمز التجارة. لقد عرفت قلة قليلة من ستراتفورد ان هذه الطلعة الخالدة لرجل التجارة كانت للكاتب والممثل المسرحي المشهور الذي انجز مسرحياته قبل الملكة (اليزابيث). وبعد ذلك بأكثر من قرن اي في عام ١٧٧٠ عاد رجل ديني يدعى(جيمس ولموت) الى قريته روروكشيد وكرس حياته الباقية لدراسة كاتبيه المفضلين (فرانسس بيكون) و (وليم شكسبير).

كان رئيساً لقرية بارتون التي تبعد ستة اميال عن ستراتفورد وشرع بتحقيقاته لإيجاد ثمة قصص وعادات للكاتب والممثل العظيم مازالت تنبض بالحياة في قريته الأم. لم يعرف اي مخلوق عنه شيئاً ولكن (ولموت) استنتج من دراسته لمرحيات شكسبير انها لكاتب يزخر بالمعرفة الواسعة ويمتلك لذلك مكتبة ضخمة. ولأكثر من سنوات قام بتحقيقات مضنية في المنطقة وتحرى في المكتبات الصغيرة مسافة خمسين ميلاً في الجوار فلم يعثر على اي شيء حتى على كتيب يعود لشكسبير. وفي نهاية المطاف دهش (ولموت) بسبب استنتاج مذهل: ان من

يسمى بـ (شكسبير) ليس بمؤلف المسرحيات التي تنسب اليه وان الرجل الذي يمتلك كل مؤهلات الكتابة هو مؤلفه المفضل الآخر (فرانسس بيكون) ارتاع (ولموت) لهذا الاستنتاج في ذلك الوقت الذي كان فيه نجم شكسبير يتألق كأعظم كاتب مسرحي انكليزي وارتأى ان يكتم هذا الاستنتاج. ان هذا الأحتراس قد تلاشى بعض الشيء بعد ذلك الوقت بثلاثين عاماً اي بعمر الثمانين عندما زاره صديق من ابسويج عام ١٨٠٣ وافشى (ولموت) سره الخطير. لقد كان الصديق (جيمس كوول) يبحث عن حياة (شكسبير) اذ انه وافق على قراءة وثيقة تخص هذا الكاتب امام تجمع الفلاسفة المحليين ولم تنشر بعد اي سيرة ذاتية عنه. دهش (كوول) لذلك واقتنع بعض الشيء، بعد ذلك بسنتين قرأ وثيقة (شكسبير) واخبر اتباعه المذهولين عن القس العظيم ونظرياته المحذرة. اصيب فلاسفة (ابسويج) بحيرة وربما سمع (ولموت) عن ردود فعلهم ومع ذلك ترك في وصيته تعليمات تقتضي بحرق كل وثائق (شكسبير)وان ينفذ هذا في حينه. ظلت محاضرة كوول مبهمة اكثر من قرن حتى وصف طالب شكسبيري مثابر (ولموت) في (التايمز لتروي سبيلمنت) بأنه(ابن بيكون البكر). لم يعتبر البروفسور (الرديس نيكول) ذلك شكوى، بل اعتبر مؤيدي النظرية البيكونية للتأليف الشكسبيري انهم مهوسون. ولكن لماذا يتوصل المرء الى استنتاج غريب كهذا؟ ولم لا يكون سيد ستراتفورد (ابون آفون) هو مؤلف هاملت والملك لير كما افترض اكثر الناس؟في الحقيقة ان هذا الأفتراض ليس بعيد الاحتمال تماماً كما يبدو. لقد مضى شكسبير الى لندن في عشريناته واصبح ممثلا بارعاً وكاتب مسرحيات في سنوات قلائل حتى امسى حين بلغ منتصف الثلاثينات من عمره اي عام (١٦٠١) اكثر الكتاب شعبية.

وعندما عاد الى ستراتفورد في منتصف الاربعينات من عمره كان قد اصبح ثريا من عائدات مسرحياته. لكن من الغريب انه لم يكن مهتماً حتى بجلب ولو

نسخة واحدة من مؤلفاته الكثيرة رغم انه خلف في لندن مكتبة عامرة. ثم ماذا حل بهذه المكتبة؟ ولماذا لم تذكر في وصيته؟

يرد طلاب شكسبير على ذلك ان التمثيل كان في عهد اليزابيث حرفة غير محترمة شأنها شأن الدعارة، وربما فضل شكسبير الأحتفاظ بها لنفسه. هذا صحيح، ولكن الكاتب كان كما هو الآن يعتبر افضل بكثير من الحرف الأخرى، ثم ان شكسبير هو مؤلف الروائع مثل السونيتات وفينوس وادونيس. كما ان السونيتات ظهرت عام ١٦٠٩ قبل رجوعه الى ستراتفورد بعامين.

هل كان مؤكداً انه جلب معه نسخاً ولو قليلة ليوزعها على اصدقائه وعائلته؟ اولا ليطمئن ان بعض اعماله قد حصلت عليها ابنته المحبوبة (سوزانا) التي ترك لها املاكه في وصيته ولزوجها الدكتور البارع (جون هول) الذي رفض لقب الفرسان من(شارلس الأول)؟يجيب طلبة شكسبير مرة اخرى انه فعل، ذلك وان كتبه قد اختفت في فترة ستين سنة لاحقة في الوقت الذي بدأ المعجبون بشكسبير اهتمامهم بكتابةمسرحياته. ربما كان هذا صحيحاً ولكن لايبدو مرجحاً. يرى (ولموت) سبباً آخراً للشك في ان (سيد ستراتفورد) هو مؤلف المسرحيات الحقيقي، لانها تشير الى مؤلف ذي خبرة واسعة في الطب والقانون وعلم النبات والبلدان الخارجية وامور المحاكم. فكيف تسنى لأبن قصاب ان يحظى بمثل هذه المعرفة؟ ان (فرانسس بيكون) من ناحية اخرى كان فيلسوفاً وكاتب مقالات والرئيس الأعلى للقضاء، وكانت له اتصالات بأوسع الرجال معرفة آنذاك.

يرى (ولموت) ان احد المشكلات الرئيسية في هذه القضية ان سيرة شكسبير قد ازداد صيتها كثيراً عقب وفاته بشكل يصعب معه حتى فصل الحقيقي من سيرته عن غير الحقيقي. ثم خفت حتى طواه النسيان بعض الشيء الى ان جاء عام ١٦٦٠ عندما فتحت المسارح ابوابها ثانية في اعقاب التوقف البوريتاني (رغم ان

مجموعة مسرحياته ظهرت عام ١٦٢٣). وخلال فترة اعادة الملكية كان هنالك احياء لاعمال شكسبير ونفحت المسرحيات واعيدت كتابتها بالكامل تقريباً. يضم كتاب (جون اوبري) (سير ذاتية مختصرة) (عام ١٦٨٢) بين طياته مختصراً من صفحتين لحياة شكسبير يبين فيها ان شكسبير كان ابن قصاب وانه كان يلقي خطباً عاطفية عندما يذبح عجلاً، كما اشار (جون وورد) قس ستراتفورد في مذكراته (١٦٦١-١٦٦٣) الى اسطورة وفاة شكسبير. وهكذا اصبحت سمعة (شكسبير) بين العامة واسعة عام ١٧٠٩، حتى ان باعة الكتب الرخيصة كانوا يتخلصون من كتبه بمجرد معرفة ان شكسبير هو كاتبها. ان الأزدهار الشكسبيري كان ذي اثر هام على اعمال السيد (وليم ديفانت)الذي حظي بشهرة الأله الشكسبيري، الذي كرس حياته لأعادة سمعة هذا المحبوب كما لو كان شكسبير هو ابنه حقيقة. ظهرت اول سيرة حياة لشكسبير عام ١٧٠٩ كمقدمة لكتاب عنه بستة اجزاء (نيكولاس راو) الذي حصل على الكثير من المعلومات من الممثل (توماس بيترتون) الذي كان يعشق الشعر الملحمي. اذ قام برحلة الى ستراتفورد لجمع الحكايات والتقاليد حوالي عام ١٨٠٧. وكان راو اول من نشر قصة هروب (شكسبير) من ستراتفورد بعد ان القي القبض عليه متلبسا بسرقة ايل (السير توماس لوسي). منذ ذلك الحين تواترت الأشاعات عنه وقصص امسياته الماجنة في قرى رودكشير خصوصاً مع (بدفورد) السكير كما شاعت غرامياته وظهوره قبل الملكة اليزابيث والملك جيمس والكثير من هذا القبيل.

وفي عام ١٧٦٩ تم احياء ذكرى شكسبير بتبجيل كبير فصمم مواطنو ستراتفورد على اقامة احتفالات في ذكراه كل مئتي سنة وطلبوا من الممثل (ديفيد غاريل) ان يتولى مهمة اليوبيل (كانوا في الحقيقة متأخرين خمس سنوات فشكسبير قد ولد عام ١٥٦٤ ولم يتذكر احد ذلك).

اصبح شكسبير مصدر دخل للعديد من تجار ستراتفورد. فرغم ان الامطار

كانت قد افسدت الأحتفالات باليوبيل وفقد (كارك) جزءاً من ثروته لكن مع ذلك يمكن القول ان اليوبيل قد ارسى دعائم الصناعة الشكسبيرية وهي مصدر ستراتفورد الرئيس في الدخل. وفي نفس السنة (١٧٦٩) نشر (هوبرت لورنس) صديق (كارك) قصة بسيطة مسلية مفادها كيف ان اللص الذي يدعى شكسبير قام بسرقة رموز الحكمة والعبقرية والسخرية واستخدمها في كتاباته. بالطبع لم يكن المقصود فيها توجيه اتهام خطير ولكن لتوضيح وجهة نظر ساخرة لطيفة للصناعة الشكسبيرية. بعد ذلك رحل(جيمس ولموت بارتون)وبدأ بدراسة ابحاثه التي استنتج منها ان اسم شكسبير الحقيقي هو فرانسس بيكون. وعندما افصح الصديق (جيمس كوول) عن استنتاجه لمجتمع فلاسفة ابسويج عام ١٨٠٣ اخذ عليهم عهداً ان يكتموا اسم المؤلف ويبدو انهم حافظوا على عهدهم ذاك. توضح الأحداث الغريبة لتزييفات (ارلاند) المدى الذي حصل فيه الباردولاتري (الأعجاب الشديد بشكسبير) (كما اسماه برنارد شو) على موطىء قدم عام ١٧٩٠. سمح (صومائيل ايرلاند) الكاتب الخصب لكتب الرحلات والمتحمس كثيراً لشكسبير للعديد من تجار ستراتفورد ببيعه كميات كبيرة من مخلفات شكسبير من بينها قدح مزخرف مصنوع من شجرة التوت التي كانت مزروعة في حديقته. والكرسي الذي كان يجلس عليه ايام محاكمته. حظي (وليم) اصغر اولاد (ايرلاند) بنفس العاطفة الأبوية وبدأ صياغة مقاطع صغيرة لشكسبير من بينها(عمل الرهينة). ان جشع والده حدا به في النهاية الى صياغة جميع مسرحيات شكسبير الأمر الذي خدع الخبراء لفترة طويلة الى ان انكشفت الخدعة عام ١٧٩٦ عندما كانت تقدم مسرحية (ايرلاند فورتنجي) في ديري لين.وحالما اختتمت المقدمة الساخرة اطلق الجمهور اصوات الاستهجان والاشمئزاز. لقد رفض والد (وليم) اعترافات ابنه لهذه التزييفات وبقي مقتنعاً ان هذا النتاج العبقري اكبر من ان يصدرمن ابنه غير الموهوب. وفي القرن السابق كانت هنالك وجهة نظر متطرفة تبناها (صومائيل بيبز). اذ أعتقد ان (الليلة الثانية عشرة)

مسرحية سخيفة وقال عن مسرحية(حلم ليلة صيف): «اسخف المسرحيات التي شاهدتها في حياتي»، في حين اعتبر شكسبير في منتصف القرن الثامن عشر رمزاً للعبقرية وان شعره وحتى الضعيف منه غير قابل للنقد. وفي عام ١٨٤٨ نشر (جوزيف. س. هارت)المستشار الأمريكي في فيراكروز كتاباً عن «عاطفة اليخت» قال فيه: «آه شكسبير، من تكون انت ايها المؤلف الخالد؟». ويقترح (هارت) في الصفحات الخمس والثلاثين التالية نظرية مفادها ان (ممثل ستراتفورد) كان مجرد كاتباً مأجوراً قد ادخل ابيات شعر داعرة في مسرحيات كتبها شعراء محرومون. كما نشر وليم هنري سمث كتاب بيكون - شكسبير يشير فيه الى ان بيكون هو مؤلف المسرحيات لانه يمتلك كل المقومات الضرورية التي تؤهله لذلك. وكانت تؤيده في ذلك سيدة امريكية جميلة وجذابة تدعى (ديليا بيكون) التي بدات حياتها كمدرسة ثم اصبحت مؤلفة ومحاضرة. كانت محاضراتها تتناول بشكل خاص التاريخ والأدب. ان دراستها لشكسبير قد اقنعتها -للأسباب التي ناقشناها تواً - ان ممثل ستراتفورد المتقاعد على الارجح لم يكن هو كاتب المسرحيات. وارتأت ان الدليل الذي يثبت ان بيكون هو المؤلف الحقيقي يكمن في انكلترا وفي القبر نفسه ربما. حظيت على مؤازرة (رالف والدو امرسون) البستاني و (شارلس بتلر) صاحب مصرف نيويورك المعجب ببيكون فأبحرت في ربيع عام ١٨٥٣ الى انكلترا حيث سهل لها (ايمرسوت) الوصول الى (كارليل) الذي سهل لها هو و (ناثانيل) الاتصال بـ (هاوثورن) المستشار الأمريكي في ليفربول. ثم قضت ثلاث سنوات في تأليف كتابها لتثبت ان بيكون هو شكسبير. لكن الناشران (جابهان) و(هول) رفضا بشكل قاطع المساهمة في هجوم على واحد من اكثر معتقدات الأمة او الأمم رسوخاً. وهذه العبارة تبين التعصب الأعمى الذي اصبح نموذجاً لوجهة نظر الانجليز حيال شكسبير. ثم انتقلت الى ستراتفورد حيث قبر بيكون، وسمح لها بقضاء بعض الوقت في الكنيسة المقفلة التي تضم رفات بيكون، لكن الشجاعة خانتها في اللحظة الأخيرة

او ربما كانت مرتبكة لمجرد فكرة خلع الأرضية وحفر سبعة عشر قدماً اسفلها وهو العمق المعتقد للقبر. قدمت(دليا باكون) عام١٨٥٧ كتاب (فلسفة مسرحيات شكسبير) الغامضة (فدفع هاوثورن ثمن ذلك اذ انها تخاصمت معه). ولكنه كان كتابا محيرا إذ لم توضح ان شكها ينصب في (بيكون) او (ريلي سبنسر) او (اريل اوكسفورد). كانت افتراضاتها واهية بشكل واضح وهي ان مجموعة من الطلبة المثابرين قد لفقوا المسرحيات واستعانوا بممثل ستراتفورد كواجهة للتعبير عن الادانات التي قادت الى السجن والتعذيب. ونتيجة لذلك وجهت لها انتقادات شديدة ولاذعة فتدهورت صحتها بعد عدة سنوات وخمل تفكيرها الى آن وجدها ابن اختها في ملجأ المجاذيف واقتادها الى نيوانكلاند وماتت وهي تناهز الثامنة والاربعين. كان نجاح (دليا باكون) كبيراً، وإن لم تعش لتراه. لقد اثارت قضية مؤلفات شكسبير التي تبناها الان الكثيرون منهم (ايمرسون)، و (ايتهان) و(اوليفر) و (يندل هولمز) و (هنري جيمس)، بل حتى رئيس وزراء انكلترا اللورد بالمرستون تبنى هذه القضية عندما قرأ كتاب (وليم هنري سمث). كشف النقاد عام ١٨٦٧ عن اكثر الأدلة اقناعاً واهمية فيما يتعلق ببيكون وشكسبير فلقد صادف امين المكتبة الذي خوله دوق نور ثمبرلاند لفحص مخطوطات في دار نور ثمبلاند اوراقاً تضم اثنين وعشرين جدولا مزدوجاً ومطوياً. كانت تبدو انها تعود لـ (فرانسس بيكون) اذ انها تضم نسخاً كثيرة من الأعمال التي كتبها.

فالغلاف الذي يشير الى السير (فرانسس بيكون) يحتوي ايضاً على كلمة (نيفل) كتبت مرتين في الأعلى واسفل منها (نيفيل فيلس) وهو شعار عائلة ابن اخت (بيكون) السير (هنري نيفل). تحوي المخطوطة جدولين مختلفين وربما تعود المنسوخة منها لـ(بيكون) اما الغلاف فيحوي قائمة تبدو انها فهرس اذ انها تشير الى عدد من الأجزاء الموجودة فعلاً في الكتاب مثل اربع مقالات لـ(بيكون) و(فيلب) ضد السيدة وهي رسالة من (السير فيلب) يمنع فيها زواج الملكة من

دوق الأنكو وخطب اللورد (اسيكس) في التايلت - وهي خطب كتبها (بيكون) (لأيرك اسيكس) و(لوستر كومنولت)وهي نسخة غير كاملة للسير (كومنولت).

كما يشير الغلاف الى فقرات لم تكن موجودة في الكتاب منها المسرحية المحظورة (جزيرة الكتاب) و (ريتشارد الثاني) و (ريتشارد الثالث) والى الأعلى مباشرة (للسير فرانس وليم شكسبير). إن هذا الدليل يبدو قليل الأهمية في الوهلة الأولى. فـ (ريتشارد الثاني) كانت مسرحية جريئة، وربما منعت فعلاً وارغم شكسبير على حذف بعض الأبيات من الطبعة الأولى لعام ١٥٩٧ (وهو ارجح تأريخ لمخطوطة نور تمبرلاند). وعندما تمرد (اسكس) عام١٦٠١ دفع ثمن العرض الخاص لـ(ريتشارد الثاني) ظناً منه أن مسرحية حول ملك مخلوع من شأنها ان تحفز اللندنيين على الانضمام لتمرده (لقد كانت محاولة عقيمة). الى أن اعيدت الأبيات الجريئة حول الملك المخلوع في الطبعة التالية ابان وفاة الملكة اليزابيث. أما مسرحية ريتشارد الثالث فإنها تتعلق بنفس الموضوع الحساس وربما كان مشكوكاً فيها. كان من واجب (بيكون) بأعتباره المستشار الخاص والقانوني للملكة (اليزابيث) دراسة الأعمال الحساسة وكذلك دراسةعمل الدكتور (هيوارد) حول (ريتشارد الثاني) الذي اثار سخط الملكة اليزابيث حتى أنها اتهمته بالخيانة العظمى. ولكن (بيكون) اخبر الملكة ان كتابه لا يتضمن اي اذى لها. اننا نفترض ان كتاب نورنمبرلاند يحتوي اصلاً على اعمال ممنوعة عديدة طلب من بيكون اسداء الرأي بشأنها. ان نظرة ادق على الغلاف تبين ان اسم (السيد فرانسس بيكون) و (السيد فرانسس) قد رسم بصورة غير واعية مرات عديدة ربما كتبها بيكون بنفسه كما أن لقب بيكون كتب مباشرة اسفل (السيد فرانسس) حيث كتبت عبارة (فخامتكم) من الأعلى الى الأسفل بينهما (وليم شكسبير) قد كتبت مباشرة فوق عنواني مسرحيتيه الامر الذي يوضح انها تشير اليه. ومما يؤسف له ان مخطوطة نور ثمبرلاند قد اهملت كبرهان على ان ثمة تقارباً كبيراً

بين (بيكون) و (شكسبير) اكبر مما هو مفترض بصورة عامة وكل هذا يثبت ان بيكون قد اطلع على (ريتشارد الثاني) و (ريتشارد الثالث) في مجرى عمله كمستشار للملكة.

بعد كتاب (دليا بيكون) بأحدى وثلاثين سنة ظهر اكثر اعمال المنشقين لشكسبير تأثيراً وهو كتاب (رمز فرانسس بيكون في مايسمى مسرحيات شكسبير) (لاكناشيوس دونيللي). و(دونيللي) هو احد رجال الكونغرس الامريكي والمشهور بكتابه (الأطلنطس) والموسوم (عالم مابعد الطوفان) الذي مازال يعد مصدراً للذين يؤمنون بوجود قارة افلاطون الغارقة، والذي أراد أن يبرهن في جزئيه أن بيكون حاول أن يخفي أسلوبه بشكل مفتعل ورمزي لتشير الى أنها من تأليفه هو لا شكسبير.

وبعد سنوات من دراسة دقيقة للمسرحيات ومحاولة ايجاد اي مفتاح ممكن للرمز لاحظ وجود رسائل غامضة. لقد الهم هذا الكتاب الاف المهووسين للبحث عن موضوع (شكسبير) والكتاب الاخرين وحفز قليلاً من الموهوبين والنقاد ليبرهنوا أن جملاً كثيرةً يمكن اعادة صياغتها ثانية بشكل رسائل رائعة، فلقد كتب (رونالد نوكس) مقالة رائعة مبرهناً بهذه الطريقة ان الملكة (فكتوريا) كانت مؤلفة كتاب (في الذاكرة). لقد ادرك الدكتور (اورفيل اون) من ديترويت ان (بيكون) قد أخفى هويته الأدبية في رموز شتى وترتيبات خاصة، فاقتبس رسالة مطولة من الشعر المرسل من أحد المسرحيات ووجد انها قد: أجبرته على تمييز اعمال شكسبير عن أعمال بيكون في صفحات منفصلة والصقها حول اطار عجلة. ومن خلال استنتاج معقد ولكن معقول انتزع شعراً اكبر من النص الممزق واستخدمه لأستنباط معلومات مهمة، مثل ان بيكون كان حقاً ابن الملكة (اليزابيث) وعشيقها (ايرل ليستر) وان (هاملت) كتبت كهجوم شخصي ضد امه التي انتقمت بأرسالها (بيكون) الى المنفى في فرنسا.

كشف الرمز ايضاً انها قد شنقت على يد رئيس الوزراء (روبرت سيسل).

وهكذا ايفن(اون) من المواد التي لاتحتوي رموزاً ان (بيكون)قد اخفى مخطوطات تثبت تأليفه لها في صناديق مختلفة بالقرب من قلعة في ملتقى نهري (سيفيرن). بعد ذلك قضى اون واتباعه المخلصون خمسة عشر عاماً في البحث في ريف منطقة الجبستو، حيث كانت هناك قلعة مهجورة، وحفروا العديد من الحفر والخنادق حول القلعة واسفل نهر (الواي)، بيد انهم في نهاية المطاف استسلموا للهزيمة. كما استأجر فريق آخر زوارق لتقلهم اعلى واسفل النهر بحثاً عن المخطوطات المخفية التي ستقودهم الى الغرف السرية. يبدو هذا كله للطلبة النظريين امراً مضحكاً للغاية اما الذين انفقوا اموالهم وحياتهم في هذه المحاولة البائسة فقد تجرعوا مرارة المأساة. وفي الحقيقة ان قراءة سريعة لسيرة حياة فرانسس بيكون توضح استبعاد احتمال كتابته لمسرحيات شكسبير بسبب التباين الكبير بين الشخصين فمؤلف (حلم ليلة صيف) و (الليلة الثانية عشرة) شخص لطيف وحسن الطباع. لقد كان أصدقاء شكسبير ينادونه (السيد شكسبير) في حين لم يدع احد بيكون سيداً. كان بيكون ذا ذكاء مفرط وغير راض على الدوام عن نفسه وعن نصيبه في الحياة، وكان طموحاً بشكل عنيف، فما فتيء يردد: (السلطة السياسية هي مرامي، سلطة على الرجال والأمور) لقد كان حذرا وقاسياً. وآمن ان الرجال الناجحين يجب ان يتعلموا كيف يشغلوا اصدقائهم بأكتشاف عيوبهم. لقد مات ابوه دون أن يذكر له شيئا في وصيته، فوجد نفسه مدفعا في التاسعة عشرة لا يملك شروى نقير، اما عمه اللورد بيركلي (وليم سيسل) فكان امين صندوق وكان من السهل عليه تقديم ترقية لأبن اخيه ولكنه آثر مساعدة ابنه (روبرت). وعندما اصبح (بيكون) محامياً تقرب الى الملكة والى (ايرل اسكس) المتنفذ والجريء. وبواسطة التملق حظي بصداقة الأيرل فحظي منه ببعض المال، لكن (بيكون) كان مبذراً فحاول جاهدا اقناع الملكة أن تمنحه مناصب شتى. ولما تجاهلته الملكة لصالح مرشح اخر هدأ (اسكس) من خيبة

امله فمنحه املاكاً واسعة. استولى (اسكس) على كاديز عام ١٥٩٦ واصبح من اكثر الأنكليز شعبية، لكن يبدو أن (بيكون) قد بدأ ينافسه. ولما دحر اسكس سياسياً بعد الحملة الفاشلة على الأيرلنديين، اراد اثارة التمرد فألقي القبض عليه واودع للمحاكمة عندها ادرك الجميع انه كان مذنباً بسبب المزاج الحاد وليست الرغبة في الاطاحة بالحكم، وبدا مرجحا ان المحكمة لن تحكم عليه بحكم شاق. في هذه القضية غدر (بيكون) بصديقه، فوجه للملكة خطاباً مليئاً بالمشاعر الجياشة، ويتهم فيه (اسكس) بالخيانة واعلن انه (كصديق) يعرف ان (اسكس) كان يروم العرش. ولذلك حكم على (اسكس) بالأعدام ثم سرعان ما نفذ. انه لمن المتعذر تبرئة (بيكون) فقد فعل ذلك لينال استحسان الملكة ويعزز منصبه، فكان ثمن ارسال (اسكس) للمقصلة ١٢٠٠ باوند وهذا المبلغ كان ادنى من طموحه فأنتزعت الملكة (اليزابيث) ثقتها منه. وبعد وفاة اليزابيث بدأ (بيكون) يتقرب من (جيمس الاول) ونجح في مسعاه ذلك، إذ منح لقب (الفارس) واصبح نائباً عاماً سنة ١٦١٣، بعد ذلك بخمس سنوات بلغ قمة طموحه عندما حظي بلقب (النبيل) واصبح رئيس القضاة. بعد ذلك بثلاث سنوات اتهم بقبول الرشاوي واعترف بذنبه فجرد من منصبه ودفع غرامة قدرها ٤٠,٠٠٠ جنيه استرليني وكرس ما تبقى من حياته للتأليف. كان (بيكون) شخصية محيرة، مزيجاً من العظمة والتفاهة. بل كان اكثر الرجال ذكاءاً في وقته او بعبارة اخرى ابغضهم.

من الصعب جداً فهم شخصية تختلف كامل الاختلاف عن شكسبير. فالكاتب المسرحي يمتلك مسحة من العبقرية فكانت كتاباته طبيعية وتلقائية. اما التشاؤم الذي ينغمس فيه دائما فهو تشاؤم طفل فقد لعبته المفضلة وليست بالسخرية الكئيبة لفكر نير يحاول التغلب على رغباته الخاصة. انه لمن المتعذر حقاً أن بيكون هو الذي كتب مسرحيات شكسبير فلو ان (شكوفنهور) لم يكتب

(اليس في بلاد العجائب) لكان (بيكون) اول المرشحين لكتابتها. في عام ١٨٩١ كتب الأرشيفي (جيمس كرين ستريت) سلسلة من المقالات عن علم الأنساب بين فيها ان (شكسبير) كان (وليم ستانلي)، ايرل وربي، وذكر أن هناك جاسوساً يسوعياً أخبر مراسلاً اوربياً عام ١٥٩٩ ان (ايرل) لن يشترك في المؤامرة المدبرة ضد الملكة لانه منشغل بكتابة مسرحيات كوميدية لممثلين معروفين. مات (كرين ستريت) بعد نشره المقالات مباشرة، وماتت معه نظريته الى أن احياها الامريكي (روبرت فريز) بعد خمسة عشر عاماً في كتاب اسماه (شكسبير الأخرس).

ومن المناصرين لهذه النظرية البروفسور (ابل ليفرانك) الذي كتب اربعة مجلدات ضخمة هدفها اثبات ان شكسبير كان متعاطفاً مع فرنسا والفرنسيين.

اصبح الكاتب المسرحي (كرستوفر مارلو) مرشحاً اخر وتقدم عام ١٨٩٥ برواية (كان هذا مارلو) من تأليف (وليم.ج.زكلار) المدعي العام لولاية سان فرانسسكو. لقد أعادت هذه الرواية، برغم أنها لم تحمل محمل الجد بادىء الأمر، النظرية الى الوجود ثانية عندما احياها الطالب الامريكي (كالفن هوفهان) في (مقتل رجل اسمه شكسبير). واصبح (مارلو) معروفاً بمسرحيته الأولى (التامر لين) عام ١٥٧٨ عندما كان عمره ٢٣ عاماً ويرجح انه تعاون مع شكسبير في (هنري السادس) حتى اغتيل عام ١٥٩٣ في شجار حول ما بذمته لحساب الحانة واخلي سبيل قاتله. كان السير (توماس ولسنغهام) الحامي القوي لـ(مارلو) وابن عم (فرانسس ولسنغهام) كبير جواسيس الملكة، وكان من المقرر تقديم (مارلو) للمحاكمة واعدامه. تبين نظرية (هوفهان) ان (مارلو) قد فر الى اوربا وقتل رجلاً اخراً، ولكنه استمر في كتابة مسرحياته عن شكسبير. ان القضية الرئيسية التي يطرحها هي ان طريقة التحليل التي ابتكرها الدكتور (توماس كورون بورتهول) والتي تتطلب حسابة معدل نسبة عدد الحروف الى كلمات المؤلف، اوضحت ان ليس بأستطاعة (بيكون) كتابة اعمال شكسبير ولكن

بأستطاعة (مارلو) ذلك. ان قراءة ثانية لاعماله تكشف اختلافاً كبيراً في شخصيتيهما ومن الاختلافات الرئيسية ان (مارلو) شاذ جنسياً بينما لم يكن شكسبير كذلك. كما اشار أحد الطلاب الذين يدرسون شكسبير اسمه الدكتور (أ-ال-راوز)، ان من الاختلافات الرئيسية بين شكسبير و(مارلو) ان شكسبير مولع بالنكات والمزاح البذيء، بينما يبدو (مارلو) متحشماً كعادة الشاذين جنسياً. وفي الحقيقة لا تساعد هذه الملاحظة (كالفن هوفمان) كثيراً. وفي حوالي عام ١٩١٤ اقتنع مدير مدرسة إبتدائية يدعى (جون توماس لوني) ان ممثل ستراتفورد لم يكتب المسرحيات بنفسه وشرع بأبحاث منسقة لكتاب العهد الأليزابيثي الذين يمتلكون المؤهلات المطلوبة مستنبطاً شخصية المؤلف من عمله. اعد قائمة لهذه المؤهلات تضم سبعة عشر كاتباً.

كما استنتج عام ١٩٢٠ ان (ادوارد دي فير) ايرل اكسفورد السابع عشر هو الشخص الوحيد الذي يلائم هذه المتطلبات. واتفق ان كتابه (هوية شكسبير) ممتع كما لو كان قصة بوليسية وان اسمه الذي لاينم عن ثراء قد حال دون ان يحمله العامة محمل الجد. (اما الكتاب الأخرون عن قضية شكسبير فهم (س. اي. سيليما) الذي يؤيد قضية (مارلو) و(جورج) باتي الذي كان يفترض ان شكسبير كان دانيال ديفو). وعلى الرغم من ان هذا الكتاب قد اهمل بسرعة فقد تولى طالب اخر النظرية وهو (شارلتون اكيرن) في كتاب ضخم ولكن سلس الاسلوب نشر عام ١٩٨٤ بعنوان (وليم شكسبير اللغز) وعلى الرغم من ان (اكيرن) يجادل بشكل مقنع ان اكسفورد كان شاعراً هجائياً جيداً فأنه تولى مهمة شبه مستحيلة في اقناع القارىء ان المسرحيات الاخيرة مثل (حكاية الخريف) و(الملك لير) و (العاطفة) قد كتبت قبل عام ١٦٠٤ السنة التي مات فيها اكسفورد. تغلب (لوني) على هذه المشكلة عندما اقترح ان هذه المسرحيات قد كتبها اناس اخرون. (فرالي) هو مؤلف (العاصفة) و (ليتشر) هو مؤلف (هنري

الثامن) في حين يجادل (اكبيرن) ان هذه المسرحيات كتبت بوقت يسبق كثيراً ما كان يعتقد، لكن هذا الجدال شأنه شأن جدال (لونلي)، لا يقنع الكثير من الناس. واحدى المشكلات البسيطة لدراسة شكسبير هي هوية سيدة تدعى (ان ووتلي) التي كان من المقرر ان يتزوجها في تشرين الثاني نوفمبر ١٥٨٢ طبقاً لما ورد في سجل اسقف (وور ستر) واصدرت اجازة زواج لوليم شكسبير قبل زواجه من (ان هاثوي). وقد تكون (ووتلي) غلطة قلم ارتكبها كاتب الكنيسة ولكن اليس من الواجب عليه ان يكتب معبد (شوتري) عندما كتب (معبد كرافتون)؟ يقول السير (سدني لي): (كان هذا دون شك واحداً من الكثيرين الذين يحملون اسم وليم شكسبير والذين تعج بهم اسقفية دور ستر). لقد خالفه في هذا الرأي (وليم روز) المعماري الاسكتلندي الذي آمن ان (آن) كانت المؤلفة الحقيقية لمسرحيات شكسبير. وفي قصة (ان ووتلي) ووليم شكسبير يفصح روز عام ١٩٧٩ عن قصة مؤثرة، كيف عمل شكسبير ذو السبعة عشر عاماً عمل والده وكيف دعي لزيارة الدير في معبد (كرافتون) بالقرب من ستراتفورد وتعرف الى راهبة تدعى (آن ووتلي) التي احبته. ثم بدأت بكتابة (السونيتات) له وعندما منحته اثنين وثلاثين (سونيته)، اعترف الشاب بانه كان على علاقة حب مع امرأة كبيرة هي (آنا هاثلي). بدأ شكسبير بالتهرب من (آنا هاثلي) عندما اصبحت حاملاً واقنع (آن ووتلي) للزواج منه بيد ان عائلة (هاتلي) اوقفوه واتخذوا اجراءات قانونية ترغمه على الزواج من آنا التي شعرت بقلق من حب (آن ووتلي) ذلك الطراز المتناقض من الحب.

لكن كيف تسنى لفتاة قضت حياتها في دير للراهبات ان تغدو كاتبة رائعة؟ يجيب (روز) على ذلك انها كانت ايضا مع (ارموند سبنسر) اكبر شعراء ذلك الوقت. التقى (بآنا واتلي) عام ١٥٧٦ عندما كان شكسبير في الثانية عشرة ووقع في غرامها. يقول (روز) ان اولى قصائد (سبنسر) المهمة ظهرت بعد ذلك بثلاث

سنوات وان احتمال مشاركتها له فيها غير محتمل. ثم بدأت بكتابة افضل اعمال سبنسر (ملكة القاريء) وكتبت لـ(مارلو) (البطل والليندر)وفي الحقيقة ان دراسة لاعمال (مارلو) تبين ان (آنا واتلي) هي المؤلف الحقيقي. كانت هذه المسرحيات محاولات تمهيدية كتبتها في الوقت الذي كان أسلوبها المسرحي يزداد براعة. ان انجازها الكامل كفنانة مبدعة كان يعود لشكسبير وحده وان السؤال حول مسؤوليتها عن الابيات الداعرة لم يكشف بعد واننا قد نفترض ان هذه اللمسات المألوفة قد اضافها ممثل ستراتفورد. وربما يعتري قاريء(آنا واتلي) ووليم شكسبير شك مفاجيء ان المؤلف يحظى بتصديق القاريء وان الكتاب مصمم لهجاء الصناعة المقارنة لشكسبير برمتها، ولكن هذا أمر ضعيف السند، ثم ان (وليم روز) قدم للكاتب المعاصر كتاباً عام ١٩٦٣ عندما كان عمره اثنين وسبعين عاما وكان من الواضح تماما من رسائله المرفقة انه صادق تمام الصدق في بحثه وانه كان يعمل بمواظبة منذ نشر كتابه عام ١٩٣٩ في نظريته ويحاول ادخال الكثير من الشواهد. من الواضح ايضا انه لم يصل الى قناعة ان الاساليب المختلفة لـ(ملكة القاريء) و (البطل والليندر) و (الملك لير) تشير الى ثلاثة كتاب مختلفين. يبدو هذا مشكلة عويصة لاكثر المناوئين لشكسبير لانهم يفحصون المشكلة من عدسة مكبرة ولا يستطيعون ان يميزوا الخشب من الشجر. إذ يفتقر اكثرهم للقدرة على النقد الادبي فلا يستطيعون ان يميزوا مليح الشعر من قبيحه واكثرهم مقنعون جيدون لصفحات قلائل من وجهات نظرهم ولكن كامل الجدل اقل تأثيرا من بعض اجزائه. لم يظهر (بيكون) و (دربي) و (اكسفورد) و(مارلو) وحتى(آنا واتلي) بصورة اكثر اقناعا من ممثل ستراتفورد ولكن ما نقول عن هذا الممثل؟

لتسهيل هذا الامر لايبدو مرجحا ان رجلا كان والده اميا واطفاله اميين والذي كان لا يكترث للاحتفاظ بنسخ من كتبه الخاصة في بيته قد كتب هاملت

وعطيل. اننا لا نرفض بقية المرشحين علماً انهم تافهون ولكننا نجد انفسنا في نهاية كل يوم وجهاً لوجه مع نفس المشكلات التي حيرت (جيمس ولوت) المبجل عن كاتب المسرحيات والسونيتات. انه لم يكن وليم شكسبير.

احتراق البشر تلقائيا

كانت امسية الاحد الاول من تموز (يوليو) عام ١٩٥١ حارة لافحة في شارع بيترسبرغ في فلوريدا. شعرت السيدة (ماري ريزر) ذات السبع والسبعين عاما ببعض الاكتئاب فجلست على كرسي فخم واشعلت سيكارا. لم تبد اية رغبة في الذهاب الى سريرها عندما اقبلت اليها السيدة (بانسي كاربنتر) مالكة الارض في الساعة التاسعة لتتمنى لها امسية طيبة. وفي الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي استيقظت السيدة (كاربنتر) على رائحة دخان تملأ الأرجاء فمضت الى الكراج واحكمت غلق مجاري المياه لانها كانت تعتقد ان الرائحة بسبب تسخنها. ثم استيقظت ثانية في الساعة التاسعة صباحا عندما قدم صبي يحمل تلغرافاً يخص السيدة (ريزر) فوقعت عليه وحملته اليها. ولما أمسكت الباب فزعت لما وجدت ان مصراع الباب كان ساخنا فصرخت، فهرع رجلان كانا يعملان عبر الشارع لنجدتها. وضع احدهم قطعة قماش على عقدة الباب فصعقت وجهه موجة هواء ساخن. حالما فتحه بدا المكان فارغاً ولم يلاحظوا اول الامر اي اثر للحريق. شاهدوا بعدئذ دائرة مسودة على السجادة حيث انتصب الكرسي وبقيت لوالب قليلة في منتصفها جمجمة انسان محترقة بقدر حجم كرة اليد وان جزءا من الكبد قد التصق بالعمود الفقري وثمة قدم مغطاة بالمنزلق السميك وقد احترقت حتى كاحلها.

كانت السيدة(ريزر) ضحية لظاهرة محيرة تدعى(احتراق البشر تلقائيا) وثمة مئات من الحالات المسجلة. يؤكد الدكتور (س. أ. سمث) و (ف. س. فيدر) في كتاب الطب الشرعي، «لايمكن حدوث الاحتراق التلقائي للبشر ومامن هدف جيد يخدم مناقشة ذلك». ان هذا نموذج للتفكير التأملي الذي يلجأ اليه الاطباء عندما يواجهون حقيقة تكمن خارج نطاق خبرتهم. وبنفس الطريقة نفى

الكيميائي الكبير لافوازيه امكانية وجود الاحجار النيزكية. ان مثال السيدة (ريزر)هذا لجدير بالاهتمام لان البروفسور(جون نويلر) اشار اليه في كتابه «العلم وما وراء الطبيعة» وهذا الكتاب هدفه الرئيس كشف الزيف عن بعض الأحداث الميتافيزيقية التي تناقي العقل والمنطق كما اعلن البروفسور (تويلر) عندما اقر بان هنالك حالات تبدو صحيحة جدا من الجانب العقلاني وضرب مثلاً على ذلك قضية السيدة (ريزر). بعد ذلك بتسع وعشرين عاما في تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٨٠ لوحظت حالة اخرى في الاحياء الغربية عندما كانت الملاحة (جينيا وتجستر) تقود سيارتها مع صديقتها (لينولي سكوت) على طول الخط البحري في جاكسونفيل في فلوريدا. وفجأة استحالت (جينيا) نيرانا صفراء وصرخت «اخرجوني من هنا». فحاولت صديقتها اخماد النيران بكلتا يديها. عندما فحصت (جينا) وجد ان ٢٠٪ من جسدها قد اصابته الحروق ولكنها بقيت على قيد الحياة. ان كتاب (ميشيل هاريسون) عن الاحتراق التلقائي «لهب من السماء» (١٩٧٦) يثير الكثير من القضايا ويوضح ان اللغز الرئيس للاحتراق التلقائي انه نادرا ما ينتشر وراء الشخص المعني. وفي عام ١٧٢٥ تم العثور في الرايم على (نيكول ميلست) زوجة مالك اراضي منطقة اللوين دي اور وهي محترقة في كرسي سليم واتهم زوجها بتدبير عملية القتل.

بيد ان الجراح الشاب (كلور نيكولاس لي كات) نجح في اقناع المحكمة ان احتراقا تلقائيا قد حصل واخلي سراح (ميلت) وكان حكم المحلفين ان زوجته قتلها «عقاب الله». اثارت هذه القضية فضول رجل فرنسي يدعى (جوناس دوبونت) فجمع كل الادلة التي عثر عليها عن الاحتراق التلقائي ونشرها في كتاب طبع في ليدن عام ١٧٦٣. ثم وقعت حالة مماثلة في تلك الفترة تتعلق بالكونتيسة (كورنيلا ديباندي) في سيزينا ذات الاثنين وسبعين عاما حيث عثرت عليها خادمتها محترقة في ارضية غرفة نومها. كان راسها نصف محترق ومضطجعا

بين ساقيها ذات الجواريب التي لم يمسها شيء، اما بقية جسدها فقد استحال رمادا والهواء كان ملوثا بالسخام. لكن السرير لم يتضرر والشراشف قد نحيت الى الخلف كما لو انها استيقظت -ربما لفتح النافذة- واحترقت بسرعة عندما وقفت فوقع الرأس بين القدمين. لم تكن الكونتيسة مدمنة للشراب على النقيض من زوجة (ميلت) صاحب الحانة. (من اكثر النظريات شيوعا للاحتراق التلقائي في تلك الفترة انها بسبب الكميات الكبيرة من الكحول في الجسم).

استخدم روائيو القرن التاسع عشر الاحتراق التلقائي للتخلص من الشخصيات غير المرغوب فيها. استعان الكابتن (ماريات) بتفاصيل من تقرير التايمز لعام ١٨٣٢ ليصف الطريقة التي لقيت فيها والدة البطل «جاكوب الامين» حتفها (في رواية تحمل نفس الاسم) فقد تحولت الى كتلة من الفحم بعد ذلك بعشرين عاما. وفي عام ١٨٥٢ وضع ديكنز نهاية لـ(كروك) التاجر السكير في رواية «بيت بليك» بواسطة الاحتراق التلقائي فاستحال كروك الى كومة تماثل خشبا محترقا. اختلف (هـ. ج. ويلز) و (جورج اليوت) مع (ديكنز) حول قضية الاحتراق التلقائي واعلن ان هذا الامر متعذر لذا يناقض (ديكنز) (لويز) في مقدمة كتاب «بيت بليك» ويستشهد بثلاثين مقالا من تقارير الصحف. يقول (ارثر بي. هيوارد) في مقالة عن (كروك) في موسوعة (ديكنز) (١٩٢٤): «ان امكانية احتراق البشر تلقائيا قد اثبت فشلها مؤخرا». بيد انه يفشل في تفسير مالم يبرهنه الخبراء. يجمع كتاب (هارسون) ثمار العديد من الدراسات ولا يدع اي مجال للشك حول واقعية الاحتراق التلقائي ولكن ماالذي يسببها؟

يجب الاعتراف الان ان هذه الظاهرة تحير الاطباء والعلماء ولكن هارسون يعرض بعض الادلة المفيدة ويتكلم عن ابحاث طبيب امريكي يدعى (د. كو) الذي كان مهتما بموضوع (ما وراء العقل). كان (كو) قادرا على تحريك الواح المنيوم ترتكز على محور ابرة عند تحريكه ليده فوق هذه الالواح ويعتقد أن ذلك

يفسر بسبب الفيزياء المغناطيسية. مارس (كو) العديد من تمارين اليوغا في محاولة لتطوير كهربائيته الحيوية فجلس ذات يوم على كرسي اعتيادي واحس بتيار كهربائي يمر من رأسه مخترقا جسمه اعتقد انه ذات قوة كهربائية كبيرة وامبيرية واطئة، ثم علق في السقف صندوقا كارتونيا فاستطاع ان يحركه عن بعد عندما تكون الغرفة خالية من الهواء مسافة ثمانية اقدام. شحن جسمه بعدئذ بشحنة ٣٥٠٠ فولت من التيار المتناوب مستخدما تيارا كهربائيا فاستطاع ان يحرك الصندوق بنفس الأسلوب. هذا الامر كان يعني انه يولد تيارا كبير الفولتية بواسطة تمارينه البدنية. حلق ايضا بطائرة على ارتفاع ٢١ الف قدم حيث كان الهواء جافا تماما واستطاع توليد شرارات كهربائية بعد ان شحن جسمه ب ٣٥,٠٠٠ فولت. افترض (كو) ان ذلك يفسر ظاهرة الارتفاع عن الارض بدون قوة، عندما يرتفع جسم لاعب (اليوغا) عن الارض حيث تواجه شحنة الانسان السالبة شحنة الأرض الموجبة. يثير هارسون ايضا حالات البطاريات البشرية، والناس الممغنطين (عادة الاطفال) الذين تنامت فيهم قوة كهربائية كبيرة. ففي عام ١٨٧٧ تحولت كارلوين كلير من اونتاريو في لندن الى مغناطيس بشري فجذبت الاشياء المعدنية نحوها وولدت صدمة كهربائية قوية تعادل قوة عشرين رجلا ممسكين بيد واحدة، ومن الجدير بالملاحظة أنها كانت تعاني من تأثيرات المراهقة ذلك الوقت. ولّد (فرانك ماكستري) من جوبلن في ميزوري قوة مغناطيسية سببت التصاق قدمه بالأرض. وطورت (جيني مورغان) ذات

الاربعة عشر عاما من سيد (اليافي ميزوري) عام ١٨٩٥ شحنة كافية لطرح امراة بالغة على ظهرها. وعندما امسكت انبوبا تطايرت منها شحنات من اطراف اصابعها. من الجدير بالذكر ان العديد من المراهقين الذين اصبحوا مركزا لتأثيرات الارواح الشريرة قد ولدوا خواصا مغناطيسية او كهربائية مشابهة، ففي عام ١٨٤٦ اصبحت فتاة فرنسية تدعى (انكليك كوتن) طرازا من البطاريات الكهربائية البشرية فكانت الاشياء التي تلمسها تنفر عنها بعنف وان الواح

البلوط الضخمة كانت تتمايل كلما اقتربت منها. من ناحية اخرى ولدت (ايستر كوكس) حقلاً مغناطيسياً جعلت سكاكين المائدة تنجذب اليها وتلتصق بسرعة. ان مايبدو هو وجود نوعين من الشحنات السالبة والموجبة. بيين الدكتور ان خلية العضلة البشرية هي عبارة عن بطارية، وان الانج المكعب يمكن ان يولد ٤٠٠,٠٠٠ فولت (ان المكتشف نيقولا تيسلا اوضح ان الجسم البشري يستطيع الحصول على شحنة كهربائية كبيرة تكفي لاشعال انابيب النيون شريطة ان يبقى التيار واطئا). هذا الامر لا يرجع في تفسير الاحتراق التلقائي لان الفولتية العالية عادة لا تسبب الاحتراق بل الاميرية العالية هي التي تسبب ذلك.

ان ضحايا الاحتراق التلقائي عادة من الشباب والكبار. ففي ٢٧ اب (اغسطس) ١٩٣٨ كانت (فيلس نيو كومب) ترقص بنشاط في مدينة بلهب جيلمس فورد في اسكس فتوهج بدنها بلهب ازرق استحال نيرانا وماتت في دقائق معدودة. وفي تشرين الاول (اكتوبر) من نفس السنة كانت فتاة تدعى (مايبل اندروز) ترقص مع صديقها (بيل كلفورد) في نادي سوهو الليلي عندما اندلعت النيران في مؤخرتها وصدرها وكاحلها. قال صديقها الذي اصابته جروح بليغة وهو يحاول اخماد النيران «الغرفة كانت خالية من النيران وانها اضرمت من الفتاة نفسها» ثم ماتت وهي في طريقها الى المستشفى. يبدو من المعقول لحالات كهذه ان الرقص يولد قوة من الكهربائية المستقرة. يشير (ميشيل هارسون) ان «الرقص الديني» تستخدمه القبائل البدائية لتوليد تأثير عاطفي في الاحتفالات الدينية ويبدو ان هذا ما حدث. يشير (ميشيل هارسون) ايضا الى بعض التأثيرات الجغرافية الدقيقة، ففي ١٣ اذار (مارس) ١٩٦٦ تعرض ثلاثة رجال الى احتراق تلقائي في نفس الوقت، فقد تحول (جون كريلي) الى فحمة قريباً من غربي (الانداند) اما (جورج تيرنر) سائق الشاحنة فقد عثر عليه محترق

على اطار شاحنته في ابتون-بي-جيستر. وفي نيجيمجن في هولندا توفي (وليم بين بروك) ذو التسعة عشر عاما على اطار سيارته. وكالعادة لم تتضرر الاشياء المحيطة بالاشخاص الثلاثة لهذه الحالات. يشير هارسون الى أن الاشخاص الثلاثة كانوا على نقاط المثلث متساوي الاضلاع الذي جوانبه بطول ٣٤٠ ميل. ولكن هل من المعقول ان الارض نفسها تفرغ طاقتها على شكل مثلث؟. قدم محلل اخر يدعى (لاري ارنولد) نظرية في مجلة (حدود العلم) (العدد الصادر في كانون الاول (ديسمبر١٩٨٢) الى ما يسمى بـ (خطوط قوى الارض الحرجة) اشار مكتشف هذه الخطوط، (الفريد واتكنز)، الى تكرر هذه الخطوط في الاماكن التي تدعى (متوهجة). افترض آخرون ان خطوط القبض للحجر المغناطيسي توضع في نقاط حرجة من هذه الخطوط. ومن المفيد ايضا ملاحظة كيف ان العديد من خطوط القبض تقترن بفكرة الرقص، فمثلا (الميري ميدنز) كانت تعرف في كورنول في نستونهنج بانها (رقصة العمالقة). ويظن ان الرقص الديني يزداد حدة في هذه الاماكن فيتفاعل الراقصون الى حد ما مع طاقة الارض (او القوة الأرضية). رسم (لاري ارنولد) العديد من خطوط القوى هذه على خارطة انكلترا ثم حاول أن يتأكد ما اذا كانت تقترن مع الحرائق الغامضة، وادعى ان مرجا ناريا طوله ٤٠٠ ميل مر خلال خمسة مدن حيث حدثت عشر حالات احتراق غامضة. يشير ايضا الى العديد من حالات الاحتراق التلقائي منها اربع حالات حدثت بين عام ١٨٥٢ وعام ١٩٠٨. يؤمن هارسون ان الاحتراق التلقائي هو بالاساس (مزيج بدني) حيث يؤثر الدماغ الى حد ما على الجسم لتوليد شحنات ضخمة.

انفجار كنغاسكا العظيم

شاهد سكان نيزن-كالنسك، القرية الصغيرة في اواسط سيبريا في الثلاثين من حزيران (يونيو) عام ١٩٠٨ شريطا ناريا ابيضاً مزرق لوحظ يهبط عموديا عبر السماء متجها صوب الشمال الغربي. كان يبدو أول الأمر كنقطةمضيئة لكنها ما لبثت أن اتسعت بشكل هائل خلال عشر دقائق حتى بدت كأنها شطرت السماء نصفين، وعندما اصطدمت بالارض انفجرت مكونة غيمة هائلة من الدخان الاسود اعقب ذلك بثوان دوي انفجار هائل هز البنايات بعنف. ركع الناس هلعاً، ظناً منهم ان ذلك كان ايذانا بحلول يوم القيامة، ورد الفعل هذا لم يكن مضحكاً تماما لانهم في الحقيقة قد شاهدوا بأم أعينهم اعظم كارثة طبيعية في تاريخ الأرض. ولو صادف ان الجسم الذي سبب مايسمى ب «انفجار سيبريا العظيم» وصل بساعات قلائل قبيل او بعيد وقت الانفجار لكان اصاب المناطق المكتظة بالسكان مسببا ملايين الضحايا. اتضح فيما بعد ان قرية نيزن-كارلنسك ابعد اكثر من ٢٠٠ ميل عن «نقطة الاصطدام» وان الانفجار كان يكفي لاقتلاع الصخور الكبيرة.

اوقف القطار السريع المار عبر سيبيريا اذ ايقن سائقه انه انحرف عن خط سيره، واشارت أجهزة الرصد الزلزالي في مدينة اركنسك الى حدوث ارتباك في قياس الهزات الارضية. في الوقت الذي كان فيه القطار والمدينة يبعدان اكثر من ٨٠٠ ميل من موقع الانفجار. مهما يكن الذي اصاب منطقة (كنغاسكا) فأن مناطق الغابات في سيبيريا قد تعرضت لقوة انفجار يتعذر تخيلها. إذ طافت موجة الانفجار مرتين قبل ان تتلاشى وان تأثيرها العام على الجو في النصف الشمالي كان هائلا جدا. إذ اصبح من السهل جدا ايام حزيران (يونيو) المتبقية

قراءة الحروف الصغيرة المطبوعة في صحيفة التايمز اللندنية في منتصف الليل. وثمة صور التقطت لستوكهولم في الساعة الواحدة صباحا بدون مصادر إنارة صناعية وصور لمدينة ناتروشات السوفيتية اخذت في منتصف الليل تماثل ظهيرة صيف مشرقة. شهد العالم لشهور عدة حالات خاصة من الفجر والغروب كانت غير طبيعية كتلك التي اعقبت انفجار (كراكاتوا) عام ١٨٨٣. وبسبب هذا وبسبب التقارير المختلفة لتشكيلات غيوم غير اعتيادية لاكثر من فترة شهر لاحقة يمكن أن نخمن ان الحادث اثار كثيرا من الغبار في الجو كالذي يرافق الانفجارات البركانية العنيفة او الانفجارات الذرية.

الغريب في هذا الحادث عدم اكتراث الكثير له، فقد نشرت تقارير عن الجسم الساقط في الصحف السيبيرية بشكل مقتضب وبدون تحليل. وراقب علماء النيازك الجو الغريب دون ان يتوصل احد للسبب الحقيقي. وابان الحرب العالمية الاولى وبعد ان اطاحت الثورة الروسية - بالنظام القيصري وصلت الاخبار الغريبة ليوم حزيران (يونيو) الى عامة الشعب. وكجزء من خطة (لينين) لوضع الاتحاد السوفيتي في ريادة العلم في العالم، ارسلت اكاديمية العلوم السوفيتية (ليونيد كولك) للتحقيق في أمر سقوط حجر نيزكي في الاراضي السوفيتية. انكب (كولك) على دراسة تقارير مشوشة وغريبة ولم يستخلص منها ما يرشده الى محل انفجار الجسم. وادعى البعض ان «الحجر النيزكي» قد عثر عليه فيما بعد. قام (كولك) أولاً بجمع تقارير من شهود عيان ادرك من مجمل البيانات المستخلصة ان ما انفجر في غابة كنغاسكا لم يكن مجرد حجر نيزكي، وصفت هذه التقارير كيف انشقت الارض لتحرر السنة نارية كبيرة ودخانا وقد توهجت بشكل اشد من ضياء الشمس وكيف تحطمت الاكواخ البعيدة بينما لاذت قطعان الرنة بالفرار. ان الشخص الذي كان يحرث الارض في الخلاء شعر باحتراق قميصه ووصف البعض اصابتهم بضربة شمس حادة في جهة

واحـدة من الرأس دون الاخـرى وادعى الكثيرون اصابتهم بالصمم المؤقت نتيجة الضـوضاء او معاناتهم لفترة طويلة من الصدمة. ومع ذلك كان من المدهش عدم وجود ضـحـيـة واحـدة او اصابة بليغـة. ومهما يكن فان الانفجار اصاب احد اجـزاء الارض المقـفـرة مما قلل بشكل كـبير من آثاره المدمـرة ولو تأخـر الحـادث سـاعـات قـلائل لاسـتـطـاع ان يـمـحـو شـارع (بيـتر سـبيرغ) او لـنـدن او نيـويورك. وحتى لو كـان الانفـجـار في البحر فان الامواج كان باستطاعتها وقتئذ تدمير المناطق السـاحليـة برمـتـهـا. لقـد انقذ الجنس البشري من اعنف كارثة في تاريخيـه لم يكن يعـرفـهـا حتى اكتشف (كولك) اخيرا ان علماء النيازك المحليين قد قـدروا نقطة الاصطدام وحظي عام ١٩٢٧ بالمسـاعدة المطلوبة من لدن اكاديمية العلوم للعـثـور على نقطة سـقـوط الحـجـر النيزكي الكبير. ان غابة سيبريا الكبيرة هي احـدى اسـهل المناطق في الارض ومـا برحت غير مكتـشـفـة بصورة كاملة كما أن الكثير من المسـتـوطنات على طول ضـفـاف الانهر الكبيرة يبلغ عـرض بعضها عـدة امـيـال. وتبـقى مـشكلة الطقس، فـمواسم الشتاء قارسة البرودة بينما تغدو الارض رخـوة صـيـفـا وينتشر البعوض بشكل مزعج. لقد واجه كولك مهمة شبه مـسـتـحـيلة وهي ان يتنقل على صـهـوة جواد ويقارب خشبي دون اية فكرة اين يبحث بالضبط او عن ماذا يبحث.

باشر الرحلة في شباط (فبراير) ١٩٢٧ برفـقـة دليلين من الذين شـاهدوا الحـادث وبعـد العـديد من المشقات بلغوا ضفاف نهر (الميكرتا) في نيـسـان (ابريل) وهذا النهـر اقـرب نقطة الى منطقـة الانفجار. وقف كولك في اليوم الاول على تل واطيء، وتفـحص الدمـار الذي سببه انفجار (كنغاسكا). فعلى مسافة اثني عشر مـيـلاً شمالاً لا توجـد شـجرة كاملة النمو فقد ازالها الانفجار. ان ماكان يراه هو منطقـة احتكـاك الانفـجـار لان كل الاشـجـار كـانت تشير الى الاتجاه نفسه وهو الافق.

كـان الانفـجـار اعنف بكثير من التـقـارير المقـدمـة. اراد (كولك) اكتشاف منطقـة الانفـجـار بيد ان رفيقيه قد بدءا يرهبان الموقف فامتنعا عن المتابعة، الامر الذي اضطره للعـودة معـهم واستئناف الرحلة في حـزيران (يونيـو) مع رفـيـقين جـديـديـن. في هذه المرة سلكوا خط الاشـجـار المسورة لايام عـدة حـتى بلغـوا تدرجـا طـبـيـعيا للتلال وخيموا هناك. فقضوا الايام التالية بمراقبة المنطقة المحيطة واسـتنتج (كولك) ان «المرجل» كما سماها كانت مركز الانفجار وان كل ما يحيطها من الاشـجـار السـاقطة قـد قذفت بعيداً. ومع ذلك فان من المدهش بقاء بعض الاشـجار منتصبة على الرغم من مقربتها واحتراقها في مركز الانفجار بالذات. ان المدى الكامـل للانفـجارات بات واضحـا فالمسافة بين النقطة المركزية والنهر ٣٧ مـيلا وهكذا يكون الانفـجـار قد مـسح اكثر من اربعة الاف ميل من الغابة. بدأ (كـولك) ابحـاثه وهو يفترض ان حـجـرا نيـزكـيـا كـبيرا سـبب الانفـجار في بقايا المنطقـة واعـتـقد ان النيزك أصبح كبيراً عندما اكتشف عددا من الحفر مغطاة بالماء فـافترض انها قـد سـببتها شظايا الحجر المتفجر ولكن عندما سحب المياه وجد انها فـارغـة ووجـد ايضـا فرع شجرة في اسفلها مما يثبت انها حدثت بتأثير الانفجار. اضطر (كـولك) للقـيـام باربع حملات لمنطقة الانفجار وبقي مقتنعا حتى وفاته ان الانفـجـار قـد سـببه حجر نيزكي كبير. ومع ذلك لم يجد شظايا الحطام او المعدن مما يمكن أن يؤيد حـجـتـه. ففي الحقيقة انه لم ينجح البتة في اثبات اصطدام اي شيء بالارض. كـان هناك دليل آخر لموجـتي الانفـجـار، هذا الدليل الجـديد زاد الطين بلة فالمسح الجوي لعـام ١٩٣٨ اظهر ان قرابة ٧٣٠ ميـلا مربعا من الغابة قـد مـسـحت وان الاشـجـار بقيت منتصبة في منطقة الفوهة بالذات. هذا الامر اوضح تقلبـات في الانفـجـار الذري وليس انفجار حجر نيزكي ضخم يماثل ذلك الذي أحدث فوهـة بركانيـة بعمق ٦٠٠ قـدم في (ونسلـو) في اريزونا. وقد اثير الجـدل ايضـا حـول الطريقـة التي سـقط فيها الجسم الى الارض، فقد ادعى اكثر من ٧٠٠ شـاهد عـيـان انه غير مـسـاره قـبـيل اصطدامه بالارض لانه كان اصلا

متجها صوب بحيرة (البيكال) قبل ان ينحرف. ولم يكن معروفاً عن الاجسام السماوية الساقطة مثل هذا السلوك وليس هناك من سبيل الى معرفة كيفية حدوث ذلك. اما اللغز الغريب الآخر فهو تأثيره على الاشجار والحشرات في منطقة الانفجار فالاشجار التي بقيت حية بعد الانفجار توقف نموها او تضاعف بشكل مطرد كما كشفت الدراسات الأخيرة النقاب عن عينات جديدة من الاشجار والحشرات التي تأثرت بشكل كبير جراء الانفجار. وبعد وفاة (كولك) بسنوات شاهد علماء في سجن حربي في المانيا اوجه التشابه بين حادث (كنغاسكا) وانفجاري هيروشيما وناكازاكي النوويين. ان معرفتنا بالقنبلة الذرية تساعدنا على توضيح الكثير من المسائل التي حيرت (كولك)، إذ يمكننا فهم سبب عدم وجود فوهة بركانية هو حدوث الانفجار فوق سطح الارض كما هي الحال في القنبلة الذرية، كما ان بقاء الاشجار منتصبة في النقطة المركزية ايد ذلك وان البنايات التي في (هيروشيما وناكازاكي) تحت الانفجار مباشرة قد نجت من تأثير الانفجار لانه انتشر على الجوانب. كما ان التحولات الوراثية في حيوانات ونباتات المناطق المحيطة بالمدن اليابانية تشابه ما تم مشاهدته في سيبيريا وشخصت الانتفاخات التي وجدت على الكلاب وحيوانات الرنة بانها حروق اشعاعية. يتمخض عن الانفجارات النووية عادة تقلبات في حقل الارض المغناطيسي ومازالت الاراضي المحيطة بانفجار (كنغاسكا) «مشوشة مغناطيسيا» حتى يومنا هذا، إذ يبدو واضحا ان الاعصار المغناطيسي الالكتروني ذي القوة الهائلة قد شوش مساحة الارض المغناطيسية في المنطقة. ان تفسيرات شهود عيان للغيمة التي نتجت عن الانفجار تؤيد انها نوع من الاجهزة الذرية وانها ذات شكل نموذجي «لغيمة نبات الفطر» الذرية.

من سوء الحظ لا يوجد هناك دليل استنتاجي واحد يدعم نظرية «القنبلة الذرية» ففي الوقت الذي فحصت فيه مستويات الاشعاع في المنطقة لخمسين سنة

تلت كانت هذه المستويات اعتيادية. ايقن المحققون بعد ذلك فشل نظرية (كولك) حول الحفر المملوءة بالماء اذ لم تكن بسبب شظايا الحجر النيزكي. لقد كانت اعمال (كولك) الشاقة في تصريف مياه الحفر مضيعة الوقت، ومن سوء الحظ لم تلق الادلة الجديدة التي اكتشفتها البعثات الروسية-الامريكية اي ضوء على قضية الانفجار. يفضل مؤيدو اليوفو (الاجسام الطائرة المجهولة) النظرية القائلة ان الجسم كان سفينة فضائية غريبة تعمل بمحركات ذرية فقدت السيطرة عليها حال دخولها الاجواء الارضية. ويعتقد ان سفينة كهذه كانت متجهة صوب بحيرة (البيكال) لانها كانت بحاجة الى الماء لتبريد مفاعلاتها النووية، وقبيل ان تصل هدفها ارتفعت درجة حرارة المفاعلات وانفجرت. يرى الاساس العلمي هذه النظرية على انها محض خيال وان بعض افتراضاتها تبدو خيالا بالكامل. بين (أ.أ. جاكسون) و (م.ب. ريان) في جامعة تكساس ان سبب الانفجار ثقب أسود (وهو عبارة عن مادة ذات كتلة لانهائية نتجت من انهيار المادة الى الداخل)، ويعتقد أن الثقب الاسود قد مر بصورة مباشرة عبر الارض وخرج من الجهة الثانية. تأثر الروس كثيرا بهذه النظرية فبحثوا في الصحف المحلية في ايسلندا ونيوفونرلاند الصادرة في حزيران (يونيو) عام ١٩٨٠ ولكنهم لم يعثروا على اية كارثة تماثل (كنغاسكا) اذا ما كان (جاكسون) و (ريان) على صواب. واقترح علماء امريكيون اخرون ان الانفجار سببه (مضاد المادة) وهي مادة تكون شحنات أجزاء ذراتها عكس المادة المألوفة على الأرض، وحال اتصالها بمادة أرضية يحدث انفجار هائل وتختفي المادة مخلفة طاقة كبيرة واشعاعات ذرية. تمتلك هذه النظرية دليلا اقل تأييدا من الذي يفسر نظرية الثقوب السوداء. وتبدو نظرية العالم الانكليزي (فرانك ديبل) القائلة ان الارض اصابها مذنب مقنعة بعض الشيء ولكن صعبة التصديق. فليس ثمة فكرة لعلماء الفلك عن منشأ المذنبات وكيفية تكوينها. تقول النظريتان المعارضتان لنظرية المذنب انه من غير المرجح ان ينتج عن اصطدام المذنب انفجار نووي وان علماء

الفلك قد شاهدوها لفترة طويلة قبل بلوغها الارض في حين يقول المويدون لنظرية المذنب ان المذنب اقبل من اتجاه الشمس فكان من المتعذر الكشف عنه وان الانفجار الذي يسببه يمكن ان يولد تأثيرا مشابها للاشعة الشمسية التي تولد نشاطا اشعاعيا. ولكن لايمتلك المراقبون المئة والعشرون الذين استجوبهم الروس اي سجل لمذنب في المسار المنحني لجسم (تنغاسكا). ومما لفت نظر العلماء مؤخرا ان حادث تنغاسكا حصل في ٣٠ حزيران (يونيو) وفي نفس اليوم بالذات من كل سنة تعبر الأرض المجرى النيزكي الذي يدعى (بيتا توردز) مولدا وابلا نيزكيا. فاذا فربما كان احد هذه الاحجار كبيرة جدا بقيت محترقة في جو الارض وقام السطح الخارجي الساخن برد فعل ازاء السطح الجامد فتفجر مثل زجاج ساخن يغوص فجأة في مياه جامدة.

اذا ما كانت هذه النظرية صحيحة فأن (كولك) يبدو أنه كان على صواب بعد هذا كله. لكن هذا يذكرنا انه كان عاجزا عن ايجاد ابسط دليل لنظريته. لقد مضت ثمانية عقود على الحادث ويبدو انه ليس من المرجح البتة حل لغز انفجار (تنغاسكا).

من هو هاري ويتكلف؟

ورد في كتاب طبع في فرنسا عام ١٩٧٨ ان (هاري ويتكلف) ابشع القتلة الانكليز الذي قتل نحو اربعين امرأة قد انتحر في سجنه في برلين في منتصف عصر الجاز. ولكن لم لم يحظ هذا الاسم بشهرة واسعة النطاق بين دارسي الجريمة على الاقل؟ ان هذا يرجع الى انه قد انتحل اسم (لوفاك بلوم) عندما القي القبض عليه وان انتحاره قد حجب هويته الحقيقية عن السلطات. القصة بكاملها منشورة في كتاب يحمل عنوان «حكايات جديدة عن السحر» من تأليف (لويس بوولز) و (لي بريتون) ونشر ضمن مطبوعات (جي لو) وعلى الرغم من أن العنوان يبدو كأنه أحد الكتب الذي لا يمت للواقع بصلة، لكن في الواقع ان في الكتاب سلسلة من الدراسات للقضايا الواقعية الخارقة والغريبة وثمة فصول عن (نوستردامـوس) و (راسبوتين) و(اوسابيا بلدينو) وتفسيرات لالغاز مشهورة مثل بصمات الشيطان في (ديفون)، وفي فصل (هاري ويتكلف) يذكر الكاتب انه ظهرت في لندن في بداية العشرينات من هذا القرن مجموعة من المقالات الرائعة بحيث نفذت في ايام قلائل، وكانت تضم سلسلة من المجموعات القيمة لـ(اوسكار وايلد). بيد ان مؤلفها (هاري ويتكلف) آثر ان لايظهر وبقي محتجبا عن الانظار، وعاد الصحفيون الذين كانوا يودون لقائه بخفي حنين. وعندما اعتقد الناس ان (ويتكلف) كان اسما مستعارا لكاتب مشهور مثل (برنارد شو) او ربما (ت. س. اليوت)، قرر الظهور. كان وقتذاك يبلغ من العمر الثانية والعشرين، انيقا، محبوبا، غريب الاطوار ومولعا بالرياضة. كان ايضا كريما وقيل انه اختتم احدى اماسيه الصاخبة عندما منح شحاذة جيلة خمسة باوند دون اي مقابل. اعلن انه يعشق الورد ولكنه لم يكن ليترك جذورها تطول الى العشرين ستمترا. لقد كان (ويتكلف) من الطراز الذي يعشقه الانكليز وسرعان

ما حظي بشهرة واسعة.

وكان قد مارس كتابة المقالات والشعر والمسرحيات وعرضت احدى مسرحياته المسماة (سيمبليا) اربعمائة مرة متالية في لندن قبل ان يجوب بها انحاء انكلترا فدرت عليه ثروة سرعان ما وزعها على اصدقائه حتى اصبح في مستهل عام ١٩٢٣ احد «ملوك المجتمع اللندني». وفي ايلول من ذات السنة باع كل ما يملك وأوكل الى ناشره كافة أعماله ومن ثم اختفى. لكن ويتكلف ظهر ثانية في درسدن قبل انصرام السنة حيث كانت المسارح تعرض (سيميليا) بنجاح منقطع النظير وترجمها المؤلف نفسه من الانكليزية الى الالمانية وقدمت في العديد من المسارح على طول نهر الراين. فأسس دار (دوريان فيرلاغ) لنشر الشعر المعاصر واعمال الرسم الحديث وتعد مطبوعات هذه الدار ثروة بحد ذاتها. بيد ان طابع الغموض بقي غالباً عليه، فكان يعدو كل صباح على طول ضفاف نهر الالب حتى التاسعة وفي الساعة السادسة مساء يمضي الى المعارض الادبية والفنية ويلتقي باصدقائه ثم يعود الى منزله في الساعة التاسعة مساء ولم يعرف اي مخلوق ما كان يفعله بقية المساء ولم يتعرض لمثل هذا السؤال. ان سبب انتظام حياته هي علاقته الغرامية مع فتاة تدعى (والي فون هامرشتين) التي تنحدر من ابوين ارستقراطيين شديدي الاعجاب بهذا الكاتب الشاب وكان من المقرر ان تعلن الخطوبة في ٤ تشرين الاول ١٩٢٤. وفي الليلة السابقة لهذا التاريخ اختفى (ويتكلف) ولم يتواجد في مكتبه وشقته واستماتت (والي) في البحث عنه في درسدون دون جدوى. فوضعت الشرطة في حالة انذار سري وقامت بتحقيقات مضنية وكانت نظريتهم انه قد انتحر بينم كانت (والي) تعتقد انه اما اصابه حادث او كان ضحية لجريمة ما فغالبا ما كان يحمل معه مبالغا كبيرة. وعندما مرت أسابيع من البحث، استحال يأسها الى كآبة وبدأت تتحدث عن رغبتها في الدخول لدير الراهبات لكنها فجأة تسلمت رسالة كانت قد وجدت في زنزانة

رجل منهم انتحر في برلين عندما نجح في تمزيق اوردته بواسطة ابزيم حزامه. وتقول الكتابة الموجودة على ظرف الرسالة التي تحمل توقيع (لوفاك بلوم): «سيدي نائب الرايخ اتوسل اليك ان تنقل هذه الرسالة الى صاحبها دون ان تفتحها».

لقد كان (بلوم) من اعنف القتلة واقسى من (جاك السفاح) ولا (بيتر كرتن) السادي (دوسلدورف). اعترف صراحة امام المحكمة التي حاكمته: «في كل عشرة ايام علي ان اتصيد ضحيتي، انني منجرف بتيار رغبة جامحة اعاني بوحشية ريثما اقتل وحالما انتزع احشاء ضحيتي تغمرني بهجة لاتوصف». وعندما سئل عن ماضيه اردف قائلا: «انا جثة، افتكترث الجثة لماضيها؟».

كانت ضحايا (بلوم) من البغايا وبنات الشوارع يصطادهن في شوارع برلين ويصطحبهن الى الفندق ويقتلهن حالما يتعرين. يستخدم بعدئذ سكينا تشبه الخنجر الماليزي ذات قبضة عاجية وينجز عملية تمزيق رهيبة جدا. بحيث ان الاطباء انفسهم وجدوا ان المشهد لايطاق. استمرت جرائم القتل هذه لاكثر من ستة اشهر خيم على ازقة برلين جو من الهلع. واخيرا القي القبض على (بلوم) في ايلول من عام ١٩٢٤ عندما اعتقدت الشرطة انه مشترك في عملية تهريب مخدرات فطرقوا باب غرفته في الفندق بعيد دخوله بلحظات مع مومس. لقد ارتكب بلوم لتوه جريمته الواحدة والثلاثين وكان ينتصب عاريا على مقربة من النافذة وجسد المرأة بين اقدامه. لم يبد اي مقاومة واعترف صراحة بجرائمه فتذكر سبعة وعشرين منها. لقد اعلن انه لايخشى الموت. خصوصا وأن الطريقة التي ينفذ فيها الاعدام في المانيا (بواسطة المقصلة) التي يفضلها كثيرا على طريقة الاعدام شنقا في بريطانيا. لقد كان هذا هو الرجل الذي انتحر في سجنه والذي وجه رسالة مطولة الى خطيبته (والي فون هامرشتين) حيث اخبرها انه صورة الشيطان الذي ينبض بالحياة لانه التقى به وشرح لها انه من طراز (جايكل

والمستر هايد) الرجل الذكي والموهوب الذي تحول فجأة الى وحش ومصاص دماء وتخيل انه ضحية من ضحايا الاستحواذ الشيطاني. ترك لندن بعد ان ارتكب تسعة جرائم بعد ان أحس أن شرطة التحري تلاحقه. كان حبه لـ(والي) عظيما. لقد أخبرها ذات مرة أنها قد تطرح الارواح الشريرة من جسده، ولكن الأيام أثبتت أن تلك كانت محاولة فاشلة.

اغمي على (والي) حال قراءتها الرسالة فالتحقت بدير الراهبات عام ١٩٢٥ باسم (ماري دي دولرز) حيث تضرعت الى الله لانقاذ الروح المعذبة. هذه هي القصة التي سردها (لويس بوولز) الكاتب الذي غدا مشهورا لتعاونه مع (جاكرز بيركر) في كتاب يحمل عنوان (ظهور السحرة). اشار النقاد ان هذا الكتاب يغص بالاخطاء ويلاحظ الكثير منها في فصل (ويتكلف) فمثلا اذا كان تاريخ القاء القبض على (بلوم) صحيحا في ٢٥ ايلول ١٩٢٤- فانها حصلت قبل غياب (ويتكلف) من درسدن في الثالث من تشرين الاول عام١٩٢٤، وإن كنت أعتقد أن ذلك مجرد زلة قلم.

لكن من هو (هاري ويتكلف)؟ يقول (بوولز) ان ويتكلف اخبر المحكمة ان والده الماني وامه دانمركية وانه قد ترعرع في كنف عمه القصاب في سدني في استراليا. يبين (بوولز) في الحوار بينه وبين زميله المؤلف في نهاية احد الفصول ان (ويتكلف) ابن لعائلة انكليزية عريقة، واذا ما تجاهلنا القضاة الثلاثة الذين فتحوا رسالة (بلوم) -متجاهلين بذلك وصيته- فان (والي) ووالديها هم الذين يعرفون هوية ويتكلف الحقيقية لاغير. فالقضاة ووالداها من عداد الموتى وان (والي) الراهبة ذات الخمسة والسبعين عاما لم تفصح لاحد عن قصة شبابها وإن كنا نعتقد انها اخبرت (بوولز) بالقصة. اثارت هذه الحكاية الغريبة فضول المؤلفة الفرنسية المشهورة (فرانسواز دي اوبون) التي شعرت ان (ويتكلف) يستحق أن يؤلف بحقه كتاب. بيد ان رسائلها لـ(بوولز) و (بريتون) لم تلق جوابا،فاتصلت

بالجمعية البريطانية للبحث المسرحي وبشكل خاص مع المؤرخ المسرحي (جون كيندي ميلنغ). لم يسمع (ميلنغ) بـ (ويتكلف) او بمسرحية عنوانها (سيميليا)، فشرع باتصالاته مع شرطة التحري ليعرف ما اذا كانوا يحتفظون باية وثيقة لقاتل جنسي مجهول في بداية العشرينات. لم تجد الشرطة اية وثيقة في اراشيفها، ولم تكن هنالك سلسلة من جرائم قتل البغايا التي تشابه طريقة الريبر في بداية العشرينات. اتصل (ميلنغ) بعد ذلك بـ (جي. هـ. هكوت) صاحب اكبر مكتبة للجرائم في الجزر البريطانية فلم يعثر على سلسلة جرائم جنسية في بداية العشرينات ولم تشر المراجع المسرحية الى (هاري ويتكلف) او مسرحية ناجحة بعنوان (سيميليا). وبدت القضية -على نحو لايمكن تصديقه- ان (بوولز) قد اختلق ببساطة كامل القصة.

كما لم تعثر (ثيلما هولاند) زوجة ابن (اوسكار وايلد) على كتاب يضم الاثار الادبية لـ(وايلدبين) المجموعة الكاملة لزوجها الراحل(فيفيان هولاند) واقترحت ارسال طلب استفسار لمكتبة (ميتشل) في سدني. ولان (ميلنغ) استرالي اعتقدت (ثيلما) ان هذه افضل فرصة تمكنها من اقتفاء اثر (هاري ويتكلف). وما يثير الاستغراب ان هذه المحاولة الطويلة اثمرت عن نتائج ايجابية، ليس فيما يتعلق بهاري ويتكلف ولكن عن قاتل الماني اسمه (وهلم بلوم) وليس (لوفاك بلوم)، اذ نشرت جريدة (ارغس) الصادرة في ٨ آب ١٩٢٢ قصة بعنوان «قاتل مثقف» وعنوانا فرعيا اخر «سلسلة جرائم اديب» للعدد الذي صدر في برلين في ٧ آب جاء فيه:

«ادلى (وهلم بلوم) الرجل ذو الثقافة الواسعة والمواهب الادبية الخصبة الذي قدمت ترجمات مسرحياته الانكليزية في درسدون بنجاح منقطع النظير اعترافا بارتكابه سلسلة من الجرائم المبيته، ارتكب احدها في فندق (الدون) احد فنادق برلين العريق».

ان اهم فقرة في تقرير الجريدة ان (بلوم) اسس دار نشر باسم صحافة دوريان (فيرلاك) في درسدن وهو من الواضح نفسه (بلوم)، الذي انتحر في برلين كما يقول (بوولز). لم يكن (ولهلم بلوم) قاتلا جنسيا، فضحاياه كانوا من رجال البريد بدافع السرقة. ففي المانيا تحمل الطرود البريدية الى الدور، لذا يحمل رجال البريد معهم عادة مبالغ كبيرة. ارسل (ولهلم) لنفسه عدة حوالات بريدية، وقتل سعاة البريد وسرقهم، ولم تحدد (الارغس) عدد الضحايا. وفي المرة الاولى التي نفذ فيها العملية اعترضته مالكة الارض وهو يشنق ساعي البريد فاضطر الى قتلها. انتقل بعد ذلك الى درسدون وبعد برهة وجيزة حاول سرقة ساعي بريد، إذ تربص في فناء الدار وفي يديه مسدسان، بيد ان وصول المستأجر مبكراً على غير عادته اضطره للهرب فاطلق النار على احد رجال الشرطة وعندما فشل مسدساه في اطلاق النيران القي القبض عليه. تبين (الارغس) انه حاول الانتحار في السجن وفشل، الى أن اعدم في عام ١٩٢٢ (على الرغم من ان الارغس لاتذكر وثائق اكثر عن هذا الموضوع). يبقى إذن السؤال المحير، من هو هاري ويتكلف؟ أو يمكن التساؤل: من هو (ولهلم بلوم)؟ اذ ان (بلوم) و (ويتكلف) هما نفس الشخص على ما يبدو. ومن المعلومات المتيسرة لدينا نستطيع القيام بصياغة تجريبية لقصة بلوم-ويتكلف. فهو يشابه طرازا معينا من القتلة المحتالين مثل (لاندرو) و (بيتوت) و (هيغ) سفاك الدماء والقاتل الجنسي (نيفيل هيث). ومثل هذه الشخصيات عادة ما تكون جذابة وتبدو أنها تعيش حياة ناجحة، وتسرد اقاصيصاً عن انتصارات الماضي (نيفيل هيث لقب نفسه «فريق الكابتن روبرت بروك»). ويبدو أن(بلوم) كان يسير على خطى هؤلاء. وفي حالة الفوضى التي ضربت برلين ابان الحرب جمع (بلوم) ثروة كبيرة بقتله سعاة البريد وسرقتهم وقد تكون محاولته الاخيرة درت عليه ثروة طائلة. وربما ان السلطات البريدية في برلين كانت تتربص لقاتل ما. وعندما أصبح الوضع مواتياً للاستقرار واستغلال مواهبه الادبية، انتقل الى

درسدون مسميا نفسه (هاري ويتكلف) حيث أسس دار (دوريان فيرلاك) واصبح مترجما لمسرحيات انكليزية ساعد في عرضها على مسارح (درسدون) على طول نهر الراين. ولانه كان يدعي انه من طبقة انكليزية راقية فاننا نفترض ان اجادته للانكليزية كانت مطلقة كما ان قصة ترعرعه في النمسا ليست بعيدة الاحتمال. ولانه كان يتكلم الالمانية بشكل طليق، فانه يصح الافتراض -كما اخبر المحكمة- انه ابن لاب الماني وام دانماركية. احب (بلوم) فتاة من الطبقة الراقية وروى لها قصة عاطفية كحال عشاق اليوم: انه ابن لعائلة انكليزية عريقة وانه حقق نجاحا ادبيا بين عشية وضحاها في لندن بسبب مجموعاته الخاصة عن اوسكار وايلد ولكنه فضل في بادىء الامر تجنب الشهرة حتى جعل النجاح المتواصل هذا الامر متعذرا. كانت ثروته محصلة مسرحية ناجحة. (سيميليا) (تشابه العنوان مع سالوم امر واضح ونستنتج من هذا ان بلوم كان شديد الاعجاب باوسكار وايلد).

وعلى الرغم من تجنب الشهرة الواسعة فأن ضحايا الاحتيالات السابقة من شأنها ان تهدد كيان حياته الهادىء والمنظم، حياة السرقة في الخفاء. وفي الوقت الذي كان كل شيء يسير على ما يرام عندما كان قاب قوسين او ادنى من افق النجاح والاحترام والزواج السعيد فأنه استنفذ امواله ثانية ولم يجد امامه سوى حل واحد، عودة موجزة لحياة الجريمة، فسرقة واحدة او اثنتان من شأنها ان تعيد حسابه في المصرف وتضمن مستقبله... لكن هذه المرة كانت عليه العودة الى الجريمة وبالا، فقد اكتشف (هاري ويتكلف) انه اللص القاتل (ولهلم بلوم). لم ينف ذلك واعترف صراحة بجرائمه السابقة. لقد خسر كل شيء، وارسل الى برلين حيث يحاكم القتلة فيحاول الانتحار لكنه يعدم بعد ذلك بالمقصلة.

هل هنالك ثمة حقائق عن (ولهلم بلوم) موجودة الان؟ يبدو ان قصف

درسدون قد اتلف أكثر الوثائق المدنية وان الاناس الذين يعرفونه لاكثر من ستين سنة خلت يجب ان يكونوا من عداد الاموات. في نفس الوقت فان (بوولز) واجه تفسيرا غير دقيق وغير منطقي بعض الشيء لسيرة حياة (بلوم) على انه (هاري ويتكلف)، ومن المفيد معرفة مصدر معلوماته، ولكن (فرانسواز دي اوبون) و (جون كيتيدي ميلنغ) لم يوفقا في الاجابة عن هذا السؤال على مايبدو.

اندروكروس
الرجل الذي خلق الحياة

ندرك جميعاً أن خلق حياة داخل مختبر لأمر مستحيل. بيد أن هذا الأمر حصل فعلاً عام ١٨٣٧ على يد اندركروس، العالم الموهوب، لا مرةً واحدة بل مرات عديدة في أقسى الظروف. وما يؤكد قولنا هذا ان تجاربه قد أعادها بنجاح أحد أعضاء جمعية لندن الكهربائية الذي تبنى منهج كروس حرفياً. واحدى محصلات تجاربه هذه أن غدا كروس أكثر الناس مقتاً في بريطانيا، اذ اتهمه أحد الكهنة بالكفر وخرب القرويون المحليون ممتلكاته بينما شرع أحد القساوسة بممارسة تعاويذ التعازيم من رابية تشرف على بيت كروس. وهكذا بات رهين بيته تماماً ريثما وافاه الاجل بعد ثمانية عشر عاماً ليدفن معه سره، لو كان لديه سراً، وليبقى الحدث من أكثر الاحداث غرابةً وغموضاً في التقويم العلمي السنوي. لقد ورث كروس من والديه ثروة ومزرعة ريفية أنيقة (فاين كورت) قرب برومفيلد في سومرست. الا ان الكهربائية سحرت لبه ولما يزل تلميذ مدرسة ابتدائية فاهداها زهرة شبابه. ألقى عام ١٨١٤، ولما يزل في الثلاثين من عمره، محاضرة عن تجاربه في الكهربائية وثمة ما يؤكد ان من بين حضور هذه المحاضرة الشاعر (شيلي) وابنته (ماري) التي تزوجها كروس فيما بعد. واذا كان الامر صحيحاً فان هذه المحاضرة ألهمت ماري لتكتب روايتها (فرانكشتاين) عام ١٨١٦ وهذا ما يجعل كروس، الى درجة ما، (الرجل الذي جسد شخصية فرانكشتاين) كما وصفه احد المؤرخين. وبعد مضي احدى وعشرين سنة على كتابة ماري شيلي رواية (فرانكشتاين)، شرع كروس بتجاربه التي اذاعت صيته في رحاب اوروبا (او ربما لم تفعل ذلك) ومهدت السبيل ليدخل اسمه في (معجم الاعلام القوميين). لم يقده طموحه الى أبعد من صنع بلورات من السيليكا، اذ نجح قبل نحو من ثلاثين سنة في تمرير تيار كهربائي عبر الماء القادم من كهف مملوء بالهوابط (اعمدة متولدة من ترسبات كربونات الكالسيوم تتدلى من سقف مغارة) والصواعد (اعمدة متولدة من ترسبات كاربونات

الكالسيوم بارزة من ارض مغارة) فسرت ناظريه رؤية بلورات كاربونات الكالسيوم وهي تتكون على احد القطبين الكهربائيين . شرع عام ١٨٣٧ بمحاولة لصنع بلورات زجاج طبيعي وصنع زجاجاً من حجر ارضي وكاربونات البوتاسيوم واذابه في حامض هيدروليكي . تتلخص فكرته بالسماح لهذا السائل بالتقطير رويداً رويداً من خلال قالب مصنوع من الحجر المسامي شحن بواسطة نضيدة كهربائية . ولم تنجح الفكرة الا انه عاد بعد اسبوعين وشاهد شيئاً ما غريباً اخذ بالتكون على هذا القالب الحجري الاحمر. لقد كانت في الحقيقة قطعةً من اوكسيد الحديد تم التقاطها عشوائياً من منحدرات جبل (فيسوفس). وتعلقت بقطعة الحجر هذه حليات صغيرة كانت تنمو عليها شعيرات دقيقة تبدو كأنها حشرات دقيقة جداً. بيد أن كروس كان يعلم بإستحالة الأمر فعاود زيارة المختبر بعد ثمانية وعشرين يوماً وتفحص الحجر بواسطة عدسات مكبرة فأدهشه من هذه الشعيرات أن بعضها كان يتحرك حول بعض ريثما توارى شكه بعد ايام قلائل .

اظهر المايكروسكوب الكائنات الدقيقة كأنها بق صغير لاصغرها ست أرجل ولاكبرها ثمان أرجل . لقد كان حقاً امراً غريباً. لكننا قد نجد التفسير الطبيعي لها فالحليات البيض الصغيرة كانت في الاصل (بيوضاً) وضعتها احدى الحشرات التي دخلت مختبره أو ربما كانت هذه البيوض موجودةً اصلاً على الحجر الذي جاء به من (فيسوفس). أما التعليل البديل الأخر فهو أن التيار الكهربائي قد حول الى حد ما بلورات اوكسيد الحديد الى مخلوقات حية ويلوح هذا التعليل غير مألوف، لكنه يستحق، في الوقت نفسه، امعان النظر اذا ما سلمنا ان كروس لم ير اي دلالة على دخول حشرة الى مختبره أو ان بيوضاً جاءت من (فيسوفس) على اوكسيد الحديد. أخذ كروس في هذه المرة إسطوانات زجاجية وملأها بانواع مختلفة من المحاليل مثل نترات النحاس وسلفات النحاس

وسلفات الحديد وغيرها وربطها جميعاً الى أقطاب نضيدة شحن . مضى شهر ولم ير شيئاً وظهرت بعد ذلك، على خمسة اقطاب من اصل سبعة (تركيبات بلورية معينة) ثم شاهد حشرات البق يسبح بعضها حول بعض. وفي محاولة اخيرة منه، ليتيقن أن ما من بيض تحلل السوائل، صنع زجاجاً تحت درجة حرارة قادرة على صهر سبيكة حديد وصبها في ماء مغلي مقطر ثم حفظ الخليط في دورق محكم الإغلاق لايسمح بدخول الهواء وينفذ من سداداتها الزجاجية اسلاك من البلاتين . ثم غسل الدورق بماء مغلي قبل حفظها في درج مظلم . وجد بعد مضي مائة واربعين يوماً حشرة دقيقة تدب حول نفسها داخل الدورق فشك باحتمال أن منفذاً صغيراً ربما سمح للبق بالتسلل ولكنه ايقن، بعد سلسلة من التحوطات التي اتخذها ، انه قد (خلق الحياة). اظهرت التجارب التالية ان هذه الكائنات قادرة على التكاثر ولكنها لم تتمكن من العيش بعد صقيع اول خريف .

عرف علماء الحشرات هذه المخلوقات انها حشرات العث أو القرادة من سلالة (اكاري) وكان من المفروض ان تسمى هذه الاجناس بإسم (اكاري كروسي) . بعث كروس ببحث تجاربه الى جمعية لندن الكهربائية فأعاد تجاربه عالم الكهرباء (دي .اج ديكسن) وهو من سكان مدينة ساندوج في كين وأعلن نتائجه في (الجدول السنوي لبحوث الكهربائية) وكذلك في محضر جلسة الجمعية وحصل على حشرة القرادة نفسها . تحدث كروس عن نتائجه الى أحد محرري الصحف المحلية الذي نشر تقريراً عنه في وسترن جعل اسم (كروس) يتردد على مسامع الاوربيين والستهم . فقد قام بإكتشاف مثير اضطر فيه أغلب الناس الى الاعتقاد بأنه كان ضرباً من السحر، بل حتى وقعت عليه اللائمة عندما حلت بالبلاد آفة أصابت البطاطا في تلك السنة .

إتهمه أحد الكهنة بالكفر والالحاد فهو (متمرد على ديننا المقدس، إذ جعل

من نفســه منافســاً وقحاً لالهنا الذي لايؤمن به). عندئذ حاول كروس جاهداً الدفاع عن نفسه بانه يعبد الله حق عبادته ويبجل هذا الخالق العظيم، مؤكداً أن تجربته هذه لم تكن الا محض مصادفة . بيد ان دفاعه لم يغير من واقع الحال شيئاً فقد خرب الساخطون المحليون عزبته وقاد (فيلب سمث)، أحد القساوسة تجمعات من الغوغاء الى قمة رابية فوق (فاين كورت) ليشرع في قراءة تعاويذ التعازيم. ولم يتوقف الا بعد ان قدم (كروس) ممتطياً صهوة جواده فتفرق الجمع، وربما كان (كروس) قد أرهبهم بقواه السحرية .

وجد (كروس) في عام ١٨٣٧ في (ميخائيل فارادي وكان أعظم علماء عصره) مدافعاً له امام المعهد الملكي إذ قال (فارادي) أنه اعاد تجارب (كروس) وحصل على حشرات (القرادة) نفسها . الا أن هذا الدفاع لم يقطع دابر النقد والنقاد وعندئذ تجلت امام (كروس) حقيقة استحالة اقناع العامة بما قاله وعمله فقرر ان ينسحب بهدوء بعيداً ، الأمر الذي يحفظ له كرامته . كانت سنواته العشر التالية مريرة أقعد فيها المرض زوجته وشقيقه حتى وافاهما الاجل سنة ١٨٤٦ تاركين (كروس)، بعد أن نأى عنه حتى جيرانه، وحيداً في عزلته يحاصره الضيق المادي الناجم لا عن التكاليف الباهظة التي انفقها على تجاربه العلمية حسب بل طبقاً لحساباته عن فشله في تغطية النفقات المنزلية التي اضلته في نهاية المطاف . وفي رسالة بعث بها الى الكاتبة (هاريت مارينو) - التي شاءت الكتابة عن تجاربه - وصف (كروس) نفسه بكلمات تبعث الاسى في النفوس وهي أن المرض والموت يحومان فوقه .

ومع ذلك قبل في تلك السنة بالذات، ولما يبلغ الخامسة والستين من العمر، دعوة لحضور عشاء. وجد (كروس) نفسه جالساً الى جانب فتاة في ربيعها العشرين، فاتنة الجمال ذات شعر أسود، وكانت من اللواتي استهواهن العلم ومعجبة بشكل خاص بـ (كروس). غدت هذه الفتاة، والتي كان اسمها

(كورنيلا ليرنز)، زوجته الثانية في السنوات الست الاخيرة من حياته التي عاشها سعيداً الى درجة ما. كما زار فيها صديقه (فاراداي) في لندن واستقبل فيها عدداً من اصدقائه في فاين كورت. الا ان سلسلة من التشاؤم العميق رافقته منذ اليوم الذي اخبر فيه زوجته انه يرى جهنم، واننا نسكن الارض للذنوب اقترفها الاسبقون (وهي النظرية التي عبر عنها برنادشو على لسان الاب كيغان في جون بلز (الجزيرة الاخرى)). حدث في تلك اللحظة وميض نتج عن تفريغ كهربائي في غرفته، لم يكن ذلك توبيخ له من الاله لضعف في ايمانه ، بل كان نتيجةً لتساقط الثلوج التي سببت (تماساً كهربائياً). وتوفي متأثراً بسكتة دماغية عام ١٨٥٥ في عمر يناهز الواحد والسبعين. ويبقى الغموض يكتنف سر (الاكاري) وبقيت حقائقها اصعب من أن تجد ما يفسر كل ملابساتها. ويطرح الكوماندر (روبرت غولد) في كتابه (حوادث غريبة) مثالاً عن الدكتور (اي . سي . اورمانز) الذي يعد مرجعاً في موضوع (الاكاري) الذي قال انه مقتنع أن حشرات (كروس) كانت من الـ(كلابكو فاكوس) المنزلية الشائعة التي بامكانها التسلل الى داخل الدورق محكم الاغلاق. ولكن لم تتسلل هذه الحشرات الى محلول نترات النحاس أو نترات الحديد وغيرهما؟. يرى (فالنتاين دايل) في كتابه (الالغاز المستعصية) إن هذه الحشرات قد تكون بويضات وصلت الارض بواسطة حجر نيزكي وهي وجهة نظر قد تجد اليوم تأييداً لها في نظريتي (فريد هويل) و (شاندرا ويكراماستك) اللتين تقترحان أن الحياة قد وصلت الارض بواسطة الاحجار النيزكية.

ولكن اذا كان هذا التفسير يوضح لنا ان هذه الكتلة من الحديد المؤكسد تحوي بيوضاً فانه يعجز في الوقت ذاته ان يفسر لنا كيف تسللت هذه البيوض الى تجارب اخرى. ان نجاح بعض التجارب على يد علماء وفشلها على ايدي اخرين في الظروف عينها هو من اكثر الاسرار غموضاً. كنت قد شرحت، في

سيرة حياة (وليم رايش)، كيف وضع رايش تبناً معقماً في ماء مقطر وبعد مرور يوم أو يومين كان التبن مملوءاً باعضاء حية دقيقة كان بعضها يرى بالعين المجردة . وعندما تفحص رايش التجربة بواسطة العدسة المكبرة وجد ان الخلايا على حافة التبن قد انشطرت الى اكياس وان هذه الاكياس تشكل الوحدة الاساسية في الحياة واسماها (البويتز) وادعى رايش انه قادر على توليد (البويتز) لا من المواد العضوية كالسكر والبيض بل من مواد غير عضوية كالتراب والفحم. ويؤكد أيضاً انه يعتقد ايضاً ان الحياة تغمر الأرجاء باسرها وانها قادرة تحت ظروف مواتية على (توليد) خلايا بسيطة. اتخذ (رايش)، لكي يقطع ألسن المتشككين الذين ما برحوا يصرون ان زراعته هذه قد لوثتها الجراثيم والاعضاء الحية الدقيقة في الهواء، كل الاحتياطات نفسها التي اتبعها (كروس) في تجاربه، حيث احرق الفحم ريثما تحجر ثم وضعه في سائل كلورايد البوتاسيوم، وادعى ان (البويتز) اخذت تتكون فوراً. ظهر ان لهذه (البويتز)شحنات كهربائية وانه ربطها بالقطبين السالب والموجب لجهازه ثم استنتج في نهاية المطاف ان هذه البويتز ليست بخلايا حية وانها شكلاً متوسطاً بين الكائنات الحية والميتة.

سأواصل السرد هنا وانقل اليكم نظرية (يونغ) عن التزامنية (والظاهرة الخارجياتية). نعلم جميعاً ان التزامنية، اذا ما استبعدنا قوانين الاحتمالية، هي ظاهرة تحدث يومياً، وفي هذا الصدد يعتقد (يونغ) ان اللاوعي ولاسيما في الاشخاص الشديدي الحيوية قادر بطريقة مجهولة على حث حدوث التزامنية، والظاهرة الخارجياتية هي ظاهرة تسببها هذه القوى المجهولة للاوعي، وقد جاء في احدى القصص المثيرة ان (يونغ) دخل في جدال عنيف مع (فرويد) عن القوة الخارقة. وعندما أحس بحرارة تلهب حجابه الحاجز، حدث انفجار في خزانة الكتب فقال (يونغ) حينئذ ان هذه هي الظاهرة الخارجياتية فأجابه فرويد ان ذلك هراء، فرد عليه (يونغ) ان ذلك ليس بهراء لانك سترى بعد لحظات حدوث انفجار آخر وهو ما حدث فعلاً.

يعتقد (يونغ) ان ما يسمى بالاطباق الطائرة هي نوع من الظاهرة (الخارجياتية) أو (اسقاط اللاوعي) واعتمد، في ادراكه الاطباق الطائرة، الى حد ما على النشاط غير الطبيعي لعقله اللاواعي. ان مانعرفه عن (كروس) يدفعنا الى الاخذ بالتفسير نفسه المذكور آنفاً فيما يتعلق بالقرار الذي حصل . لقد كان رجلاً قوي الاحساس الا انه كان يجنح دوماً نحو الاكتئاب والسوداوية. وكان قد عانى في فترة صباه (استناداً الى ما اورده فالنتاين دايل) من الامراض الكثير، حتى تعلم اخيراً كيف يبرأ منها بقوة الارادة الحقيقة، وروى كاتب سيرة حياته (بيتر هب شك) قصة طريفة جاء فيها ان (كروس) حاول في احد الايام ان يقذف قطةً الى بركة فكان رد فعل القطة ان عضته عضةً قويةً ثم ماتت في آخر تلك الليلة بداء الكلب، وبعد اسابيع قلائل شعر (كروس) بألم مبرح في ذراعه التي هاجمتها القطة وأيقن انها بداية داء الكلب وعاش ساعةً من الحزن والاسى ريثما قرر ان يصرع المرض ويهزمه بقوة الارادة. فاخذ بندقيته وذهب يبحث عن فريسة يصطادها. الى أن خيم عليه الليل وشعر انه بخير وبقليل من الجوع والعطش ريثما غادره الالم بعد يوم او يومين.

ومر بتجربة اخرى شبه صوفية، فعندما كان في طريق عودته الى البيت من بلايموث قضى الليل بطوله في (اكسيتر) بعد ان اضناه الاجهاد والتعب وتقول زوجته الثانية : قليلاً ما اضطجع في فراشه تلك الليلة فما برحت الافكار تلازمه وكانت تبدو، لكثرتها، كأنها الايحاء قد توغل في صدره فما كان بنائم ولم تكن الافكار احلاماً بيد انه كان مهاجراً في خيال يجوب العالم ويرى بعين تواقة الى امجاد الخلق الازلية التي وصفها كأن الروح قد غادرت سجنها الجسدي طليقة تحاول الامساك بحدود الفضاء أو لنقل ليتوارى الفضاء على حدود مداركها الحسية العتيقة فوهبت تلك اللحظات النادرة من حياتها قروناً من الزمن وتكشفت قوانين الطبيعة جلية المعالم ازاء بريق معرفتها الناجحة، لقد احتضنه

شعور الرحمة فأحس بالخلود .

لقد اماطت مذكرات (كورنيليا) اللثام عن حقيقة زوجها فلم يكن رجلاً هاجسه العلم حسب، بل هو شاعر (وإن كان ليس بالفطحل) ذو رؤية غيبية. وسيدرك القارىء هنا انه ليس من ذلك الطراز من الرجال الذين احاط الغموض التام قدرهم، فإسمه سيطرق مسامع العامة عاجلاً أو آجلاً.

بيد ان نظرية (يونغ) سيكون مصيرها الرفض في نهاية المطاف شأنها شأن النظريتين السابقتين. واذا كانت (الاكاري) محصلة لنشاط شاذ لعقل اللاوعي فلماذا اذن نجح الاخرون في اعادة التجارب؟ ويقيناً ان (ريج)اجاب انهم قادرون على هذا العمل بسبب تعثر (كروس) نفسه ازاء سر (البوينات الاصطناعية) (والتي تكرر القول ان لها شحنات كهربائية وانها قد اوصلت بالقطب الموجب أو السالب)، واستحالت (البوينات) الى اشكال حياتية بسيطة. واذا كان الامر كذلك فان تجارب (كروس) ينبغي اعادتها في الوقت الحاضر. واخيراً فان ما يستحق الذكر ان العديد من العلماء الذين حاولوا شرح الطريقة التي حصل فيها (كروس) على نتائجه الغريبة هذه قد توقفوا لتعثرهم في اعادة تجاربه.

لعنة الفراعنة

أطال عالم الآثار (هاورد كارتر) وهو يحمل بيده شمعة، النظر الى قبر الفرعون (توت عنخ امون) عبر فتحة فوق باب القبر . لقد بهره ما رآه اذ ان الذهب أنار ببريقه المكان وهكذا حقق هو وزميله (لورد كارتارفون) اعظم اكتشاف في تأريخ علم الاثار. بيد ان الايام القلائل التالية وضعت بين ايديهم مخطوطة طينية نقش عليها بالخط الهيروغليفي عبارةً (سيضع الموت حباله حول عنق من يحاول تعكير صفو الفرعون في منامه) وشهد نيسان التالي وفاة اللورد كارتارفون بمرض غير مشخص في حين طارد الموت كل من اضطلع في فتح القبر فبلغ عدد الوفيات اثنين وعشرين بحلول عام ١٩٢٩ اي بعد مرور ستة اعوام فقط. رفض البعض الآخر من علماء الآثار الحديث عن فكرة (لعنة الفراعنة) على انها إثارة صحفية ومع ذلك فانه من الصعب الاعتقاد ان هذه السلسلة الطويلة من الوفيات كانت مجرد تزامن مخيف. لقد كان توت عنخ آمون (خليفة) الفرعون الأعظم المنشق اخناتون (نحو ١٣٧٥ ـ ١٣٦٥ ق.م) وهو أول الملوك الموحدين في التاريخ فهجر العاصمة (طيبه) بكل معابدها وبنى لنفسه عاصمةً جديدةً أسماها اخيناتون (سماء اتون) في منطقة تدعى اليوم (تل العمارنه). سجد لاله واحد فقط هو اله الشمس (آتون) اما اناسه الذين وجدوا في عبادة جمع الهة الحيوانات القديمة راحة لهم فقد كرهوا الدين الجديد وتنفسوا الصعداء بموت اخناتون أو لنقل (بمقتله) ولما يزل شاباً وكذا الحال مع الكهنة. أما خليفته فكان ابنه بالتبني أو ربما ابنه فعلاً (توت عنخ آمون) الذي تبوأ العرش وهو طفل صغير ولقي حتفه بضربة على رأسه ولما يبلغ الثامنة عشرة. كان توت عنخ آمون، والحديث هنا للتأريخ، مجرد اسم ربما لا يستحق الذكر حتى، أما انجازه الوحيد، ان كان انجازاً فهو انه قد ارتد الى دينه القديم

وعاد ادراجه الى العاصمة القديمة (طيبه) ولا يعلم احد على وجه الدقة الكيفية التي توفي فيها أكان قد سقط أم مات بضربة في رأسه . سأروي لكم الجزء الغريب من هذه القصة : كان كبير الكهنة (ورئيس البلاط) رجلاً يدعى (آي) اغتصب السلطة وتزوج أرملة توت عنخ آمون (نهو ستامون) البالغة من العمر خمسة عشر عاماً. لقد دام حكمه اربع سنوات الى أن اغتصب السلطة غيره. كان هذا المغتصب الجديد (هورمحب) الذي لم يكن بارزاً في ساحة الميدان بوفاة توت عنخ آمون . لقد ملأ العرش قلبه كراهيةً حتى غدا ، حال تبوأه العرش، دكتاتوراً متسلطاً فأزال من سفر التأريخ كل ما سجله أخناتون وتوت عنخ آمون وأمسك بكل مخطوطة هيروغليفية ليحذف منها اسميهما واستخدم الاحجار الكبيرة لمعبد الشمس في تل العمارنه لبناء ثلاثة معابد في طيبه. ولم يكتف بهذا الحد بل هدم معظم قبور حاشية (آي) والفرعون توت عنخ آمون وسلب كنوزه ليضيفها الى ثروته. ولكن لماذا ؟ ان احد الاسباب المحتملة ان موقع القبر كان محاطاً بالكتمان. الا ان هذا الاحتمال بحد ذاته ذو اساس واه ذلك ان (هورمحب) كان قد تبوأ العرش بعد اربع سنوات من وفاة توت عنخ آمون وهذا يعني ان موقع القبر حتى وان بقي سراً فان هناك العشرات من الكهنة والعمال الذين يمكن (اغراءهم) لكشف موقعه وانه لمن الطبيعي ان تساورك الشكوك ان (لهورمحب) دافعاً آخراً ليترك القبر مصان الحرمة.

وصل (هوارد كارتر) (الذي اكتشف القبر اخيراً) الى القاهرة في سني مراهقته فهو من مواليد ١٨٣٧ . ولما بلغ العشرين من عمره اصبح رئيس فريق المنقبين عن آثار الوجه القبلي والنوبه . ثم بدأ (ثيودور ديفس) وهو ثري اميركي تنقيباته في وادي الملوك عام ١٩٠٢ مهتدياً بنصائح (كارتر). وقبل ذلك شنت مجموعة من لصوص المقابر في عام ١٩٠١ هجوماً مسلحاً على حرس قبر الجد

الاكبر لاخناتون (اهومحوتب) الذي كان شخصيةً متعطشةً للدماء وهربوا بكل خزائنه من ذهب ومجوهرات. غير ان (كارتر) تمكن من هزيمتهم وتقديمهم للمحاكمة مما جعله شخصية غير محبوبة بين المصريين ووجد نفسه عاطلاً يجوب الشوارع وبقي على هذه الحال ريثما اتخذه (ثيودور ديفس) مهندساً لمخططاته فحققا معاً بعض الاكتشافات المذهلة منها اكتشاف قبر (هورمحب) وقبر الملكة العظيمة (حاتشبسوت) وقبر اخناتون (ثوتموس الرابع).

شهدت تلك الفترة رغبةً جارفة لاماطة اللثام عن حقيقة لعنة الفراعنة. كان (جولتدن سمث) مهندس تخطيط بارع عمل مع فريق المنقبين وكان متزوجاً من (كورنيا)، الفتاة الاميركية الفاتنة الجمال التي تبلغ من العمر ٢٨ سنة. وقد توافق الزوجان ان يكون كل من (آرثر) الاميركي الجنسية و (هورنس ويجل) عالم الاثار البريطاني من بين اقرب اصدقائهما. وذات يوم شرع سمث و (ويجل) في النزول الى (وادي الملوك) فوقع نظرهما على مدرج طبيعي يصلح أن يكون مكاناً مناسباً لعرض مسرحيتهم. قرر الجميع عرض (مسرحيتهم الدينية) على ذلك المدرج وان توجه الدعوة الى اغلب اعضاء جمعية علماء الاثار في (الاقصر) بيد ان عرض المسرحية لم يكن لغرض اللهو وحسب، فكلا الرجلين يكنان اعجاباً شديداً لاخناتون ولنتاجات عصره الفنية التي تميزت بانها اقرب الى الحياة من أعمال الفترات الاخرى. اما هدفهم الحقيقي فقد كان التضرع للالهة القديمة لترفع غضبها الذي حل بروح اخناتون ولتتركها تجوب العالم في خلودها التام. لقد توفي اخناتون استناداً الى ما تناقلته الاساطير في السادس والعشرين من كانون الثاني عام ١٣٦٣ ق.م وقرر سمث وويجل عرض مسرحيتهما في هذا التأريخ ووجهت الدعوات ، منذ عام ١٩٠٩ ، على هذا التأريخ.

ارتدى الجميع ، في الثالث والعشرين من كانون الثاني ، ملابس التدريب وظهر الاله (هورنس) يناجي روح اخناتون الظالة (التي جسدها هورنس)

عارضاً عليها ان تتمنى منه شيئاً فترجاه اخناتون ان يريه امه الملكة (تاي) فاستدعى له امه بواسطة الطقوس السحرية وأسرته بحزنها وهي تراه مكبلاً في بؤسه الأبدي. اجابها اخناتون انه وحتى في قنوطه مابرح يرى سلواه في أفكاره التي أسبغها عليه الاله (آتون) ورجاها ان تتلو تراتيله على آتون. ولما بدأت كورنيا في تلاوة التراتيل غطى على صوتها صوت العاصفة القادم فوجدوا أنفسهم ازاء رياح عاتية كانت تقذفهم بالرمال والحجارة الصغيرة فدب الرعب في جسد العاملين وظنوا أن الالهة كانت تقذفهم بالحجارة، فتحتم على التمرين ان يتوقف وان يستعجل الممثلون العودة الى مقراتهم الكائنة بالقرب من قبر (اميت حو) الذي تولى ذات مرة حكم طيبة. شعرت كورنيا، في وقت متاخر من مساء ذلك اليوم، بألم في عينيها بينما أحس هورنس بمغص معوي وحلم الاثنان في تلك اليلة ايضاً حلماً واحداً بأنهما واقفان قرب معبد آمون قبالة تمثال الاله الذي دبت فيه الروح فضربها وأصاب كورنيا في عينيها وهورنس في معدته. وفي اليوم التالي استفحل الألم المبرح في جسد كورنيا بعد أن تقرحت عيناها وأسرعت الى القاهرة لمراجعة اخصائي شخص اصابتها بأسوأ أنواع التراخوما وهو الرمد المصري الذي لم يك قد رآه سابقاً. فيما التحق هورنس برفيقته في مكان العلاج نفسه بعد مضي يوم واحد وقد تراءى له اثناء اجراء العملية انه أقرب الى الموت من الحياة. وهكذا توقفت المسرحية. كان من بين المدعوين لحضور المسرحية كل من هاورد كارتر ولورد كارنافون. كان كارتر، في تلك الفترة، يعمل لصالح ثيودور ديفس الذي قرر عام ١٩١٤ أن يهجر أعماله بعد أن ايقن أنه قد وجد ضالته في وادي الملوك. هنا أطبق كارنافون فكيه على هذا الحق المباح فهو يعلم ان ديفس قد ادرك تماماً انه عثر على قبر توت عنخ آمون وهو قبر كبير يضم سبائك الذهب وأشياء اخرى ولكنهما لم يصدقا معاً ان الفرعون قد دفن بهذه الطريقة المتواضعة. الا ان ارتفاع حرارة الجو حالت دون شروعهما في عملية الحفر حتى عام ١٩١٧ حيث بدأ كارتر العمل ببطء وانتظام

محاولاً ازالة مئات الأطنان من الانقاض التي خلفتها أعمال الحفر السابقة - شعر كـارنافـون، حيث لم يجد كـارتر شيئاً عـام ١٩٢٢ ، انه قد استنفذ الأموال على وادي الملـوك دون طائل فطلب منه كـارتر فـرصـة اخرى فـوافق على ذلك. بدأ كـارتر في الأول من تشرين الثاني عـام ١٩٢٢ تنقيبات جديدة فحفر بركة الى الجنوب من رمسيس الرابع، وفي الرابع من الشهر ذاته اكتشف العاملون سلماً تحت أساسات أكواخ كـان كـارتر قـد اكتشفها في عمليات الحفر الاولى وبلغ عـددها في حلول المساء اثنا عشر سلماً تفضي الى بوابة صخرية محكمة الاغلاق. لم يتوان كـارتر في ان يبعث برسالة الى كـارنافـون في بريطانيا فوصل بعد اسبوعين فـقط، شق الاثنان طريقهما عبر البـوابة لـيعيشا حالة من الذهول المتزايد فالقبر لم تصله يد بعـد وثمـة بوابة اخرى أسـفل البـوابة الرئيسـية بثلاثين قدما. أحدث كـارتر بيديه المرتعشتين، فتحة في الكتلة الصخرية من زاويتها العليا وأمعن النظر خـلالها، بمساعده ضـوء الشـمعـة، ليرى الحيوانات الغريبة والتماثيل والذهب وشـاهد مـراكب مـقلوبة تجرها الخـيـول وتماثيلاً بحجمها الطبيعي واسرة وعروشاً مطليـة بالذهب. بيـد انه لم ير المومياء فهذه لم تكن سوى حجرة الانتظار ولكنها هي التي وجـد فـيـهـا المخطوطة (سـيضع الموت حباله حول عنق كل من يحاول تعكير صـفـو الفـرعـون في منامـه) لقـد دونها كارتر ثم اختفت بعد أن خشي أن تحدث اشـاعـة وتثير مخاوف العمال. اما تمثال هورس فقد نقش عليه عبارات تدل على انه حـامي القبر. تلقى عـدد من الشـخـصـيـات ،في السـابع من شباط عام ١٩٢٣ ، دعـوة لحـضـور عـمليـة فتح القبر نفسه، استغرقت عملية الخرق التي تفضي الى غـرفـة الكنز سـاعـتين وفي تلك اللحظة لم يكن يفـصلها عن التوابيت الذهبية التي كانت ستنال شهرة عالمية غير بابين مقفلين باحكام فقرروا ترك ذلك الامـر لليـوم التـالي فـالثروة التي أحاطوا بها جعلتهم يتخبطون في أمرهم. بيد ان القـدر قـد حـال بين كـارنافـون ورؤية الثروة بعد ان اقعده المرض في نيسان من تلك السنة.

وذات صباح شعر وهو يتناول فطوره بحرارة عالية تجاوزت اربعين درجة مئوية ارهقت جسده اكثر من اثني عشر يوماً خال طبيبه انها ناجمة عن فتح جرح قديم وهو يحلق ذقنه ولكن هذه الحمى توحي ان مصدرها لسعة بعوضة. بعث في طلب هاورد كارتر الا ان الموت كان أسرع منه فتوفي في الساعة الثانية صباحاً. ولما وصلت عائلته الى سريره انطفأت على حين غرة كامل الأنوار وتحتم عليهم حينها اضاءة الشموع. لقد كان خللاً كهربائياً عمت بسببه الظلمة مدينة القاهرة بأسرها. وأشارت بعض التقارير التي نشرت وفاة لورد كارتافون ان انقطاع التيار الكهربائي لم يكن هناك ما يبرره قط. وطبقاً لما قاله نجل كارتافون فان حدثاً غريباً آخراً قد حدث في تلك الليلة في بريطانيا اذ أخذ كلب الصيد الذي يعود لوالده بالنباح ثم مات. تناقلت الصحف القصص عن (لعنة الفراعنة) وكان هذا الى حد ما خطأ كارتارونس، اذ باع حقوق النشر عن قصة توت عنخ آمون الى صحيفة التايمز اللندنية بينما أخذت بقية الصحف نشر ما يقع بين ايديها من قصص سواء اكانت حقيقة مكتشفة ام ملفقة. بيد أن قصة اللعنة لاتحتاج البتة لأي لمسات صحفية تضاف اليها. فآرثرفيس - عالم الآثار الاميركي الذي ساعد في فتح القبر - أعياه الاجهاد بعيد وفاة كارتافون ونام في غيبوبة لم تفارقه حتى فارق الحياة في فندق (الكونتيننتال) الذي توفي فيه كارتافون. أما جورج جي كولد- نجل الثري الاميركي المشهور- الذي قدم الى القاهرة بعد سماعه موت كارتافون واصطحبه كارتر لرؤية القبر فقد انتابته الحمى في اليوم التالي وتوفي في مساء ذلك اليوم.

كما زار جو وول -الصناعي البريطاني- موقع القبر ومات بعد اصابته بالحمى وهو في طريق عودته الى بريطانيا. كما أن ارشيبال دوغلاس ريد- اخصائي التصوير الشعاعي الذي فحص مومياء توت عنخ آمون باشعة اكس- مات في طريق عودته الى بريطانيا سنة ١٩٢٤ بعد معاناته من نوبات الضعف

الشديد. ازدادت أرقام الوفيات فبلغت ثلاث عشرة ضحية في السنوات القليلة التالية ووصلت بحلول عام ١٩٢٢ اثنين وعشرين. في عام ١٩٢٩ توفيت زوجة كارتافون متأثرة بلسعة بعوض كما مات ريشارد بيتيل -سكرتير كارتر- على فراشه بعد توقف الدورة الدموية وتوفي بالسبب نفسه الاستاذ دوغلاس ديري احد العالمين الذين أجريا عملية تشريح مومياء توت عنخ آمون وذلك عام ١٩٢٥، أما العالم الآخر ويدعى الفريد لوكاس فقد مات بنوبة قلبية في نفس تلك السنة. لم يكتف فيليب فاندنبرغ في كتابه الموسوم « لعنة الفراعنة» بجرد أعداد الموتى الذين اقترنت حالات وفياتهم بفتح قبر توت عنخ آمون بل تعمق أكثر من ذلك عندما ذكر العديد من علماء الآثار الذين اقترنوا بمصر ولقوا حتفهم قبل أوانهم مشيراً الى ان أغلب تلك الحالات قد أضناها الاعياء الشديد قبل مماتها ويضع هوارد كارتر بين ايدينا دليلاً. فقد قاسى هو نفسه في تلك الحادثة بما فيها من نوبات الاكتئاب. يحاول بعدها الكاتب الاجابة عن تساؤل مهم هو هل ان كهنة مصر كانوا على علم بالمواد السامة ونمو الفطر الذي سيبقي على قبورهم ابد الدهر. لقد كان من بين الضحايا الاوائل الذين ذكرهم فرانسو شامبولين الذي حل رموز صخرة روسيتا وعالم الحيوان المصري المشهور بلزوني والطبيب السوابي ثيودور بلهارز (الذي سمي باسمه مرض البلهارزيا) وعالم الآثار جورج مولر وأقرب أصدقاء كارتر الاستاذ جيمس هنري برستيد الذي قال ان كارتر قد اعياه المرض واضناه الوهن بعد تنقيب القبر حتى كان يبدو في بعض الاحيان كانه لا ينتمي الى الجنس البشري ولم يعد يسيراً عليه اتخاذ القرار وبقي هكذا حتى مات في عمر يناهز السادسة والستين.

استهل فاندنبرغ كتابه بمحاورة اجراها مع الدكتور جمال مهرز المدير العام لقسم الآثار في القاهرة. أوضح فيها جمال ،الذي يبلغ من العمر ٥٢ عاماً، عدم ايمانه بفكرة اللعنة قائلاً : «انظر الي، لقد قضيت معظم سني حياتي بين القبور

ومـومياءات الفراعنة وها أنذا مثال حي يبين لك ان كل ذلك ليس الا مصادفة». لم تمض سـوى أربعة أسابيع حتى مات متأثراً بتوقف الدورة الدموية.

ومع ان فـاندنبرغ نفسـه حاول التقليل من صحة فكرة المصادفة فانه لم يوفق في الوقت ذاته في تفسير فكرة (اللعنة) علمياً فتراه يقول ان لشكل الهرم تأثير في هذه (اللعنة). يعتقد أن الهرم يمتص طاقة كونية معينة قادرة على التأثير في صحة الانسـان ويقول ايضاً ان المصريين عرفوا كيفية التحكم في النشاط الاشعاعي. ومن المؤكد أن الكثير سوف يتهم مثل هذه النظريات بأنها ساذجة فاللعنة في نظرهم ما هي الا حصيلة طقوس لايقاظ (الشيطان) الوصي أو الروح. ومثل هذه الاعتقادات مابرحت تلقى من يؤمن بها في وقتنا هذا.

وعلى سبيل المثال، يصف لنا الباحث النفساني جي ليون بلايفر سنواته التي أمضاها في البرازيل وكيف تفحص (ديار الروح الشريرة) التي يلوح انها محصلة اللعنة اي (السحر الاسود). ان معظم الباحثين في (الظواهر الخارقة) ميالون الى الاعتقاد ان الروح الشريرة أو (الشبح) هي نوع من ظاهرة العقل اللاواعي عند (المراهق المضطرب) وان الاشياء عندما تحلق فجأة حول الغرفة انما سببها (قدرة العقل الآنية وليس القدرة الجسدية).

يرى بليفر بالرغم من قبوله بعض جوانب التفسير اعلاه، ان الروح الشريرة ماهي الا (روح شاردة) يمكن اغوائها بممارسة بعض الطقوس الدينية لتتقمص اشخاصاً معينين أو لتسبب الفوضى في المنازل. واذا ماحدث ذلك فانه سيتم استدعاء اخصائي كاندومبيلي (وهي عبارة لها معناها في افريقيا)لطرد التأثير الشرير وفي الحقيقة ان السحر التقليدي استند ،وعلى مدى العصور، الى هذا الاعتقاد، اي استخدام الروح لاغراض سحرية. درس ماكس فريدم لونغ،الباحث المعاصر الاخر، ديانة (الحنة) في هاواي وبات موقناً ان كهنة هذه

الديانة المعروفين باسم (كاهوناس) كان باستطاعتهم احداث الموت بتأثير (صلاة الموت) وكتب يقول : «الحقيقة انني تفحصت ،وعلى مدى سنين عديدة، معلومات وردتني من أطباء اعتادوا التردد الى مستشفى الملكة في هونولولو. لم تمر سنة الا ورأيت فيها ضحية أو أكثر توفيت بتأثير السحر الفعال دون أن تنفع لها شيئاً جهود الأطباء الحثيثة». يقول لونغ ان الكاهوناس يعتقدون ان للانسان ثلاث أنفس أو أرواح هي الانفس السفلى والوسطى والعليا. النفس السفلى هي أقرب الى ما سماه فرويد بـ (اللاوعي) وهي تقود قوى الانسان الحيوية وتهيمن عليها العاطفة. أما النفس الوسطى فتمثل الحالة الواعية الاعتيادية اليومية للانسان. بينما تصلح تسمية العليا «العقل الخارق الوعي» فهي تمثل قوى تجهلها النفس الاعتيادية اليومية. تتخذ هذه الأنفس الثلاثة من الجسد مستقراً لها لاتفارقه الا بعد الموت.

بيد ان النفس السفلى قد تنفصل احياناً عن الاخريتين فتصبح عندئذ روحاً دنيوية من النوع الذي يسبب اضطرابات الشبح الصاخبة أو الروح الشريرة وهي مركز الذاكرة ايضاً طبقاً الى معتقد الكاهوناس بينما تفتقد النفس الوسطى لذلك والتي اذا ماانفصلت عن الاخريتين غدت كالطيف الضال لايملك ذاكرة أو ما يمكن اعتباره (الشبح). وبضوء ما أورده لونغ فان (صلاة الموت) تستغيث بأرواح سفلى طليقة شديدة التعرض للايحاء وسهلة الانقياد. أما ضحية صلاة الموت فتراه يعاني اضطراباً مطرداً بعد ان تستنزف الارواح طاقاته الحيوية. لقد استقى لونغ معلوماته حول الكاهوناس (التي دونها في كتابه الموسوم «العلم الخفي في ما وراء المعجزات») من طبيب يدعى وليام نوقس بريغهام الذي درس تقاليد هؤلاء الاقوام فترة سنوات. اخبره بريغهام قصة حقيقية عن صلاة الموت مفادها انه حضر حفلة لسكان الهاواي لتسلق جبل وهنالك مرض صبي لم يتجاوز عمره الخامسة عشر اخذ يشعر بالخدر الشديد يرتفع من أخمص قدمه

فأخبر بريغهام انه ضحية صلاة الموت. وكان أحد رجال الكاهوناس (الكاهونة) يمقت في قريته الرجل الابيض ويهدد ان اياً من سكان الهاواي سيكون ضحية صلاة الموت لو عمل لصالح الرجل الابيض وعليه بات الصبي ضحية صلاة الموت عندما قبل العمل عند بريغهام وعلم الكاهونة بذلك بواسطة الاستبصار فادى صلاة الموت لكي توصل الصبي الى نهايته.

طلب سكان هاواي ،وقتئذ، من بريغهام الذين اعتقدوا أنه ساحر ايضاً ان ينقذ الغلام فقرر المحاولة. انتصب فوق الصبي عاملاً بافتراضه ان الارواح السفلى قد هاجمته وان هذه الارواح شديدة التأثر بالايحاء فحاول متزلفاً ومخاطباً لها ان الصبي هو ضحية بريئة وان الطبيب الدجال هو الذي يستحق ان تكسر عظامه. لم يحاول ان يحيد عن فكرة الطبيب الدجال وان يواصل تأكيدها لسويعات قليلة اخرى لاسيما وقد اتضح له ان التوتر اخذ يتلاشى فحق له ان يتنفس الصعداء. اعلن الصبي انه قد بدأ يشعر برجليه. بعدئذ شاء بريغهام زيارة قرية الغلام وعلم هنالك ان الكاهونة قد مات بعد ان اخبر سكانها ان (الساحر الابيض) قد قلب عليه الارواح لتهاجمه فيما يعتقد بريغهام ان الكاهونة قد ذهب للنوم مبكراً وعندما استفاق وجد نفسه تحت هجوم لم ينفع معه شيء فلقد سبق السيف العذل. يعتقد لونغ ان افريقيا هي اصل الكاهوناس وربما تكون مصر موطنهم (بدأت رحلتهم من البحر الاحمر في كين) وهي اقرب ما تكون الى الرأي القائل انهم قدموا من مصر عبر البحر الاحمر. يؤمن المصريون ان الانسان كائن مركب وجسد تستوطنه عدة ارواح اولها تسمى الـ (كا) أو (الروح المزدوجة) وهي اقرب الى ما يسمى احياناً (الجسد الوهمي) والـ (با) أو روح القلب والـ (كو) أو الروح الدينية وهنالك ايضاً الـ (آب) أو روح القلب والـ (كابيت) أو الظل والـ (اسيكم) أو القوة الحيوية والـ (رين) أو اسم الانسان.

يقول لونغ : «نجد في مصر مثلما نتوقع . . بصمات محدودة تشير الى نظام الكاهوناس». ومضى يصف تقاليد مصر بتفاصيل أدق ويعتقد ان الكاهونة قد وصلت هاواي عبر مصر كما تركوا بعض بصماتهم على ديانة الهندوس. ان المؤثرات الغريبة الواهنة التي اختبرها العلماء ،بما فيهم كارتر، تشبه في جوانب عديدة مؤثرات صلاة الموت التي وصفها بريغهام ولونغ بيد انه ليس من الضرورة اقامة جسر من الروابط المباشرة بين الكاهوناس في هاواي وديانة مصر القديمة. فاذا ما كان لونغ وبليفر على صواب واذا ما أمكن استخدام (الشبح الصاخب) أو (الأرواح السفلى) لأغراض سحرية فانه من المنطقي الاعتقاد ان كهنة مصر القديمة قد استخدموها (حماية للقبر). لقد وصف الساحر البريطاني بول برنتون، في كتابه الموسوم «البحث عن مصر الخفية» ليلة أمضاها في (ديوان الملك في الهرم الأكبر) فهو يتحدث عن شعور غريب (اني لم أكن وحيداً) وتطور الى احساس انه أسير (كائنات معادية -مخلوقات بدائية هائلة- رعب شيطاني من العالم السفلي- معالم الجنون والغرابة والشيطانية) وجاءت النهاية بحزنها الرهيب فلقد اختفى الغزاة الأشباح وتوارى معهم حقدهم فساور برنتون شعور ان حب الخير قد عم الديوان ثم اعتقد انه قد شاهد اثنين من كبار الكهنة.

يعترف فاندنبرغ الذي نقل ذلك ان كل ما أورده برنتون هو من بنات خياله، بيد انه يصف لنا في الوقت ذاته كيف انه سمع في أثناء زيارته للهرم عام ١٩٧٢ ، عويل امرأة انهارت بعدها ثم فقدت قدرتها على الحركة وقد أخبرته فيما بعد : «أشعر كأن شيئاً ما قد ضربني». واكد الدليل ان مثل هذه الهجومات ليست بالشيء الجديد. فاذا ما كانت هذه الوقائع الغريبة مجرد خيالات لكان من المنطقي أن نقول ان الشيء ذاته ينطبق على الفراعنة. وقبل هذا وذاك فان فاندنبرغ قد توفي بما يشبه لعنة الفراعنة بينما توفي الاخرون نتيجة لنوبة قلبية أو توقف الدورة الدموية. وفي برنامج لهيئة الاذاعة البريطانية (BBC) عن لعنة

الفراعنـة أكد هنري لنكولن - الباحث في لغز رينيه لي شاتو- : «ليس هنالك البتة لعنة الفراعنة» ويقيناً ان هذا هو التفكير الأكثر ارتياحاً.

التكهن النفسي

تلسكوب يكشف الماضي

اجتمع أعضاء جمعية (علم النفس التأملي) في شتاء عام ١٩٢١ في باريس ليختبروا امرأة تمتلك القدرة على الاستبصار. وقد كتب شخص ما رسالة وطلب من شخص آخر ان يوصلها إليها، ولكن قبل أن تصل إليها وقعت بيد الكاتب الروائي باسكال فورتني الذي قال: «ليس من الصعب اكتشاف أي شيء ينطبق على أي شخص». بعدها أغمض عينيه وتفوه بوقار «آه .. نعم .. اني أرى جريمة، جريمة قتل ......» ولما انتهى من كلامه قال الرجل الذي جلب الرسالة «لقد كتبها هنري لاندرو». كان لاندرو قاتل نساء حوكم بعد ذلك عن جريمة قتل احدى عشرة امرأة. وقد اكتشف المتشكك (فورتني) بانه كان يمتلك قدرة غريبة تعرف بالتكهن النفسي، وهي القدرة على معرفة تاريخ الشيء حال لمسه باليد.

واستناداً للرجل الذي ابتكر الكلمة، وهو طبيب امريكي يدعى (جوزيف رودز بوكانان)، -يعمل استاذاً للطب في كنتاكي- فان هذه القدرة نمتلكها جميعاً، ولكن عادة نمارسها بشكل لا شعوري. وقد توصل الى الاعتقاد بوجود مثل هذه القدرة البشرية عام ١٩٤٨ عندما التقى بمطران يدعى (ليونيداز بولك) الذي يدعي انه يستطيع التعرف على النحاس الأصفر عند لمسه اياه -حتى في الظلام- لأنه يسبب طعماً خاصاً في فمه. وقد كان (بوكانان) مهتماً بعلم يعرف بـ(فراسة الدماغ)، وهو دراسة شكل الجمجمة بوصفه مظهراً دالاً على الشخصية، وقد بين اكتشافه ان (بولك) يمتلك ما يدل على حساسيته المفرطة. فقرر ان يجري اختباراً علمياً للطلبة الذين يمتلكون مثلما يمتلك (بولك)، فقام

بتغليف مختلف المعادن بالورق، وابتهج عندما اكتشف ان العديد من طلبته يستطيعون استكشاف النحاس الأصفر والحديد والرصاص وغيرها من المعادن بمجرد ضغط أطراف أصابعهم على الورق، وكان باستطاعتهم تمييز المواد مثل الملح والسكر والفلفل والخل.

استنتج بولكانان ان التفسير يكمن في ما يشبه (الجو العصبي) المحيط بأطراف الأصابع الذي بامكانه ان يكشف المعادن مثلما نستطيع ان نميزها عندما نتذوقها بطرف اللسان. وقد ظهر ما يؤكد كلامه عندما لاحظ ان العملية تبدو أفضل عندما تكون اليدان مرطوبتين بالعرق ذلك ان الجلد الرطب حساس أكثر من الجلد الجاف. لكن هذا التفسير بدا غير واف عندما اكتشف ان أحد الافراد الذين يختبرهم وهو أكثرهم حساسية -يدعى (تشارلز أنهان)- بامكانه معرفة مضامين الرسائل المغلقة، وشخصيات كاتبيها. وكان تفسير (بوكانان) لذلك هو ان (الجو العصبي) للكاتب يترك نوعاً من الاثر على الرسالة، وقد كان انهان قادراً على التقاط هذا الأثر من خلال جوه العصبي. وبكلمات اخرى كانت حساسية (انهان) تتطور بشكل غير طبيعي بنفس الطريقة التي تتطور فيها حاسة الشم عند الكلب البوليسي.

لكن هذه النظرية فشلت أيضاً عندما اتضح ان (انهان) كشف عن نفس المشاهد عندما قدمت له صور في ظروف مغلقة (وكانت صوراً دغرية[1]). وحتى لو قلنا جدلاً ان الصورة كانت على اتصال مع الجالس امام المصور وانها التقطت بعضاً من جوه العصبي، فان ذلك لم يعد مقنعاً عندما اكتشف (بوكانان) ان صور الجرائد أعطت نفس النتائج التي أعطتها الصور الدغرية.

قرأ الاستاذ في علم الجيولوجيا (وليام دنتون) من جامعة بوسطن البحث

(١) daguerreotype : وهي طريقة قديمة في التصوير الفوتغرافي على الواح فضية.

الأصلي (لبوكانان) حول التكهن النفسي فقرر ان يجرب بنفسه. كما كانت شقيقته آن حساسة جداً بل أثبتت انها أفضل من اثنان في مجال التكهن النفسي، فهي لم تكن قادرة على وصف شخصية كاتب الرسالة فحسب بل تستطيع ايضاً وصف مظهره الخارجي ومايحيط به. وقد جعل هذا (دنتون) يتساءل : أيمكن ان تنطبع على الرسالة صورة الكاتب وما يحيط به، لماذا لاتنطبع الاشياء على الصخور المحيطة بها، تلك الاشياء المجاورة للصخور فترة سنوات. لذا بدأ دنتون عام ١٨٥٣ باختبار الناس الحساسين بعينات جيولوجية وأثرية، وفرح عندما وجد ان تأريخ العينة يمر امام الشخص الحساس مثل منظر بانورامي شامل دون ان يكون له أية معرفة مسبقة بالعينة ومن دون ان يراها. فعندما وضع في يد اخته قطعة من حجر بركاني من هاواي، اندهشت عند رؤيتها بحراً من النيران يغلي وهو يتحدر في هوة وقد رأت فيها رأت بحراً يعج بالسفن. أدرك عندها دنتون ان انفجار بركان قذف الحجر في عام ١٨٤٠ عندما كانت مجموعة من السفن الاميركية في هاواي. وأظهرت كسرة عظم وجدت في قطعة من حجر الكلس صورةً لشاطيء فيه ديناصورات يعود الى ما قبل التاريخ. بينما اظهرت كسرة من آنية فخارية هندية صورة للهنود الحمر. وتجلت من حجر نيزكي صور لفضاء تبدو فيه النجوم كبيرة ومشرقة بشكل غير طبيعي. كما تجلى من حجر صخري من نياغارا صورةً لتيار شديد يقذف رذاذاً بشدة (تصورته بخاراً). واظهرت قطعة من الهوابط (وهي رواسب كلسية مدلاة من سقوف المغارات) صورة لقطع من صخور مدلاة شبيهة بالدلاة الجليدية. ولكي يكون واثقاً من ان الذين إستخدمهم للتجربة لم يلتقطوا أية إشارات لاشعورية ولم يميزوا العينات، عمد دنتون الى تغليفها بورق سميك. وقد وجد ايضاً أن اجراء التجربة على نفس العينة ولكن في وقت آخر -ولنقل بعد شهر- سيتمخض عن النتيجة نفسها برغم ان الصورة لاتكون طبق الاصل.

وفي احـد تجـاربه المثيرة عـرض دنتون لزوجته كسرةً من قرميد روماني مأخوذ من فـيـلا كـانت تعـود الى الخطيب شيشرون، فـوصـفت زوجتـه فـيـلا رومانية وصـفـوفـاً من الجنود، ورأت ايضـاً مـالك الفيلا وهو رجل بدين ذو قسمات رقيقة له مظهـر القـائد. لقد خابت آمال دنتون، فقد كان شيشرون طويلاً ونحيفاً. ثم اكـتـشـف في الوقت الذي بدأ فـيـه بكتابة الجزء الثاني من كتابه (روح الاشياء) ان الـفـيـلا تـعـود ايضـاً الى الطاغـيـة سولا، وان اوصـاف سـولا تنطبق مع وصف زوجتـه. وثمـة محاولة أخـرى مـؤثرة تمثلت في صـورة أحـدثتها قطعة من صخرة بركـانيـة من بومبي. لم تكن لدى السـيـدة دنـتـون أية فكرة عنها ولم تكن تتبينها ولكن كـان لديها انطبـاع قـوي في انها تمثل بركـان فـيزوف وان حشداً من الناس يفـرون بجلودهم من بومبي. وكـان لدى ابن دنتون (شيرمان) رؤية اكثر تفصيلاً عن بومـبي القديمة ويكملها بالكثير من التفاصيل التراثية التي ثبت انها صحيحة تاريخياً ـ كرؤية صورة لقارب تمثل مقدمته رقبة بجعة.

لقـد كـان دنـتـون مـهـتـمّاً بالموضـوع بشكل كبير الى الحد الذي اعتقد فيه أنه اكـتـشـف مـع بـوكـانـان قـدرة بشرية لم تكن مـعـروفـة في الســابق وهي نوع من (تلسكوب يكشف الماضي) يجعلنا قـادرين على احياء مشاهد عظيمة من التاريخ. فكل ما يحدث في العالم يسجل على ما يشبه الشريط السينمائي (على الرغم من هذا، بالطبع، لم يكن صورةً قد ظهرت لدنتون) ويمكن اعادته عند الرغبة.

في الوقت الذي كـان فـيـه الدليل على وجود قدرة بشرية على التكهن النفسي امـراً مقضياً، لم يكن دنتون مدركاً لإمكانية أن يكون ذلك خادعاً. فالجزء الثالث من كـتـاب (روح الاشـيـاء) الذي نشر عـام ١٨٨٨ يحتـوي على صـور لمختلف الكواكب تتنافى ومـا نعـرفـه عنهـا في الوقت الحاضر. فتظهر في كوكب الزهرة على سـبـيل المثـال اشـجـار عـمـلاقة شبيهة بالنباتات الفطرية، وحيوانات تبدو وكأن الرسـام هيرونمـيـوس بوش قـد إبتكرها. ويظهـر المريخ في درجـة حرارة الصيف

رأي الحقيقة ان جوه يصل الى درجة الانجماد) وماهولا بناس لهم اربعة اصابع وعيون زرق وشعر اصفر، ويظهر في المشتري ايضاً ناس شقر ذوو عيون زرق وظفائر تتدلى على صدورهم ولهم القدرة على السباحة في الهواء كالبالونات. لقد تطورت بشكل واضح عند شيرمان ابن دنتون (الذي كان مسؤولاً عن معظم هذه الاوصاف غير الطبيعية) القدرة البشرية التي يدعوها يونغ بـ (الخيال الفعال) اذ كان قادراً على التميز بينها وبين قدراته الحقيقية على التكهن النفسي.

ان ما يؤثر في القاريء الحديث الذي يقرأ كتاب دنتون (روح الاشياء) وكتاب بوكانان (دليل التكهن النفسي) (وله عنوان فرعي متفائل «فجرالحضارة الجديدة») هو مداخلها العلمية الشاملة. وهذا ما أثر في معاصريهما في البداية. ولكن، لسوء الحظ، فان الفترة التي كانوا يعرضون فيها تجاربهم هي نفس الفترة التي انتشر فيها حماس جديد لإيمان بامكان الاتصال بالارواح عبر امريكا واوربا. وقد بدأ ذلك بظهور أشباح مزعجة غريبة في بيت عائلة فوكس في ولاية نيويورك في أواخر الأربعينات من القرن التاسع عشر. وعند حلول عام ١٨٦٠ كانت هذه الظاهرة منتشرة على مستوى العالم وقد روعت العلماء مما جعل معظمهم يستبعدونها ويعتبرونها محض وهم. وأخذ كل شيء يرتبط بما وراء الطبيعة عن بعد يهدف الى نفس الاتجاه التشككي. فلم تنل أبحاث بوكانان ودنتون الاهتمام الذي تستحقه. وقد توفي دنتون عام ١٨٨٣ وبوكانان عام ١٩٠٠ وكان يكتنف وفاتهما غموض مشترك.

وقد قام بالتجارب الأساسية التالية حول التكهن النفسي الدكتور غوستاف بيجنستشر، الألماني الذي ذهب الى مدينة مكسيكو في الثمانينات من القرن التاسع عشر. وقد كان يعتبر نفسه مادياً وواقعياً. وبعيد الحرب العالمية الاولى كان بيجنستشر يعالج بالتنويم المغناطيسي مريضة مصابة بالأرق اسمها ماريا ريزدي زيرولد. وذات يوم بينما كانت مستلقية في غيبوبة في احدى جلسات التنويم

المغناطيسي، أخبرته ان اختها كانت تسترق السمع عند الباب ففتح بيجنستشر الباب ووجد الأخت هناك. فبدأ بإختبار القدرات غير الطبيعية لماريا ووجد انها تحت التنويم المغناطيسي تشاطره في حواسه فإذا وضع سكراً أو ملحاً على لسانه أمكنها تذوقه، واذا حمل عود ثقاب مشتعل بالقرب من أصابعه شعرت بحرارة اللهب. ثم بدأ يختبر قدراتها في التكهن النفسي. وعلى غرار ما حدث في الحالات التي تطرق اليها دنتون، فقد كان باستطاعتها ان تصف من أين أتت العينة. فعند حملها صدفة بحرية، وصفت اندفاعة عنيفة وسريعة عبر الفضاء باتجاه الغلاف الجوي للأرض (انني خائفة! يا إلهي!). وعندما أراد الدكتور والتر فرانكلين برنس اختبارها نيابة عن الجمعية الأمريكية للبحوث النفسية، وضع في يدها شيئاً شبيهاً بحبة فاصوليا بحرية كان قد وجدها على الشاطيء، فوصفت غابة استوائية، وقد اكد علماء النبات إن الحبة كانت تمثل جوزة من شجرة نمت في غابة استوائية وقد حملتها الانهار الى البحر.

وثمة شخص بارز آخر قام بتجاربه في العشرينات من هذا القرن وهو الدكتور يوجين أوستي، وهو مدير معهد علم النفس التأملـــي الذي تعرف فيه الكاتب الروائي باسكال فورثني على الرسالة المبعوثة من لاندرو القاتل بالجملة. وقد وصف أوستي في كتابه الكلاسيكي (القدرات الخارقة للطبيعة لدى الانسان) العديد من التجارب حول التكهن النفسي التي اجراها لمختلف الاشخاص الذين لديهم حساسية مميزة.

فقد عثر عام ١٩٢١ على صورة فوتغرافية لكبسولة زجاجية مغلقة تحتوي على سائل ما وجدت قرب المعبد الكبير في بعلبك. وعندما حملت مدام مورال الصورة في يدها، وهي من افضل الذين يستجيبون لمثل هذه المؤثرات لديه (كانت الصورة مشوشة جداً الى حد أنها قد تمثل اي شيء) قالت في الحال انها تذكرها بـ (مكان فيه اناس ميتون) وتذكرها بشيخ واحد على وجه الخصوص.

لقد (رأت) مكاناً واسعاً شبيهاً بكنيسة ضخمة، ثم أستمرت تصف الرجل الذي كان يمثل بجلاء ووضوح كاهناً أعلى. لقد كانت الكبسولة في الصورة تحتوي على دم الرجل الذي قدم نفسه قرباناً في أرض ما بعيدة، وقد وضعت في قبر الكاهن كتذكار.

وبينما لم تكن لدى أوستي أية فكرة عما تمثله الصورة، فوجيء عندما علم ان المهندس الذي وجدها يستطيع ان يؤكد بأنها كانت قد اكتشفت في ضريح فخم في وادي البقاع.

وتثير هذه القصة مرة اخرى المشكلة الرتيبة حول التكهن النفسي. فإفتراض بوكانان الاصلي، ومفاده ان التكهن النفسي هو ببساطة نوع من الاثارة للجو العصبي مما يجعلنا نعتبر المتكهن النفسي نوعاً من الكلاب البوليسية البشرية، لايمكن ان يكون مقنعاً إذا كانت النتيجة هي امكانية الحصول على المعلومات من صور فوتغرافية لايمكن ان نتوقع منها حفظ اي نوع من الأثر. وحتى افتراض دنتون بأن كل شيء يمكن أن (يصور) بطريقة ما الاشياءالمحيطة به، يبدو مبهماً. ففي هذه الحالة، يمكن لقطعة شارع روماني أن (تصور) مساحة محدودة فقط. ورؤية مدام دنتون للمحاربين الرومان تمثل ببساطة برؤيتها سبقاناً مشعرة تمر فوقها.

والفرضية الاكثر احتمالاً هي ان القدرة البشرية المعنية هنا ما هي الا تلك القدرة التي تعرف قديماً بـ (الاستبصار) وهي القدرة الخاصة بمعرفة ما الذي يحدث في مكان آخر أو في زمان آخر. ولكن قدرة المطران بولك على تمييز النحاس الأصفر في الظلام ليست من الاستبصار في شيء. ومن المستحيل بشكل خاص، هنا كما في العديد من الاماكن التي فيها اشياء خارقة، رسم خطوط مقسمة على نحو مرتب.

لقد كان العديد من المتكهنين النفسيين ـمن أمثال جيرارد كرويست، وبيتر هيركوس، وسوزان بادفيلد قادرين على استخدام قدراتهم في مساعدة البوليس على الكشف عن الجرائم : فقد كانت سوزان بادفيلد قادرة على مساعدة بوليس مدينة موسكو في القبض على قاتل اطفال دون ان تغادر منزلها في دورسيت. بيد ان الشيء اللافت للنظر هو أن كرويست يمقت ان يدعى بالمتكهن النفسي او المستبصر وتؤثر فيه كلمةٌ اكثر غموضاً وهي (العارف بما وراء الروح) Parag-nost، وتعني ببساطة القدرة على معرفة ما يكمن وراء الحدود الطبيعية للحواس.

الأشباح المزعجة

الشبح المزعج أو «الشبح الضاج» هو واحد من الظواهر العويصة في موضوعة الأشياء الخارقة للطبيعة. فثمة آلاف من الناس لا يؤمنون بالأشباح بيد انهم مجبرون على الإعتراف بأن الدليل على وجود الأشباح المزعجة من القوة بحيث لايمكن تجنبه. والنظرية المناسبة لمثل هؤلاء المتشككين هي أن الشبح المزعج ما هو إلا نوع من الأفكار الغريبة في العقل البشري، ليس له تفسير.

وإذا كان «الشبح المزعج» يمثل شبحاً أو «روحاً» كما يدل اسمه على ذلك، فان الخاصية الرئيسية التي يتوسم بها هي كونه روحاً شريرة. فالأشباح المزعجة تطير الأشياء في الهواء وتفتح الأبواب وتغلقها وتطلقها، وتظهر بركاً من الماء ولكن ليس في أي مكان. وهي نادرة جداً. وقد يكون من المحتمل أن شبحاً مزعجاً ما يقوم في هذه اللحظة بالذات بفعالية ما ضمن مجال يحيط بقارىء هذا الكتاب ويمتد الى عدة أميال (انني أعرف حالة تحدث الآن وأنا أكتب هذه الكلمات ضمن مجال يمتد الى عدة أميال).

وقد سجلت واحدة من الحالات المعروفة والقديمة في سجل تحت عنوان (Annale Fuldenses) ويرجع تاريخها الى ٨٥٨ بعد الميلاد، حدثت في بيت ريفي في بنجن على نهر الراين. ويصف السجل «روحاً شريرة» ترمي الأحجار وتجعل الجدران تهتز وكأن رجالاً يضربونها بالمطارق. ويعتبر رمي الأحجار من اكثر الفعاليات التي يقوم بها الشبح المزعج. هذا بالإضافة الى إشعال الحرائق وهي من الفعاليات المفضلة لديه (على الرغم من انه لأسباب معينة لا يتسبب في حدوث ضرر خطير) ففي هذه الحالة قام بحرق محاصيل الحقل بعد ان جمعت بوقت قصير. وعلاوة على ذلك فانه يطلق صوتاً (وهي خاصية نادرة في حالات

الأشباح المزعجة) ويعنف الإنسان لقيامه بمختلف الآثام ومن ضمنها الزنا والخيانة الزوجية. لقد فشل الرهبان الذين أرسلهم مطران ماينز على ما يبدو في طرد الشبح المزعج، وفي حقيقة الأمر فان التخلص منه بواسطة طقوس تعويذية ضرب من المستحيل. لقد بدأت ظاهرة الشبح المزعج تدرس بعناية بعد تشكيل جمعية للبحث النفسي عام ١٨٨٢ وقد لوحظ بعدها في الغالبية من الحالات وجود أطفال مراهقين في البيوت التي تحصل فيها مثل هذه الأحداث. وبدأ الافتراض القائل بأن الأطفال هم «سبب» حدوث هذه الحالات معقولاً. ففي عصر فرويد كانت أكثر النظريات قبولاً هي ان الشبح المزعج ما هو إلا نوع من الظهور اللاواعي للطاقات الجنسية لدى المراهق. ولكن لم يقدم أحد نظريةً في كيفية حدوث ذلك بالضبط.

في انكلترة حصلت حالة مثيرة جداً وهي واحدة من أقدم الحالات التي سجلت بشكل كامل والمشهورة بـ «الطبال الشبح في تيدورث». وقد حدثت في آذار (مارس) من عام ١٦٦١ في بيت يعود لقاض يدعى جون مومبسون. لقد كان أهل الدار يستيقظون طوال الليل بسبب أصوات عالية لطرق طبل. وكان القاضي مسؤولاً عن القاء القبض على مشرد يدعى وليام دروري الذي كان يجلب انتباه الآخرين في الشارع بضربه على طبل. وكان مومبسون قد صادر الطبل بالرغم من توسلات دروري، وعندما القي القبض عليه لحيازته أوراقاً رسمية مزيفة، هرب دروري من دون الطبل.

فبدأت الإزعاجات تحدث بعد هذا لأهل مومبسون واستمرت سنتين. لقد كانت الروح تقوم بغلق الأبواب بعنف وتصدر أصوات لهاث كالتي يصدرها الكلب وأصوات خربشة كما تفعل الجرذان الكبيرة هذا بالإضافة لأصوات خرخرة كتلك التي تصدرها الهرة. وقامت الروح باصدار صوت وهي تصرخ «ساحرة، ساحرة!» وقامت بإفراغ الرماد والمبولة التي توضع في حجرة النوم

على أسرة الأطفال وطيرت مختلف الأشياء في الهواء. وقد اعترف دروري عام ١٦٦٣ لأحد زواره، وقد كان في السجن لسرقته خنزيراً، بأنه كان مسؤولاً عن الازعاجات التي حصلت وقال بأنها سوف تستمر حتى يقوم مومبسون بارضائه والتخلي عن طبله. ولكن يبدو ان الظاهرة اختفت في نهاية المطاف.

وثمة حالة مشهورة لشبح مزعج كان يتردد على بيت المبجل صاموئيل ويزلي في إيبورث لنكولنشاير (وهو جد الرجل الذي أسس الحركة النظامية)[1] حيث قام «أولد جيفري» -وهو الاسم الذي كانت العائلة تطلقه على الشبح- باصدار تأوهات مروعة مما أبقى العائلة مستيقظة في الليلة الأولى من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٧١٦ وقد أتبعها بعد بضع ليال بأصوات طرق عالية. وقد قام أيضاً بإحداث أصوات لوقع أقدام تسير في الدهاليز والغرف الفارغة. لقد تركزت الازعاجات على ما يبدو على هتي ويزلي التي تبلغ من العمر التاسعة عشر والتي عادة ما تكون نائمة عند بدء الإزعاجات وهي ترتعد في نومها. وكالعادة أخذت الإزعاجات تخفت تدريجياً.

وقد توقفت الحالة المشهورة بشبح «كوك لين» بعد أن زج برجل بريء في السجن مدة عامين. وتركزت الإزعاجات على اليزابيث بارسنز التي تبلغ العاشرة من عمرها وهي ابنة موظف يعمل كاتباً يدعى ريتشارد بارسنز. كان في عائلة بارسنز اثنان من النزلاء وهما صاحب النزل المحال على المعاش وليام كينت وزوجته فاني لاينز التي تزوجها زواجاً عرفياً اذ كانت اختها اليزابيث زوجة كينت السابقة (وهذا هو سبب عدم زواجهما زواجاً شرعياً لأن القانون يمنع الإقتران بأخت الزوجة المتوفاة). وفي ليلة ما حيث لم يكن كينت موجودا في

(١) Methodism : وهي حركة دينية إصلاحية قادها في اكسفورد عام (١٧٢٩) تشارلز وجون ويزلي محاولين فيها إحياء كنيسة في انكلترة.

البيت، طلبت فاني لاينز من الفتاة التي تبلغ العاشرة من عمرها ان تنام معها لتشعرها بالصحبة، وظلتا مستيقظتين لسماعهما أصوات خربشة وطرق صادرة من خلف الكسوة الخشبية للجدار الداخلي. وبعد هذا بفترة قصيرة توفيت فاني لاينز بسبب الجدري، فانتقل كينت الى مكان آخر، واستمرت أصوات الطرق الغريبة. وقد حاول قسيس يدعى مور أن يتصل بالروح مستخدماً شفرة طرقة واحدة لنعم وطرقتين لكلا. وبهذه الطريقة عرفت الروح نفسها بفاني لاينز متهمةً زوجها بتسميمها بالزرنيخ.

لسوء الحظ لم يكن بارسنز مدركاً أن الأشباح المزعجة غالباً ما تطلق الأكاذيب ولم يكن مستاءاً عند سماعه أن كينت كان قاتلاً، فقد كان يضمر له حقداً، وكان بصدد رفع دعوى عليه لإسترداد المبلغ الذي أقرضه اياه والذي فشل في إيفاءه. وبهذا يكون بارسنز قد سهى عن حقيقة ما وهي ان اصوات الطرق بدأت قبل موت فاني لاينز فنترك السر يكشف فحواه. وبهذا طرقت أسماع كينت أخباراً تقول أن «روحاً ما» تتهمه بجريمة قتل. فجاء الى البيت في كوك لين ليسمع بنفسه وما أن اتهمته أصوات الطرق بجريمة قتل صرخ مغضباً «أنت روح كاذبة».

لقد أصبح الشبح مشهوراً. بيد أن لجنة تضم الدكتور جونسون شرعت في الأمر، وارتأت ان تلزم الصمت مقنعة جونسون بأن الأمر كان مجرد خدعة. فقرر كينت بعدها أن يرفع دعوى ضد التشهير بسمعته. وكان عبء إثبات صحة الدعوى يقع على والد اليزابيث لأنه ولأسباب قانونية هو المدعي. وكان هناك اختبار آخر، فقد أخبروا اليزابيث ان الشبح اذا لم يظهر نفسه هذه المرة فأن والديها سوف يلقيان في السجن. ومن الطبيعي انها كانت متيقنة من ان شيئاً ما قد حدث ولكن الخدم كانوا قد شاهدوها وهم ينظرون من خلال شرخ، وهي تقوم بالطرق على لوح خشبي، فاتهموها بالدجل.

صدر الحكم على بارسنز بالسجن مدة سنتين بالإضافة الى ظهوره ثلاث مرات بخشبة التشهير وهي آلة خشبية للتعذيب تدخل فيها يدا المجرم ورأسه ابتغاء التشهير به. وحكموا على زوجته بالسجن سنة كاملة، وعقوبة المرأة التي غالباً ما تقوم باتصال مع الارواح هي السجن ستة أشهر. هذا بالإضافة الى تغريم القسيس مبلغاً قدره ٥٨٨ باوناً، وكان مبلغاً ضخماً في تلك الأيام. بيد ان الجمهور المحتشد ابدى تعاطفاً واضحاً عندما كان بارسنز ظاهراً على خشبة التشهير، حتى انهم قامو بجمع مبلغ له -وهو عمل غير اعتيادي في ذلك العصر القاسي- اذ كان الجمهور يتمتع برجم العامل المسؤول عن خشبة التشهير وفي بعض الأحيان يقومون بقتله. ومما يدعو للأسف اننا لانعرف مالذي حل بأبطال القصة بعد المحاكمة. بيد ان الواضح من الأمر ان عائلة بارسنز سيئة الحظ قد عانت من ظلم كبير. فقد شهد معظم الشهود منذ البداية انه من المستحيل ان تكون اليرابيث هي التي قامت باصدار أصوات الطرق.

لقد حصلت واحدة من أكثر الحالات شهرة في أمريكا في مزرعة فلاح يدعى جون بيل. وحالة «الساحرة بيل» غير اعتيادية وغريبة. فقد اختفى الشبح المزعج بعد ان تسبب في موت ضحيته وهو بيل بعينه. لقد كان لبيل تسعة أطفال من ضمنهم «بتسي» وهي بنت تبلغ الثانية عشرة من عمرها اذ تركزت عليها فعاليات الشبح بشكل مؤكد. وقد بدأت الإزعاجات عام ١٨١٧ على شكل أصوات خربشة من الجدران وطرقات بين حين وآخر ثم قامت أيد غير مرئية بسحب الشراشف من الأسرة وكانت ثمة أصوات اختناق بدت كأنها صادرة من حنجرة انسان ثم بدأت الأحجار ترمى والاثاث يتحرك، وصفعت الروح بتسي مراراً اذ كان خداها يحمران بعد أصوات الضربات وجرت أيضاً شعرها. وبعد سنة تقريباً قام الشبح المزعج باصدار صوت أجش مبحوح غريب (ونادراً ماتبدو وكأن «الكيان مجبر» على التحكم في وسيط غريب») اذ أصدر

تلميحات مثل «لا أستطيع أن أتحمل رائحة الزنجي». وبعد الانتهاء من عروضه كانت بتسي منهكة جداً اذ من الواضح انها كانت مصدراً لطاقته.

بدأ بعدها الشبح المزعج بمهاجمة جون بيل، فتصلب حنكه وتورم لسانه. وقام الشبح المزعج، الذي بدأ الآن يصدر صوتاً اعتياديا، بتعريف نفسه كهندي ثم كساحرة تدعى أولد كيت باتس (أحدثت بضعة أصوات) وقد بينت انها ستعذب جون بيل حتى يموت وقد فعلت ذلك فعلاً إذ خلعت حذائيه وضربته على وجهه وسببت له رعشات عنيفة في جسده وقد استمرت هكذا حتى تركته ذات يوم عام ١٨٢٠ في ذهول عميق وقد ادعت «الساحرة» انها أعطت «جاك العجوز» جرعة دواء لتقتله. وعندما مات بيل فعلاً ملأت الساحرة البيت بصرخات الانتصار، وعندها انتهت الإزعاجات.

عندما كانت العائلة ذات يوم عام ١٨٢١ تتناول العشاء، كان ثمة صوت عال في المدخنة وقد تدحرج شيء ما يشبه قذيفة المدفع من الموقد وتحول الى دخان وصاح صوت الساحرة «سوف أذهب وأبقى بعيدة مدة سبع سنوات» ولكنها ظلت بعيدة الى الأبد.

قال أحد الخبراء بالأشباح المزعجة ويدعى ناندون فودر بأن تفسير حالة «الساحرة بيل» يكمن في ان والد بتسي حاول أغتصابها وأضاف بأن «الشبح المزعج» ماهو إلا «جزء من الشخصية» وقد انفصل عن الأجزاء الباقية. ولكن ليس ثمة دليل فعلي لأي من هذه الإدعاءات.

وقد حدثت حالة مشهورة اخرى في أمريكا في بيت المبجل الياكم فيلبس عام ١٨٥٠ إذ بدأ الشبح المزعج بتفريق الأثاث واخراج دمى غريبة من ملابس قديمة متروكة وقد كانت هذه الدمى نابضة بالحياة الى حد بعيد وكان يتم تشكيلها ببضعة دقائق بعدها دخل الشبح المزعج مرحلة رمي الأحجار (يلوح ان

معظم الإزعاجات تحدث خلال عدد من المراحل المحددة) وقام بتهشيم زجاج احدى وسبعين نافذة. والتهمت النيران الورق وتحطمت الأشياء وانقذف الى الهواء هاري الذي يبلغ الثانية عشرة من عمره وفي احدى المناسبات وجد موثوقاً الى شجرة. وتعرضت شقيقته آنا التي تكبره بأربع سنوات للقرص والصفعات. وتوقفت الإزعاجات عندما رحلت الأم الى بنسلفانيا ليقضو الشتاء هناك.

لقد أدت سلسلة من الازعاجات قامت بها الأشباح المزعجة في القرن التاسع عشر الى ظهور ولع شديد بالأرواحية[1] وقد بدأت هذه السلسلة بأصوات طرق في بيت عائلة فوكس في هايدزفيل في ولاية نيويورك عام ١٨٤٨ . كان من الواضح ان الإزعاجات قد تركزت على أبنية مارغريت التي تبلغ الثانية عشرة من عمرها. وقد أخبر الجار الذي قام بتوجيه أسئلة للروح (بالشفرة الإعتيادية طرقة واحدة لنعم وطرقتان لكلا) بأن سبب هذه الإزعاجات هو بائع متجول كان قد قتل في البيت (وجدت بعد عدة سنوات عظام بشرية وصندوق لبائع متجول مدفونة في القبو) وقد جعلت هذه الحالة مجموعة من الامريكيين يتبنون الأرواحية فجلسوا حول مائدة في الظلام وشبكوا أيديهم مع بعضها البعض وطلبو من الأرواح تعريف أنفسهم. وقد قامت روح هايدزفيل بتوصيل إشارة ما معلنةً فيها عهداً جديداً للأتصال بالأرواح. لقد إجتاحت الأرواحية في أول الأمر الولايات المتحدة ثم إجتاحت اوروبا.

وفي بداية الخمسينات من القرن التاسع عشر أولى الاهتمام لهذا الاتجاه الروحي الجديد تربوي فرنسي يدعى ليون دنيزارد هايبولت ريفايل عندما برهنت إبنتا صديقه انهما محترفتان في (الكتابة الآلية) فقام بتوجيه عدة انواع من الاسئلة الى (الروح) وكانت أجوبتها بناءة وجادة على غير المعتاد. فجمعها في (كتاب

(١) Spritualism : الإعتقاد بأن أرواح الموتى تتصل بالأحياء عبر وسيط عادة.

الارواح) الذي اصدره ريفايل بإسمه المستعار الآن كاردك والذي اصبح انجيل الأرواحية ردحاً من الزمن. وعلى الرغم من ان انشقاقاً ما قد حصل لاحقاً ضمن الحركة فان العديد من ذوي النفوذ من المؤمنين بالأرواحية رفضوا فكرة كاردك بإمكانية التجسد مرةً اخرى. وحدثت في باريس عام ١٨٦٠ سلسلة من الازعاجات الشديدة في بيت ما في ريودي نويرز، تمثلت في تهشيم النوافذ وتحريك الاثاث بعنف. وقد طلب ريفايل التحدث الى الروح المسؤول عن ذلك. فأوضح (الكيان) الذي ادعى بانه يمثل بعظام واسمال بالية ومتوفى منذ فترة طويلة، بانه قد استخدم (الطاقة الكهربائية) لفتاة خادمة في البيت ليقوم بالازعاجات وقد قال بان الفتاة لم تدرك ذلك اذ كانت في الحقيقة اكثرهم رعباً وكانت الروح تقوم بهذه الاشياء لمجرد التسلية ليس إلا. لقد كان (كاردك) مقتنعاً بأن الاشباح المزعجة ما هي إلا (أرواح ارضية) أي أنهم بشر ميتون ولكنهم لأسباب مختلفة لم يقدروا على الارتقاء الى ما وراء الحالة المادية المحضة.

وقد سجل ولتر هابل حالة من اكثر الحالات الامريكية إثارة للاهتمام في القرن التاسع عشر في كتابه (لغز أمهيرست العظيم) وهي تتحدث عن ساحر انتقل الى بيت عائلة تيد في أمهيرست في نوفاسكوتيا عام ١٨٦٩ ليتحرى عن شبح مزعج صب جل اهتمامه على فتاة في الثامنة عشر من عمرها تدعى أستر كوكس. وكانت الازعاجات قد بدأت في السنة السابقة عندما شهر صديق أستر بوب ماكنيل السلاح عليها آمراً إياها بالدخول الى الغابة لكي يغتصبها وعندما وقعت الازعاجات عليه فر هارباً ولم يعد الى الأبد.

وبعد فترة قصيرة بدأت أصوات حفيف شبيهة بأصوات الفئران تعكر صفو كل من أستر وأختها جين وتأرقهما الليل بطوله. وقد حدث ان قذف صندوق من الكارتون في الهواء وبعد ليلتين بدا جسد أستر منتفخاً كالبالون وقد عاد سيرته الاولى بعد حدوث صوت شبيه بفرقعة الرعد. اما الشراشف فكانت

تتحرك بعنف حول الغرفة وإنتفخت مخدة أستر مثل البالون وظهرت كتابة على الحائط أمام العديد من الشهود تقول (ستكونين ضحيتي يا أستر) وغالباً ما كانت أستر تشكو من (شعور بكهربة) تسري في جسدها. وعندما كان الشبح المزعج يمرق بسرعته، تندلع نيران صغيرة، وتحلق الاشياء حول الغرفة ويتحرك الاثاث وتتحول أستر الى نوع من المغناطيس البشري فتلتصق بها السكاكين والمعادن الاخرى بشدة. وقد نجح هايل في الاتصال بالارواح التي كانت قادرة على ان تبرهن وجودها باخباره بالرقم الموجود داخل ساعته وبتاريخ العملات النقدية الموجودة في جيوبه. وعندما أحترق مخزن الغلال، اتهمت أستر باحراقه عمداً فحكم عليها بالسجن مدة اربعة اشهر. وانقطع ظهور الشبح المزعج بعد خروجها من السجن.

لقد انشأت جمعية البحوث النفسية عام ١٨٨٢ لتدرس هذه الظاهرة السايكولوجية بشكل علمي. وكان من اكثر اعضاءها شهرةً فرانك بودمور الذي الف كتاباً قيماً ذا جزأين عن تاريخ الأرواحية وكان مقتنعاً تماماً بأن الارواح المزعجة ما هي الا اعمال مزيفة يقوم بها الاطفال الذين يرمون الاحجار وكان راغباً برغم ذلك بالاعتراف أن حالةً معروفةً حصلت في دورويستن في عزبة فسكاونت بورتمان ربما كانت حقيقية.

وقد حصلت بعد ذلك مراسلات كثيرة بين بودمور وأندرو لانغ الذي وجد أن شكوك بودمور لن تتوقف عند حد. فكان أمراً مؤكداً فوز لانغ في هذا الجدال.

وفي عام ١٩٠٠ قام سيزار لومبروسو المشهور باهتمامه بعلم الجريمة بالتحقيق في حالة من حالات الأشباح المزعجة حصلت في محل لبيع الخمور في :رينو. بينما هو واقف في قبو الخمور، ارتفعت القناني من الرفوف ببطء ثم

تهشمت على الأرض وقد ساور لومبروسو الشك في ان زوجة صاحب المحل هي التي كانت وراء هذه الإزعاجات بيد انها استمرت في الوقت الذي لم تكن فيه موجودة في المحل فتركزت شكوكه هذه المرة على نادل يبلغ من العمر الثالثة عشر. وصدق ظنه فقد توقفت الإزعاجات بعد طرد الصبي.

كان واضحاً للذين حققوا في هذه المسألة قديماً ان ظاهرة الشبح المزعج كانت مرتبطة بشكل كبير بشخص معين بحد ذاته وعادة ما يكون هذا الشخص مراهقاً. (لم تستخدم كلمة الشبح المزعج في الأيام الأولى من البحث النفسي الا نادراً على الرغم من ان السيدة كاثرين كراو. قد استخدمتها لوصف مختلف الحالات في أفضل كتبها مبيعاً «الجانب المظلم للطبيعة» عام ١٩٨٤) ولم تنته الأربعينات من هذا القرن حتى أصبحت نظرية «العقل اللاواعي» معروفة للجميع. وفي جريدة علم النفس السريري قدم ناندور فودور عام ١٩٤٥ نظريته التي بين فيها ان الأشباح المزعجة هي «أجزاء من الشخصية». وفي عام ١٩٤٦ لاقت مسرحية «الشبح المزعج» لمؤلفها فرانك هارفي نجاحاً ساحقاً في ويست اند، إذ استندت المسرحة الى حالة كانت قد حصلت في بيت بتملي في بورشل بالقرب من فايف وكانت سبباً في حدوث أضرار تقدر بخمسين باوناً من جراء حريق. لقد حول هارفي الحالة في مسرحيته الى بيت راعي الأبرشية دارغمور «العقل اللاواعي» التي قدمها أول الأمر الدكتور ألفريد ونترشتاين عام ١٩٣٠ عند شرحه لحالة الوسيطة النمساوية فريدا ويزل، اذ وصف زوجها اللاحق ان أشياء الزينة كانت تطير من على رف الموقد حال وصول زوجته الى الرعشة. وقد توصلت الكونتيسة زو واسلكو سيركي الى نفس النتائج عندما اختارت شابة رومانية تدعى ألينور زوغن التي كان يحدث ان يصفعها ويلكمها باستمرار شبح مزعج وكانت آثار العض التي ظهرت عليها مبللة باللعاب.

وفي نهاية الأربعينات من هذا القرن لاقت نظرية «العقل اللاواعي» قبولاً

من المحققين النفسانيين الذين تملكهم رغبة في الاعتقاد بأن الشبح المزعج لم يكن وهماً. وقد لخص هذه النظرية باحث في الـ (بي بي سي) (BBC) يدعى براين برانستون في كتابه الموسوم بـ «شيء لا يصدق» عام ١٩٧٦ :

(ارى ان لدينا الحق في الادعاء كفرضية معقولة ان ظاهرة الشبح المزعج يحدثها لاشعورياً فرد تكون نفسه مضطربة وبأن النفس المضطربة تؤثر في الجزء الأسفل في الدماغ، جذر الدماغ، الذي يحدث بدوره ظاهرة الشبح المزعج المميزة من قبل الجميع وغير المعروفة للعلم وتعتبر هذه الظاهرة صرخة معلنة للإنقاذ : كما تقول القصيدة .....

«انني لم أكن الوح بيدي .... بيد اني كنت أغرق»).

ان نظرية برانستون لاتتفق مع حالة كان قد استشهد بها هو في الفصل الذي تحدث فيه عن الأشباح المزعجة. وقد حدثت هذه الحالة في نور ثفليت في كينت اذ يقول برانستون ان الأشباح هدت سكينة مختلف النزلاء ريثما خلت الدار في النهاية. فالنزلاء السابقون وهم عائلة ماكستت كان لديهم صبيان وقد بدأت ظاهرة الشبح المزعج عندهم بأصوات خربشة كأصوات الفئران ثم أخذت الشراشف تسحب من الأسرة وأشياء الزينة تختفي وتظهر مرة أخرى ... الخ حتى قرروا الرحيل من البيت عندما رأت السيدة ماكستد شبحاً بهيئة فتاة في السادسة من عمرها. ولم يكن للنزلاء الذين جاءوا بعدهم أطفال. وقد سمعوا أصواتاً غريبةً في غرفة النوم وشموا رائحة كريهة عفنة ولكن بعد مرور سنة فقط استيقظوا فوجدوا ان احد اطراف السرير ترتفع في الهواء وكان يقف بجانبه شبح ذو لون وردي-برتقالي. كان شفافاً بعض الشيء يمثل امرأة دون رأس. فرحلوا عن البيت أيضاً، ولكن حتى عندما أصبح البيت فارغاً كان بمقدور الجيران ان يسمعوا أصوات طرق ويبدو أنه بدأ يوجه اليهم انذاراً عندما بدأ سريرهم

بالاهتزاز. ويبدو من هذا ان الشبح المزعج بقي في البيت طوال الفترة التي استؤجر فيه مرتين وظل حتى بعد ان أصبح البيت فارغاً.

وقد حقق مؤلف هذا الكتاب في حالة مشابهة[1] حدثت في مدينة بونترفراكت بمقاطعة يوركشاير في بيت عائلة برتشارد اذ حدث ان تحركت الاثاث وأخذت أشياء الزينة تطير وتدفقت رغوة خضراء من الحنفيات واهتز البيت بفرقعات رعدية - وقد شوهد أيضاً شبح يمثل على مايبدو راهباً يرتدي السواد. لقد استهل هذا الشبح فعالياته عندما بلغ الابن الاكبر فيليب الخامسة عشرة من عمره واستغرقت بضعة أيام وما ان بلغت شقيقته ديان الرابعة عشرة من عمرها بدأت الإزعاجات مرة أخرى وكانت هذه المرة اعنف من السابق (كانت ديان بعيدة عن البيت لقضاء عطلتها خلال ظهور الشبح أول مرة). لقد تهشمت كل الأشياء القابلة لذلك في البيت وانقذفت ديان من سريرها مراراً وتكراراً وهاجمها الاثاث المتحرك وطار صليب صغير عليه تمثال المسيح من على الحائط والتصق بظهرها مخلفاً علامة حمراء. ثم خفتت عروض الشبح كما في السابق. لقد كانت ديان نفسها مدركة بأنه كان يستخدم طاقتها بشكل او بآخر وكانت تشعر بحدسها انه لم يكن يقصد ايذاءها.

ان حالات كهذه توحي بان الشبح المزعج هو ليس ظهوراً للعقل اللاواعي لمراهق غير سعيد ولكنه -كما قال كاردك- يمثل كياناً حقيقياً أو «روحاً» يبقى ملازماً لمكان ما وقادراً على اظهار نفسه فقط من خلال الطاقة الفائضة لكائن بشري ما ليس بالضرورة أن يكون مراهقاً.

وقد توصل الى هذه النتيجة غي لايون بليفير الباحث في ما وراء الطبيعة

---

(١) «الأشباح المزعجة. دراسة حول فعاليتها المدمرة» لمؤلفه كولن ولسون -الفصل الرابع- ١٩٨١ .

الذي رحل الى ريودي جانيرو في بداية الستينات من هذا القرن. وخلافاً لانكلترة وفرنسا فقد ظلت البرازيل مخلصة لترجمة «آلان كاردك» للارواحية وغدا كتاباه «كتاب الأرواح» و «كتاب الوسيط» من الكتب المقدسة الرئيسية لأكثر المذاهب تأثيراً في البرازيل ونعني بذلك «الارواحية». لقد حقق كاردك في حالات الأشباح المزعجة في المعهد البرازيلي للبحوث الفيزيائية الاحيائية- السايكولوجية وبدأ في تقبل الاعتقاد البرازيلي بأن الأرواح المزعجة ما هي الا أرواح يمكن أن يسيطر عليها أطباء سحرة يقومون بارسالها لازعاج شخص ما يمقتوه. فقد قام شبح مزعج بمهاجمة فتاة شابة تدعى ماريا عدة مرات محاولاً خنقها واشعال النيران في ثيابها. وقد نقل وسيط ما رسالة من الشبح المزعج تقول بأن ماريا كانت ساحرة في وجودها السابق وقد عانى منها الكثير من الناس وجاء الآن دورها لتدفع ثمن ذلك. لقد قامت ماريا بالانتحار بتجرعها السم في الثالثة عشر من عمرها. ان كتابي بليفير «البقرة الطائرة» و «الحدود المجهولة» يقدمان دليلاً مقنعاً جداً بأن أغلب الازعاجات التي تحدث تعزى الى «الأرواح».

وفي عام ١٩٧٧ قام بليفير وأحد أتباعه موريس غروس وهو عضو في جمعية البحث السايكولوجي بالتحقيق في حالة حصلت في انفيلد شمالي لندن. وقد جاء وصفها مفصلاً في كتاب «هذا البيت مسكون» اذ كان في عائلة هاربر أربعة أطفال تبلغ اعمارهم على التوالي، ثلاث عشرة، واحدى عشرة، وعشرة، وسبع سنوات وأحد الوالدين فقط وكان ثمة توتر نفسي جدير بالملاحظة. بدأت الازعاجات باهتزاز الاسرة وبتحرك الأثاث. وقد حاول بليفير حمل كرسي من مكانه بواسطة سلك فانقطع السلك وقد قال الوسيط الذي جاء الى البيت بأن هناك بضعة كيانات وقد ركزت فعالياتها على جانيت التي تبلغ الحادية عشرة من عمرها. وأخيراً قام بليفير وغروس بالاتصال مع الكيان بواسطة شفرة الطرقات فقال الكيان بأنه يمثل نزيلاً سابقاً في البيت قبل ثلاثين سنة وانه الآن متوفي وبدأ

في كتـابة رسـائل بقلم الرصـاص. وأخيراً أصـدر صـوتاً غريباً خشناً معرفاً نفسه بجو واطسـون وفي مناسبة أخرى كان الكيان يدعو نفسه بيل هايلوك وادعى بأنه جـاء من المقبرة المجـاورة في متنزه دورانت. وعندمـا كـانت توجـه اليـه أسئلة من نوع «هل تعـرف انك ميـت؟» كـان يجيب باحـد اجـوبته المعتادة «أغرب عني». وقـد أمكن التـعـرف لاحـقـاً على بيل هايلوك إذ تبين انه مواطن محلي ولكنه متوفي في البـيت في الوقت الحـاضر. وفي نهاية المطاف قـام المسـتبصر الهولندي دو ميلنغ بقـضـاء فترة معـينة في البـيت وبطريقـة مـا وضـع حـداً للإزعاجات وقدم تقريراً بأحداث «الرحلة الوهمية» التي التقى فيها بفتاة تبلغ الرابعة والعشرين من عمرها لها صلة بالحـالة. وقـد كـان لابنة مـوريس غـروس واسـمها جانيت نفس العمر عندمـا قـتلت بحادثة دهس بدراجة نارية عام ١٩٧٦. ويخمن بليفير ان جانيت هي التي نبـهت والدها بالحـالة التي اقترح بدوره على جاره ان يتصل بجريدة ديلي مـيل واقترح هذا بدوره على محرر الجـريدة ان يجري اتصـالاً بجـمـعـيـة البـحـث السـايكولوجي (لقـد أصر كـاردك على أن عـقـولنا تتأثر بالأرواح اكثر مما نتصور) ولكن مـصـدر الطاقة التي يحتاجها الشبح المزعج او الاشباح المزعجة هو الاطفال وبالدرجـة الاولى من جـانيـت هاربر (لقـد علق بليـفير في أحد المراحل أن نصف محتويات المقبرة المحلية كانت تتردد على البيت على ما يبدو).

ويبـقى الرأي القـائل بأن الارواح المزعـجـة عبارة عن أرواح تـستخدم شكلاً من أشكال الطاقـة البشرية غير سـائد بين المحـقـقـين النفـسـانيين الذين يفضلون نظرية فـودور الاكـثـر علمـيـة. ومع ذلك فـيـبدو أن حالة (الشبح الطبال) التي حـدثـت في تيـدورث تعـزز رأي بليـفير بأن ظاهرة الشـبح المزعج يمكن أن تحدث بسـبب السـحـر والعـرافـة وحـسب الاعـتـقـاد السـائد فان السـاحرات يدعين بان سـحـرهن يتـحقق من خلال استخدامهن للارواح. والشيء الوحيد المؤكد هو أن رأي بودمـور القـائل بأن الارواح المزعـجـة تعـزى عـادةً الى خـدعـة مقصودة، لا

يمكن الدفاع عنه في مواجهة الدليل. ويبين المتشككون ان معظم الظواهر السايكلوجية تحدث بشكل متقطع وبأنها تمثل إستثناء، وقد يكون من الافضل تجاهلها. ولكن هنالك الآلاف من الحالات التي تمثل ظاهرة الاشباح المزعجة قد حدثت فعلاً وهي مستمرةً في الحدوث بشكل منتظم يسهل علينا تسجيلها والتحقيق فيها. ولا يمكن لأي أمريء يفكر بالظاهرة بعقل متفتح أن يفشل في التوصل الى القناعة بأن الشبح المزعج حقيقة واقعة تتحدى التفسير العلمي المحض.

تغير الزمن

مارس العالم الكبير الراحل ايفان ت. ساندرسون تجربة غريبة في باريس التي تعود لخمسة قرون منصرمة وليست باريس اليوم وان القصة التي مازالت متناقضة قد حدثت في هايتي.

وقبل ان يشرع ساندرسون في تفسير هذه التجربة (في كتابه الأشياء الكثيرة) فانه ماكان مهتماً البتة بقضايا السحر، أنه لايؤمن بها في واقع الحال ولكنه كان دائماً ما يقول :

«حياتي واحدة واني مهتم تماماً في التوصل الى أكثر الحقائق واقعية في هذه الحياة».

كان ساندرسون يعيش هو وزوجته في قرية صغيرة تدعى بونت بيدت في هايتي ومعهم مساعدهم فريدريك ج. السوب الذي كان منهمكاً في بحث احيائي. وفي احد الأماسي الجميلة قرر الثلاثة القيام بجولة الى بحيرة اوزري في سيارتهم الرولز رويس القديمة. وبعد توقف قصير في طريق ترابي اندفعوا صوب طريق طيني سبخ وخرجوا من السيارة على محاور العجلات وبدأوا بالمسير الذي طال اكثر الليل حتى أخذ منهم كل مأخذ. صادفتهم سيارة لطبيب اميركي في طريقه لرؤية مريض ولم يتسع المجال للثلاثة فوعدهم بأخذهم في طريق العودة ومشوا على ضوء القمر. ثم (كما يقول ساندرسون: «فجأة بينما كنا نتطلع الى الأرض المغبرة لمحنا ضياءً للقمر في غاية الوضوح وبيوتاً ذات ثلاثة طوابق مختلفة أشكالها كانت مصطفة على جانبي الطريق تاركة ظلالاً كئيبة تتناسب وموقعها).

كـانت هذه البـيـوت خـارج الطريق وكـانت تـبـدو طينيـة فـيـها كميات من الحـجارة الكبيرة.

هذه البـيـوت تعـود الى عصر اليـزابيث في انكلترة ولكن لـسـبب مـا (أيقنت) انها في باريس فـهي ذات سـقـوف متـعـرجـة ورواشن ذات اروقـة خـشبية مثلثة الزوايا ونوافـذ صـغيرة مـصنوعة من ألواح رصاصية.

كـان المكـان كـله يعج باللون الأحمر القـاتم والأضـواء تضيء كأنها شـمـوع مشتعلة.

كـانت ثمة مصابيح ذات اطار حديدي تتدلى من الأعمدة الخشبية البارزة في بعض البـيـوت وكـانت جميعها تتمايل كما لو ان الرياح هي التي تهزها ومع ذلك لم نحس بأي نـسـيـمـة بسيطة للهـواء. يمكنني رسـمه ولكن هذا لا يخدم موضوعنا الآن.

كنت مندهشـاً لذلك وأنا أنظر لما حـولي فـتـوقـفـت زوجتي عن الحركة تماماً وأخـذت تلهث. اصطدمت بها فكانت عـاجـزة عن الكلام فـتـوسلت اليـهـا كي أعـرف السبب. أخذت أخيراً بيدي مشيرة الى ما كنت أنظر اليه بالضبط وفي تلك اللحظة فقدت القدرة على الكلام.

أخـذ أحـدنا يجر الاخـر وسألتـهـا دون وعي : «مـا الذي تعـتـقـدين أنه قد حصل؟».

بيـد أن جـوابها أرعبني وانني لأتذكره جيداً : «كيف بلغنا باريس التي تعود لخمسة قرون منصرمة؟».

لقـد وقـفنا حـيـارى لما نراه ونخـتـار عـبـارات فـردية ونشير ونتـسـاءل عن تفاصيل وهلم جرا.

ومما يثير العجب اننا وجدنا أنفسنا نتأرجح الى الأمام والى الخلف وشعرنا بالتعب الشديدفناديت فريد الذي كان يتوارى بلباسه الأبيض على مسافة بعيدة.

لا أتذكر ماذا حدث بعدئذ لكننا حاولنا العدو نحوه وشعرنا بالاعياء فجلسنا عند صخرة كنا نعتقد انها لجامة كبيرة خشنة. عاد فريد أدراجه مسرعاً ليتساءل عما حدث ولكننا لم نعرف ما نقول له.

عادت زوجتي لوعيها بعد أن شاهدت الضياء ولم ير فريد شيئاً ودهش لهذياننا ولكنه لم يكن متشككاً وأصر على الجلوس في انتظار شاحنة.

ولما رجعوا الى البيت اعترتهم الدهشة فقد أعدت لهم الخادمة وجبة غذاء ساخنة كانت بانتظارهم واناء كبير من الماء الساخن اصرت ان تغسل فيه اقدام السيدة ساندرسون بينما اعد كبير الخدم حماماً ساخناً لساندرسون وفريد.

لم يفسرا كيف عرفا ان ساندرسون ورفيقاه سيعودون مع تباشير الفجر وقال رجل في القرية بعد ذلك لساندرسون: (لقد رأيت أشياءاً، اليست كذلك؟ انك لاتؤمن بها ولكن سترى المزيد منها ان شئت ذلك).

لقد مارس ساندرسون نوعاً من تغيير الزمن الى الماضي وثمة العشرات بل المئات من الحالات المسجلة الاخرى واكثرها شهرةً دون شك قضية السيدتين الانكليزيتين الينور جوردين وشارلوت موبرلي فعندما كانتا تتنزهان في حدائق فرساي في آب (اغسطس) ١٩٠١ وجدتا انهما في فرساي عام ١٧٨٩ قبيل سقوط لويس السادس عشر.

بعد ذلك بعشر سنين سبب كتابها الذي يصف هذه التجربة ضجةً فقد كان جلياً ان السيدتين - اللتين كانتا عميدتين في جامعة اكسفورد - من الثقاة.

استخدم البروفسور س. أي. أم. جود عبارة غرابة الزمن المؤكدة عندما

تكلم عن مغامرتها ولم يحاول تفسير ميكانيكية (تغيير الزمن). وفي كتابي (الالغاز)[1] قدمت مثالاً بارزاً جداً نقلته مباشرة من الشخص المعني وهي السيدة جين اونيل من كامبرج.

وفي عام ١٩٧٣ كانت هي اول من وصل الى مكان حادث خطير لتحطم حافلة وساعدت المصابين على الخروج من الحافلة المحطمة. بدأت بعدها تعاني من الارق واخبرها الطبيب ان ذلك سببه صدمة ما.

وفي احد العطل عندما كانت مع صديقها في نورفولك بدأت تشاهد أطيافاً لصور واضحة مفاجئة استمرت عدة ثوان ـ. وبعد رؤية احداها اخبرت صديقها :(رأيتك في المقصلة) فأجابها صديقها :(ليس هذا بمدهش فأجدادي من الهوجنوت[2] وعوقبوا بزجهم الى المقصلة).

ولكن ابرز الاحداث حصل عند زيارتها لكنيسة فوذرنكي اذ مكثت بعض الوقت تنظر لصورة كروسيفكيشن[3] (الصلب) خلف المذبح وعندما علقت عليها عند عودتها للفندق سألها صديقها :(اية صورة؟) وعندما زاروا الكنيسة في العام التالي وجدوا ان داخل الكنيسة يختلف تماماً عن ما شاهدوه في الزيارة الاولى ولم توجد صورة خلف المذبح فكتبت الى جوان فورمان الخبيرة في تغيير الزمن وخلال اتصالهاالخبرهاعالم اثاري ان ما رأته كان الكنيسةقبل تدميرها عام١٥٥٣. لقد كان ساندرسون وجين اونيل مقتنعان ان ما رآه كان واقعاً وليس ضرباً من الخيال بالرغم من شعورهما بالصداع عند محاولتهما الهرب. وأحد رؤيا جين

---

(١) وهو الكتاب الذي ترجم بعنوان خفايا الحياة، ضمن منشورات دار الادب، بيروت.
(٢) عضو حركة سياسية سويسرية كان يقودها هوجس القائد السويسري السياسي.
(٣) تمثيل لرمز السيد المسيح على شكل صليب.

اونيل لشخصين يمشيان بجانب بحيرة فادركت دون سبب ان احدهم كان مارغريت روبر ابنة السيد توماس مور. ادرك ساندرسون وزوجته انهما كانا ينظران الى باريس القرن الخامس عشر. لذا يتضح ان الرؤيا لم تكن مجرد خيال محسوس مثل سراب في الصحراء بل هو اتساع عقولهم بتشاطره ساندرسون وزوجته بسبب الشعور التخاطري لنوع يتطور عادةً بين العشاق المتزوجين ولكن هذا يفشل في تفسير رؤيتهم باريس في هايتي (لقد كانت هايتي فرنسية ولكن حتى القرن التاسع عشر).

وفي منتصف القرن التاسع عشر طور عالمان امريكيان نظرية تغيير الزمن وهما جوزف ودز بوكانان ووليم دنتون. لقد آمن بوكانان بسبب تجاربه مع طلابه ان الانسان يمتلك القدرة على قراءة تأريخ الاشياء واسماها (السايكومتري ـ منظار للماضي). اختبر دنتون طلابه بكل انواع العينات التأريخية ووجد ان الحساسين بينهم قد شاهدوا صوراً فكرية ذات صلة وثيقة بالاشياء التي يمسكونها (كان دنتون يعلقها بواسطة ورقة صفراء سميكة لذا ليست لديهم فكرة عن مضمونها) فقطعة من حمم البراكين المتصلة اتت برؤيا بركان متفجر وان جزءاً من الحجر النيزكي استرجع رؤيا الفضاء الخارجي وجزء من سن الديناصور استرجع رؤيا الغابات البدائية. آمن دنتون ان جميع الناس يمتلكون هذه القدرة التي اسماها منظار الى الماضي.

كان واضحاً ان لتغير الزمن الذي وصفه ساندرسون وجين اونيل صلة كبيرة مع الرؤيا السايكومترية ولكنها، دون شك ابعد بكثير من الصور والانطباعات الفكرية.

هذا لايعني القول انها ليست صوراً فكرية فبعد تجربتها للحادث استمرت

جين اونيل في رؤيا الجرحى المصابين وهذه الرؤيا تعرف بالصور الخارقة[1].

امتلك العالم نيقولا تيسلا هذه القدرة الى الدرجة التي استطاع فيها انشاء محرك في دماغه يستطيع مشاهدته عملياً وهو يعمل. وبعد تجربة الصور الشمسية في كامل اليوم وجد اسحق نيوتن نفسه قادراً على رسم هلوسة مرئية للشمس بمجرد تخيلها. وتبدو ان هذه قدرة يمتلكها معظم الناس واكثرهم لا يعرفون البتة استخدامها.

قد نخمن ان قدرة جين اونيل المرضية (نتيجة حالة مرضية) قد نشطت القوة الكامنة واستمرت الى درجة ما في العمل غير المنتظم في الاشهر اللاحقة.

فاذا كانت صورة كنيسة القرن السادس عشر نوعاً من الصور الخارقة طافية امام ناظريها فليس ثمة سبب يدعوها لتشخيصها (هذياناً) ما لم تكن قد حاولت لمس الصور التي تعلو المذبح وان اكثرنا يقبل برهان حواسه دون السؤال عنه.

ان التفسير نفسه ينطبق على السيدتين موبلري وجوردن فقد شاهدتا رجالاً ونساءً يرتدون زي لويس السادس عشر (وافترضتا انها كانت بروفة) ولم تحاولا وهو امر طبيعي لمسهم او حتى الحديث معهم (ولانهما انكليزيتان فان الموقف كان يتطلب من يبدأ الحديث اليهما).

وثمة تغييرات في الزمن جمعته جوان فورمان ليبرهن دليلاً آخر. كانت السيدة توريل كلارك، من وسلي ـ كام ـ بيوفورد في سري تقود دراجتها على امتداد الطريق الحديث في طريقها الى صلاة المساء عندما اصبح الطريق فجأةً (ممر

(١) تتضمن كلمة خارقة هاهنا تذكيراً واضحاً جداً ودقة بالغة لصور مرئية.

ميداني) وبدت كأنها تمشي فيه. كانت ترتدي ملابس راهبة وشاهدت رجلاً في زي فلاح يعود للقرن الثالث عشر تنحى جانباً ليفسح لها الطريق. شاهدت بعد ذلك بشهرين بينما كانت جالسة في كنيسة القرية ان الكنيسة قد عادت سيرتها الاولى بطابقها الارضي ومذبحها الصخري ومنافذها وناسكيها ذوي الملابس السمر وهم يرتلون نفس الاغنية الواضحة التي ترتل حالياً في كنيسة معاصرة.

كانت توريل كلارك تشعر وكأنها في مؤخرة الكنيسة تراقب الفعاليات لذا يتضح ان ماحدث هو تغير في وجهة النظر -وجدت نفسها تنظر من خلال عيون شخص آخر- عيون امرأة تمشي على طول الطريق وعيون امرأة واقفة في مؤخرة الكنيسة وعندما وجدت جين اونيل نفسها تنظر الى ابنة السيد توماس مور وهي تمشي بالقرب من بحيرة فتساءلت ان ثمة قرابة (عائلية) اذ ان اسمها الخاص قبل ان تتزوج كان مور. يبدو جلياً ثانية ان ما كانت تراه هو من خلال شخص آخر -هذا يفسر لنا كيف عرفت انها تنظر الى مرغريت روبر- ولان ساندرسون وزوجته ادركا انهما ينظران من خلال عيون اشخاص آخرين. قضى ت. ليثبرج الاستاذ الراحل والعميد المتقاعد في جامعة كامبرج آواخر سنوات حياته لدراسة الخوارق وتوصل الى استنتاج مفيد وهو ان الاشباح في الحقيقة هي نوع من تسجيل الاسطوانات وان العواطف المتأججة من شأنها ان تطبع نفسها في نوع معين من المجال المغناطيسي وان تسجيلها يمكن ان يحصل عليه شخص حساس لهذه الامور -مثل متنبأ جيد (يشمل التنبؤ[1] الحساسية حيال المجال المغناطيسي للماء)- فمثلاً مارس ليثبرج شعوراً غريباً ينذر بالشر والكآبة في مكان اخفيت فيه جثة منتحر في شجرة مجوفة. عبرت جوان فورمان عن قناعتها في ان تغير الزمن له صلة معينة بالمجال الكهرومغناطيسي البشري. لقد كانت نفسها واقفة في ريف هادون هول في ديربي شاير وشاهدت مجموعة تظم اربعة أطفال يمرحون

(١) تعني في هذا السياق استخدام عصا خاصة تدعى عصا الاستنباء وإيجاد الاشياء بها.

ويلعبون. وعندما تقدمت نحوهم تلاشت المجموعة ولكنها عرفت بعد ذلك فتاة في صبغ قديم يتدلى من الحائط. يسمح أكثر طلاب الخوارق لاحتمالية اخرى وهي ان ما يجري «الاتصال به» هو دماغ شخص ما عاش في الماضي السحيق. وفي عام ١٩٠٧ عينت كنيسة انكلترا المعماري فريدريك بلاي بوند لتولي مهمة التنقيب في دير كلاستنبري ولم يعرف عماله انه كان مهتماً بالروحانية. حاول بوند وصديقه بارتلت الكتابة اللاارادية بهدف معرفة مكان بدء الحفر في ارض الدير وعندما سألوا كلاستنبري كتب القلم الذي كانا يحملاه. «كل المعلومات أبدية ومتوفرة للعطف التفكيري». وبعيداً عن ذلك بدأ المتكلم الذي وقع نفسه -وليم النذير- باعطاء معلومات باللغة التفصيل عن مكان التنقيب ونتيجة لذلك حفر بوند كنيستين صغيرتين وكل منهما بالبعد المضبوط الذي اعطاه النذير وليم بينما سجل المتكلم الآخر جوهانس الملاحظة المهمة التالية:

«لم اتمسك بلاشيء؟ انه أنا وليس بأنا ولكن شطر مني يحيى في الماضي وتلتزم بها تعشقه روحي الداخلية وتسميه وطناً لي في هذه السنوات. ومع ذلك فأنا، جوهانسن، في أجزاء عدة وافضل جزء ينجز بقية الأعمال.. إلا ذلك الجزء الذي يتذكر بتصميم كأنه ذاكرة لما يراه». وأفل نجم بوند عندما كتب كتاباً يصف فيه كيفية حصوله على المعلومات التي حققت نجاحاً باهراً لعمليات التنقيب فطردته الكنيسة. ومع ذلك فان كتابه «بوابة التذكر» يبقى برهاناً مثيراً بحيث يستطيع عقل القرن العشرين ان يحصل منه بوضوح على نوع من الرجوع المباشر الى الماضي.

فكل المعلومات ابدية ومتوفرة للعطف الفكري وان تعليقات جوهانس تتضمن جزءاً مني يعيش في الماضي ... ويصير مثل ذاكرة لما تراه.

لذا يبدو بامكان تغير الزمن ان يتضمن اتصالاً مع الدماغ الذي يعيش في الماضي.

يذكر الكثير من الكتاب الذين يصفون تغير الزمن الشعور الغريب في عبور العتبة فعندما عادت المس جورديان بمفردها الى فرساي بعد اشهر من مغامرتها مع المس موبرلي شعرت كأنها عبرت الخط وكانت في دائرة التأثير وشاهدت عمالاً يرتدون ملابس غريبة. اخبرت فتاة تدعى لويزا هاند جوان فورمان كيف انها عندما كانت طفلة دخلت كوخ جدتها ودهشت اذ وجدت نفسها في مكان يحوي اثاثاً بالية فإعتقدت انها اخطأت المكان، خرجت ثم عادت، ولكن المكان ما زال مختلفاً وعندما دخلته في المرة الثالثة عادت الاشياء سيرتها الاولى.

لقد ذكرت ايضاً الاحساس بعبور العتبة وشعور الصمت المقترن بها.

يبدو ان النظرية السايكومترية لبوكانان ودنتون تفسر ظاهرة تغير الزمن ولكن هذا بعيد جداً عن الحقيقة. ان من الممكن ايضاً تغير الزمن بشكل آخر اي نحو المستقبل. تثير جوان فورمان قضية المعلم من هولت في نورفولك فعندما كان شاهداً في حادث مروري لاحظ ان المصبغة التي هي قيد الانشاء قد انتهت وتستخدم الان. اخبر زوجته التي ذهبت في اليوم التالي الى هنالك فوجدت ان المكان قد انجز نصفه. لقد شاهد المعلم المحل في حاله بعد ستة اسابيع. اثيرت اكثر قضايا رؤيا المستقبل في كتاب (قناع الزمن) الذي هو دراسة للاحلام. سبب كتاب ج. و. دون عام ١٩٢٧ (تجربة مع الزمن) ضجة بسبب دراسته (للاحلام الاستباقية) فقد بين دون عدداً من الحالات حلم بحدوثها ولكنه قرأ عنها بعد ذلك في الصحف. مارس ت. س. ليثبرج الكثير من التجارب المماثلة ولاحظ بامعان احلامه وكيف انه غالباً ما حلم باحداث تافهة لليوم التالي فمثلاً انه اوقظ ذات يوم وهو يحلم بوجه رجل لم يره قط وكان الوجه يبدو محاطاً باطار

معين وكان يقوم بحركات بواسطة استخدام يديه في منطقة ذقنه كما لو انه يغسل وجهه قبل الحلاقة. وفي اليوم التالي، بينما كان يقود سيارته على امتداد الطريق الريفي، شاهد وجه الرجل الذي يحلم به فكان خلف زجاجة السيارة الامامية للسيارة القادمة -الاطار- ويداه كانتا تحركان عجلة القيادة التي كانت اسفل ذقنه مباشرة. تثير جوان فورمان العديد من القضايا المماثلة التي تجنح جميعها لنفس التفاهة كما لو ان لمحة المستقبل هي ضرب من الحوادث الشاذة. شاهد احد المدرسين في الوقت الذي كان فيه طريح الفراش بسبب احمى العالية، خيالاً غريباً يصور قنافذ تتحرك في ارضية غرفة النوم وتبني عشاً عالياً من العيدان والقش . بعد ذلك بثلاثة اشهر كان يرزم صوراً خزفية صنعت له ليأخذها الى الفرن لقد رزمها بطريقة العش ذي الطبقات يتخللها القش. وقبل ان يبدأ عملية الرزم كانت العديد من القنافذ الخزفية عند قدمه لكنه ادرك فجأة هذا الهذيان. لقد مارس شعور (الحتمية الميكانيكية الغريبة).

ذكر العالم ميشيل شالس من جامعة اكسفورد في كتابه عن طبيعة الوقت تجربتين من تجاربه الغريبه عن (التبصر). مضى ولد عمره ٢١ سنة الى بيته في احد الايام وسأل أمه عما اعدت للعشاء وعندما فعل ذلك مارس شعوراً (بالدرجة فو)[١] فايقن ان امه ستجيب انها اعدت سلطةً للعشاء وهذا ما فعلته.

ان هذا الطراز من التبصر شائع جدا، فمثلاً تقتبس جوان فورمان رسالة تسلمتها من رجل يعلم بيقين مطلق ان لاعب الكريكيت سيهزم قبل ان تغادر الكرة يد الضارب ويقول ان هذا يزعج الباتسمان تماماً الذي يشعر انه سبب ذلك. ثمة تفسير واحد لهذه القدرة هي نوع ما من (الكمبيوتر) اللاواعي الذي قيم بشكل سريع كامل الموقف-وقفة الباتسمان ومهارة الضارب- (وشاهد) ان

---

(١) شيء مفرط أو مألوف بصورة غير مرضية وتتضمن ايضاً حالة اعتلال الذاكرة حيث يتعذر معها تذكر الكلمات الحقيقية.

فـقـدان نقطة كان امراً لابد منه ولكن التجربة الاخرى التي اثارها شالس تبين ان المشكلة اكثر تعقيداً الى درجة ما من هذه عندما يقول:

(قـبل سنوات قـلائل، كنت ادرس الفـيـزياء لطالب في قـاعـة المحـاظرة في الطابق العلوي ولقـد بلغت شطراً من التعليم كنا نناقش فيه اشعاعية المواد نصف الحيـة فـراودني ثانيـة شعور بالدجة فو . عرفت اني ساقترح عليه الحاجة لضرب بعض الامـثلة من كـتـاب معين في مكـتـبتي واذهب بعدئذ لجمعها. حاولت ان امنع نفسي قـول هذا ولكن الشـعـور قـد اسـتـفـحل قـبل ان اسـتـجـمع قـواي فـاضـطررت الى تهديم مخطط الدرس. اتجهت الى الطالب وسألتـه : هل انجـزنا هذا الدرس سـابقـاً اعتقاداً مني انه يشاطرني التجربة بيد انه دهش وأجاب بالنفي فـجاهـدت لأتجنب التـجـربة وان لا أذهب لجلب الكتـاب. وبعـد اتخاذ القـرار اتجهت صوب الطالب وقلت:

«أعـتـقد ان من الأفضل ان اريك أمثلة من هذه، سأمضي لغرفتي وأحصل على الكتاب».

ان ادراكي للـتـجـربة نفـسـهـا حـال دون تناسيها حتى عندما حاولت أن لا أكرر مخطط نموذجها السـابق ».

ان في هذا تضـمـيناً تحذيرياً في كلمات (مخطط نموذجها السابق)، ولكن هل من الممكن أننا نعـمل مـانضطر أن نعمله شئنا أم أبينا وان احـساسنا بالرغبة الحرة ضرب من الخيال؟. يواصل شالس تعليقه:

«في التـجـربة ذاتها يكمن عنصر التبصر، فالموقف مألوف جداً بحيث يعرف المرء مـا سيحدث مستقبلاً فالمرء يحيا ثانية في شطر من حياة شخص آخر دون أن يتنبأ أو يدرك بالحادث البعيد».

يتضمن تفسير ج. و. دونس لمثل هذه التجارب ما يدعوه «الوقت المتسلسل» ويقترح بالأساس ان هنالك (أوقاتاً) عديدة. فعندما تقول «مضى الوقت» يعني اننا نقيسها بالنسبة الى شيء آخر وهذا الشيء يجب أن يكون ضرباً آخر من الوقت «الوقت رقم ٢» وهذا بدوره يقاس نسبة الى «الوقت رقم ٣»، واننا أيضاً نمتلك نفساً اخرى لا تكمن في اجسادنا وتطغى على النفس الاولى وتتنبأ بالمستقبل، ويروي (ج. ب. برستلي) في كتابه «الانسان والوقت» قصة توضح الائتلاف بين النفسين. حلمت ام شابة انها في اثناء عطلة في مخيم تركت ابنها الصغير على مقربة من النهر ومضت لجلب الحساء ولما رجعت اكتشفت انه قد غرق. وبعد ذلك بوقت مضت في اجازة في مخيم وعندما أوشكت ان تغادر لجلب الحساء تذكرت حلمها فجأة فاحتضنت طفلها قبل ان تغادر خيمتها.

ان المعنى المتضمن هاهنا مهم فنحن نمتلك درجة من الرغبة الحرة بيد انها صعبة الممارسة في العالم المادي «للوقت الاول» وهي مثل السباحة عكس التيار. ان مشكلتنا الانسانية ليس ان تبقى ملاصقة «للوقت الأول» للعالم المادي الخصب ولكن لنتعلم كيف نقضي وقتاً أكثر في العالم الفكري، عالم «الوقت رقم ٢».

يرى برستلي ان (دون) قد عقد بغير جدوى الامور في جدله للاعداد غير المحدودة من الأنفس مؤكداً ان هناك ثلاثة فقط، النفس الاولى المشتركة في الحياة فتقول مثلاً: «اعرف ان النفس الاولى لضجرة». في حين تقول ان النفس الثالثة: «اعرف النفس الثانية التي تعرف النفس الاولى الضجرة». ولكن مع ذلك فان النفس الاولى هي بليدة ومتعاطفة والنفس الاولى تجرب والثانية تدرك التجربة بينما تقيم الثالثة هذه التجربة. يضرب برستلي مثالاً آخر. ففي حادث طائرة هرعت النفس الاولى من المقعد وعرفت النفس الثانية بقرب وقوع حادث واعتقدت النفس الثالثة «انني أعرف مالذي يعتريك وانت تحرق حياً».

انها لاتكترث فهي تتماشى والنفسين الاخريتين لرحلة قصيرة. وثمة تجربة أكثر من الملاحظات أهمية وفائدة تبرز من هذه الحسابات حول طبيعة الوقت. يورد (ر. هـ. ورد) في كتابه «مذكرات مدمن» تجربته تحت الغاز السني :« لقد تحولت بعد استنشاقات قليلة للغاز الى حالة من الوعي أكثر بدرجة كبيرة من حالة الإدراك الاعتيادية وتقدمنا الى أعلى من الوعي النير. وبالرغم من وجوب الكتابة بعبارات الوقت ولكن ليس للوقت حيز في هذه التجربة. وذات مرة استمرت فترة أطول بكثير من الفترة القصيرة الممتدة بين استنشاق الغاز والاحاطة به. لقد استمرت فترة طويلة وفي حالة اخرى لم تأخذ من الوقت غير لحظة واحدة.

ان ملاحظات ورد تؤكد ان طبيعة الوقت هي فكرية في اساسها ويقال ان الاحساس بالوقت ناتج من التداخلات بين العالم الجسدي و النفس العالية. وعندما يختفي هذا التداخل يتولد احساس بانعدام الوقت. هذا التداخل يتلاشى بسبب الانسحاب الى الداخل نحو مستوى ثان من الواقعية داخلنا، العالم الداخلي بواقعه الذاتي.

يقول ورد انه عندما اراد تسجيل حضور التجربة وجد نفسه يدور داخل .. وداخل .. وداخل .. مثل كسر عشري دوار. يقتبس ايضاً من تجارب صديق يسميه (أ) الذي كان في طريق العودة من المحطة عندما تعرض لعسر هضم خفيف وراودته فكرة :«انها تخص جسدي، جسدي وحسب، لا روحي فليس هنالك ثمة اي ضرورة لاحساس الروح بها، وعندما فكرت بها تلاشى الالم وهي بعبارة اخرى قد تخلفت وبدأ الشعور (الارتقاء داخلاً) فكان في البداية احساس لايوصف في العمود الفقري بأن هنالك شيء يتصاعد وهذا الاحساس جزء منه سعيد وجزء آخر غير سعيد وثالث مريع . . . يرافقه شعور غريب للتنور الجسدي في الكينونة. . . لقد زاد كل شيء واخذ يرتقي لمستوى آخر».

ويلوح هنا ان نفس (أ) الثالثة قد قررت التدخل ونتيجة لذلك كان الاحساس بتخلف الالم قد حصل -فاذا كان ثمة استنتاج عام (لتجارب غرابة الوقت الجلية) فهي : اننا نخطأ الى حد ما في افتراضنا الطبيعي والمعقول ان العالم البدني هو الاساس أو ربما الواقع الوحيد. تبين تجارب تغير الزمن والتبصر ان العقل يمكن أن ينحدر الى ناقل آخر للحركة فيتخلص من تقييده الاعتيادي للموقف ويؤدي حالة التجرد الحادثة التي تتعدى الوقت.

ان الشيء المدهش لمثل هذه الفكرة هي تضمينها ان الوقت غير واقعي الى حد ما أو في الاقل اقل مما نفترض. ان الاحساس المشترك والعلم يدركان استحالة التنبؤ بالمستقبل ومن اية درجة في الدقة لانها لم تحدث بعد. كل (سبب) في عالم اللحظة الحالية يسبب تأثيرات متباينة فعندما نسخن الغاز تبدأ اجزاؤه بالتحرك بصورة اسرع وتحدث عدد اكبر من الاصطدامات.

ان كل اصطدام يغير من اتجاه الجزيئات وهذا بدوره يؤدي الى مواقع مختلفة من الاصطدامات. لذا فمن المستحيل تحديد اية جزيئة ستصطدم بالاخرى في غضون عشر دقائق لأن كل شيء يعتمد على الصدفة وبنفس الطريقة فان الاربعة بلايين من الناس في هذه اللحظة يتفاعلون في طرائق لايمكن التكهن بها وستحدد ما سيحدث في فترة اسبوع من الان. وفي حالة جزيئات الغاز يستطيع كمبيوتر معقد ان يتكهن بصورة نظرية ما سيحدث في اسبوع ولكن لايوجد كمبيوتر يقوم بتكهنات مماثلة حول الناس. تناقض تجارب تغير الزمن والتبصر هذا التأكيد وهما يعنيان ضمناً ان المستقبل ممكن بدرجة ما التكهن به مسبقاً وهذا في الواقع ما يؤكده المادبون بالضبط.

إن الارادة الحرة وهم، لذا يطيع البشر القوانين الميكانيكية ولكن هذا ليس بصحيح تماماً أو ان أم برستلي لم تكن لتمنع طفلها من الغرق. وفي الحقيقة فان

وجـود التبصر بالذات يعني ان المستقبل لايمكن التكهن به بالكامل فالتعرف على المسـتـقـبل كـامـلاً يتطلب الى درجة ما قدرة على تغييره. فبرغم ان ميشيل شالس انصـاع لرغبته في المضي للبحث عن الكتاب ومع ذلك لم يبذل جهداً ليحول دون ذلك . . . ليكشف انه لم يصـمم بصـورة تامـة (لذا يفترض انه كـان قـادراً على التـغلب على رغبته اذا ما شعر بحجمها. فمثلاً ان شعور (الدجةفو) قد حذره انه سـيـواجـه حـادثـاً خطيراً في طريقـه الى المكتـبـة). انها لفكرة محيرة في ان الحـيـاة مخطوطة الى حـد مـا ولكن ما يلوح اكثر اهمية هو الاقرار انه بطراز جهد صحيح نـسـتـطيع التـملص من هذه المخطوطة. يجادل برسـتلي وجـهـة نظر البروفـسـور كلبرت رايل صـاحـب كـتـاب (مفهوم العقل). الذي يقول ان الانسان مجرد جسـد حي وليـس جسـداً تحكمه النفس أو الروح ويسميها شبح (الماكنة).

بيـد ان تجـارب (تغير الزمن) تؤيد برسـتلي وتعـارض رايل، وفي الحـقـيـقـة، لتأكـيـد وجهة النظر هذه، فاننا نمتلك ثلاثة ارواح كتمييز عن الجسد وان النفس الثـالثـة تسـتـجـيب بعنف لما يعنيـه كـانت (وهوسرل) بالانا العليا أو النفس التي تسبق الوعي.

جان دارك . . . هل عادت من الموت

أحرق الانجليز، في ٣٠ ايار ١٤٣١ ، جان دارك ذات التسعة عشر عاماً بعد أن اتهمت بالهرطقة، إذ اعتقدت أنها كانت رسولاً وهبته السماء لإنقاذ الفرنسيين من أعدائهم الانجليز الذين تحالفوا مع البورغنديين، آسريها. بدأت جان في الثالثة عشرة من عمرها تسمع اصواتاً أدركت فيما بعد أنها أصوات القديس (غابري) والقديس (ميشيل) والقديسة (مارغريت) والقديسة (كاثرين)، وتلك هي الاصوات ذاتها التي أخبرتها أن تمضي لفك حصار (اورليانز). غلبت الاثارة على معظم خدمتها القصيرة في الجيش، إذ حققت في سنة واحدة انتصارات متميزة وشهدت تسلم (شارل السابع) عرش الرايم، ثم أسرها البورغنديون وباعوها للانجليز لقاء عشرة آلاف فرنك. اتهموها بالسحر وأحرقوها وهي على قيد الحياة. وغرابة هذا الامر أن تلك لم تكن بالنهاية الحقيقية لهذه (الخادمة). فقد كتب اناتول فرانس يقول :« عندما مضى شهر على عودة باريس الى ولاء الملك شارل ظهرت هنالك في اللورين آنسة تبلغ من العمر ما يقارب الخمسة والعشرين عاماً تدعى (كلاود) وقد عرفت بنفسها لكبير الغواصين في مدينة (ميتز) بأنها (جان الخادمة)». كان هذا في ايار عام ١٤٣٦ اي بعد خمس سنوات من موت جان حرقاً. من الواضح أنها كانت محتالة أرادت التظاهر بأنها (جان الخادمة)، بيد ان ثمة دليلاً دامغاً شكك في صحة هذا الامر، فشقيقا جان الصغيران (بيتيت جين) و(بيير) ما فتئا يخدمان في الجيش ولا يشكان قط أن شقيقتهما قد أحرقوها في (روين) فحثا خطاهما صوب ميتز، وما أن سمعا أن امرأةً تدعي انها جان قد عبرت عن رغبتها في مقابلتهم. لم يكن بيتيت جين بعيداً فقد كان رئيساً لكنيسة (فوكلورس). ويقول احد المؤرخين أن الشقيقين ذهبا لحضور بطولة في قرية (لاغرانج اورمز) التي تبعد ميلين ونصف الميل

جنوين ميتـز. إنطلق الشقيقان الى الساحة لتحدي الفارس المدرع، الذي زعم أنه أختـهما، وهـو يـعـدو بسرعـة حـول مـضـار الموانع ويخطف برشـاقـة أوتاداً من الارض. ولكن عندما سأله جين بيتـيت قائلاً: (من انت؟). رفع المحتال مقدمة الخوذة، فـفـغـر الشقيقان ثغريها مندهشين، فقد أدركا اختهما جان التي احاطها الناس الذين عـرفـوها في السنة التي قـضـتـهـا في محاربة الانجليـز وربما كان من التـفـاهة أن تذهب الى مكان تكشف فـيـه حـقـيقتها وهي تدرك أنها محتالة (كان جـون الميتـزي من أكـثـر الموالين اليـهـا). أخـذها شـقـيـقـاها في اليوم التالي الى (فـوكلورس) حـيـث امـضـت اسبوعاً آمن بها خلاله جمع كبير من الناس من الذين رأوهـا قـبـل سـبـع سنوات عندما ذهبت وقتئذ الى مـقـابلة روبرت دي بوردي كـورت، مـالك المقاطعة، لتطلب منه إرسالها لمقابلة (دوفن) الوصي على العرش. أمـضـت بـعـد ذلك ثلاثة اسـابيع في مـدينة صـغيرة تدعى (مـارفيل) ثم ذهبت في زيارة حج الى العـذراء الـسـوداء المدعـوة (نوتردام دليـاس) والكائنة بين (ليـون) و (رايمز) ثم مـضت للإقـامـة مع (اليـزابيث)، دوقـة لوكـسـمبورغ، في آرلون بينما مـضى شقيقها بيتيت جين لمقابلة الملك، وأعلن أن شقيقته جان ما زالت على قيد الحـيـاة ولا نعـرف رد فـعل الملك ولكنه أمر صاحب خزانته أن يمنح بيتيت جين مـائة فـرنك. وتبين إحـدى وثائق حـسابات كنيـسـة (اورليانز) ليوم ١٩ آب ١٤٣٦ أن المـجـلـس الـكـنـسـي قـد خـول بالدفع للسـاعي الذي جلب رسـائل (جـان الخـادمـة). وسـجـلات هذه الاحداث موجودة في العمل الأساس النموذجي عن جـان دارك الذي كـتـبـه (جـولس كـويشرات) في مجلداته الخمسة بعنوان (محاكمة جـان دارك ورد اعـتـبـارها) (١٨٤١) وقد تضمن كل الوثائق الأصلية.

تنص إحـدى الوثائق أن مـعـجـزات جان عادت اليها في ٤ حزيران ١٤٣٧ وأصـبـحـت بعـدها تحت حماية الكونت (اولرش) في (دوتمبيرغ) الذي أخـذها الى كـولـون حـيـث اضـطلعت هناك بخـصـام بين اثنين من رجـال الكنيـسـة حـول

الأسقفية: الاول عينه رجال الكنيسة بينما عين البابا ثانيهما. اختار الكونت اولرش (اودارلك)، وقد صوتت جان لهذا الاختيار بيد أن صوتها لم يجد نفعاً عند المجلس البلدي لمدينة (بازل) الذي اعتبر (اودارلك) مغتصباً، فعين مرشح البابا.

أثارت ضيفة الكونت فضول قاضي التحقيق العام في كولون (علماً أن هذا حدث في قمة السحر) الذي اعتراه الحزن عندما علم أنها مارست السحر ورقصت مع الرجال وأكلت وشربت أكثر مما يجب. (ويلوح أن السحر أكثر شبهاً بتحضير الارواح، فهي تمزق قطعة من غطاء المائدة ثم تعيدها سيرتها الاولى وتعمل الشيء ذاته مع الزجاج الذي تهشمه بالجدار). دعاها قاضي التحقيق للمثول أمامه غير أنها أبت الظهور، فأرسل رجالاً لجلبها بيد أن الكونت أخفاها في بيته ثم سفرها خارج المدينة فحرمت كنسياً. وقابلت، عند عودتها الى (ارلون) وإقامتها مع دوقة لوكسمبرغ، احد النبلاء ويدعى (روبرت دي ارموريس).

ومما أثار دهشة اتباعها أنها تزوجته (كانت جان الحقيقية قد أخذت على نفسها عهداً بالعفة). انتقلت بعدها الى بيت زوجها في ميتز وأنجبت له طفلين في غضون ثلاث سنوات قضتها معه.

ذهبت السيدة ارموريس[1] في صيف عام ١٤٣٩ اي بعد سنتين، الى اورليانز حيث أقام لها قضاتها وليمة وقدموا لها ٢١٠ ليفراً بمثابة شكر لخدماتها للمدينة إبان الحصار. والغريب في الامر أن هؤلاء المواطنين أنفسهم الذين دفعوا قداس وفاة الخادمة، (الذي توقف بعد عام ١٤٣٩) قبل ثلاثة أشهر، وهو دليل أنهم

(١) سميت بهذا الاسم لزواجها من ارموريوس.

قد غيروا رأيهم في هذا الامر وقتئذ. ويقول أحد المؤرخين أنها قد غادرت اورليانز بعد اسبوعين الى تورس حيث أرسلت رسالة الى الملك عن طريق (غولم بيلر) الذي كان مضيف الخادمة قبل عشر سنين.

وبعيد ذلك ذهبت الى (بويتو) حيث منحها الملك الذي توجته على العرش إشرافاً رسمياً على مكان يدعى (مانس). نقل الملك بعدها هذا الإشراف الى (جيليس دريس)، رفيق سابق لجان في السلاح، الذي كان، منذ ايام قتاله مع جان امام أسوار باريس، يمارس السحر الأسود في محاولة لإصلاح أقداره الناجمة من إفراطه. أصبح بعدها انساناً سادياً يتلذذ بقتل الاطفال وقدم في السنة التالية ١٤٤٠ للمحاكمة حيث حكم عليه بالشنق والحرق.

واذا ما افترضنا انه صادف السيدة (ارموريس) (وهذا مؤكد ما دامت قد سلمته الأشراف) فيبدو انه قبلها كرفيقة سابقة في السلاح وأوكل اليها السلطة على الرجال المسلحين. وفي نهاية المطاف مضت جان في عام ١٤٤٠ الى باريس وقابلت الملك وواجهت اول نكسة في حياتها فقد اعلن الملك انها محتالة ويلوح انه فعل ذلك بعد المقابلة. ويقيناً انه حتى لو استطاع معرفة ذلك فانه لم يتطرق لهذا الموضوع في اثناء المقابلة. لقد حاول ايضاً ممارسة اللعبة ذاتها التي مارسها في اول لقاء بينهما قبل احد عشر سنة باخفاء نفسه حيث طلب من احد الرجال ان يتسمى باسمه، لكن جان، كما في المرة السابقة، لم تنخدع. لقد سارت صوب الملك وركعت عند قدميه وعندئذ قال الملك :(الخادمة، عزيزتي أهلاً بك ثانيةً باسم الرب) ويبدو امراً غريباً ان يعتبروها محتالةً بعد ذلك. وتذكر صحيفة (برجوازية باريس) انها اعتقلت واجبرت على الاعتراف امام الملأ انها محتالة وانها ذهبت الى اوربا في نحو عام ١٤٣٣ للبحث عن الغفران لضربها امها وتجندت في الحرب لخدمة الاب المقدس وانها ارتدت زي رجل ويحتمل ان هذا قد هداها الى فكرة التظاهر بأنها الخادمة) . . . . بيد ان القصة، ككل مشكوك بها الى درجة

كبيرة حيث ان (جان) عادت الى (ميتز) وأهلها موقنون انها الخادمة. اشار اليها بيير شقيقها في عام ١٤٤٣ بقوله :(جيان الخادمة اختي). ويذكر ابن عمها، هنري دي فولتن، ان بيتيت جين وبيير واختهما كانوا يزورون قرية (سيرميس) ويقضون العيد مع الاقارب الذين يصدقونهم جميعاً. وبعد اربع عشرة سنة ظهرت في مدينة (سومور) وآمن بها، مرة اخرى، مسؤولو المدينة بانها (الخادمة) وبعد ذلك اختفت من التاريخ وربما لانها قضت بقية حياتها بهدوء مع زوجها في (ميتز)، ولكن ما قولنا في قصة الملك الذي اعلن انها محتالة وانها أقرت ذلك امام الملأ؟. اولاً ان المصدر الوحيد لهذه القصة هو صحيفة (برجوازية باريس) وهو بحد ذاته امر غريب ان كانت الصحيفة ضالعة في مثل هذه الفضيحة المشهورة وعلاوة على ذلك فان البرجوازيين كانوا معادين لـ (جان) الاولى في الايام التي سبقت اعدامها ويذكر (اناتول فرانس) ان عامة الناس في باريس كانوا في حمى من الانفعال عندما وصلتهم الاخبار ان (الخادمة) ما برحت على قيد الحياة وانها عادت الى باريس وما زالت جامعة باريس معادية للـ (الخادمة) التي ادينت بالسحر وعقوبتها لا يلغيها الا البابا الذي لم يبد شيئاً من هذا القبيل بالرغم من الاتجاه السائد لاعادة اعتبار جان.

وفي ما يتعلق الامر بقضاة ورجال الدين في باريس فان عودة جان لم تكن الا إحراجاً لهم، كذلك الحال بالنسبة لرجال الكنيسة الذين كانوا يحاولون تبرئة الخادمة وقد نجحوا في ذلك واعتبرت قديسة عام (١٩٢٢) وفي هذه الحالة فان عودة بطلتهم هذه الى الحياة متزوجةً يعد عقبةً في طريق حملتهم الوطنية.

ولابد ان الملك وجد نفسه معرضاً لضغط لايطاق للإعلان ان جان محتالة ومع ذلك فلو انه اعلن اصالتها لكان الامر (رسمياً) ولا احد في فرنسا له الحق في التشكيك بهويتها. وعلاوةً على ذلك ستبرز قضية الشك في الاعتراف العام بها . . . أما لو كان قد عبر عن شكوكه فيها لهدأت كل الفضيحة ولكان

بامكانها العودة الى البيت والتواري عن الانظار ولصار كل شخص سعيداً ويبدو ان هذا ما حدث فعلاً. يسلم اناتول فرانس جدلاً ان السيدة (ارموسيس) كانت محتالة ولكنه يستخدم، في كتابه لسيرة جان دارك، سخريته المعروف بها ويعتبرها فلاحة مخدوعة وفرانس هو اساساً احد اتباع (فولتير) وفكرة انها محتالة حقاً هي ابسط التفسيرات ولكن تبقى تواجهنا مسألة واحدة وهي لماذا آمن الناس الذين يعرفون الخادمة انها هي نفسها السيدة (ارموسيس)؟.

من الممكن التصور ان اخويها قررا الاستفادة من وجود اختهما على قيد الحياة وشهرتها ولذلك صفحا عن المحتالة، ولكن كيف صدق رفاقها القدامى هذه القصة؟.

لم تفصح السيدة (ارموسيس) أنها نجت من اللهب وكل الذي تعرفه انها انقذت وان شخصاً آخراً قد مات عوضاً عنها وربما ساحرة اخرى. ومن السهل معرفة كيف حدث هذا إن امرأةً أخرى قد أحرقت بدلها وبطريقة لم يتبصر فيها الجمع المتجمهر حولها.

الرجل ذو القناع الحديدي

توفي في الباستيل، في التاسع عشر من تشرين الثاني ١٧٠٣ ، سجين مقنع متأثراً بمرض أضنى جسده سريعاً، بعد أن توجب عليه قضاء أربع وثلاثين سنة في السجن. وقد بقيت هويته مجهولة حتى لممثل الملك «ايتيني دوجونكا» الذي كتب في يومياته: «عرفت فيما بعد انهم يدعونه ام. دي. مارشيل». ودفن السجين المجهول بعيد يوم من وفاته باسم مارشيولي وعفا عليه الزمن سريعاً.

شاعت شهرة هذا السجين بعد حوالي نصف قرن من الزمان في اعقاب كتاب فولتير الموسوم بـ (تاريخ لويس الرابع عشر) الذي ادعى فيه انهم نقلوا الى سجن جزيرة القديسة مارغريت، بعيد وفاة كاردينال مازارين (الذي حصل عام ١٩٦١) بأشهر قلائل، شاباً يرتدي قناعاً حديدياً أو ما شابه ذلك وهو قناع يتكون ذقنه من نوابض فولاذية تمكنه من تناول طعامه دون نزع القناع، وأصدرت الأوامر بقتله إذا ما نزع القناع. لقد سمحوا للسجين صاحب القامة الملكية وسمات هيئة أن يقتني ما يشاء، وقمة سعادته كانت في ارتداء ملابس الكتان الرقيق وأشرطة الزينة، وكان جلياً انه رجل رفيع المقام فقلما جلس حتى محافظ السجن في حضرته ومنعوا طبيبه المشرف من النظر اليه ايضاً. ويقول فولتير: «توفي هذا الغريب سنة ١٧٠٤ (وهنا أخطأ في السنة)، والغرابة هنا هو ان اوروبا لم تعلن بعد احتجازه أول الأمر في جزيرة القديسة مارغريت عن اختفاء اي من متنفذي شرائحها. ويذكر فولتير ان السجين كتب شيئاً ما ألقاه من نافذة السجن وأخذه صياد بدوره الى مدير السجن قائلاً: «أنت محظوظ».

أماطت قصة فولتير هذا اللثام عن كثير من الشائعات لم يجرؤ أحد على الجهر بها من قبل، بل ان السلطات سبق وأن منعت قبل خمس سنوات رواية

تحمل عنوان «القناع الحديدي» لمؤلفها «شيفاليه دي موهي» برغم ان أحداثها، التي وقعت في اسبانيا، لاتمت لقصة السجين المقنع بشيء أنى كان. وهنا يطرح السؤال التالي نفسه : من هو هذا السجين المقنع وما الذي اقترفه؟.

كشف فولتير، بعد عشرين سنة تالية، في كتابه الموسوم بـ (قضايا موسوعية) الاجابة التي يعتقد أن فيها حقيقة الموضوع. اما نحن جمهرة القراء، فحري بنا العودة للتاريخ الفرنسي لأنها السبيل نحو استيعاب أفضل لجوهر القصة. لقد شاع عن الملك لويس الثالث عشر أنه كان عقيماً لاينجب الاطفال وعلى علاقة سيئة بزوجته النمساوية (آن) التي كانت أقرب الى وزير الملك كاردينال مازارين وكانا على أتم الود في السياسة ويقيناً انه كان عشيقها وربما تزوجته سراً بعد وفاة الملك وها هي ذي نظرية فولتير. أنجبت آن النمساوية طفلاً من مازلين، قبل ولادة لويس الرابع عشر، بقي أمره سراً لا يعلمه الملك. وغدا هذا الطفل أخ لويس الرابع عشر الأكبر وسينافسه بعدئذ على العرش فزج به في غياهب السجن وأخفى وجهه بقناع كي يبعد عنه شبه العائلة. . . وبعد ما يربو على قرن من اكتشاف فولتير، اي في عام ١٨٤٧ ،نشر الكسندر روايته المشهورة (الرجل ذو القناع الحديدي) وهي إحدى تتمات رواية (الفرسان الثلاثة)، أضحت بعد ذلك أشهر الروايات عن اللغز ومنطلقاً لأفلام هوليود الشعبية. ويروي دوماس أن السجين المجهول كان توأم لويس الرابع عشر وهذه النظرية ليست من بنات أفكاره فقد سبقه اليها عمل موسوم بـ (مذكرات دوك ريشاليه) المنشورة عام ١٧٩٠ ، حيث ادعى كاتبه ان لويس الرابع عشر ولد في وقت الظهيرة بينما ولد أخاه التوأم في الساعة الثامنة مساءاً ولما كان والده يتناول العشاء، وأخفي التوأم الأصغر لتفادي مشاكل الخلافة على العرش. بيد أن هذه المذكرات زورها الاب سولافي، سكرتير الدوق، وهذا ما يجعل هذه القصة مجرد بدعة. كتب الناقد الادبي سدني دارك في مقدمة الترجمة الانجليزية لرواية

دوماس: «لقد ربطت نظريات اخرى اكثر تطرفاً هوية السجين بدوق دونهاوث او الابن غير الشرعي لشارل الثاني وربطته مع بطريرك ارمني معين ومع فوكيه، الوزير الطموح للويس الرابع عشر في صباه والذي كان أحد الشخصيات المركزية في رواية دوماس. وأكثر التخمينات تطرفاً هو ربطه بـ (موليير) والتي تقول انه بعد الانتاج الناجح لكوميديا موليير أقنع اليسوعي (تارتوف) لويس الرابع عشر بأن يأمر بإخفائه. وكل هذه ظنون وهمية رومانسية، ويقول المؤرخون الجادون في وقتنا هذا ان الرجل ذو القناع الحديدي هو ايطالي يدعى مايتولو وهو وزير لدوق مانتاو وقد أثار حفيظة لويس الرابع عشر عبر العلاقات الغرامية الغامضة». لم يكن سدني دارك على صواب فالرجل الذي يعتقد العديد من الدارسين انه السجين المقنع هو ايركول ماتيولي المولود عام ١٦٤٠ وكان وزير خارجية دوق مانتاو. ان العلاقة الغرامية السرية التي اثارت حنق لويس الرابع عشر كانت ضرباً من النفاق، ففي عام ١٦٣٢ اشترت فرنسا قلعة في ايطاليا تدعى باينيرول أو بكنيرول وبعد ثلاثين سنة أو ما يقرب ذلك اعتقد لويس ان هنالك فرصة للحصول على قطعة من اراضي ايطاليا بنفس الطريقة وهي مدينة وحصن كاسيل قرب تورين التي كانت تعود الى دوق مانتوا ويتضح ان الدوق كان في عوز مالي وربما رغب في بيعها غير ان المفاوضات قد جرت في جو من الحذر الشديد لاسيما ان لويس كان على خصام مع اسبانيا في حين كان دوق مانتوا محاطاً باصدقائه الاسبان، وفي الحقيقة ان ماتيولي سمح بتسريب خبر الصفقة الى اعداء لويس وكانت نتيجة ذلك ان اخفقت الصفقة وغضب لويس لذلك ولكن لم تكن لديه الامكانية الكافية لعمل شيء مادام ماتيولي داخل الاراضي الايطالية وباديء ذي بدء توجب اخفاء غضب الملك على ماتيولي. ثم كان لابد من اغراءه للمجيء الى بكنيرول ليتم انهاء الصفقة وحالما وطئت قدمه الاراضي الفرنسية القي القبض عليه ثم اودع في قلعة بكنيرول التي كانت بأمرة محافظ يدعى سان مارس وبقي الموضوع برمته رهن الكتمان وتوارى ماتيولي

بيساطة ولبث في السجن حتى وافاه الاجل ولم يكن ثمة احد يعلم جيداً متى حدث هذا، ولكن اقرب الاحتمالات انه بعد خمسين سنة اي في عام ١٦٩٤ . . ويقيناً ان ماتيولي كان مرشحاً لأن يكون هو السجين وهنا نذكر ان ايتين دوجونكا ممثل الملك في سجن الباستيل قال ان السجين المقنع كان يعرف بـ (أم. مارشيل) وعلمنا انه دفن بإسم مارشيولي ولكن اذا كان ماتيولي هو الرجل المقنع فلماذا اذاً ذهب الملك الى ما ذهب اليه في الابقاء على سرية هويته الاصلية بعد ان نقل الى جزيرة القديسة مارغريت ثم الى الباستيل؟ صحيح ان ماتيولي اختطف في ايطاليا وهو ما اثار مشاكل دبلوماسية ولكنه في ذلك العصر العملي لم يكترث احد لمصير ماتيولي بعد سجنه، ثم لماذا أخفي وجه ماتيولي؟ لم يدرك العديد من الناس ذلك. اذا فماذا عن نظرية التوأم التي ما زالت حتى هذا الحين اكثر الحلول شيوعاً لهذا اللغز؟ وفي الحقيقة ان هذه النظرية شاعت قبل نصف قرن من كتابة دوماس روايته، وبعد سقوط الباستيل ابان الثورة الفرنسية نشرت سجلاتها الارشيفية بعنوان (الباستيل العاري) وكان (أم. شاربنتر)، رئيس اللجنة التي حققت في السجلات الارشيفية، قد درس كل وثيقة وقعت في يده تتعلق بالرجل ذي القناع الحديدي وكانت ثمة سجلات ملكية اطلع عليها ولم يعثر على اي دليل يثبت ان آن النمساوية قد انجبت ابناً غير شرعي أو توأمين، بيد ان شاربنتر قد كشف النقاب عن بعض الحقائق المثيرة عن السجين القديم وعن اسطورة ملفتة للنظر تنص على ان الرجل المقنع كان ابناً غير شرعي لـ (آن) النمساوية من دوق (باكنغهام) الوزير المشهور لـ جيمس الاول وشارل الاول وكان دوق باكنغهام قد وصل الى السلطة محبوباً على جيمس الاول الشاذ جنسياً وكان له تأثير قوي في شارل الاول ومن المعروف انه بذل قصارى جهوده لإغواء آن النمساوية عندما كان في فرنسا عام ١٦٢٦، ولكن من المشكوك فيه أنه كان قد نجح في محاولاته هذه فليس من اليسير لاثنين بمثل شهرتهما ان يعثرا على فرصة للزنا، لكن الاسطورة التي سجلها (أم. شاربنتر) تقول ان آن انجبت ابناً

للدوق عام ١٦٢٦، ويحمل سمات عائلية متميزة مشابهة لطفلها الاخير لويس الرابع عشر المولود بعد اثنتي عشرة سنة وهكذا اقتضت الحاجة لتقنيعه. هذه الاسطورة كان لها ما يدعمها فمصدرها مدام دي سينت كوينتين، السيدة الثقة التي كانت خادمة ماركيز دي لوفواس وزير حرب لويس الرابع عشر واذا كانت (وكما تأكد عملياً) قد سمعت ذلك من المركيز فيقيناً انها تحوي قدراً كبيراً من الحقيقة وذلك صحيح. ولكن ربما العكس صحيح أيضاً وربما روى لها ماركيز القصة التي اراد لويس ان يصدقها الناس، قصة قريبة جداً من الحقيقة ومرجحة غير ان ذلك قد يظلل غرابتها، واذا كان الرجل ذو القناع الحديدي قد ولد في عام ١٦٢٦ فلابد انه بلغ الثالثة والسبعين عند وفاته، براهين أخر اثبتت ان السجين كان اصغر من ذلك بعشر سنين ويقول فولتير ان السجين كان شاباً أنيقاً وبحلول عام١٦٦٩ ،وهو التأريخ الذي كشفت فيه سجلات الباستيل الارشيفية ان السجين السابق كان قد احتجز في البداية،فان عمره يكون ثلاث واربعين سنة (في حالة ولادته عام١٦٢٦)،وهنا يعتبر شيخاً في اوربا ذلك الزمان وليس شاباً كما وصفه فولتير. تمكن شاربنتر، في الاقل، من العثور على نزر من الادلة في سجلات الارشيف فقد كان السجين في بكنيرول تماماً مثل ماتيولي ونقل الى جزيرة القديسة مارغريت كما هي حال ماتيولي لكنه لم يكن هو ذاته حيث كشفت مصادر ارشيفية أخرى أن سان مارس، محافظ بكنيرول، قد تسلم اشعاراً وهو قرب (اكزايلس) عام ١٦٨١ ومضى برفقة (السجين القديم) بينما بقي ماتيولي. وبعد كشف النقاب عن مصادر ارشيفة اخرى تفصح ان رسائل مختلفة قد بودلت بين وزير الحرب وسان مارس وقد عثر عليها في احد الملفات والاهم من ذلك ان هنالك رسائل من الملك برهنت بشكل لايقبل الشك ان اسم الرجل ذي القناع الحديدي هو يوستاش دوكر. وكتب ماركيز لوفواس (وهو والد الشخص الذي روى لخادمته الحكاية الخيالية عن دوق بكنغهام) رسالة في تموز ١٦٦٩ الى سان مارس يقول فيها:

«امر الملك ان اكون مسؤولاً عن ارسال رجل يدعى (يوستاش دوكر) الى بكنيرول وكان من الاهمية ان يكون تحت حراسة مشددة وعليه الا يعطى بأية حال معلومات عن نفسه أو ان يرسل اي خطاب وتوجب علي ان اصغي الى ما قد يروم قوله وأن اهدده بالقتل اذا ما فتح فاه».

وتحوي سجلات الارشيف رسالتين من الملك نفسه تشيران الى الموضوع عينه وهاتان الرسالتان توضحان شيئاً واحداً وهو أن يوستاش دوكر كان يعلم سراً مرعباً وان الملك كان مصمماً ان لايعرف ذلك غيره، وعندئذ لم لم يحكم على دوكر بالاعدام؟ ربما لان لويس الرابع عشر لم يكن متحجر القلب وقاس الى تلك الدرجة وربما لانه يكن وداً لـ (دوكر) وربما لأن الملك كان يتمنى ان يبوح دوكر في يوم ما بسر عظيم ... وكان جوليس لير اول من قدم النظرية القائلة ان الرجل ذا القناع الحديدي كان يوستاش دوكر مؤرخ عمل في ايام وزير المالية، نيكولاس فوكيه، والذي حكم الملك عليه ايضاً بالسجن مدى الحياة وكان فوكيه قد ولد في عام ١٦١٥ واضحى رغبةً لدى كاردنيال ريشيليو وعندما توفي مازارين (حليف ريشيليو وخليفته) في عام ١٦٦١ توقع الجميع ان يصبح فوكيه اكبر وزير عند الملك بيد ان الملك الشاب الذي لم يتجاوز الثالثة والعشرين سأم فوكيه الذي حاول اغواء لويس دي لاناليه ابنة الضابط التي اصبحت خادمة الملك. وعين الملك (جان بابتست -كولبرت) وهو ابن حانوتي مساعداً لفوكيه وكتب كولبرت بعد فترة قصيرة ان فوكيه كان يسلم الملك حسابات مزورة بعد ظهيرة كل يوم ثم أخطأ فوكيه حين دعا الملك الى بيته الريفي الضخم واستضافه بكل مظاهر الترف والابهة وعرف الملك ان كل هذا قد درته عليه الاموال العامة فألقي القبض على فوكيه وحوكم بالسجن مدى الحياة في قلعة بكنيرول وسمح للسجين القديم، يوستاش دوكر، في عام ١٦٧٥ ان يكون خادماً خاصاً لدى فوكيه، ولا يمكن ان يكون هنالك الا سببان: إما ان فوكيه

ايقن حينها سر دوكر عن السجين القديم أو ان ذلك لايهمه مادام يوستاش نفسه لم يطلق سراحه، ولكن من هو يوستاش دوكر؟ وما الذي اقترفه؟. يبدو الشطر الاول من السؤال اسهل اجابة من الشطر الثاني، ففي اواخر العشرينات من هذا القرن شرع المؤرخ موريس دوفيفير باقتفاء اثار دوكر، فقد ذكر الطبيب الذي عالجه في الباستيل ان عمره يقارب الستين وهذا يعني انه ولد في اواخر عام ١٦٣٠ وقام دوفيفير بالبحث في السجلات بجهد منقطع النظير عن «دوكر» أو «دي اوكر» أو «دانكر» أو «اوكر» أو «دوكيه» لغرض مطابقة الاسم في كل قائمة ووجد في نهاية المطاف في سجلات المكتبة الوطنية اسماً لرجل يدعى «اوكر دي كافوي» احد اعضاء عائلة (بيكاردي) الصغرى وكان يوستاش (اوكر أو دوكر) ابن فرانسواز دي كافوس قائد مشاة (كاردنيال ريشيليو) وقد ولد في الثلاثين من آب ١٦٣٧ وكان احد ستة اخوة قتل اربعة منهم في احدى المعارك وكان الخامس لويس دوكر دي كافوي الذي اصبح احد اكثر اتباع لويس الرابع عشر ثقة، ولكن يلوح ان يوستاش كان الابن العاطل في العائلة، وكلما درس (دوفيفير) عنه زاد ثقة في ان يوستاش هو الرجل ذو القناع الحديدي. وكان فرانيواز دي كافواي والد يوستاش قد ذهب الى البلاط في نحو عام ١٦٢٠ طلباً للجاه وكما هو حال دوماس دارتكنان فقد حقق شهرةً لشجاعته. (كان دارتكنان في حقيقة الامر شخصاً حقيقياً ورافق فوكيه الى سجن بكنيرول). وتزوج هذا الرجل من الارملة الشابة (ماري دي سيركنان) واصبح قائد حرس كاردنيال في عام ١٦٣٠ وكانت ماري تتمتع بشعبيتها بحكم موقعها واصبحت صديقة لـ (ريشيليو) ثم صديقةً للملك وخادمة شرف له ولذلك ترعرع ابناءها في البلاط وكان يوستاش الشاب زميل طفولة للويس الرابع عشر وهذا ما قد يفسر لنا عدم رغبة لويس في اعدامه وكان والده فرانسواز قد قتل ابان حصار بايوم عام ١٦٤١ غير ان منصب الارملة يؤكد ان الاطفال بقوا مفضلين في البلاط، لكن اربعة منهم لقوا مصرعهم في الجيش، أما يوستاش الذي كان جندياً ايضاً فقد خدم في سبعة

حلات عندما كان في سن الحادية والعشرين ويبدو انه عندما بلغ الثانية والعشرين في عام ١٦٥٩ قد اشترك في حادثة غريبة جداً فقد كان حاضراً في قداس الجمعة الحزينة في قلعة رويسي والذي عمد فيه احد الخنازير واكل وكانت الفضيحة كبيرة وشوهت سير العديد من الناس، ولكن يلوح ان يوستاش قد نجا من العقاب ربما للاحترام الذي نالته والدته من البلاط غير انه تورط بعد ست سنوات في فضيحة اخرى اجبرته على الاستقالة من منصبه لقد كان ثمة خصام مع احد الخدم خارج قلعة (القديس جيرمن) وتشير احدى الروايات (وعلى لسان دوق ايتاين) ان الخادم كان مخموراً وقرر ان يضرب برمحه دوق ديفوار وهو يترنح امامه وثار الخصام، ثم قام رجل يدعى كافوي وقتل الخادم، وعد ذلك تدنيساً للمحرمات مادام المكان مقدساً بحضور الملك فيه، هرب دوق دينوار دون عقاب في حين اجبر كافوي على التخلي عن منصبه وحقيقة ان كافوي هذا هو يوستاش دوكر قد ايدتها الحقيقة القائلة ان دوكر ايضاً تحي من رتبة قائد الحرس عام ١٦٥٦ بينما بقي اخواه (لويس) و (ارمان) يخدمان الملك وعقب مصرع الخادم توفيت والدة يوستاش وأعلنت في وصيتها ان الذي يجب ان يكون على هامة العائلة هو لويس دوكر وليس اخوه الاكبر يوستاش ويتضح انها كتبت هذه الوصية قبل اربعة عشر شهراً من مقتل الخادم، وكل ما نستطيع استخلاصه هو انها عدت يوستاش وغداً وتركت له معاشاً تقاعدياً مدى الحياة يساوي الف ليفرة سنوياً. ويلوح ان يوستاش كان في استقرار مالي وكان يشاطر اخاه في شارع (بوربون) القريب من مستشفى جارتي ولكن وجد لويس دوكر نفسه عام ١٦٦٨ مشكلة خطيرة فقد حاول اغواء سيدة تدعى سيدونيا كورسيلس فتصدى له زوجها وجرت بينهما مبارزة اعتقل في اثرها لويس، وكان وزير الحرب لوفاس معجباً ايضاً بسيدونيا فبذل جهده ليسجن لويس مدى الحياة ولكن انقذه كولبرت وزير المالية، غير ان لويس قضى السنوات الاربع التالية في الباستيل وعندما خرج من السجن ذاع صيته في العالم، ولكن اخاه يوستاش كان

في ذلك الحين في سجن بكنيرول .... ترى ما الذي اقترفه يوستاش؟ يقول دوفيفير في نظريته انه لعب دوراً ما في قضية السموم أو حتى في المسرحية التمهيدية لذلك عام ١٦٦٨ ، فقد بدأت قضية السموم عام ١٦٧٣ عندما طرقت مسامع نيكولاس دي لاريني، مدير الشرطة، شائعات عن سيدات ثريات اعترفن في الكنيسة انهن قتلن ازواجهن بالسم وقد قضى (لاريني) اربع سنوات ليكتشف خاتماً ساماً عمله العرافون والكهنة الذين يؤدون قداس الحزن وكانت العديد من سيدات البلاط، بما فيهن مدام دي مونتسبان، خادمة الملك مشتركات بالعملية الامر الذي شكل صدمة قوية للملك وكان هدف مونتسبان الحفاظ على حب الملك لها ولاضعاف تأثير غريمتها، لويز دي لافيليز، حيث شاركت في قداس للحزن وسمحت بتعرية بطنها في مذبح الكنيسة بينما قام كاهن يدعى كيبورك بقطع رقبة طفل فوقها. وفي احد الطقوس لتحضير جرعة الحب للملك، تخلط قطرات من دم حيض المرأة مع السائل المنوي للرجل الذي يحصل عليه بالاستمناء في كأس القربان المقدس، وزرع هذا الامر الرعب في قلب الملك بحيث جعله يصدر الاوامر للتحقيق فيه بسرية تامة وفي غرفة تضيئها الشموع فقط سميت (الغرفة المضاءة) وأمر الا يطرق مسامع العامة اي خبر عن الملك، واغلب كبار منفذي قضية السموم احرقوا احياء بينما لحق العار بمدام دي مونتسبان. وفي باريس كان ثمة فزع ايضاً من السم في نحو عام ١٦٦٨ اي قبل سنوات من سماع لاريني تلميحات عن موضوع الخاتم السام. وقد اتهم مشعوذ يدعى ليساج ومساعده الاب ماريت بالسحر وكثر الحديث عن جرعات الحب وقداس الحزن وسيدات البلاط وورد اسم دي مونتسبان اول وهلة ولكن بتحفظ شديد وحكم على ليساج بالاشغال الشاقة مدى الحياة بينما تمكن الاب ماريت من الهرب بعد الحكم عليه بالنفي تسع سنوات وساعده في ذلك اقارب متنفذون. واعترف كيبورك، في قضية السموم الاخيرة، انه قد مارس طقوس قداس حزن في بيت دوقة اورليانز لقاء مبلغ دفعه له جراح يسكن مع اخيه في

حي القديس (جيرمن) قرب مستشفى جارتي وهو المكان الذي سكنه يوستاش دوكر وأخوه عام ١٦٦٨ وثمة قبس من برهان آخر من محاكمة الغرفة المضاءة يشير الى جراح يدعى دوكر كان يجهز العقاقير، ويعتقد دوفيفير ان هذا الجراح هو يوستاش دوكر وان هذا هو سبب اشتراكه في قضية ساج وماربيت الذي ادى الى نفيه وأماط هذا البرهان اللثام عن ان يوستاش قد القي القبض عليه في دنكرك بأمر خاص من الملك ويتضح انه كان يحاول الهرب الى انكلترا . . .

لذلك يمكن ان يكون دوفيفير على صواب، وقد يكون الجراح دوكر هو يوستاش دوكر المشترك في قضية الشعوذة، بيد ان ذلك يخفق في تفسير سبب تعامل الملك مع القضية برمتها بمثل هذه السرية. ومع ذلك فقد نفي الاب ماربيت وتوفرت له الفرصة للتفوه بما يعرفه من اسرار شريرة عن الملك وعن دوكر. ومع ذلك تفشل نظرية دوفيفير التي تتهم دوكر بالشعوذة وبيع السموم في اداته، وثمة اكثر من احتمال يثير المتعة في ربط دوكر بلغز رينيه لي شاتو، ويذكر هنري لنكولن في كتابه (الدم والكأس المقدسان) ان فوكيه، وزير المالية المطرود قد يكون هو الرجل ذا القناع الحديدي وكما نعلم ان ذلك مستحيل ففوكيه توفي في عام ١٦٨٠ أي قبل السجين القديم بثلاث وعشرين سنة غير ان لنكولن اوضح ان شقيق فوكيه ارسل الى روما في عام ١٦٥٦ لمقابلة الرسام بوسين ثم كتب الى فوكيه رسالةً مثيرةً عن سر سيفضي به اليه من خلال بوسين الامر الذي سيثير اهتمام حتى الملوك وسيعود اليه بالفوائد، ويفترض ان هذا السر له علاقة ما بثروة رينيس لي شاتو المخفية وكانت لوحة بوسين (رعاة اركاديا) ذات مفاتيح مهمة لحل اللغز وقد حصل عليها لويس الرابع عشر وحفظها في غرفته الخاصة اذ لايستطيع احد رؤيتها فهل يحتمل ان فوكيه كان يعرف سر رينيس لي شاتو وأن الملك قد سجنه في بكنيرول ولم يسمح له بالتكلم مع شخص لاجباره على الافضاء بالسر؟. وثمة احتمال آخر يتعلق بـ (رينيس لي شاتو) وهو ما كشفه لنكولن من أن جزءاً مهماً من اللغز يتعلق بشخص غامض

يدعى (دير سيون) والذي كان هدفه اعادة سلالة ميروفنجيان الى فرنسا، كان الميروفنجيان، وهم احفاد الملك موروفيث، هي العائلة المشهورة في اللوراين في القرن السابع عشر، وتزوج غاستون دي اورنيل، الاخ الاصغر للويس الثاني عشر من اخت دوق لوراين وكانت ثمة محاولة لعزل لويس ووضع غاستون محله وهذا كان يعني عودة احفاد سلالة ميروفنجيان الى عرش فرنسا مرة اخرى، لكن هذه المحاولة قد اخفقت بالرغم من امكانية تبوأ ورثة غاستون العرش ما دام لويس الثالث عشر لاعقب له. وكما نعرف فان آن النمساوية قد ادهشت الجميع بعد ذلك عندما حملت طفلاً اصبح فيما بعد لويس الرابع عشر...

وكتب لنكولن : «يرى الكتاب المعاصرون والمتأخرون ان والد الطفل الحقيقي هو (كاردنيال ريشيليو) وربما شخص آخر استخدمه ريشيليو كحصان سفاد.. .لكن من هو جواد السفاد هذا؟.

المرشح الواضح هو فرانسواز دوكر دي كافوي ... وهناك العديد من الروايات حول حمل لويس الرابع عشر، فعلى سبيل المثال كيف دبر ريشيليو لجمع الملك والملكة وكيف اختلى لويس بآن النمساوية ابان عاصفة وكانت نتيجة ذلك ان حملت الطفل».

ويقيناً ان لويس الرابع عشر حملته امه في اثر لقاء واحد بينها وبين الملك وان ريشيه قد دبر الامر كي يكون لدى لويس سبباً يدعوه الى التصديق ان الطفل هو ابنه وتطرق الكثير من الكتاب الى الشبه بين لويس دوكر دي كافوي شقيق يوستاش الاصغر ولويس الرابع عشر وهذا لامر يمكن استيعابه اذا كان الاثنان في حقيقة الامر اخوين لا شقيقين.

وهكذا تكون لدينا في النهاية نظرية تلوح انها تفسر لغز الرجل ذي القناع

الحديدي، فقد كان فرانسواز دي كافوي جواد السفاد الذي اكد ولادة وارث العرش وهكذا خابت آمال الميروفنجيان (وأمر دير سيون) وكان بوستاش ولويس دوكر يعلمان ان الملك اخوهم لابيهم وهذا يفسر لنا لم اصبح لويس محبوب الملك بعيد خروجه من الباستيل وقد كان يمكن الاعتماد عليه في كتمان السر. أما الولد العاطل بوستاش فقصته مختلفة. فبعيد سقوطه واستقالته من الحرس والحكم بالسجن على اخيه شرع يتكلم كثيراً وربما مارس شكلاً من الابتزاز للملك مثل قوله:

اطلق سراح اخي والا. . . وهذا ما يفسر لنا السبب الذي دعا الملك الى زجه بعيداً الى بكنيرول في سجن انفرادي والتأكيد بعد ذلك على ان يرافق السجين القديم المحافظ سينت مارس عندما ينقل من سجن الى آخر والذي يمكن تصوره ايضاً انه اضحى متورطاً في امر ديرسيون ومؤامرة تنصيب احد الميروفنجيان على عرش فرنسا وهل ثمة سبب احسن لتبديل الملك من الكشف انه ليس بالابن الحقيقي للويس الثالث عشر؟.

وربما عرف فوكيه السر مادام له اتصال بأمر ديرسيون ويعتقد لنكولن ان هذا هو السبب الذي ادى الى القاء القبض على فوكيه ومحاكمته وقد بذل لويس قصارى جهوده ليحكم على فوكيه بالاعدام لكن المحكمة ابت ذلك وهذا ما يفسر لنا سبب السماح ليوستاش بالعمل خادماً خاصاً لـ (فوكيه) ولكن عندما سجن دوق لوزون، (احد معارف دوكر القدماء) بعد عمل طائش ابعد احدهم عن الاخر. وتفسر لنا هذه النظرية عدة اشياء كالسبب الذي دعا لوفواس وزير الحرب الذي يعرف السر تماماً الى اخبار خادمته ان السجين المقنع هو ابن دوق بكنغهام وآن النمساوية وهذا ليس ببعيد عن الحقيقة فهي تفسر لم اصر الملك على اخفاء السجين، بيد انها تجعل السجين الابن غير الشرعي وليس الملك وقد تفسر ايضاً سبب اجبار دوكر للتقنع عندما يحوم حوله الناس فربما كان يشبه الملك اذ

ان من المستحيل تصور السبب الذي يقنع الرجل لو لم يكن في وجهه مفتاحاً مهماً لسره ولابد من الاقرار ان هنالك اعتراضاً عنيفاً ازاء هذه النظرية فعندما اخبر الوصي، دوق دي اورليانز، لويس الخامس عشر بسر الرجل المقنع ذكر انه صرخ قائلاً: (سأحرره ان كان حياً). ترى هل ان الملك اعتقد بعدم اهمية حقيقة ان جده هو ابن قائد مشاة ريشيليو؟ ربما لان عرشه الان في أمان غير ان قصة اخرى عن لويس الخامس عشر تضفي كثيراً من الشكوك على هذه النظرية، فعندما سأله دوق دي شواسيل عن السجين الغامض احجم الملك عن قول اي شيء ماعدا :(كل ما قيل من تخمينات كانت خاطئة) ثم اضاف مستدركاً عبارة محيرة: (اذا كنت تعرف كل شيء عنه سترى انه عديم المنفعة). واذا كان هذا التعليق صحيحاً وليس مجرد محاولة لتهدئة فضول الدوق فان ذلك يشير الى ان كل ما كتب في الاف الصفحات عن الرجل ذي القناع الحديدي كان زوبعة في فنجان.

أصحاب السر

أحدث كتاب موسوم بـ «البوذية السرية» ضجةً هائلةً حتمت على ناشره السرعة لإعادة طبعه. هذا الكتاب من تأليف الفريد بيرس سينيت الرجل النحيف الأصلع الذي يعمل رئيس تحرير جريدة (بايونير) أكثر الجرائد الهندية رواجاً. وكان سبب هذه الضجة هو ادعاء سينيت في الصفحة الأولى من الكتاب بأنه حصل على معلوماته من «معلمين مخفيين»، رجال عاشوا في الجبال العالية من هضبة التبيت ومازالوا خالدين فعلاً. كان لا بد من التمعن في هذا الموضوع بجدية لأنه صدر من رئيس تحرير جريدة كانت تعتبر الناطقة بلسان الحكومة البريطانية في الهند، ومن غير المنطق أن يتهم بجنون الايمان بالقوى الخفية وقد استحق رجل كهذا اهتماماً جاداً عندما بين انه:

«هذا الكتاب، ولأسباب سوف تغدو جلية بينما تمضي حمى النقاشات الحالية على قدم وساق، يحتوي على مجموعة مهمة جداً من تعاليم ما تزال سرية حتى الآن لم أتجاوز بها نطاق حالات من النوع الاعتيادي فحسب، بل أمست جاهزة لآخذ على كاهلي مهمة إبلاغها للعالم أجمع».

لقد تبنى العديد من الناس موضوع سينت بجدية فعلاً. فقد قرأ الشاعر «و. ب. ييتس» الكتاب وسلمه لصديقه تشارلز جونستون الذي تأثر به الى الحد الذي حداه أن ينطلق في رحلة الى لندن للسياح له بأنشاء فرع في دبلن للجمعية الثيو صوفية، ناشري كتاب سينيت.

عرف جمهور العامة، وبعد ثلاث سنوات تقريباً، كيف حصل سينت على التعاليم التي ماتزال سرية حتى الآن، وشعر الشكوكيون انهم محصنون بتعابيرهم

الساخرة.

ففي تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٨٨٠ استضاف سينيت وزوجته مدام بلافاتسكي في منزله، تلك السيدة الرائعة التي أخبرته ان معظم معرفتها قد حصلت عليها من «معلميها المخفيين» الذين عاشو في الهيمالايا. وقد اقنعت سينت بعبقريتها بعد قيامها بسلسلة من المعجزات الصغيرة. ففي أحد النزهات، عندما ظهر ضيف غير متوقع أمرت ضيفاً آخر أن يحفر بسكينة مائدةً في جانب التلة، فأكتشف كوباً وصحن كوب من نفس النمط كمكملات للطقم الصيني.

وعندما قالت أحد النساء انها تتمنى ان تجد دبوس زينتها المفقود، طلبت مدام بلافاتسكي من بقية الضيوف ان يذهبوا ويبحثوا في الحديقة، فوجد الدبوس في زهرة مطوياً بورقة. وعندما ابدى سينيت رغبته في الأتصال مباشرةً مع (المعلمين)، وعدت مدام بلافاتسكي أن تعمل ما بوسعها. وبعد بضعة ايام لاحقة وجد سينيت على مكتبه أول رسالة من الرسائل التي أصبحت معروفة فيما بعد بـ (رسائل المهاتما). ومن هذه السلسلة من الرسائل حصل سينيت على علم (البوذية السرية).

هذه المعلومات عن رسائل المهاتما قد كشفها، ولسوء الحظ، تقرير عن الثيوصوفية نشرته جمعية البحث في المؤثرات الخارقة للطبيعة عند نهاية عام ١٨٨٥ . كان هذا البحث ما توصلت اله بحوث ريتشارد هودجسون، الشاب الذي تحدث الى مديرات منزل مدام بلافاتسكي وأدرك أن أغلب المعجزات كانت خادعة. كان دليلهن المقنع أنهن جعلن رسالة ما، معنونة الى هودجسون وتتضمن حوارهن الذي تحدثن به الساعة، تسقط من الهواء فوق رأسه. كان لتقرير هودجسون الاثر البالغ بالتدمير التام لمصداقية مدام بلافاتسكي وبتحطيم اسطورة (المعلمين المخفيين) في هضبة التيبت. بيد ان هذا القول لايلغي حقيقة

ن اشياء كثيرة مابرحت تقال لصالح مدام بلافاتسكي، وعودة نحو ادلة جمع من الراصدين يبين لنا انها كانت وسيطة روحية دون ادنى شك. فالكونتيسة (كونستانس وتشميستر)، التي استخدمتها مدام بلافاتسكي عام ١٨٨٤، وجدت الامر في مستهله مزعجاً بعض الشيء. لقد شاطرت مدام بلافاتسكي غرفةً وضعن في وسطها ستاراً، فكانت تسمع حالما تغمض جفنيها رنين دقات تتخللها فترات توقف لمدة عشر دقائق ويستمر هكذا الحال حتى الساعة السادسة صباحاً. وبجوار سرير مدام بلافاتسكي كان ثمة قنديل متوهج، فانسلت الكونتيسة خلف الستار لتطفئه، بيد انه اضيء ثانية حالما رجعت الى فراشها. ومهما يكن فقد سمعت الكونتيسة صوت حك عود ثقاب او علبة قدح. ثلاث مرات اطفأته، وثلاث مرات أضيء من غير ابطاء والدقات مستمرة ايضاً.

وعندما أطفأته في المرة الثالثة رأت يداً سمراء ترفع الفتيلة فأيقضت مدام بلافاتسكي التي بات شاحبة ومصدومة وقد أوضحت أنها كانت مع (المعلمين) ومن الخطر ايقاظها على حين غرة. ويصف تشارلز جونستون كيف جلس يراقب HPB (كما كان يدعوها المعجبون بها) وهي تنقر بأصابعها قمة الطاولة ومن ثم رفعت يدها مسافة قدم واحد او يزيد فوق الطاولة وواصلت النقر فاستمرت الاصوات كأنها تأتي من الطاولة، ثم استدارت بأتجاه جونستون وبدأت ترسل (النقرات الوهمية) على ظاهر يده. «انني أشعر بها وأسمعها، إني أشعر كأنني أستلم إشارات من الموصل الرئيسي لماكنة كهربائية. إنها شبيهة بتدفق الزئبق خلال أصابعك».

هذا الامر قد يبدو برمته مجرد خدعة، ولكنه يلوح مستبعداً، فإذا كنا على إستعداد لتقبل الفرضية التي تقول أن هناك وسطاء حقيقيون يمتلكون أو تمتلكهم قوى سحرية معينة، فمن المؤكد اذاً أن مدام بلافاتسكي كانت شخصاً من هذا النوع. وإذا كنا على إستعداد لتقبل وجود وسطاء حقيقين فالسؤال التالي

أذاً : هل ان قواهم هي نتيجة نشاط غامض للعقل اللاواعي؟أو انهم يستخدمون قوة خارجية ما -كأن تكون فيض من (العقول اللاواعية الجماعية) أو ربما (الارواح)-؟. إن معظم دارسي الظواهر الخارقة خلصوا الى الإذعان، ولو على مضض، بأن هناك قوة خارجية معينة بالرغم من أن معظمهم وجدوا أن تقبل وجود الارواح ضرب من المستحيل!.

لقد توصل الطبيب النفساني ولسون فان دوسن، الذي أجرى دراسةً على المئات من المرضى الذين يعانون من الهلوسات في مستشفى ولاية ميندوسينو، الى إستنتاج مهم وهو ان طبيعة الهلوسات وصفها في القرن الثامن عشر المتصوف ايمانويل سويدنبروغ. ويلوح في الافق أنها تنقسم الى نوعين كان يدعوها بـ (النوع الاعلى) و (النوع الادنى).

تلوح الهلوسات من النوع الادنى بليدةً ومقسمةً بالتكرار وهي شبيهة بعربدة المتبطل السكير في الحانات والذي يحب مضايقة الآخرين وتعذيبهم من أجل المتعة لاغير. بينما تلوح الهلوسات من النوع الاعلى (رمزية ودينية ومساعدة ومثقفة بصدق).

كان هناك مصلح أنابيب الغاز يعاني من هلوسة امرأة جميلة من النوع الاعلى أظهرت له آلاف الرموز. وكان فان دوسن قادراً على إجراء حوار مع هذه (المرأة) بمساعدة المريض. وبعد الحوار طلب المريض تفسيراً واحداً فقط لما كانوا يتكلمون بصدده.

إذا كنا على إستعداد لتصديق ذلك فنحن على إستعداد أيضاً للاعتقاد بأن (المعلمين المخفيين) لمدام بلافاتسكي ربما لم يكونوا من اختلاقها، فقد أخبرت كونستانس وتشميستر أن الدقات التي كانت ترد من فوق سريرها كانت عبارةً عن (برقية روحية) تربطها بالمعلمين الذين كانوا يتهجدون فوق جسدها وهي

نائمة. وإذا كنا على استعداد للاعتقاد بان المعلمين كانوا (ملائكة) كما يسميهم سويد نبورغ او هلوسات من النوع الاعلى كما يسميهم فان دوسن فإن القول بأن HPB كانت خدعة عجوز سننبذها سريعاً وراء ظهورنا. إذ ينبغي علينا في الأقل أن نأخذ بنظر الاعتبار الفرضية التي تقول أن ثمة شيء ما كان يحدث، وهو الى درجة ما أكثر تعقيداً مما نتصور.

لم تكن مدام بلافاتسكي هي التي اخترعت فكرة (المعلمين المختفين)، فالفكرة جزء من تقليد سحري قديم. ويقول المؤلف الموسيقي سيريل سكوت، وهو من المؤمنين بالقوى الخفية، في كتابه (عرض شامل لمسألة الايمان بالقوى الخفية في الوقت الحاضر) (١٩٣٥) الذي تناول فيه المعتقدات الأساسية للسحر والعرافة والتنجيم:

«أولاً، يعتقد المؤمن بالقوى الخفية بأن الانسان في مرحلة تطور من نقص نسبي الى حالات عليا جداً من النشوء البدني والروحي.

ثانياً، إن العملية التطورية في كل أدوارها تديرها سلطة كبرى من مخلوقات ذكية قد توصلت هي نفسها الى هذه الحالات العليا».

ويتفق ألآن العديد من المفكرين المعاصرين على ان الانسان مرتبط بعملية تطورية تشمل عقله بالاضافة لجسده ويصر العديد منهم على ان العملية هي ليست في مجملها مسألة تقنيات داروينية (انظر على سبيل المثال ان المتطوعين لتجارب آرثر كويستلر في «العملية ما بعد التحولية») بل هي بشكل واضح خطوة طويلة جداً من مذهب النشوء الى الايمان بان العملية التطورية تديرها مخلوقات ذكية عليا.

ان هذه الخطوة في الحقيقة تناولها (على اسس علمية محضة) العالم السيراني

ديفيد فوستر في كتابه الموسوم بـ (البشر الاذكياء) والتأكيد الأساسي لفوستر ينصب ببساطة على النشوء الذي يلوح بنظر السبراني انه يدل على تدخل من نوع ذكي. والسبرانية بصورة اساسية هو علم جعل المكائن تتصرف وكأنها دالة على الذكاء وهي تعمل، على سبيل المثال، آلة الغسيل الحديثة التي تؤدي عدداً من العمليات المعقدة كتسخين الماء الى درجة حرارة معينة وغسل الملابس لفترة معينة وشطفها وتجفيفها بآلة تدور بسرعة كبيرة .. الخ. ولكن هذه العمليات مبرمجة في داخل الآلة ويمكن انتقاءها بمجرد تدوير قرص العداد أو ادخال نوع من الاقراص البلاستيكية -كل حافة منه تحتوي على برنامج مختلف- في شق صغير. ولكن بنظر السبراني تدل جوزة البلوط مثل القرص البلاستيكي على نوع معين من البرمجة. هل يمكن ان تكون جوزة البلوط مبرمجة بالانتقاء الطبيعي الداروني فقط؟ يبين فوستر أحد القوانين الاساسية في برمجة الكومبيوتر وهو ان الذكاء الذي يعمل البرمجة لابد أن يكون ذا نظام اعلى واكثر تعقيداً من البرنامج نفسه. وعلى نفس الشاكلة، من اجل تشغيل سيارة ما أو استعمال آلة طابعة كهربائية لابد لعقلي ان يعمل اسرع من الآلة. واذا كانت الآلة تعمل اسرع من عقلي فسوف تكون النتيجة كارثة أو فوضى. في السبرانية يمكن ان يكون الضوء الازرق برنامجاً للضوء الاحمر، ولكن ليس العكس. وعلى نفس المبدأ يمكن أن يمثل ديكنز السيد بكويك ولكن لا يمكن أن يمثل السيد بكويك ديكنز. ويصر فوستر في مناقشته أن الطاقات المستخدمة في برمجة الـ DNA تحتاج الى أن تكون اعلى من أي شكل من اشكال الطاقة الموجودة على الارض. ويصر ايضاً على أن العملية تتطلب طاقات ذوات نظام مشابه لنظام الأشعة الكونية. مثل هذا الطرح يبين بشكل واضح في أحد معانيه أن تعقيد الحياة على الارض لايمكن أن يفسره الا بعض المخلوقات الذكية التي تعيش في مكان ما خارج الارض. وقد نرفض هذا الطرح مبينين أن (الفطرة) قد تمثل تعقيداً شبيهاً بالذكاء الخارق. فالرياضيون الخارقون الذين بامكانهم أن يحلوا المسائل المعقدة خلال ثوان هم

ذكاء منخفض الى درجة ما في ظروف أخرى. وليس ثمة حاجة تطورية لعقل الانسان كي يحل مثل هذه المسائل. فلماذا يطور العقل مثل هذه القوة؟ وقد يجيبنا العالم الفسيولوجي: يطورها كنوع من الانتاج الثانوي مثلما يمكن أن تستخدم وسيلة حساب بسيطة مثل محسبة الخرز لمضاعفة الاعداد الى ما فوق تصور البشر. ولكن هؤلاء الذين يؤمنون ان التطور مسيطر عليه من قوى عظمى، يستخدمون مثل هذه الامثلة كالرياضيين الخارقين ليبرهنوا على ان تطور الملكات العليا للانسان لايمكن ان تفسر بمصطلحات داروينية مجردة.

ومنذ عهد مدام بلافاتسكي (التي توفيت عام ١٨٩١) كان هناك العديد من المؤمنين بالظواهر الخارقة (انني استخدم الكلمة بمعناها الواسع وتعني هؤلاء المهتمين بالظواهر المتعذر تعليلها علمياً) الذين آمنوا أنهم كانوا على اتصال مع مخلوقات ذكية عالية. لقد أصبحت أليس بايلي عضوة فعالة في الجمعية الثيوصوفية بعد وفاة مدام بلافاتسكي وقد اقتنعت انها كانت على اتصال مع (مهاتما) سينيت (وتعني كلمة مهاتما «الروح الكبيرة») كوت هومي. وفي عام ١٩١٩ أسست مجموعتها بعد أن ضاقت ذرعاً من صراعات السلطة داخل الجمعية وانتجت عدداً كبيراً من الكتب أملتها عليها كينونة ما تدعى (التابيتيان).

وقد استخدم الراهب ستينتون موسى، وهو عضو قديم في جمعية البحث في الظواهر الخارقة للطبيعة، (أسلوباً آلياً) لانتاج كميات كبيرة من نص مكتوب نشر بعد موته تحت عنوان (تعاليم روحية).

وبالرغم من ان موسى نشر مقتطفات منه في كتابه (التنور) فقد كان متردداً جداً عند اعترافه بان بعض (الارواح) التي أملتها عليه إدعت انها تمثل افلاطون، وأرسطو طاليس، وأنبياء (العهد القديم) الستة. وفي ذلك الوقت

كان هناك دليل قوي على أن هذه النصوص المكتوبة لم تكن ببساطة من نتاج عقله اللاواعي. ففي إحدى المناسبات رجا موسى من (الروح) أن تذهب الى خزانة الكتب وتختار الكتاب ما قبل الاخير على الرف الثاني وتقرأ الفقرة الاخيرة من صفحة ٩٤ ، ففعلت الروح ذلك بشكل صحيح ولكن لم يزل موسى غير مقتنع. فإختارت الروح كتابها وأملت عليه فقرة عن البابا ثم أخبرت موسى اين بإمكانه ان يجدها بالضبط. وعندما أخذ موسى الكتاب من على الرف، فتحته على نفس الصفحة. لقد كانت الروح تملي هذه الفقرات والكتب ما تزال على الرف مغلقة.

وفي عام ١٩٦٣ بدأ مواطنان أمريكيان وهما جين روبرتس وزوجها روب في إجراء إختبار على لوح لإستحضار الارواح[١] ألهمهما إياه (بيشنز وورث) وقد قامت مختلف الشخصيات بتعريف نفسها واعطاء رسائل، ثم بدأت تظهر للحياة شخصيةٌ ما عرفت نفسها بإسم (سيث).

«وقد كان بادياً من أول نظرة أن رسائل اللوح قد شرعت على حين غرة تزداد في مدى فهمها ونوعيتها. فوجدنا انفسنا نتعامل مع شخصية خارقة الذكاء مميزة الطباع ومزاج مميز، شخص طالما تكشف عن تبصر ومعرفة سايكولوجية جلية وهي من المؤكد فوق قدراتنا الواعية».

لقد استمر سيث يملي عدداً من الكتب بعناوين مثل (مادة سيث) و (سيث يتكلم) وقد حققت شعبية هائلة. من المؤكد ان هذه الكتب تثبت لنا أن سيث، ان كان بهيئة العقل اللاواعي لجين روبرتس أو بهيئة (روح) حقيقية، ذو مستوىً عالٍ من الذكاء.

---

(١) ouija board: لوح يكتب عليه حروف ألفبائية واشارات اخرى، يستخدم في جلسات استحضار الارواح للحصول على رسائل قيل أنها تأتي من ارواح الموتى.

وعندما ألف في ذلك الوقت جين روبرتس كتاباً يفهم منه شكلياً انه يوميات ما بعد الموت للفيلسوف وليام جيمس، كان من الصعوبة بمكان أن يحمل الأمر محمل الجدية. فكتب جيمس مشهورة بسريان مفعولها ووضوح اسلوبها بينما تبدو كتابة المتصل روحياً بجين روبرتس شبيهة بكتابة الطالب الذي لم يتخرج بعد:

«يا له من اندفاع قوي من الصعب كبحه، حيث وضعه علماء النفس موضع المقارنة مع الحماسة البشرية، ذلك الاندفاع الذي أبصر النور لكل تلك التقلبات والانفعالات المدفونة في روح الانسان، وأوثقوها بمقود ايضاً من اجل المواكبة العظيمة للتقدم والصناعة ومعالجة الطبيعة مادياً لمنفعة الانسان».

ثمة عدم اتقان في الصنع هنا مما يجعله غير شبيه تماماً بتعابير جيمس العامية الشائعة. فجملة (وأوثقوها بمقود ايضاً) لا تمثل اسلوب وليام جيمس إذ كان سيقول بدل ذلك ببساطة (وسخرها..).

ومع ذلك فغالباً ما يتحدث سيث عن اشياء ذات أهمية كبيرة وعميقة. ومثال على ذلك تأكيده على أهمية العقل الواعي والقرار الواعي في كتابه (في طبيعة الحقيقة الذاتية):

انني أدرك تماماً ان العديد من تصريحاتي سوف تتعارض وما يؤمن به هؤلاء الذين يتفقون مع فكرة أن العقل الواعي عاجز نسبةً الى غيره، وان حلول المشاكل مخفية تحته أي في العقل اللاواعي. ومن الجلي ان العقل الواعي هو ظاهرة وليس شيئاً ما، وهو يتغير على الدوام، ويمكن أن يتركز أو يتغير بواسطة الأنا في اتجاهات متصلة بشكل موضوعي، وبامكانه ان ينظر خارج الواقع أو يتجه نحو الباطن راصداً محتوياته ... انه اكثر مرونة مما تظن.

ان تعليقات مثل هذه[1] على النقيض من مبادئنا الشائعة حول اللاوعي وشبكة الاعصاب الشمسية التي تحدث أثر الطراوة المجفلة. وهي ليست ذلك الحشو المبعثر الذي اعتدنا ان نراه في الكتابة الالهامية، بل هو ارتباط رؤيا ما بقوى العقل. واذا ما كان سيث يمثل جين روبرتس فهي اذاً فيلسوفة ذات تبصر جدير بالاعتبار.

وثمة تجربة نموذجية قام بها اللندني توني نيت على (وسيط روحي) يرى نفسه على اتصال مع هلوسات فان دوسن ذات النوع الاعلى. ففي عام ١٩٥٠ عندما كان عمره عشرين عاماً، بدأ يلعب في نوع بدائي من انواع لوح استحضار الأرواح وهو لايزال في ريبة مما يقال عنه. وكان ثمة كأس على سطح الطاولة المصقول، فانقذف الكأس من الطاولة بشدة اوقعته على ظهره. فبدأ يمارس التكهن النفسي[2] وأخذ يستلم (صوراً) من الاشياء التي تمسكها يده ووجد أن رؤاه عن تاريخ هذه الاشياء غالباً ما كانت دقيقة. وفي أحد الايام عندما كان يمارس التكهن النفسي راح في غيبوبة وأخذت (الارواح) تتحدث من خلاله. وقد أستشهدت الروح التي إدعت بانها (فرويد) بجملة من كتاب ألماني ذاكرةً رقم الصفحة المضبوطة. وقد كان توني نيت قادراً على اقتفاء أثر الكتاب في مكتبة لندن العامة حيث وجد أن الكلام المنقول صحيحاً. وتحدثت الروح التي ادعت إنها المغنية ميلبا عن حفلة موسيقية كانت قد أحيتها في بلجيكا، ومرةً أخرى تبين أن ادعاءها مضبوط.

وابان عيد الميلاد عام ١٩٥٥ وجد توني نيت نفسه على اتصال بشخصية إسمها هيليو -أركانوفيوس (هـ-أ للاختصار) الذي ادعى انه من سكان أطلنطس[3] وإسمه يعني كاهن الشمس الاعلى. فأسس توني نيت ورفاقه جمعية

---

(١) شبكة من الاعصاب في فم المعدة وتسمى بالضفيرة الشمسية.
(٢) القدرة المزعومة على اكتشاف شخصية امرىء ما أو صفاته عن طريق لمس شيء كان ذلك المرء قد لمسه.
(٣) جزيرة خرافية في المحيط الاطلسي غربي جبل طارق زعموا أنها غارت في أعماق المحيط.

تدعى جمعية الاطلنطيين وانتقلوا الى مدينة ريفية في ويست مالفرن. وقد قضت الكاتبة آني ولسون هناك ردحاً من الزمن، وبين كتابها الموسوم بـ (حيث يوجد الحب) والذي تتحدث فيه عن تجاربها مثلما بين سيث أن (هـ-أ) لديه الكثير من الاشياء المهمة والاصلية ليتحدث عنها. عندما يقرأ المتشكك هذه الاقوال، من الطبيعي ان يفترض ان هذه الاشياء اختلقها العقل اللاواعي لتوني نيت. ولكن اذا كان الحال كذلك فكيف يمكننا اذاً ان نفسر استشهاد فرويد بالجملة من الكتاب، والمعلومات التي حصل عليها من ميلبا؟ اذا كنا على استعداد للاعتراف بان هذه المعلومات قد حصل عليها بطريقة لايمكن تعليلها علمياً أو بان أية معلومة يمكن الحصول عليها بطريقة من المتعذر تفسيرها علمياً كما في حالة مخطوطات غلاستونبري، فاذاً من الممكن بشكل جلي ان ينطبق نفس الشيء على اقوال سيث واقوال هيليو -أركانوفيوس.

لاتزعم كل (التعاليم السرية) انها ناشئة من كيانات منفصلة عن أجسادها، وانما ثمة تعاليم محفوظة على مر العصور من قبل مجتمعات سرية أو مجموعات دينية. لقد قضى جورج كارجيف وهو من مفكري القرن العشرين معظم فترة شبابه في البحث عن جماعة سارمونك الدينية مدعياً انه كان يتلقى تعاليمه الاساسية من جماعة دينية من الرهبان في جبال الهملايا الشمالية. ويعتمد جوهر تعاليم كارجيف على فكرة أن الوعي الاعتيادي هو ضرب من ضروب النوم أي ان كل الفعاليات الانسانية هي في مجملها آلية. واذا ما تمنى الانسان ان يتوقف عن كونه آلياً توجب عليه أن يبذل جهداً عظيماً من قوة ارادته.

وقد بين كتاب (في البحث عن ميراكليوس) لأحد اتباع كارجيف ويدعى (ب. د. أوسبنسكي) أن تعاليم كارجيف السايكولوجية يكمن وراءها نظام كوني معقد الى درجة عالية، ليس له صلة واضحة بالتعاليم السايكولوجية اذ يلوح مستبعداً أن يكون كارجيف مختلقها.

وقد بحث هذا العلم -علم الكونيات- بشكل مستفيض شخص آخر من اتباع كارجيف يدعى (ج. جي. بينت) في الجزء الرابع من مؤلفه (الكون الدراماتيكي)الذي اكد فيه وجود مجموعة من الافكار الكونية تدعى (القوى الخلاقة) وهي المسؤولة عن النظام الكوني. ان هذه العقول الخلاقة يمتد تأثيرها لمديات زمنية تتجاوز فترة حياة الانسان، ويسمي بينت الكون دراماتيكياً ليؤكد شعوره بأهمية الارادة الحرة. ولأن الكون غير ميت ومجهول المصير فإن النتيجة النهائية غير مؤكدة. ومفتاح المنهج بأكمله هو الأرادة-الزمن وهذه هي المنطقة التي تكون فيها الإرادة حرة في إتخاذ القرارات التي تضيف شيئاً جديداً وأصيلاً لتقدم العالم. والقوى الخلاقة لها قوة أكبر من قوة الإنسان لإضافة شيء جديد وأصيل لتقدم العالم، ولكنها غير معصومة من الخطأ. وعلى الرغم من ان مهمتها الأساسية توجيه تطور العالم من بدايته الاولى الخالية من الحياة، فانها وجهت التقدم بالتجربة والمحاولة واقعة بالأخطاء في بعض الأحيان لتعود أدراجها، وفي أحيان أخرى قافزة بوثبات واسعة الى الأمام أي عندما خرجت الحياة من المحيط وبدأت مخلوقات الأرض. ويضيف بينت ان كارجيف يدعو القوى الخارقة بـ«الملائكة» ولكن هذا متعدد المعاني مما يجعل تجنبه أفضل.

ان وجود تقليد سري للتعاليم المخفية أشار اليه ادريس شاه في كتابه «الصوفيون» وكتب ادوارد كامبل المحرر الأدبي لمجلة «لندن ايفننك نيوز» في معرض نقده لهذا الكتاب قائلاً:

«لقرون عديدة كان ثمة اسطورة غريبة في الشرق تقول انه في مكان ما خفي، قد يكون في مرتفعات آسيا الوسطى، ثمة مجموعة من الناس يمتلكون قوى نادرة. وهذا المكان شبيه في بعض جوانبه على الأقل بحكومة سرية تحكم العالم».

جاءت بعض جوانب هذه الأسطورة الى الغرب اثناء الفترة الصليبية وقد ظهرت هذه الفكرة من جديد بالمظهر الروزيكروشي[1] عام ١٦١٤ وقد قامت مدام بلافاتسكي مع الدبلوماسي الفرنسي جاكليوت بعرضها من جديد في القرن الماضي مع بعض الاختلافات وتبناها أيضاً الكاتب الانكليزي تالبوت موندي وعرضها أخيراً الرحالة المنغولي أوسندوسكي عام عام ١٩١٨ .

في المخبأ السري لهذه الاسطورة، يعمل بعض الناس الذين تطوروا الى حالة فوق حالةالبشر الاعتيادية كأوصياء على القوى الموجودة خارج هذا الكوكب. وخلال الأنساق المنخفضة التي تخلط الشرق بالغرب بشكل غير متوقع في مسالك الحياة الاعتيادي، يعمل هؤلاء في المراحل الحرجة من التاريخ لاستخلاص النتائج الضرورية لمواكبة التطور الشامل للأرض مع احداثيات النظام الشمسي».

وقد ذهب كامبل في كتابه «أصحاب السر» (الذي أصدره عام ١٩٨٣ باسم مستعار هو ايرنست سكوت) الى القول بان العلم الغربي في الربع الأول من القرن العشرين الى مرحلة حرجة حسب بلغ مأزقاً حرجاً لا مفر منه، وفي الوقت نفسه كان ثمة شيء ما قادراً على تلك الحالة، قد ظهر بشكل غير متقصد وغير فضولي بالشرق. وقد ذهب الى القول بأن هذا التفسير نابع من مصدر أكثر تفوقاً من العقل الاعتيادي ويختلف عنه نوعياً. وأشار الى ان هذا «التدخل» يحدث في المراحل الحرجة من التاريخ الانساني وقد حدث فعلاً في كل الثقافات وكل العصور بشكل يتناسب مع المرحلة. ويشير كامبل الى مصادر هذا النفوذ أوالتأثير مسمياً اياها «النواميس». ويقول انه في الفترة الواقعة بين عام ١٩٢٠

---

(١) Rosicrucian : الصفة من جمعية سرية اشتهرت في القرنين الـ ١٧ والـ ١٨ وزعمت انها تملك معرفة سرية للطبيعة والدين.

وعام ١٩٥٠ كان ثمة نية للكشف جهازاً عن ميكانيكية النواميس وكيف تعمل، وقد ذكر رجلان كانا على اتصال بـ «النواميس» وهما ج. جي. بينت ورودني كولف وكلاهما من أتباع كارجيف.

ويقترح كامبل تناظراً وظيفياً بين الانسان الكائن العضوي وبين ثقافة متحضرة فيقول «ان الخلية المنوية تخلق فرداً جديداً. فلنفرض ان انساناً واعياً يخلق ثقافة جديدة ولنفرض ان هناك اناساً قلائل مخفيين ضمن الحياة ولايمكن توقعهم قادرين على انتاج طاقة واعية، ولهذا السبب فهم على اتصال بنموذج من الطاقة الواعية خارج الحياة (يصطلح عليها بينت بالمستوى الخلاق)، ان مثل هؤلاء الناس الواعين بالنسبة للثقافة الانسانية كمثل الخلية المنوية التي تنتج الخلايا في جسد الانسان».

ثم يضع كامبل مخططاً بيانياً للأنظمة الحضارية أشار اليه رودني كولن في كتابه «نظرية التأثير الالهي» كما يلي: الانسان الاورنياسي[1]، والانسان الماكدالني[2] وانسان الشرق الأوسط والاقصى (مصر، سومر، والهند القديمة)، الانسان الاغريقي الروماني، والانسان المسيحي الاول، والانسان المسيحي القروسطي، وانسان عصر النهضة الاوربية، والانسان الحديث.

وعلى اساس هذا الترتيب أنجبت مصر عالم الاغريق وحمل الاغريق طاقة الاخصاب الى روما عن طريق الفلسفة الرواقية[3] والابيقورية[4]. وفجأةً ظهرت

(١) Aurignacian: وهو انسان حضارة العصر الحجري القديم التي تمثلت بالأدوات المصنوعة بشكل دقيق من الأحجار والعظام، وبالرسومات والنقوش.
(٢) Magdalenian: وهو انسان حضارة العصر الحجري القديم التي تميزت بالأدوات المصنوعة من حجر الصوان والعظام والعاج وبالنحت على الشب والرسومات.
(٣) مذهب فلسفي أنشأه زينون حوالي عام ٣٠٠ ق.م والذي قال بان الرجل الحكيم يجب ان يتحرر من الانفعال ولا يتأثر بالفرح أو الترح وان يخضع من غير تذمر لحكم الضرورة القاهرة.
(٤) مذهب ابقراط الفيلسوف الاغريقي الذي قال بان المتعة هي الخير الاسمى، والفضيلة وحدها هي مصدر المتعة.

المسيحية الاولى في روما حيث ذلك الانجاز الذي يخطف البصر والذي على ما يبدو لم يأت من أيما مكان، ولكن تلك المسيحية الاولى تحجرت في القرن الثامن داخل الكنيسة الفاسدة للبابوية القروسطية. واستناداً الى كامبل فان الحضارة التالية التي تمثلها الكنيسة القروسطية قد نشأت في كلونه التي ضمت كاتدرائيتها القوطية كل الكاتدرائيات القوطية التي تلتها.

وكان في كل واحدة من هذه الكاتدرائيات عرض لعلم شامل في الكونيات غير المرئية وموسوعة في علم الصخور ومكوناتها وموجز لموضوع سيرة التطور والغاية منه. ويتفق كامبل مع مؤلف كتاب (سر الكاتدرائيات) ان الكاتدرائيات القوطية كانت تمثل كتباً مدرسية في الكيمياء القديمة. وقد كان الماسونيون القروسطيون مفسرين لل (نواميس). ويلاحظ كامبل ايضاً ان هذه الفترة كانت تمثل ايضاً فترة (العمارة الاسلامية) ويشير الى المهمة المشتركة من كلونه وتشارترز الى اسبانيا المسلمة التي عادت على الانسانية بمعرفة اللوغاريتمات والجبر والكيمياء القديمة.

لقد كان ذلك تحضيراً للمرحلة الاساسية القادمة التي يمثّلها عصر النهضة الاوربية. وقد فتحت حضارة هذا العصر أخيراً الطريق أمام العصر الحديث وكانت بدايته منتصف القرن التاسع عشر اذ يشير كامبل الى أن سنة ١٨٥٩ هي السنة التي ابصر فيها النور كتاب (أصل الانواع). ويقول كامبل ان عصرنا الحديث وصل الى قمة تطوره حوالي عام ١٩٣٥ حيث ظهرت المواصلات البرية والجوية والراديو والسينما. ان هذه التطورات غيرت النظرة العقلية عند الجنس البشري كما فعل إختراع الطباعة في عصر النهضة الاوربية. وقد يستمر العصر الحديث ستمائة او سبعمائة سنة أخرى ولكن العصر الذي يليه سوف يعاني من آلام المخاض طويلاً قبل أن يشارف عصرنا على نهايته.

إذاً ، فنقطة البداية بالنسبة لكامبل هي (العقول الخلاقة)التي أثارها بينت . فهو يعتبر هذه العقول حقيقة وأن نشاطها يمكن ملاحظته في التاريخ البشري . ومن وجهة نظر (مجلس الادارة المخفي) هذا فإن المسيحية الاولى اتخذت منعطفاً خاطئاً. فيرى كامبل ان مهمة المسيح حدث ذو دلالة كونية ومحاولة لادخال طاقات معينة للعملية التطورية -طاقات الحب الخالي من الانانية. ويقول كامبل بأن ألآباء الأوائل رفضوا ذلك الجزء من الحكمة الذي ينطوي على الاساليب البارعة للفكر المتطور، وحجتهم في ذلك أنه ليس ثمة شيء سوى المسيح ضروري للتطور الروحي .

وقد شعر أريوس الذي لا يؤمن أن الشعور الديني فطري أن في ذلك خطأ. ويتمثل كفره في اقراره أن الأبن لم يكن مساو للأب -اعتراف باهت بان المسيح أرسل الى التاريخ في زمن خاص ولغرض خاص .وعندما رفض مجلس نيسيا[1] هذا الرأي عام ٣٢٥ بعد الميلاد، أداروا ظهورهم لـ (النواميس الخلاقة).

ويقول كامبل:

ظلت مسؤولية القوى الخلاقة عن التطور قائمة في ذلك الحين اذ كانت مجبرة على تحقيق مكاسب تطورية تتناغم مع النمو الحاصل في ما وراء الارض . بينما توجب على وكلائهم في الارض (مجلس الادارة الخفي) ان يبتكروا بيئة اجتماعية توفر الغرض الضروري. ومهمة كليهما (القوى الخلاقة ووكلائهم في الأرض) تتمثل في رفع مستوى الوعي لدى الجنس البشري عامةً ولدى أفراد معينين بصورة خاصة. لقد قرر الجنس البشري في الغرب بشكل لاشعوري ان هذا لم يعد ضرورياً.

---

(١) Nicaea :مدينة قديمة في الامبراطورية البيزنطية تقع في قرية ازنك الحديثة شمال غربي تركيا في الطرف الشرقي من بحيرة ازنك وقد عقد فيها مجلس الكنيسة عام ٣٢٥ بعد الميلاد.

لقد أفرد مجيء «محمد» مرة أخرى موضع قدم للقوى الخلاقة فتشكلت حوله مدرسة لنقل أفكاره شفوياً. (وهي مجموعة من الصحابة لايتجاوز عددهم التسعين رجلاً قد أقسموا قسم الاخلاص ويقال انهم قدتبنوا اسم الصوفيين»). ويستدرك كامبل مؤكداً ان هذا لايعني ان الصوفية مشتقة من الاسلام وان التعاليم الصوفية ترجع في حقيقة الأمر الى افلاطون وابقراط وفيثاغورس وهيرميس ترسميجستوس، ولكن القصد الرئيسي من مناقشته واضح) وفي حينها فتح العرب اسبانيا وزرعوا البذور التي تفتق عنها عصر النهضة الاوربية.

وقد احتوى الفصل الذي تحدث فيه كامبل عن «روما بين المسيحية والاسلام» على مثال واضح عما يعنيه بتدخل القوى الخلاقة في التاريخ البشري. فلم تكن الاديرة في اوربا الغربية التي حافظت على المعرفة خلال العصور المظلمة لتنفع كمراكز ثقافية حقيقية ذلك لأنها بعيدة ومن المتعذر الوصول اليها. ولكن تحول القديس باتك الى ايرلندة عام ٤٣٢ بعد الميلاد كان سبباً في اعادة احياء الثقافة السلتية بنشره المسيحية هناك. فأصبحت ايرلندة مركزاً للمعرفة الى حد ما بحيث استؤجرت عام ٥٥٠ سفينة لنقل طلاب العالم من غالة الى كورك. لقد كانت المسيحية السلتية تجل الآداب الوثنية، وقد وجه القديس كولومبا وتلميذه كولومبانيوس المد التبشيري الى اوربا مرة اخرى فأنشاء كولومبانيوس أكثر من مائة دير. وقد أخضعت روما أخيراً الكنيسة السلتية عام ٦٦٤ للمجمع الكنسي في وايتبي ولكن الدافع لم يكن بالامكان تحطيمه، فقد عين راهبان سلتيان في قصر شارلمان صيدلين للحكمة. ويقول كامبل في أحد مناقشاته المثيرة (ان الكنيسة السلتية حصلت على جزء من حكمتها من التقنيات ذات المنشأ النفسي.) والنشوء النفسي هو مصطلح اخترعه دارسوا عالم الباراسايكولوجي (العقل فوق المادة). ويشير كامبل في مكان آخر من كتابه بأن هذا هو السر الأساسي في الكيمياء القديمة. ولكنه لم يوضح كيف كانت الكنيسة السلتية تستخدم هذه

التقنيات حسب اعتقاده. ويضيف: أخذت مدارس العارفين في القرن التاسع بالازدهار في قرطبة وطليطلة. وكان لجهودهم التأثيرات البالغة الأثر التي يمكن تتبعها في العالم هذه الأيام. ولم يمثل الطبيب الرازي والعالم ابن سينا، وكلاهما فارسيان، سوى اثنين من عدد كبير من العلماء الذين وفروا المادة الأولية لحقنة الفكر التالية التي حقنت بها أوربا. فكانت من تلك البواعث الفكرية مدارس الفكر التي عرفت فيما بعد بالماسونية والتنويرية التي تمخضت عنها الثورة الفرنسية.

والفصول الخمسة التالية لكتاب «أصحاب السر» ترجمة للتاريخ الاوربي من وجهة نظر «التدخليين». اذ تبين ان القبلانية[1] والتاروت والكيمياء القديمة أدوات نقل لـ «النواميس»، وتوضح المغزى التاريخي للتطهيرية وظهور التروبادور وأساطير الملك آرثر. ويقتفي كامبل مرة أخرى أثر البذرة الأصلية لهذه الحركات معتمداً أصولها الصوفية.

وفي فصل عن كارجيف يعلق كامبل قائلاً:

«منذ أوائل الخمسينات، كان ثمة مادة غير معروفة حتى الآن قد أصبحت متاحة، ومن طبيعة الامور لايمكن أن يحدث ذلك بالصدفة، واذا ماكانت قد تسربت فلأن هؤلاء المسؤولين عنها قد قرروا تسريبها.

لن تدلنا هذه التلميحات المبانة اذا ما انفصلت على شيء، اما اذا اخذت جميعاً بنظر الاعتبار فانها توحي في أول وهلة بطبيعة التنظيم المشتبه به منذ عهد بعيد دون ان تعرف ماهيته والذي له صلة بادخال الامكانيات التطورية في العملية التاريخية في مراحل حرجة معينة.

---

(١) فلسفة دينية سرية عند أحبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط، مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً صوفياً.

وعلى أساس الدليل الذاتي، قد يصح القول ان هذا التنظيم هو تعبير عن أحد المراكز التي لمح اليها بينت والتي تدير عملية التطور في الجنس البشري عامةً. ويذكر كتاب (الكون الدراماتيكي) بأن مراكز التحويل هي المناطق الاربعة الافتراضية التي كانت موجودة قبل ٣٥٠٠٠ الى ٤٠٠٠٠ سنة، والتي كان فيها العقل البشري ينطوي على هبة الابداع وأصبح فيها الانسان كائناً حكيماً. وقبل ١٢٠٠٠ سنة انسحبت هذه المراكز فترة ثمانين جيلاً استعداداً لظهور الانسان الحديث. والفكرة هي أن أحد هذه المراكز الذي يعتبر مسؤولاً حالياً عن الغرب قد قرر أن يفصح عن خططه في النصف الثاني من القرن العشرين. وقد يكون التطور الفكري في الغرب الآن قد بلغ مرحلةً يستطيع الادباء ان يوصلوا أبناءهم الى شأو بعيد عن طريق الإفضاء اليهم باشياء شخصية أو سرية).

ويذكر كامبل ان المحاولات التي قام بها تلامذة كارجيف للاتصال مع الاديرة والمراكز التعليمية الاخرى التي حصل منها كارجيف على معرفته المكتنفة بالاسرار، قد باءت جميعها بالفشل.

كان يعتقد في الثلاثينات أن أوسبنسكي قام باتصال مع مفليفي (وهي مجموعة من الدراويش) طالباً اليهم ارسال شخص ما الى انكلترا، وهذا ما كانوا يتجنبونه ولكنهم أشاروا الى أنهم كانوا يستعدون لاستقبال ممثل عنه، وكان أحد تلاميذ أوسبنسكي الكبار مستعداً للذهاب الى الشرق عام ١٩٣٩ بيد انهم تخلوا عن المشروع عندما إندلعت الحرب.

في عام ١٩٦١ كان ثمة صحافي يدعى عمر بيورك يبحث عن معلومات لمقال عن(التمارين الصوفية)أعطيت له كل التسهيلات للحصول على المعلومات. ومن ضمن هذه التسهيلات التي أعطيت لهذا الصحافي أنهم سمحوا له بزيارة

جمعية دراويش سرية كان موقعها يعرف بأسم «كنجي زاغ» (وتعني ركن الغراب) في بلوخستان. وضع بعدها بيورك نتائج بحثه في مقال في مجلة «بلاكوود» في كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩٦١ . وقد صادف أن رأى هذا المقال عضو في مجموعة كارجيف اللندنية فأدرك أن محاولة ما للوصول الى مصدر كارجيف كان سيكشف عنها النقاب في مجلة. بيد أن المجموعة اللندنية اتصلت مع «المصدر» الذي اخبرها انه من الحماقة الذهاب الى بلوخستان لأن مركز النشاط الحالي كان في انكلترا.

ويقول كامبل بان «مصدر» كارجيف هو التعاليم (النواميس) الصوفية. ومن باب الافتراض فان التعليق على «مركز النشاط الحالي» في لندن ينطوي ضمناً على ان هذا المركز يوجد في مجموعة يديرها إدريس شاه مؤلف كتاب «الصوفية». وفي الحقيقة فقد سلم بينت مركز تعاليمه في كومب سبرنك الى شاه. ويصف بينت في سيرته الذاتية «الشاهد» كيف أنه أخبره في عام ١٩٦٢ صديق قديم عن إدريس شاه وكيف أنه قدم الى انكلترا من أفغانستان ليتقصى عن اتباع كارجيف «ويكمل تعاليمهم».

وعند لقاءه مع شاه كانت انطباعاته عنه سلبية كان مضطرباً، يدخن بشراهة ويتكلم كثيراً، ويحاول اظهار انطباع جيد عن نفسه. ولكن عند المساء تغير رأينا فيه تماماً، فقد ادركنا انه ليس رجلاً موهوباً حسب وانما يمتلك شيئاً ما غير معروف يدل على الرجل الذي يحاول بشكل جدي أن يكون مقنعاً.

ويقول بان شاه لم يدع بأنه معلم بل أن معلمه قد أرسله وبأنه مزود بـ «حراسة النواميس». وقد ذهب بينت الى الاقتباس من الوثيقة التي اعطاها إياه شاه وهي عبارة عن «بيان عن اصحاب النواميس» التي تنص على «ان شكلاً سرياً وخاصاً وخارقاً من اشكال المعرفة» موجود فعلاً ويمكن ان ينقل.

«الى البشر الذين توجه اليهم هذا الخطاب . . . ان هذه المعرفة يجمعها ويديرها ويوجهها ثلاثة اشكال من الافراد . . . يدعون «السلطة غير المرئية» لأنها بطبيعة الحال ليس لها اتصال مع البشر الاعتياديين وبالتأكيد ليس لها اتصال متبادل مع بعضها البعض»

ويخبرنا بينت بعدها كيف اقنعه شاه بالتخلي عن كومب سبرتك من دون شرط، ونتلمس في وصفه بعض القسوة عندما يخبرنا كيف ان شاه باع البيت لقاء ١٠٠٠٠٠ دولار بعد مرور سنة فقط. ويبقى واضحاً انه بالرغم من العداء الشخصي الذي يكنه للشاه فان بينت لايشك في ان ما يقوله عنه ينطبق عليه تماماً.

وفي كل الاحوال فان قبول فرضية كامبل أو عدم قبولها غير مرتبط برغبة القارىء في تقبل فكرة ان ادريس شاه هو نموذج لـ «البشر المخفيين» وان بينت نفسه هو الذي اخترع عبارة «مجلس الادارة المخفي» في كتابه الكون الدراماتيكي».

ويلخص كامبل فكرته قائلاً :

«ان كتابة قصة الانسان الطويلة قامت بها عقول بارعة اعلى مستوى من عقل الانسان . . . . والمسؤول عن هذه العملية على الأرض عقل بارع يعرف بـ «مجلس الادارة الخفي». وقد ينطبق هذا على المستوى الذي يرمز له في اسطورة القوى الخفية بالفرد (على سبيل المثال: الحاكم أو كاتب الأيام . . . الخ) ويتوازن إما مع مستوى القوى الخلاقة أو مع المستوى الذي دونه مباشرة.

وللتأثير في الطبيعة البشرية لعامة الناس تقوم السلطة التنفيذية ومرؤوسوهم جنباً الى جنب بمحاولات موضعية لرفع مستوى الوعي للبشر الأفراد على وجه

الخصوص. وقد يرغب هؤلاء الأفراد الطبيعيين والمختارين بصورة خاصة في تأهيلهم للمشاركة في عمل السلطة التنفيذية. وتدعى العملية التي يتأهلون من خلالها بـ «العمل العظيم». وهذا يماثل الإرتقاء العمودي لمستوى أعلى ولكن لايعني الأرتفاع التدريجي مع المد التطوري».

في عام ١٨٥٧ قدمت المعلمة والكاتبة ديليا بيكن عملها الذي أثار جدلاً واسعاً تحت عنوان «الكشف عن فلسفة مسرحيات شكسبير» اذ اقترحت فيه ان شكسبير لم يكن في حقيقة الأمر سوى مجموعة من العلماء الاليزابيثيين يقودهم فرنسيس بيكن الذي كان هدفه التعبير عن أفكار جديدة تؤدي بطريقة أو بأخرى الى العذاب والسجن. وقد قوبل الكتاب بالسخرية مما أدى الى احتلال عقل ديليا بيكن و موتها بعد ذلك بوقت قصير. ويعبر كامبل عن نفس النظرية في نقطتين في كتابه «أصحاب السر». ولاشك ان المتشككين سوف يشعرون ان فرضيته تستحق نفس ما استحقته فرضية ديليا والاعتراض المستقى من الخبرة بالحياة هو ان الرجال الذين مثلوا نقاط تحول في التاريخ البشري مثل «محمد»، وكوزيمودي ميدسي، وداروين، وآينشتاين، لم يكونوا بشكل واضح أعضاء فيما يسمى بـ «مجلس الادارة الخفي». واذا لم يكن «مجلس الادارة الخفي» هذا يحتاج الى تفسير وجوده أو تأثيره على التاريخ فلماذا نزعج أنفسنا إذن في النظر في أمر مثل هذه الفرضية غير الضرورية؟

ومن جهة أخرى، لاحظ مؤرخوا الحضارات كيف ان بعض الأفكار ليس لها أساس في الواقع في فترات معينة. وقد ابتكر الألمان كلمة تعبر عن هذه الظاهرة وتعني روح العصر. ان كل اكتشاف أو اختراع أساسي يبدو وكأن شخصان قد أوجداه في نفس الوقت (نظرية النشوء، الفوتوغراف، النسبية، تسجيل الأصوات، التلفزيون).

وقد وضع البايولوجي روبرت شلدراك نظرية «الرنين» ومفادها ان أية عملية صعبة حالما تتحق، من تبلور مادة جديدة الى ابداع فكرة جديدة، فانها تنتشر مثل الموجة على سطح البركة وهذا يسهل العملية أينما تحدث. وتوحي أيضاً فكرة يونغ عن التزامن بأن هناك ارتباطاً ما بين العقل وعالم الأشياء المادية التي لم تساندها فلسفة العلم الغربية. ان مثل هذه الأفكار تشير الى ان ثمة حركة تبتعد عن الكون الميت لعلم القرن التاسع عشر وتقترب باتجاه «الكون الذكي» وهو عنوان كتاب وضعه الدكتور ديفيد فوستر. ومن الممكن القول ان «مجلس الأدارة الخفي» المسؤول عن التطور ليس سوى امتداد منطقي لهذه الفكرة.

ويذكر كامبل كتاب ييتس «رؤيا» كمثال للعمل الذي ألهمته «النواميس» وهذا العمل هو عبارة عن «نظام» للأنواع البشرية، عبر عنه بلغة أوجه القمر. وقد أصدرته جورجي زوجة ييتس عن طريق الكتابة الآلية. وقد وضعت المخلوقات المتصلة بييتس مخططاً لرؤيتهم للتاريخ، الذي فيه الكثير على شاكلة ما موجود في كتاب «أصحاب السر». ولكن عندما أبدى ييتس استعداده لقضاء ما تبقى من حياته لتفسير وجمع هذا النظام المعقد، استلم الرد التالي:

« كلا نحن جئنا لكي نعطيك تداعيات للشعر»

وحتى لو اصبحت فكرة «مجلس الأدارة الخفي» مقبولة على هذا المستوى، فأنها ستبقى فرضية رائعة وخصبة.

الأجسام الطائرة المجهولة

كانت الصحون الطائرة ودون أدنى شك لغزاً كبيراً في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وان النظريات التي وضعت لتفسيرها قد تراوحت من الاعتقاد انها كائنات خارقة نزحت من كوكب آخر (أو بعد آخر) الى الاعتقاد انها طراز معين لحادث ماوراء الطبيعة يعزى للأشباح. ومن بين أكثر النظريات شيوعاً نظرية يونغ الذي اقترح ان الأجسام الطائرة المجهولة هي (اسقاطات) لعقل غير واع: وهذا هو الاسلوب العلمي الكيس للافصاح بعدم واقعيتها المحسوسة. بيد ان معظم مؤيدي نظرية يونغ استحبوا الجهل -أو بالأحرى عدم المعرفة- بتغير وجهةالنظر الأخيرة -فقد أخبر ابن أخيه قبيل وفاته (اي وفاة يونغ) انه يؤمن ان اليوفو قد غدت كائنات حقيقية. بدأت قصة المشاهدات الحديثة في ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٧ عندما كان كينث ارنولد، رجل الأعمال، يستقل طائرته الخاصة بالقرب من قمة ريفر في ولاية واشنطن بعكس مؤخرة الجبل وشاهد تسعة أطباق مشعة كانت تشق طريقها بسرعة هائلة- قدر سرعتها بآلاف الأميال في الساعة وهو أكثر بكثير مما كانت تبلغه الطائرات آنذاك. قال أرنولد «انها كانت تطير بشكل يشبه الأوزة ومتجهه أعلى وأسفل قمم الجبل وكانت تبدو كأنها (صحن يتزلق على سطح الماء). لذا أصبح يشار اليها بالصحون الطائرة». تناقلت الصحف الأمريكية قصة أرنولد واعتبرتها جادة سيما وانه يحظى بسمعة طيبة وانه كان في مهمة البحث عن حطام طائرة مفقودة وقت مشاهدته الصحون لذا لايلوح ثمة سبب لاختلاقه مثل هذه القصة. بعد ذلك بأربعة أيام شاهد طياران وضابط استخبارات ضياءاً مشعاً يقوم «بمناورة مستحيلة» فوق قاعدة ماكسويل الجوية في مونتغمري في الباما في حين شاهد طيار في نيفادا في اليوم نفسه تشكيلاً لأجسام طائرة مجهولة. وعندما سجلت

المشـاهدات بدأت الصـحف بابراز شـهـرة لقـصص الصـحـون الطائرة وغـدت مشاهداتها في نهاية العام مئات المرات-وهذا الرقم تضـاعف الى آلاف بـسرعة.

وفي آذار (مارس) في السـنـة التـاليـة، أي عـام ١٩٤٨ ، شـوهد «جسم مجهـول» فـوق قـاعـدة كـوومان الجوية في كنتاكي. استدعيت ثلاث طائرات من نوع ف -اهـ متـانج للتحـقيق في الأمـر فتقدمت احداها التي يقودها الكابتن تومـاس مـانتل على الاخـريتين. التـقط راديو البرج منه مكالمة : «أرى فوقي جسماً معدنياً هائل الحجم، مازلت اتسلق نحوها، فما هو؟». ثم قال بعدها: «انه فوقي لكني أقترب منه. انني أتخطى حـاجـز العشرين ألف قدم». بيد ان هذا كان آخر مـا تفـوه به مانتل. فقد تم العثور على بقايا طائرته على بعد ٩٠ ميلاً من القاعدة أواخر ذلك اليوم.

نشرت الصـحف هذه القـصـة وكـانت نبأ مـثيراً «صحن طائر يقتل طياراً». أعلنت القـوة الجوية ان مانتل أخطأ في الاعتقاد انه جسم طائر لأنه كوكب الزهرة - وهذه القـصـة أرادت بالأمر أن يغدو غير صحيح وغير مرجح. لكنها أظهرت بعد أيام نفس السر عندما أعلنت ان مانتل كان مصاباً بالهلوسة.

ويتـضح ان دعـايات الصـحـف كانـت تـسبب في حالات معينة من الهستريا فـاعتقد كثير من الناس انهم شاهدوا صحوناً طائرة في حين انهم لم يشاهدو سوى بالونات جـوية أو طائرات تحمل أضـوية في مـؤخـرتها. ولكن أمن المعـقـول ان آلاف الأشـخـاص -بل في الحـقيقة الملايين منهم- قد أخطأوا؟ أفصح كالب بول ان خمـسـة مـلايين أمـريكي قـد شـاهدوا صـحـوناً طائرة في حلول عـام ١٩٦٦ وبعضها في أحياء قريبة.

وبعـد مـشـاهدة أرنولد الحقيقية بأيام قلائل أبحرت سفينة لاندفوري كاستل في طريق مـومـبـازا الى مدينة تيب وفي الساعة الحادية عشرة مساءاً شاهدت زوجة

ملك نيروبي عندما كانا على ظهر الباخرة مع سيدة أخرى ما ظهر كأنه نجم مشع يحاول الأقتراب من السفينة. فأشعلت الكشافات ناراً من خمسين ياردة من البحر القريب الى السفينة فشاهدوا جسماً حديدياً كأنه سيكارة مبتورة من المؤخرة الخلفية. كان بحجم السفينة أربع مرات ومتجهاً بنفس الأتجاه لكنه توارى بسرعة هائلة مطلقاً من مؤخرته المسطحة ألسنة لهب.

وبالرغم من التقارير المتزايدة من هذا القبيل وآلاف المشاهدات الجوية، مضت القوة الجوية في التأكيد ان مشاهدات اليوفو كانت خدعاً وحيلاً وأكاذيب مبيتة. تم الشروع في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ في تحقيق رسمي يعرف بـ «مشروع الكتاب الازرق» وكان الملاح ج. أ. هاتيل احد مستشاريه والذي بدا متشككاً لكنه اقتنع فيما بعد من ان الصدق الواضح لمشاهدي اليوفو كان أمراً واقعاً. بيد ان القوة الجوية ظلت متشككة بشكل حازم واصبحت مسألة مساهمتها في التستر على القضية أمراً ملحاً فأصرت عام ١٩٦٥ بتشكيل هيئة علمية برئاسة الفيزيائي الشهير ادوارد موندن واشرفت عليها جامعة كولورادو. وعندما اصدرت الهيئة تقريراً عام ١٩٦٩ اتضح ان علماء جامعة كولورادو قد توصلوا لنفس استنتاج محققي القوة الجوية -نشرت احدى الصحف عنواناً يوجز تقرير النتائج البالغ ٩٦٥ ورقة بعنوان (الصحون الطائرة غير موجودة) ومن بين الصعوبات الرئيسية ان المشاهدات كانت منافية للعقل تماماً لدرجة لايمكن حملها محمل الجد وان ساحةالتحقيق برمتها اصبحت وسطاً جيداً لاصطياد المهووسين.
ادعى العالم البولندي -الامريكي الاصل- جورج ادمسكي في كتابه «هبوط الصحون الطائرة» انه وعدد من مؤيدي الصحون ذهبوا عام ١٩٥٢ الى صحراء كالفورنيا وشاهدوا اشياء ضخمة تماثل السيكارة في الفضاء. طاف آدمسكي، مستخدماً آلة تصوير، حول المكان وشاهد صحناً طائراً نزل منه رجل صغير ذو شعر أشقر منسرح على كتفيه. عرف نفسه بلغة الارشارات على انه من كوكب

الزهرة وانطلق بعدها في طائرته. شاهد اصدقائه اللقاء عن بعد وسجلوا بيانات موثقة عن هذه الواقعة. بين ادامسكي في كتابه الآخر «في مراكب الفضاء» رحلته في صحن طائر -السفينة الدورية- مع مكتشف من الزهرة ورجل من المريخ وآخر من زحل وحلقوا هذه المرة الى الفضاء على متن السفينة الأم. وفي مرة أخرى أخذ آدامسكي الى القمر حيث شاهد ارضاً خصبة النبات فيها أشجار وحيوانات ذات صوف من ذوات الاربع ارجل وشاهد ايضاً صوراً للزهرة على شاشة التلفاز فرأى فيها مدناً وجبالاً وانهاراً وبحيرات.

توفي ادامسكي عام ١٩٦٥ اي قبل اربع سنوات من هبوط الانسان على القمر وبعد ثلاثة سنوات من اجتياز المجس الفضائي - ماريز ٢ -الزهرة وكشف انها تحوي في فضائها على غاز الكبريتيك وان السطح ساخن جداً بحيث تتعذر الحياة فيها. ولكن لم يكترث ادامسكي لمثل هذه العقبات وادعى دائماً ان مجلساً فضائياً بسيطاً هو اقل ثقة من سكان الزهرة الحقيقيين، وقضى سنوات حياته الاخيرة يحاضر بزهو الى مؤيدي اليوفو في كل ارجاء المعمورة. حظي احد اصدقاء ادامسكي وهوالدكتور جورج هانت ليامن. الذي كان شاهداً للأتصال، بنفس الشهرة. وفي كتابه الموسوم (الأطباق المتكلمة) يوضح كيف انه اتصل اصلاً مع سكان الصحون الطائرة من خلال الكتابة الأتوماتيكية وكيف كان بالامكان انشاء خط مباشر بواسطة مشغل راديو (الذى يسميه السيد آر)، كان هؤلاء رجال الفضاء من كوكب المريخ ويدعون « المريخيون »واوضحوا ان الأرض كانت تواجه خطراً جسيماً من كوكب المريخ قد يدمر كيانها. «يتنازع الخير والشر في دوام وان التنظيم ضروري لأنقاذ عالمك».

كانت دوائر الاستخبارات الفضائية تراقب منذ خمس وسبعين الف سنة ومتأهبة الان لانقاذ العالم من خلال الافصاح عن كل اسرار الحياة المدهشة والرب -ومكان الخالق في السجل السماوي.

وفي كتابه الموسوم (اماكن سرية للأسد) يكشف وليامسن عن بعض الاماكن السرية في مكتبة عظيمة في مدينة مفقودة في اعلى قمة لجبال بيرو حيث يقبع هناك معلم السيد المسيح وهو المتبقي الوحيد من سلالته يحيا ويعمل.

(هذا المعلم يبلغ من العمر الاف السنوات وكان يعيش على الارض في الايام التي كان العمالقة يجوبونها). هذه المكتبة (حيث يشكر المؤلف احد الاشخاص لترجمة وثائقها القديمة) تبين ان سكان النجم قد سكنوا الارض منذ ثمانين مليون سنة خلت قبل ظهور الانسان بفترة طويلة وساعدوا الانسان منذ حينها على التطور.

ان وثائقهم موجودة في قبور وغرف سرية وان احد مراكب الفضاء مخفية في قاعدة للهرم الاكبر الذي بني قبل ٢٤ الف سنة (وليس قبل اربعة الاف وخمسمئة سنة كما يدعي علماء الارض المصريون).

كان سكان النجوم يتناسخون بصورة مستمرة باعتبار انهم قادة عظام أو أنبياء للبشرية وهكذا تغدو تيي زوجة الفرعون امحوتب الثالث ملكة سبأ وغدت نيفرتيتي ملكة غوانافير (زوجة الملك آرثر) وكذلك جان دارك بينما يصبح الامير سيتي ولي العهد المصري اسايا في حين يغدو ارسطو المبشر جون وليناردو دي فانيشي.

ان كتاب (اماكن سرية للاسد)، هو تأريخ للارض طبقاً للوثائق القديمة وذو قيمة ممتازة كتسلية تأريخية. ظهر في فرنسا عام ١٩٦٠ كتاب مدهش عنوانه «صبيحة السحرة» لمؤلفه لومين باولر وجاركز بيرجر واصبح من اكثر الكتب مبيعاً وترجم الى عدة لغات. ناقش هذا الكتاب عدة الغاز، السيمياء (الكيمياء القديمة)، والتنجيم والسحر الاسود واشياء غامضة من صنع البشر والهرم الاكبر -ولكن جدالها الاكبر ان اكثر «المعرفة المفقودة» قد اتى بها زوار من

الفضاء الخارجي الى هذا الكوكب.

انه يناقش على سبيل المثال خرائط بيري ريز التي تعود الى القرن السادس عشر والتي تظهر انتاركتكا (على الرغم من انها لم تكتشف الا بعد ثلاثة قرون) وتظهر ايضاً منطقة الجسر بين سيبيريا والاسكا، وهو الجسر الذي اختفى قبل الاف السنين مما مهد الطريق لمضيق بيرنغ، ويجادل ان مثل هذه الخرائط تبرهن ان الارض قد مسحت من الجو منذ اكثر من الفي سنة. هذا الكتاب يحمل الكثير من الهفوات- فمثلاً يصف بيري ريز الذي كان قرصاناً تركياً قطع عنقه عام ١٥٥٤- كضابط بحرية امريكي في القرن التاسع عشر. بيد انه سبب كثيراً من الدهشة وبدا كأنه يبرر الاعذار المتزايدة من «اليوفيين» الذين كانوا يعتقدون ان الصحون كانت تظهر قبل قرون وانها مذكورة ايضاً في الكتاب المقدس.

وفي عام ١٩٧٦ حظيت «نظرية الملاحة الجوية القديمة» استقبالاً واسع النطاق في كتاب موسوم «ذكريات المستقبل» وترجم الى الانكليزية بعنوان «مراكب الرب» (نشرته احدى الصحف على شكل سلسلة بعنوان «أكان الخالق ملاحاً؟») وان مؤلف الكتاب، ارين فون دانكن، استعار مكتبة -ودون علم- من المؤلفين السابقين مثل وليمن وبيدكر وباولز ولكنه قدم «دليله» الخاص مع تأكيد فردي ثابت.

تتألف نقطة جداله أصلاً من التأكيد ان المشيدات القديمة المتنوعة -الهرم الأكبر (طبيعياً)، مواقع الجزيرة الشرقية، اهرام المكسيك واحجار الكرنك وستونهيج قد شيدت بمساعدة رجال الفضاء لأن تكنولوجيا بنائها كانت تتعدى مهارات من كان يعزى اليه تشييدها. انه يخلو من المعلومات تماماً، فمثلاً يضاعف وزن الهرم الأكبر خمس مرات ويثير أساطير من ملحمة كلكامش غير موجودة في ذلك العمل.

ثبت أن كثير من جدالاته الرئيسة خاطئة. فهو يؤكد ان مواقع الجزيرة الشرقية كانت ضخمة جداً بحيث يعجز المواطنون عن بنائها ولكن المكتشف ثور هيردل أقنع سكان الجزيرة الشرقية المعاصرين على نحت وتشييد تمثال في أسابيع قلائل.

يؤكد ان الاهرامات قد شيدها الملاحون القدماء لان المصريين لم يمتلكوا حبالاً -لكن نصوص الهرم تظهر استخدام الحبل. ان ما ادعاه دانكن ان يكون صورة لرجل التقطت من سفينة فضاء في لوحة دفن بلانكو في غواتيمالا أظهرت الطلاب على انها المخطوطة الدينية لمايا النموذجية، المليئة بالرموز الأساسية، والطيور والأفاعي وغيرها.

وهو يجعل من خطوط نازكا الغامضة في سهول بيرو أمثلة لبناءات يمكن فهمها عند ملاحظتها من الجو ويقترح انها مطارات عملاقة لمركبة فضائية (ويحوزته صورة لمركبة فضائية في حالة هبوط) بيد ان الخطوط قد رسمت من السطح الصخري للصحراء وانها تتناثر بثبات لو حطت عليها مركبة فضائية. تحولت «مواقع الهبوط» لتكون تفصيلاً من ساق طير -ركبته- ولم تكن كبيرة بما فيه الكفاية لايقاف عجله. يؤكد دانكن ان هذا خطأ ارتكبه المحرر ولكنه سمح له بتصحيحه في طبعات تالية من هذا الكتاب. «ذهب الآلهة» يظهر دانكن صورة لهيكل نحت من الحجر ويود أن يعرف كيف تسنى للنحاتة القدماء معرفة الهياكل قبل ان تظهر أشعة اكس متناسياً ان كل مقبرة كانت تعج بمثل هذه الهياكل.

وفي هذا الكتاب أيضاً يدعي دانكن انه قد اخذ الى مدينة مدفونة حيث تفحص مكتبة سرية فيها كتب مصنوعة من أوراق حديدية. وعندما انكر صديقه، المكتشف جون موركز، قصة دانكن السرية مؤكداً ان المؤلفين الألمان

للأعمال الشعبية غير الخيالية مسموح لهم باستخدام «مؤثرات معينة» -أي أكاذيب- على اعتبار انها طارئة لاتمس الحقيقة -وبالرغم من هذه الاحراجات واصل دانكن نشر العديد من الكتب ساعد كل منها في تأسيس نظرية الملاحة بعيداً عن كل شيء ممكن. من المؤكد ان التدفق المطرد لكتب اليوفويين أثار أكثر المحققين جدية للسرية أو العنف. ومع ذلك فثمة استثناءات بارزة فـ (جي. الن. هاينك). كما لاحظنا كان عضواً في مشروع الكتاب الأزرق وان الدليل الذي درسه أقنعه أخيراً انه مهما حاول المهووسون والسذج والكذبة الفاضحون في اغماض الحقائق وفي كتابة «رسل الخداع» (١٩٧٩) يفسر انه بعد سنوات من دراسة التشابه بين ظاهرة اليوفو والظاهرة الخارقة للطبيعة: «لم اعد اعتبر الصحون الطائرة مجرد طراز لماكنة أو مقاتلة مهما تداخلت قوة دفعها». عاد الأدراج بعدها الى حاسبه الآلي واختتم: «ان أكثر النتائج وضوحاً ان الظاهرة قد سلكت مسلك العملية المشروطة. ان منطقية الشرط تستخدم السخف والارباك لتحقيق غايتها بينما تخفي اليتها وبدأت الاحظ تركيباً مماثلاً في قصص اليوفو».

ان السخف والارباك من أكثر المجالات اثارة وحيرة فيما يتعلق بقصص اليوفو. يخصص فالي فصلاً من كتابه «بعثة لامرئية» لدراسة قضية يوري كيلر النفساني الاسرائيلي «ذي الجوهر المرح» الذي اكتشفه العالم اندريجة بوخارج.

أثارت قدرات كيلر اهتماماً عالياً فبدأ مؤكداً ان الكتاب الأول عنه سيغدو من أكثر الكتب مبيعاً. «صحيفة اللغز يوري كيلر» (١٩٧٤) أوشك أن يحطم سمعة بوخارج -مؤلفه- كمحقق جدي سيما وانه يبدو مليء بأحداث محيرة ومنافية للعقل لايمكن شرحها. ومع ذلك فانها تقدم أدلة حيوية للغز «مخابرات الفضاء». وفي عام ١٩٥٢ كان بوخارج قبل ان يقابل كيلر بفترة طويلة، يدرس مع طبيب نفساني هندوسي يدعي فينود الذي استغرق في نشوة وبدأ يتخاطب مع صوت انكليزي: وأعلن هذا الصوت انه عضو من التسعة الخارقين في

المخابرات حيث يدرسون الجنس البشري منذ الاف السنوات بهدف المساعدة في تطور الانسان. وعندما انتقل بوخارج الى المكسيك بعد ثلاث سنوات التقى طبياً امريكياً وصلت اليه رسائل مطولة من مخابرات الفضاء -الشيء الغريب ان ثمة تواصلاً في الرسائل التي كانت تمر بالدكتور فينود. وفي عام ١٩٧١ التقى بوخارج بكلير الذي استغرق في نشوة حيث دخل «التسعة» القصة. تكلم صوت من فوق رأس كلير موضحاً ان المخابرات الفضائية قد برمجته منذ عمر الثالثة لمنع الكيان البشري من الغوص في كارثة. يمضي بوخارج في وصف مشاهدات اليوفو والسلسلة غير المنتهية من الاحداث المحيرة جداً لانها وببساطة لايمكن تصديقها. وبعد وقفة بوخارج مع كلير استمر التسعة في توضيح انفسهم من خلال الاوساط.

ان القصة منشورة في كتاب «بداية الهبوط على كوكب الارض» لمؤلفه ستيورت هولرويد وهو اكثر غموضاً من كتاب بوخارج. ارسل التسعة بوخارج ورفاقه في محاولة عقيمة حول الشرق الاوسط ومناطق اخرى بعيدة بهدف الصلاة من اجل السلام وأكدت له المخابرات انهم قد جنبوا البشرية كوارث عالمية خطيرة.

وفي الحقيقة فان ذكر الاوساط ربما يقدم دليلاً للغز. ان الروحانية الحديثة بدأت في منتصف القرن التاسع عشر عندما بدأت الارواح في التعبير عن نفسها في السفينة الناقلة لفتاتين مراهقتين وبسرعة فان آلاف الاوساط احدثت من الاصوات الغامضة (احدها يطرق ايجاباً واثنين سلباً) مولدةً ابواقاً والات موسيقية أخرى تغوص في الفضاء، وتعزف بنفسها فينتج عنها اصوات واشكال روحية. لم يدرس اي شخص الظاهرة بتعمق ليؤمن انها كانت زيفاً بالكامل وعلاوة على ذلك فان النظرية التي تقترح انها نتيجة عقول غير واعية من المشاركين يجب عدم الاخذ بها لأن «الارواح» في كثير من الحالات كانت قادرة

على استخدام اوساط مختلفة لكشف اجزاء نفس الرسالة -الاجزاء التي تتداخل مثل الصورة المركبة من قطع موزاييك، وهكذا تشير بشكل قاطع الى وجود الصحون الطائرة وحتى «رجال الفضاء».

كان هاينك هو الذي صاغ عبارة لقاءات قريبة مع الصنف الثالث، وتعني اللقاءات مع الصحون على الأرض. يبدأ فصله بمثل هذه اللقاءات (في خبرة اليوفو، تحقيق علمي) :«لقد بلغنا الآن مجالاً اكثر غرابة وصعب التصديق عن ظاهرة اليوفو. ولأكون صريحاً سأحذف هذا الفصل قدر المستطاع دون المساس بالترابط العلمي».

انه يمضي في الاخذ بنظر الاعتبار العديد من الحالات وبالرغم من انها تبدو منافية للعقل لكنها موثوق بها بدرجة يمكن تصديقها. والمثال التالي نموذج لحالة معينة:

شوهد صحن في ١١ آب عام ١٩٥٥ يهبط في مزرعة ريفية بالقرب من كيلي هوكنسفايل في كنتاكي. حذر نباح كلب عائلة ساتون الى وجود غرباء بالقرب من المزرعة، وشاهدوا رجلاً صغيراً مشعاً واسع العينين وذا ذراعين تمتدان فوق رأسه. اطلق رجلان من عائلة ساتون النار عليه من بندقيتيهما مما أضطر رجل الفضاء ان يغير اتجاهه وفر هارباً وعندما ظهر رجل فضاء آخر من على النافذة اطلقوا عليه النار واسرعوا في الخروج للتأكد من اصابته، وعندما وقف احدهم تحت الجزء الواطيء من السقف، نزلت يد تشبه المخلب من عل ومست شعره فاطلق العديد من الرصاصات على المخلوق في السقف وبالرغم من اصابته بصورة مباشرة فانه نزل الى الارض وفر هارباً.

وفي الساعات الثلاث التالية بقي اهل الدار الاحد عشر وراء الابواب الموصدة يلاحظون بصورة متكررة رجال الفضاء من النافذة. فروا اخيراً من

الدار واحتشدوا في السيارتين حائين الخطى الى اقرب مركز شرطة. لم تعثر الشرطة على اي دليل لرجال الفضاء الذين عاودوا الظهور حالما غادرت الشرطة. وفي اليوم التالي طلبت شرطية من الشهود وصفاً لما شاهدوا، فأظهرت الصورة التي رسمها كائنات صغيرة مدورة الرؤوس وذات عيون تشبه الطبق واذرع بضعف حجم الاقدام.

تعرضت العائلة لشتى انواع التوبيخ نتيجة القصة الا ان المحققين الجديين لم يراودهم شك من انهم قد سمعوا الحقيقة. ومن اكثر القضايا شهرة للقاء قريب مع النوع الثالث الذي حدث مع برني وبيتي هل، فعندما كانا في طريق العودة الى نيوهامبشاير من عطلة في كندا شاهدا صحناً طائراً وهو يهبط. بعد ذلك بساعتين وجدا نفسيهما على بعد خمسة وثلاثين ميلاً من مكان المشاهدة دون ان يتذكرا ماحدث في هذا الوقت. استشارا خبيراً في فقدان الذاكرة وهوالدكتور بنجامين سيمون الذي وضعهم تحت تأثير التنويم المغناطيسي فوصف -كل على انفراد- ما حصل.

لقد اخذهما على متن«صحن» عدد من الرجال يرتدون زياً موحداً ويشبهون البشر (قال برني انهم يذكروه بالايرلنديين ذوي الشعر الاحمر والوجوه المستديرة) وخضعا لعدة تجارب وفحوصات طبية وحالات من انتزاع الاظافر والجلد ووضعت ابرة في سرة بيتي هل -نوما بعدها مغناطيسياً وطلب اليهما كتم ما حصل. كان الين هاين نفسه حاضراً عندما نوم برني هل مغناطيسياً وسمح له بالتحقيق معه فيما بعد.

ان ما يدعى قمة قصص الاتصال حصل لمزارع برازيلي يدعى فيلاس بوس البالغ من العمر ٢٣ عاماً، يدعي فيلاس انه في ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٧ كان يحرث مزارعه عندما هبط صحن طائر بيضوي الشكل أمام ساحته.

حـاول الهرب لكن «اشـبـاه رجـال» اوثقـوه بخـوذ وسراويل وحملوه الى الصـحن. نادى رجـال الفـضـاء بعـضـهم بأصـوات تماثل النباح. جردوا فيلاس بوس من مـلابـسه ونظفوه ثم اخذت عينة من دمه وجاءت امرأة فاتنة عاريـــة -يبلغ طولها حـوالي ٤ أقـدام الى الغـرفـة. اغرت فيلاس لممارسة الحب معها وكانت تتأوه على نحـو يبعث على النفور بين وقت وآخر مما جعلته يشعر كأنه يضاجع حيواناً.

كـانت قـصـة فـيلاس بوس دليـلاً واضـحاً لطراز (الخدعة) لـسبب واحد، فـحـصـه الدكـتـور اوليـفوت فونتس بعيد الاتصال ووجد انه تعرض لجرعة كبيرة جداً من الاشـعـاع، وفي المنطقـة التي ادعى انها غـرزت فيها ابرة لأخذ عينة من دمه، وجـد الدكـتـور عـلامتين صغيرتين. وثقت قصة فيلاس بوس مع تفاصيل مـقنعـة في كـتـاب «اشباه الرجال» الذي اشرف على تحريره جارلـس جادن. حاول الصـحـفي جـون كـيل الذي كـان مـتـشككاً حـول الصـحون الطائرة شأنه شأن هانيك، ان يجرب الوسـيلة غير الاعـتـيادية لدراسة الموضوع بدلاً من الاطلاع على التقنيات الماضية.

شـاهـدت مـصر عـام ١٩٥٣ أول يوفو، وكـان على شكل قـرص مـعـدني مـسـتـدير الاطار يحوم حول اسوان في وضح النهار فتولى عام ١٩٦٦ دراسة دقيقة للمـوضـوع. وأذهله الرقم الكلي من المشـاهدات، فـقـد كـان يتـسلم يومياً ١٥٠ قـصـاصـة. (في تلك الايام كـانت قـصـاصـات الصـحـافة تكلف بنسات قليلة للواحـدة وبعـدها بعشرين عاماً اصبحت تكلف باونداً لكل واحدة وهذه التجربة كـانت خارج نطاق موارد اكثر الصحفيين).

بالاضـافـة لذلك اتضح انها كانت نـسبة قليلة من مجموع المشـاهدات الكلي، فـآلاف الحالات لم تسجل. وهذه في الحقيقة يمثل عدم الاهمية الرئيسية لمقال كهذا

(لايمكن الشروع في ايصال كامل قيمة المشاهدات، فكل متشكك عليه المحاولة بتجربة القراءة فلتقل مئة حالة واحدة تلو الاخرى ليدرك ان نظرية الخداع تفشل في اقامة الدليل).

وما ادهش كيل ان العديد من المشاهدين الذين شاهدوا اليوفو من سياراتهم شاهدوها بعدئذ فوق بيوتهم: هذا الامر يبين ان رجال الفضاء لم يكونوا علماء محايدين أو مكتشفين يقومون بعمل مسح روتيني.

في السنة التالية، ١٩٦٧، شاهد كيل عندما كان يقود سيارته في طريق لونغ ايلاند السريع حزمة ضياء في السماء قاطعةً طريقاً يحاذي طريقه. وعندما بلغ هانتغتون لاحظ أن السيارات متوقفة على طول الطريق وان عشرات الناس كانت تحدق صوب اربعة اضوية تتمايل وتتموج في السماء: وان الضوء الذي تبعه قد انضم اليها. كان كيل في طريقه للقاء العالم فيلب بوجهارت الذي شاهد يوفو يحلق فوق بعض الاشجار بالقرب من بيته الليلة الفائتة وعندما تفحصها بالتلسكوب وجد انها قرص معدني تنيره اضوية مستطيلة. بيد ان قاعدة سفولك الجوية القريبة لم تعرف شيئاً عن هذا الامر. دهش كيل، كهاينك، بسبب الشهود الذين قابلهم فقد كانوا من البشر الاعتياديين ولا يدفعهم سبب لإختلاق قصص عن اليوفو.

اقنعته دراسته للادب الواقعي ان ٩٨% من المشاهدات كان هراء، لكن اكثر الشهود كانوا يقولون الحقيقة. جمع كيل حالات كافية تؤلف كتاباً ذات ٢٠٠٠ صفحة اقتضبت بشكل صعب قبيل طبعها.

ايقن كيل مع تقدم التحقيق ان اليوفو كانت حوالينا منذ الآف السنوات وان العديد من التفسيرات التي تلاقي رواجاً كبيراً لمراكب الفضاء أو المراكب النارية هي على الارجح وصف لها.

صـور مـلاح مكسـيكي يدعى جوز بوفيلا عام ١٨٨٣ ، ١٤٣ جسماً دائرياً امـام قـرص الشـمـس مـباشرة. وفي عام ١٨٧٨ شاهد فلاح من تكساس يدعى جـون مـارتن جسـماً دائرياً ضـخماً طائراً فوقه واستخدم في الحقيقة كلمة (صحن) في اللقـاء الصـحفي عن هذا الموضوع. بدأ الناس، وفي عام ١٨٩٧ في كل أرجاء امـريكا بمشـاهدة مراكب فضائية ضخمة أو طائرات تشبه السيكارة. (كان هذا قـبل صناعـة الانسـان لمراكب الفضاء)، ان العشرات من مشاهدات اليوفو المبكرة قـد دونت في تقـارير الصـحف أو الكتـيبـات: الفصل ٢٦ لكتاب تشـارلز فورن «اللعنة» مخصص لاشـيـاء غـريـبـة وأضوية شوهدت في الفضاء. واكثر المشاهدات قناعـة ادلى بها الرسـام الروسي نيقولاس رويرخ في كتابه (هملايا آلتي)، (١٩٣٠) فـيـصف كـيف انه وفريقه راقبوا قرصاً فضائياً مشعاً عبر السماء بسرعة عندما كانوا في طريقـهم من منغـوليـا الى الهند. وشأنه شأن الكثير من الصـحون الطائرة غير طريقـه فـوق المخيم. (وفي الكثير من التقارير عن اليوفو فأن الجسم على ما يبدو يتـحـدى قوانين الزخم بالتغير عند زاوية قائمة في سرعة هائلة). اختفى بعدها في قمم الجبال.

كـان كـيل مـهـتماً ايضـاً بالمقـارنة بين تقارير رجال الفضاء، ووصف الناس الذين يدعـون ان لهم خبرات فـائقـة ان «الملاك» الذي اعلم جـوزف سـمث - مؤسـس المورمـون- للمضي والتنقـيب عن الواح الذهب المقبور يلوح مماثلاً لطراز رجـال الفـضـاء الذين وصـفـهم ادامـسكي وآخرون. وابان الحرب العالمية الأولى شـاهد ثلاثة أطفـال في أحد المروج بالقرب من فاتيما في البرتغال حزمة من الضياء المشع وكلمـهم صـوت نسـائي (سـمع اثنان منهم الصوت بالرغم من ان ثلاثتهم شـاهـدوه وهـذا يبين ان الأمـر يتـعلق بارادتهم لا بالعـالم المادي). بدأت الوفـود بزيارة المنطقـة كل شـهـر حيث ظهـرت «سـيـدة الصلوات» (كما تلقب نفـسها) للأطفال الثلاثة-الذين كـانوا فـقط قـادرين على سماعها ورؤيتها. أعلنت السيدة

في ١٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٧ انها ستقدم معجزة لاقناع العالم وهنا تفرقت غيوم ممطرة وهبط صحن طائر ضخم بين السبعين ألف المحتشدين. لقد هامت ودارت كأنها اليوفو التي شاهدها كيل وغيرت لونها خلال الموقع برمته: شاهدها الجميع لمدة عشر دقائق قبل ان تتوارى في الغيوم ثانية. شاهدها العديد من الناس من خلال بيوتهم. جففت الحرارة المنبعثة من الجسم الملابس الرطبة للمحتشدين. يثير كيل مثل هذه المشاهدات ومعجزات أخرى (مثل تلك التي حدثت في هيد بألمانيا) ويناقش في انها تبدو مشابهة لتفسيرات اليوفو التالية.

وهناك على ما يبدو مجالاً من أكثر المجالات فساداً في قضية اليوفو، فقد بدأ الشهود بكتابة تقارير مفادها ان «مسؤولي الدولة» قد بدأوا باستدعائهم وتحذيرهم بأخذ جانب الصمت. كان هؤلاء الناس يرتدون ملابس سود بالرغم من ارتدائهم بعض المرات ملابس عسكرية. لم يسمع اي قسم حكومي بهذا الأمر. أغلق البرت ك. بندر من بريجيبورت في كونكتيكت فجأة مكتب الصحن الطائر الدولي عام ١٩٥٣ واعلن ان ثلاثة رجال سمر ذوي عيون مشعة طلبوا منه الغاء بحوثه. لام الكثير من مؤيدي اليوفو الحكومة، وعندما نشر بندر تفسيره الكامل بعد ذلك بعشر سنين اتضح ان شيئاً غريباً ما كان مشاركاً: حضر الرجال الثلاثة الى شقته ونقلوه في أحد المرات الى قاعدة لليوفو في انتاريكتيكا، أشار جاكز فالي، العالم الذي أصبح مهتماً بظاهرة اليوفو الى التشابه بين هذه القصة واساطير القرون الوسطى عن الجن (والجوهريات). تعرض كيل نفسه بعد أن شرع بالتحقيق في المشاهدات الواقعة غربي فرجينيا حول جسم ضخم الذراع كان قادراً على السباق مع السيارات السريعة للمواجهة مع الكيانات العدائية الغامضة. التقط أحد المصورين صورته وفر هرباً في شارع فارغ: وبعد اعداد لقاء مع خبيرة يوفو اخرى تدعى كري باركر اخبره احد الأصدقاء انها علمت باللقاء قبل يومين في حين لم يفكر هو في الأمر حتى. أخبره «المتصلون»

انهم كانوا مع شخص يود الحديث معه ويحظى بعد ذاك بأحاديث مع اناس يتكلمون بأصوات غريبة. يبلغ كيل في الكتابة الى عناوين اثبت التحقيق عدم وجودها ومع ذلك يتلقى ردود فورية مكتوبة بحروف كبيرة. وفي احدى المرات مكث في فندق اختاره عشوائياً فوجد رسالة بانتظاره على المنضدة. وهو يقول في تنبؤات موثمان «شخص ما في مكان ما يحاول البرهنة انهم يعلمون كل خطوة أخطوها ويتنصتون لكل مكالمة ويسيطرون على بريدي وانهم ينجحون في ذلك».

هذه الكيانات اعدت للعديد من التنبؤات مثل اغتيال الزعيم مارتن لوثر والهجوم المبيت على روبرت كينيدي ومحاولة طعن البابا، ولكن يبدو انهم قد أخطأوا التاريخ. استنتج كيل ان كوكبنا الصغير مهد لتجارب اختراقات للقوى أو الكيانات من اتصال آخر للزمان والمكان. توصل الخبير البريطاني في امور اليوفو، برنـي ليبور ترنج (ايرل كلانكارتي)، لاستنتاج مشابه على أساس التحقيقات يعبر عنها (في كتاب عملية الأرض) كما يلي:

«تنشأ قوتان متعارضتان تماماً من الكيانات تهتم بنا. أولها السكان الحقيقيون للسماء الذين هم حولنا منذ غابر الأزمان وثانيها الذين يعيشون في منطقة اهلية لهذا الكوكب بالرغم من ان البعض يعتقد انهم يعيشون داخل الأرض. فثمة حرب في السماوات بين هاتين الفئتين بيد انها ليست من طراز الحروب التي كنا رأيناها. انها تتعدى مسألة الشجار العقلي للسيطرة على عقول البشرية». توصل جاكز فالي اكثر الكتاب ذكاءاً وجديةً في هذا الموضوع الى نفي الاستنتاج، وفي كتبه الاولى مثل (تحليل الظاهرة وتحدي العلم) (ولغز اليوفو) فانه درس تقارير تتضمن ذكاء غير اعتيادي (والعديد من الجداول الاحصائية). وفي كتابه (جواز سفر الى ميغونيا) يشير الى ان الصور التي نكونها لعالم محتلي اليوفو تماثل اكثر المفهوم الاوسط لميغونيا، ارض فوق السماء، اكبر من كوكب مأهول.

توصل عام ١٩٧٧ الى استنتاج غريب وهو ان اليوفو بالاساس خارقة للطبيعة، ووجهة النظر هذه وردت في كتاب اسماه «بعثة لامرئية» التي هي مجموعة من العلماء منهمكين في دراسة اليوفو والذين يتمالكهم الرعب والخوف بسبب الاراء العلمية المتحفظة. توصل فالي، خبير الحاسب الآلي، الى ان ظاهرة اليوفو هي نظام سيطرة -اي انها مصممة للحصول على تأثير معين في عقول البشر.

وما أصبح جلياً لكل طالب هي ان قصص الارواح لايمكن ان تعتمد في التقييم لأنها تكون عادةً مليئة بالاكاذيب. حذر ايمانويل سويدنبرغ مثالي القرن الثامن عشر بأن هناك ثمة نظامين من الارواح: النظام الاعلى والنظام الاوطأ واشار العالم النفساني ولسن فان دسن الذي درس مئات من حالات الهلوسة في مستشفى ولاية منيدوكينو في كاليفورنيا الى ان المرضى كانوا كما لو انهم على اتصال مع عالم آخر أو نظام للكائنات. شعر الكثير ان هؤلاء الاشخاص الاخرين كانوا على قيد الحياة وتعرض جميعهم لمصطلح «الهلوسة». واوضح ان حالات الهلوسة تنطبق على تقسيم سويدنبرغ: الارواح المساعدة (نسبة واحد الى خمسة لكل الحالات) والارواح غير المساعدة التي بدا غرضها في تسبب تعاسة للمريض أو قلق أو ألم مبرح.

ويقيناً انها لخطوة كبيرة للشخص الاعتيادي الرشيد في الموافقة على الوجود الحقيقي للارواح المنفصلة او غير المجسدة. ومع ذلك فكل من يرغب في دراسة الدليل بصبر وتأني سيتوصل الى هذا الاستنتاج دون شك. وان كل من حاول الكتابة الأوتوماتيكية أو لوحة الاويجا فمن المرجح ان يتوصل الى ان ثمة مخابرات قادرة على التجسيد في البشر.

بيد ان السؤال حول الطبيعة الدقيقة لهذه الكيانات هو من اكثر الامور حيرة

لاسيما وان البعض يمكن حمله محمل الجد في حين لايمكن للبعض الاخر ذلك. يتصرف الكثير منها كعناوين تقليدية في العصور الوسطى مفصحة عن اية اكاذيب ترتسم في عقولهم.

بعض هذه العقول -المعروفة بـ الاشباح المزعجة- تفصح عن وجودها من خلال تطيير الاشياء حول الغرفة أو التسبب في صدمات أو انفجارات غامضة.

ومن الخصائص المثيرة للعفاريت انها تسبب حركة الاشياء بسرعة قصوى لتغير اتجاهها فجأة بخلاف قوانين نيوتن في الحركة وهذه على ما يبدو احدى خصائص الصحن الطائر.

ان اليوفو وببساطة وليدة لحضارة خارقة معينة: فبعضها انحل الى هواء كثيف واختفى البعض في الارض بينما توسع البعض الاخر كأنه بالونات وإختفى بعدها.

ويبدو ان بعض رجال الفضاء يمتلكون قدرة على قراءة الافكار والتنبؤ بالاحداث التي ستقع في المستقبل والكثير منهم مثل (تسعة) بوخارج يصرون ان هدفهم هو تهيئة الجنس البشري لحدث معين مدهش مثل هبوط مراكب الفضاء على الارض وهذا الهبوط لم يحدث ابداً. ومع ذلك يلوح من البساطة ان اليوفو صورة معادة لعفاريت العصور الوسطى أو متصلات روحية للقرن التاسع عشر. يؤمن فالي ان الظاهرة موجهة اي مصممة لتعليمنا شيء ما. لقد عودنا العلم الحديث والفلسفة على النظريات المادية للكون والى نظرية ان المخلوقات الحية هي كنسبة ١ / بليون حادثة وان الواقع الانساني هو واقع اجسامنا وعقولنا. يقترح يونغ في كتابيه (الصحون الطائرة) و (الاسطورة الحديثة للاجسام المرئية في السماء) ان اليوفو هي استجابة رجل معاصر لرغبة جامحة ذات معاني دينية ويبدو ان فالي يتقبل في اقل تقدير المضمون الاساسي لهذه النظرية

ويؤمن ايضاً مثل يونغ ان التزامنيات هي اكثر مما تمت مشاهدته. وفي كتاب (رسل الخداع) يصف فالي اهتمامه بالعبارة الدينية المعاصرة التي تدعى (نظام ميلكيزيدك) والتي تؤمن ان عقائدها قد تم الحصول عليها من عقول خارج الارض. وكما (لاحظ موضوع التزامنية بدأ بجمع شتات كل ما يتعلق بالنبي المقدس ميلكيزيدك وطلب في شباط ١٩٧٦ من سائقة تاكسي في لوس انجلوس بطاقة الاستلام وعندما نظر اليها وجد توقيع م. ميلكيزيدك نظر الى هذا الاسم في دليل المشتركين بالهاتف في لوس انجلوس فوجد واحداً فقط).

هذا الامر يقود فالي نحو تأمل مفيد حول الواقع المخفي لهذا العالم ويشير الى اننا خاضعون لعلاقة الزمان بالمكان وان مفاهيمنا حول المعرفة تستند الى الزمان والمكان. وفي المكتبة فان نظام استرجاع المعلومات يستند الى نظام ابجدي بيد ان علماء الكمبيوتر المعاصرين قد طوروا عملية اخرى: فهم يدخلون الوثائق في أحد وسائل الخزن الكمبيوتري ويستند ارجاعها على اساس نظام معين يتكون من الكلمة المفتاح، ويختتم قائلاً: (ان حادث ميلكيزيدك يبين لي ان العالم منظم بصورة اقرب الى قاعدة معلومات عشوائية من التسلسل التعاقبي للمكتبة. وفي مكتبة الكمبيوتر يتسلم الطالب عشرين معلومة أو أكثر عن الموجات القصيرة أو الصداع ولا يراوده شك حتى في وجودها.

يقتبس الكاتب الانكليزي جون ميشيل من يونغ في كتابه (رؤيا الصحن الطائر) (١٩٦٧) بعض الافكار، إذ يوافق ميشيل يونغ ان ظاهرة اليوفو مرتبطة الى درجة ما بالفراغ الديني في روح الرجل المعاصر. يقارن بين اليوفو والاساطير القديمة حول الآلهة الذين هبطوا بسفن فضائية، وان استنتاجاته ليست بالمختلفة عن فون دانكن الا انه يجادل بصورة اكثر اقناعاً وانه يمتلك مساهمة اصيلة في صياغة اليوفوي. درس في بحوثه كتاب الفريد واتكنز (طريق الممر القديم) (١٩٢٥) الذي يناقش فيه واتكنز ان الريف كان مستفيداً من طرق

المضيق القديمة التي كانت في ما قبل التأريخ طرقاً تجارية وان هذه الطرق تجمع اماكن مقدسة مثل الكنائس ودوائر مجربة وجبال واساها واتكنز الخطوط المرجة. يقول ميشيل ان الخطوط المرجة متطابقة مع الخطوط التي يسميها الصينيون خطوط التنين.

ان علم الصينيين في الضرب بالرمل (Shui Feng) هو بالاساس نظام ديني يتعلق بالمقارنة بين الانسان والطبيعة وتعتبر فيه الارض جسماً حياً. ان خطوط التنين هي خطوط قوة على سطح الارض وان احد اهداف الضرب بالرمل هو تركيز وحماية هذه القوة ومنعها من التسرب. أخطأ ميشيل حين عد خطوط التنين خطوطاً مستقيمة مثل طبقات داتكن -وفي الحقيقة ان الصينيين اعتبروا الخطوط المستقيمة مريبة لاسيا وان خصلتها الرئيسية انها ملتوية. بيدَ ان ميشيل قد تخطى داتكنز عندما قال ان الخطوط المرجة هي خطوط لقوة ارضية معينة، ويؤمن ان الانسان القديم اختار مواقعاً كان فيها تركيز هذه القوة عالياً على اعتبار انها مناطق مقدسة. يشير ميشيل ايضاً الى ان العديد من مشاهدات الصحون الطائرة تحدث في الخطوط المرجة وبالتحديد في نقاط التقاطع -فمثلاً في وارمنستر في والتشير وقعت الكثير من المشاهدات الحقيقية القريبة.

يشير ستيفن جيكن المحقق الجاد في كتابه «بلد غير مكتشف» الى ان نقاط العبور للخطوط المرجة تقترن مع كل انواع الحوادث الخارقة من الاشباح والاشباح المزعجة الى رؤى غريبة لجيوش الاشباح. ومرة اخرى يظهر لنا ترابط مفيد بين اليوفو وما وراء الطبيعة. وفي هذا السياق يستحق اثنان من المحققين الذكر وهما (ف. س. لوثبرج) و (ف. و. هولدي). كان لوثبرج عميداً متقاعداً من جامعة كامبرج واصبح مهتماً بعملية الإستنباء أو قدرة البندول في الكشف عن شتى المواد داخل الارض. وفي نهاية حياته (توفي عام ١٩٧١) غدا لوثبرج مهتماً بالصحون الطائرة ويبين في كتابه (اسطورة ابناء الرب)

(١٩٧٢) ان اليوفو قد تقترن بالصخور القديمة القائمة -وفي الحقيقة كانت هذه الصخور قد أنشأت في غابر الازمان كعفاريت للسفن الفضائية القديمة.

لم يعرف لونبرج شيئاً عن الخطوط المرجة ولكن تحقيقاته قادته الى نتائج مماثلة لنتائج ميشيل.

كان ف. و. هوليدي طبيعياً وصحفياً صياداً واصبح مهتماً بلغز بحيرة نيس وكتب كتاباً يبين فيه انه كان يرقانة عملاقة أو دودة (مستخدماً الكلمة بمعناها في القرون الوسطى التنين). وبعد سنوات من دراسة هذه الظاهرة وجد ان شبح بحيرة نيس واشباح البحيرة هي مجرد وهم كما وجد اليوفويون الصحون الطائرة واصبح مقتنعاً باطراد ان الصحون الطائرة واشباح البحيرة تعود الى ما اسماه (معرض لوحوش كاذبة). عبر عن هذه الفكرة في كتابه «التنين والقرص» أما في كتابه (عالم الجن) فيقتنع هوليدي مثل فالي بأن الاجابة على لغز اليوفو تكمن في «الحل الروحي» ويجب معرفة ان ثمة الكثير من الادلة التي تشير على هذا الاتجاه.

ومن ناحية اخرى سيكون من السابق لأوانه استبعاد احتمالية انها مراكب فضائية من كوكب آخر وهو امر سيكون من الحماقة تجاهله.

لغز موت اللورد كشنر

احادثة أم جريمة قتل ؟

لم تحظ حادثة وفاة في القرن العشرين (باستثناء حادثة اغتيال الرئيس كينيدي) مثلما حظيت به حادثة وفاة اللورد كشنر بعدد الشائعات المغرضة. فقد ابحر وزير الحرب البريطاني كشنر في حزيران ١٩١٦ من سكابافلو جنوبي اوركني في طريقه الى ارشانغل في البحر الابيض وكانت مهمته مقابلة قيصر روسيا ومحاولة وضع الخطط لتفادي بعض الكوارث التي حلت بالجيوش الروسية في السنة السابقة وقد غادرت سفينة صاحب الجلالة «هامبشاير» وعلى متنها كشنر في الساعة الرابعة وخمس واربعين دقيقة بعد ظهيرة الخامس من حزيران ١٩١٦ . وفي الساعة السابعة وخمس واربعين دقيقة اصطدمت هامبشاير، وعلى بعد ميلين غربي مارويك هيد بلغم شديد الانفجار زرعه الالمان وغرقت بعد خمس عشرة دقيقة ويتذكر احد الذين نجوا وهو فريد سمس انه رأى كشنر يقف على سطح السفينة فاقد الوعي ومرتدياً معطفاً كبيراً بانتظار النهاية المحتومة. لم يعثر على جثة كشنر، واحاطت البحرية الملكية الحادث بجو من الكتمان مدة خمسين عاماً فقد كانت وفاته ضربةً لمعنويات البريطانيين اذ كان وجهه ذو الشاربين المتدليين من اكثر الوجوه المعروفة في بريطانيا العظمى منذ ان ظهرت على ملصقات التجنيد عبارة «بلدك بحاجة اليك». اضحى احد ابطال بريطانيا العظماء منذ ان فتح السودان ثانية عام ١٨٩٦ وثأر لمقتل الجنرال غوردون في الخرطوم ورقي الى رتبة بارون مدينة الخرطوم بعد دحره اتباع المهدي عام ١٨٩٨ في ام درمان، واستخدم كشنر في حرب البوير «١٩٠٠ - ١٩٠٢» المعاقل المحصنة والتعرية النظامية لاراضي البوير لاضعاف مقاومة العصابات

وقد انتقدت وسائله بشدة، لكنه رقي الى رتبة فيكونت ومنح جائزةً مقدارها خمسين الف دولار ووسام الجدارة.

وفي مستهل حرب ١٩١٤ رقي كشنر الى رتبة ايرل لخدماته المتميزة في الهند ومصر وعندما عين في رأس وزارة الحرب وضع على الفور الخطط لتوسيع الجيش البريطاني من عشرين فرقة الى سبعين وهذا سبب اصدار ملصقات التجنيد المشهورة، والمهمة الاخرى كانت توفير الذخائر لهذا الجيش الجرار واسست وزارة التموين في عام ١٩١٥ (متأخرة بعض الشيء). كانت روسيا في حزيران ١٩١٦ تعاني معضلة خطرة وهي العجز والفساد اللذين صورهما بشكل واضح جداً روائيوا القرن التاسع عشر الروس، الامر الذي ادى الى أن تخسر روسيا الحرب بحلول اعياد الميلاد ١٩١٤، فالاموال التي تقرر انفاقها على الذخيرة قد مضت الى جيوب الوزراء والغى وزير الحرب الجنرال سوخوملينوف عرضاً فرنسياً بالذخيرة لانه اعتقد ان الحرب ستضع اوزارها في اعياد الميلاد. لكنه طرد في اواسط عام١٩١٥ بتهمة العجز وعدت بريطانيا العظمى روسيا بالاسلحة لكن مصانع ذخيرتها استغرقت وقتاً طويلاً لانجاز ذلك في وقت قاتل الروس في معاركهم بالحراب وقدموا خسائر مرعبة بالارواح، ثم حاول لويد جورج اثارة المشاكل ضد النظام، فقد كره النظام القيصري وبدر الى ذهنه انه لو اعطى روسيا اسلحة فربما ستشهرها بوجه بريطانيا في المستقبل، وكان لويد جورج مشتركاً ايضاً بمؤامرة وزارة الحرب للتخلص من كشنر. وقبيل مغادرة كشنر الى (سكابا فلو) اقترح احد اعضاء البرلمان في مجلس العموم ان يخفض مرتبه بينما هاجم اعضاء آخرون سياساته بشدة ولذلك غادر كشنر الى (سكابا فلو) مرهقاً وقلقاً كأنه قد شعر بدنو اجله وقد اخبر زميله وليم روبسون قائلاً: «اوصيك بـ (هيك) اذا ما اصابني مكروه». وبدا عليه، قبيل مغادرته انه قد ربح معركته مع اعضاء البرلمان الناقدين وترك الاجتماع مسروراً ونشطاً

ومتفائلاً. ولاح الامن واهناً هناك وقال احد الصحفيين البريطانيين ان كل الصحافة البريطانية كانت تعرف سلفاً قبل شهر بالرحلة الى روسيا وقد نوقشت صراحةً في دوائر البرلمان في شارع بتسبرغ. لم تتخذ اي اجراءات حماية خاصة ففي مساء الرابع من حزيران وهو اليوم الذي سبق رحلة كشنر وقف وحيداً على المنصة في كنكزكروس وقد تعرف عليه احد الحمالين، وقام بقية حاشية كشنر بالاتصال بكافة انحاء لندن في محاولة لتحديد مكان الخادم الذي ضل الطريق الى محطة اخرى وكان هذا الخادم كبير الاهمية لكونه يحمل شفرة وزارة الخارجية، الى أن حدد مكانه في محطة باربليون. وصادف ان يأتي هو ومسؤول وزارة الخارجية «اج. ج. اديون» لاحقاً في قطار خاص، وعندما وصل كشنر الى ترسو في اسكتلنده صبيحة اليوم التالي، كان الطقس رديئاً وبدا من الافضل تأجيل الابحار فترة اربع وعشرين ساعة ولكن كشنر رفض ذلك. واجتاز ترسو الى سكابافلو لزيارة الاسطول الكبير في أوك وتناول الغداء مع الادميرال سيرجين جليكو واخبر جليكو انه يأمل ان يقضي عطلة سعيدة في روسيا، وهكذا بدأ الطراد المشؤوم رحلته البحرية بعد ظهيرة ذلك اليوم وعلى متنه الايرل كشنر رائق المزاج وقد رفض الانتظار عندما كانت كاسحة الالغام تنظف القناة مشيراً الى ان الطقس يبدو رديئاً لدرجة لايتمكنون فيها من الشروع بالرحلة قبل اربع وعشرين ساعة وليس بإستطاعته التأخر يومين، وبعيد ان غادر سكابا فلو هبت العاصفة الشمالية الغربية مهيجةً البحر، وفي نحو السابعة وخمس واربعين دقيقة حدث الانفجار وغرق الكثير نتيجة العاصفة وقد شبهها احد الناجين بانفجار مصباح كهربائي تبعه انفجار آخر وربما كان انفجار المرجل ثم خفتت الاضواء وبقي هسيس بخار متصاعد ووقع الرجال الذين في غرفة المحرك في الفخ عندما اندفع اليهم الماء وقد مات بعضهم عندما سمطهم الماء الحار وصعد الرجال الذين بترت اعضائهم الى سطح السفينة وكان انقطاع الطاقة الكهربائية كارثة حيث ان تقنية قذف قوارب النجاة تشتغل بالكهرباء وقد قذف

احد القوارب باليد وقفز اليه نحواً من خمسين رجلاً واستحال، بعد عدة ثواني، اشلاءً على جانب هامبشاير ونادى القبطان ساميل على كشنر للقفز الى قارب نجاة لكن ضجيج العاصفة حال دون سماعه وراح الرجال يقفزون من السفينة باحزمة امان ولم ينج الا اثنا عشر من ٦٦٥، وقذفت طوافات كارلي الخشبية التي تسع كل منها لستة وثلاثين رجلاً بيد انها واجهت صعوبة في الابتعاد عن السفينة المشؤومة ولم ينج الا واحد في الابتعاد مسافة كافية لتفادي الانفجار واغلب الرجال الخمسين الذين كانوا على متن السفينة قذفتهم الامواج، وقرر عدد من البحارة الانتظار في القوارب حتى تغرق السفينة أملاً ان يطفوا بعيداً لكن حبال الاشرعة والصواري المقطوعة سقطت عليهم عندما مالت السفينة الى جانبها. وبحلول الساعة الثامنة توارت هامبشاير، وبعد خمس ساعات كان الرجال الذين نجوا على الطوافات الخشبية قد اكتسحوا الى فجوة بين المنحدرات الصخرية ... هزت انباء غرق السفينة بريطانيا واسدلت ستائر البيوت والمحلات ذلك اليوم وأمر كل ضباط الجيش بارتداء شرائط الحداد، وعندما اتصل الصحفي هانن سوافر باللورد نورثكليف، صاحب صحيفة الديلي ميل، ليخبره بموت كشنر قال نورثكليف: «امر حسن، فقد آن للحرب ان تمضي لصالحنا». لم يساور العديد من الناس مثل هذا الشعور وبعد يومين نشرت صحيفة التايمز، التي يشرف عليها نورثكليف، تعليقاً تحتمل فيه ان الجواسيس قد نقلوا تحركات اللورد كشنر ... واصدرت برلين، بعيد ذلك تصريحاً مفاده ان جاسوسة كانت هي المسؤولة عن موت كشنر. وقبل نهاية شهر حزيران ساور اغلب اعضاء العموم البريطاني الاعتقاد ان ثمة لغز يتعلق بنهاية كشنر وكان معتقداً، على نحو اكثر شيوعاً، ان ذلك عمل تخريبي وكانت هامبشاير قد رممت في بلفاست في شباط ١٩١٦ اي قبل غرقها بخمسة أشهر، وروى احد الناجين قصة غريبة عن عودته الى السفينة في ظهيرة احد الايام ووجد جنوداً يحيطونها اخبروه ان شخصاً كان يعبث بالمفاتيح الكهربائية في ممر الذخيرة.

لم يسمح كشنر للقوات الايرلندية بوضع شعار القيثارة في ملابسهم العسكرية وذكر ان الجيش الايرلندي قد قطع على نفسه عهداً بقتله لكن هنالك مشبوهون آخرون بما فيهم لورد اسكويت، رئيس الوزراء، ولويد جورج الذي كان سيخلف اسكويت بعد سقوطه في نهاية ذلك العام، لم يألف كثير من الساسة كشنر وكتب السفير الامريكي ولتربيج الى واشنطن، عشية مغادرة كشنر الى سكابا فلو، قائلاً: «هناك في انكلترا امل وشعور انه ربما لن يعود من روسيا». ولم يكن لـ «لويد جورج» ولا اسكويت ولا لأولئك الذين شيع عنهم انهم مشبوهون، مثل لورد نورثكليف ولورد هاردين وليدي اسكويت، اي باعث محتمل للتآمر على قتله . . وكان تريبيتس لنكولن العضو السابق في البرلمان الذي اصبح جاسوساً المانياً قد اتهم ايضاً بانه الرجل الذي نظم الاغتيال بيد انه اعتقل في ليفربول بعد ترحيله من انكلترا في اليوم ذاته الذي سافر فيه كشنر الى سكابا فلو. في عام ١٩٢١ كان ثمة المزيد من المزاعم المثيرة وكان اللورد الفريد دوكلاس، الصديق المقرب لاوسكار وايلد قبل ثلاثين سنة، يملك مجلة محدودة الانتشار تدعى بلين انجلش وقد نشر في الثاني من تموز تفسيره المروع عن حقيقة غرق هامبشاير.

قبل موت كشنر بستة ايام، أي في ٣١ ايار ١٩١٦ ، حدثت معركة جتلاند قبالة ساحل الدانمارك بين الاسطول البريطاني والالماني واشتركت فيه ٢٤٨ سفينة وفقدت بريطانيا اربع عشرة سفينة وفقدت المانيا احدى عشرة سفينة وادعى الطرفان النصر وقد طلب آرثر بلفور، لورد الادميرالية الاول، من ونستون تشرشل أن يكتب تعليقاً عن المعركة يظهرها كنصر لانظير له لانكلترا وفعل تشرشل، مؤلف العديد من الكتب، ذلك ووصف جتلاند انها الممهدة نحو النصر الكامل وقد ارتفعت معنويات الانكليز ولم يحبطها ثانيةً الا خبر موت كشنر بعيد ايام قلائل ويقول الفريد دوكلاس ان كل هذا كان خطةً شائنة مبرمجة

وكان وعد بلفور متشائماً بعض الشيء في لهجته بهدف احداث هبوط حاد في الاسهم البريطانية في الوول ستريت. وقام أثرياء اليهود، بما فيهم الناشر السيد ايرنست كاسل، بشراء الأسهم بادنى الاسعار ثم رفع تعليق تشرشل قيمة الاسهم كثيراً فدر على اليهود ربحاً كبيراً وقد ربح كاسل وحده (٤٠) مليون دولار ومنح تشرشل صكاً بمبلغ ضخم مع بعض قطع الاثاث الثمينة وهؤلاء اليهود الاثرياء انفسهم دبروا عملية اغراق هامبشاير لأن كشنر اراد أن يتأكد ان اليهود البلشفيين قد جردوا من مناصبهم في روسيا. نشرت هذه القصة في مجلة بلين انجلش وقدمت الى تشرشل الذي قرر ان يتجاهلها لكن صحيفة «الغارديان اليهودية» اتهمت دوكلاس بنشر الاكاذيب وقدمت فوراً ضده دعوى بحجة التشهير ودفع تعويضات ضئيلة تبعث على السخرية.

اسس بعدها دوكلاس لجنة اللورد كشنر وجتلاند وعقد اجتماعاً جماهيرياً في الميموريال هول بشارع فارنغدون. (ويذكر روبرت كوت مؤلف سيرة «دوكلاس» ان كشنر كان منحرفاً جنسياً ولمح دوكلاس انه هو وكشنر اصبحا عاشقين عندما تقابلا في القاهرة عام ١٨٩٣).

اخبر دوكلاس، الجمع المحتشد في الميموريال هول، ان تشرشل كان محتالاً وغشاشاً وقد قدم بعدها تفسيره المثير عن غرق هامبشاير وهو ان المدمرتين اللتين كانتا ترافقان هامبشاير قد أخرتا بتعمد عدة ساعات. «وهذا غير صحيح فالمدمرتان (يونتي) و (فكتور) قد جاهدتا ابان العاصفة جنباً الى جنب مع هامبشاير لكنهما اجبرتا على التقهقر رويداً رويداً بسبب هيجان البحر».

ويقول دوكلاس ايضاً ان قوارب النجاة قد أخرت في اوركني، (وهذا صحيح الى حد ما ويلوح انه عجز من السلطات البحرية التي انكرت علناً ابحار اي طراد في ذلك اليوم لتكتيم الامر). وتبنى الجمهور المتحمس قراراً يطالب

بإجراء تحقيق عام، لكن الصحف اللندنية تجاهلت ذلك وارسل دوكلاس خطبته الى رئيس تحرير صحيفة «يورد ستاندرد» الذي لم ينشرها كاملة حسب بل اصدرها في كراس عنوانه (مقتل اللورد كشنر وحقيقة معركة جتلاند واليهود» وطبع منه ثلاثون الف نسخة ووزعت منه ستة الاف نسخة ولكن دوكلاس اعتقل في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٣ واتهم بالتشهير. وكانت المحاكمة كارثة بالنسبة لدوكلاس ولم تعترض جهة الادعاء مشكلةً في اثبات ان هبوط قيمة الاسهم في سوق المال انخفضت قبل اعلان بلفور وبعد اعلان الالمان انتصارهم واثبت ايضاً ان السير ارنست كاسل المتوفي حالياً لم يشتر أو يبع اية اسهم في ذلك الوقت، وكان شاهد الدفاع الوحيد عن دوكلاس هو الكابتن هارولد سبندر، المحرر السابق في مجلة بلين انجلش، الذي ظهر انه كذاب ومشهود عليه بالجنون ثلاث مرات وخاصم دوكلاس القاضي السيد جستس افري، برفض قراره لما لم يسمح لدوكلاس بالتعبير عن هذه القضية وقال: «ان ذلك ابشع انواع الظلم الذي رأيته في حياتي». وحكم عليه افري بالسجن مدة ستة اشهر. وتواصلت الروايات عن القضية الحقيقية لهذا اللغز وثمة تقارير تفيد ان كشنر قد هرب وشوهد في مناطق متعددة في العالم وتفيد بعضها ان جثته غسلت في النرويج ودفنت في ستافنكر، أما في المجال الروحاني فقد ظهر كتاب يشير الى ان شبح لورد كشنر ادعى ان غلام السفينة، وهو الغلام الذي كان كشنر ينجذب اليه بشدة واطلق النار على نفسه فيما بعد، قد اقفل القمرة الكابينية على كشنر. (علماً انه لم يكن على متن هامبشاير اي غلمان). وكشف كتاب موسوم «الرجل الذي قتل كشنر(١٩٣٢)» لمؤلفه كلمنت وود ان كشنر قتله جاسوس الماني يدعى فرترز دوكوس الذي استفحل مقته لكشنر ابان حرب البوير فخطط للصعود الى ظهر هامبشاير متنكراً بزي ضابط ارتباط روسي وأعطى إشارة، باستخدام الضوء الومضي، الى غواصة المانية لاطلاق طوربيد والقى نفسه فيما بعد من السطح وانتشلته الغواصة.

ويرجح دونالد مكورمك، في كتابه «لغز موت كشنر» ان لويد جورج وراء جريمة القتل ويعتقده المسؤول عن تسرب المعلومات التي افشت سرية رحلة كشنر الى اركانجل ويقول مكورمك: «منذ سنين ولويد جورج يتآمر على وزير الحرب كشنر ودائماً كان يسرب معلومات من مجلس الوزراء بهدف تشويه سمعة كشنر واسكويث». ودونت السيدة اسكويث في يومياتها: «عندما اشرت الى ان شخصاً ما في مجلس الوزراء يكشف اسراراً، طلب مني الصمت». ولم يثر اي اخبار تقريباً عن موت كشنر الا بعد ان دبر لويد جورج مكايد ليخلفه وتآمر بعدها للتخلص من السير وليام روبتسون الذي ترأس مع كشنر وزارة الحرب.

ويزعم لويد جورج في مذكراته الحربية انه رام السفر الى روسيا برفقة كشنر لكنه عدل عن قراره عندما حدثت ثورة الفصح عام ١٩١٦ في دبلن وطلب منه اسكويث ان يساعد ايرلنده، واضاف ان هذا بلاشك قد أنقذ حياته. وقد وجد دونالد مكورمك ان هذه القصة برمتها غير قابلة للتصديق وعلق قائلاً: «ان لويد جورج كان جباناً يكره البحر وعلى خصام مع كشنر الذي رفض بالتأكيد شرف الابحار مع رجل من ويلز لا يوثق به» وعلى أية حال يشير مكورمك الى ان مهمة لويد جورج الايرلندية انتهت في الوقت الذي أبحر فيه كشنر من سكابا فلو، وتفضح كل الأدلة ان لويد جورج أراد أن يترك انطباعاً انه لم يذهب الى روسيا.... ترى لم أراد ان يترك هذا الانطباع؟.

قد يكون أحد البواعث الى ذلك هي الرغبة في ابعاد الشبهة عن نفسه ان كان مسؤولاً، بطريقة ما، عن اغراق هامبشاير.

ظهر كتاب مكورمك في عام ١٩٥٩ ولم يسمح له في حينه الاطلاع على سجلات قسم الاستخبارات البحرية. وفي نهاية المطاف استطاع تريفر رويل، كاتب سيرة آخر، في عام ١٩٨٥ الحصول على اذن بالاطلاع على تلك السجلات

وكان ما اكتشفه يؤكد الشائعات التي تقول ان موت كشنر لم يكن مجرد حظ عاثر. واكتشف بعدها مكورمك ان أحد مراكز التصنت الألمانية في نيو منستر التقط اشارة بحرية، في ربيع عام ١٩١٦ ، من مدمرة بريطانية الى القيادة البحرية توضح ان قناة غربي أوركني قد مشطت من الألغام وعندما تكررت نفس الاشارة أكثر من مرتين أدرك الألمان انه لابد من وجود سبب مهم حدا البحرية البريطانية ان تمشط القناة فأبلغوا القيادة بذلك. أرسل الأدميرال الألماني فون شير الغواصة (يو ٧٥) بامرة كورت بيتزن لزرع المزيد من الألغام في القناة التي مشطت مؤخراً فأغرق أحد هذه الألغام هامبشاير. واذا كانت الرواية صحيحة فان اللوم يوجه الى القيادة البحرية، ولو أرسلت الأشارة الى محطة شاطيء اوركني لما انتبه اليها أحد. واكتشف تريفل رويل ان استخبارات البحرية الانكليزية اعترضت اشارة فون شير وتمكنوا من قراءتها لاسيما وانهم حلوا الشفرات الألمانية، وعلمت الاستخبارات البحرية الانكليزية، في اليوم الذي تقرر فيه ان يبحر كشنر، ان الغواصة الألمانية ما برحت ترصد المنطقة فارسلت ثلاث اشارات بهذا المعنى الى الاميرال الأنكليزي جليكو الذي اخفق في نقلها الى كشنر. لم تقدم هذه المعلومات الى التحقيق عام ١٩١٦ ولم تذكر في الكتاب الأبيض للحكومة عن المأساة عام ١٩٢٦ .

وفي الحقيقة مضى جليكو في قوله بعد غرق السفينة: «كان من المستحيل عملياً زرع الألغام في ذلك الطريق، لأن فترة الظلام في خطوط العرض الشمالية لاتتعدى ساعتين مما يبعد توقع اقتراب اية سفينة معادية الى الشاطيء. واقتصر زرع السفن المعادية للألغام على المياه الواقعة الى الجنوب من اللسان البحري». اثبتت تحريات رويل ان هذه بدعة وان جليكو عرف ذلك وسار بكشنر الى اجله المحتوم، وسجل ايضاً ان جليكو توسل الى كشنر ان يؤجل مغادرته بسبب ظروف الطقس وكان الأعتقاد ان يرفض كشنر ذلك. ويلوح هناك تفسيران

محتملان ، احدهما غير كاف بشكل اعتيادي وهو ان جليكو يتمنى شيئاً افضل . ولكن ان كان يعرف ان الغواصة (يو٧٥) امرت بزرع الألغام قبل اسبوع ، فلم لم ينظف القناة فوراً، ايحتمل ان يكون لويد جورج احد الرجال الذين قال عنهم السفير الأمريكي انهم لايتمنون عودة كشنر من روسيا؟ وهل كان دور لويد جورج في موت كشنر صدفة كما يروج او انه شطر من مؤامرة لأرسال خصمه الى موته؟ ويثبت الدليل ان موت كشنر، من دون شك، يمكن اعتباره قد حصل على يد لويد جورج وجليكو ولكن من غير المرجح اننا سنعرف هل كان هذا هو قصدهم حقاً!.

لغز ماري سيليت

شاهدت سفينة دي كراشي الأنكليزية ، ظهيرة الخامس من كانون الأول ١٨٧٢ الهادئة ، سفينة ذات شراعين تسير بأضطراب بين أمواج المحيط الأطلسي في وسط الطريق بين ازورس وساحل البرتغال وعندما اقتربت منها لوحظ ان هذه السفينة تبحر بشراعها وصاريتها فقط بيد ان الشراع كان مربوطاً الى الجانب الأيسر والسفينة تجنح نحو اليمين وهو دليل اكيد لكل بحار ان السفينة غير مسيطر عليها. ارسل مورهاوس، قبطان دي كراشيا، اشارةالى السفينة لكنه لم يتلق اي رد، فقد كان البحر هائجاً في اعقاب عاصفة هبت قبيل فترة مما جعلهم يقضون ساعتين للوصول الى اقرب مكان يمكنهم من قراءة اسم السفينة. كان اسمها ماري سيليت وكان مورهاوس يعرف هذه السفينة الامريكية ويعلم ان صاحبها هو القبطان بنيامين سبونر بريكس، فقبل اكثر من شهر كانت السفينتان قد حملتا شحنة من رصيفين متجاورين في نيويورك ايست ريفر وشرعت بعدها ماري سيليت برحلتها صوب جنوا محملة بشحنة من الكحول الخام يوم ٥ تشرين الثاني اي قبل عشرة ايام من ابحار دي كراشيا صوب مضيق جبل طارق فيكون قد مضى عليها، وقتئذ، شهر والرياح تلعب بها بين امواج الاطلسي دون اشارة الى وجود الحياة فيها. ارسل مورهاوس ثلاثة من رجاله للتحقيق بامرة زميله الاول اوليفر ديفو وهو رجل ذو بأس وقدرة بدنية عالية وحالما تسلقوا سطح السفينة بعد جهد جهيد وجدوا ان متنها مهجور وبعد ان فتشوا داخلها لم يعثروا على شيء، ولكن لوحظ ان قوارب النجاة كانت مفقودة مما يدل ان القبطان بريكس قد قرر ترك السفينة، وكان ثمة كمية كبيرة من الماء تحت سطحها وقد نفخ اثنان من اشرعتها وكانت الصارية السفلى قد شدت من زواياها مما يؤكد ان السفينة صالحة للابحار ولا خطر عليها من الغرق، اذاً لماذا

أظهر التفتيش بعد ذلك ان صندوق البوصلة محطم وان البوصلة نفسها مكسورة ووجد اثنان من الابواب الداخلية قد خلعا وثقب احد براميل الكحول الخام، وكانت المخازن الامامية والخلفية تحوي تجهيزاً وافراً من الغذاء والماء. كانت صناديق البحارة باقيةً في اماكنها مما يدل على العجلة التي تم فيها اخلاء السفينة، غير ان التفتيش في غرفة القبطان كشف ان اجهزة الابحار وسجل سرعة السفينة كلها مفقودة وكان آخر ما مدون في السجل العام للسفينة بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني يشير الى ان ماري سيليست قد مضى عليها في البحر تسعة ايام في الاقل دون طاقمها وهي الان على بعد (٧٠٠) ميل شمالي شرق آخر موقع مسجل لها. وكان في السفينة، برفقة القبطان بريكس وطاقم السفينة السبعة، سارة زوجة بريكس وصوفيا ماتيلدا ابنته ذات السنتين. وعندما واجه مورهاوس لغز ترك الطاقم السفينة تملكه رعب كبير من شيء مجهول وعندما اقترح زميله ديفو أن يقود اثنان من بحارة دي كراشيا ماري سيليست الى مضيق جبل طارق كان مبلغ (٥٠٠٠) الاف باون المتوقع دفعه كأجور انقاذ السفينة هو الذي حداه ان يوافق في نهاية المطاف على خطة ديفو. ووصلت السفينتان معاً الى ميناء جبل طارق بعد ستة ايام. لقد استقبله الموظف الانكليزي، بعكس ما كان يتوقعه ديفو من ترحيب كبير، بأمر القاء القبض الفوري على قبطان ماري سيليست وكان ذلك بالتحديد يوم الجمعة في الثالث عشر من الشهر. . وقد حالف الحظ العاثر ماري سيليست منذ شروعها في الابحار وكانت مسجلة في الاصل باسم امازون وتوفي قبطانها الاول خلال ثماني واربعين ساعة واصطدمت في رحلتها الاولى بسياج لصيد الاسماك قبالة مين وتحطم بدنها. واثناء ترميمها شب حريق في وسطها وفي نهاية المطاف اصطدمت، في اثناء ابحارها عبر مضيق دوفر، بسفينة شراعية واغرقتها. حدث هذا في ايام قبطانها الثالث وعندما قادها قبطانها

الرابع اصطدمت خطأ بجزيرة كيب برنتون وتحطمت. ثم انقذت سفينة امازون هذه وانتقلت ملكيتها الى ثلاثة مالكين قبل ان يبتاعها ج. أ. ج. وتشستر مؤسس انجح خط شحن بحري مازال يعمل في نيويورك، وقد اكتشف وتشستر شرخاً جافاً في خشب السفينة التي سميت في ذلك الوقت ماري سيليت واعيد بناء اسفلها وطعم بالنحاس وزيدت متانة سطحها وتؤكد هذه الترميمات ان السفينة كانت في حالة ممتازة قبيل ابحارها صوب جنوا بقيادة القبطان المتمرس بريكس وهذا يساعدنا في تفسير سبب بقاءها مدة طويلة بين امواج الاطلسي الباردة بعد فرار طاقمها بقوارب النجاة. ويبدو ان الموظفين البريطانيين في جبل طارق يشكون ان الامر اما تمرداً أو مؤامرة امريكية وتستند النظرية الاخيرة الى حقيقة ان القبطان مورهاوس والقبطان بريكس كانا صديقين وقد تناولا العشاء معاً قبل ان تغادر ماري سيليست نيويورك ولكن حضيت فكرة التمرد بعد ذلك بشيء من التأييد ولتأكيد هذه النظرية عرض امام أنظار مجلس التحقيق علامة فأس في احد جوانب السفينة ووصف بدنها انه محاولة خائبة لاظهار السفينة كأنها صدمت بعض الصخور بالاضافة الى ان السيف الملطخ الذي وجد تحت سرير القبطان وكل ما قدم للادعاء يشير الى ان طاقم السفينة كانوا في حالة سكر فقتلوا القبطان وعائلته ثم فروا هرباً بزورق السفينة . . . وقد شعر الامريكيون بالاهانة مما عدوه وصمة عار في شرف الاسطول البحري التجاري الامريكي وادانوا بسخط هذه القصة واشاروا الى ان بريكس ليس ذلك الرجل العادل الذي لايرجح ان يدفع بطاقم سفينته الى التمرد وحسب، وانما كان يدير ماري سيليست وهي خالية من السوائل الا الكحول وحتى البحار الضامىء لايرجح ان يشرب اكثر من جرعة من الكحول الخام فقد يسبب له الاماً مزعجة في البطن تفقد البصر في النهاية، واذا ما كان طاقم السفينة قد تمردوا، فلماذا اذاً اضطروا لترك اقفاصهم البحرية وحاجيات مثل صور العائلة وأمواس الحلاقة والاحذية البحرية؟ وما زالت القيادة البحرية الانكليزية غير مقتنعة، ولكنها اقرت ان

النظرية البديلة لو كانت صحيحة وان بريكس ومورهاوس قررا اطلاق ادعاء كاذب للتعويض سيكون بريكس، عندئذ، خاسراً لكونه شريك في السفينة وحصته من التعويض ستكون جزءاً يسيراً مما لو باعها بالطريقة الاعتيادية، أرغمت المحكمة، في اذار ١٨٧٣ ، على الاعتراف بعجزها عن تقرير سبب اخلاء سفينة ماري سيليست وهي المرة الاولى في تاريخها التي تخفق في التوصل الى نتيجة معينة.

كوفيء مالكي دي كراشيا خمس قيمة ماري سيليست وشحنتها واعيدت السفينة نفسها الى مالكها الذي لم يتوان في بيعها حال عودتها الى نيويورك وخلال احد عشر عاماً تلت انتقلت ملكية ماري سيليست الى اكثر من مالك غير انها لم تجلب الا الربح القليل لكل منهم وكان البحارة مقتنعين انها غير محظوظة وكان آخر من امتلكها هو القبطان جلمان. سي. باركر وقد اصطدمت وهو يقودها بسلسلة صخرية في جزر ويست انديز وطالب بالتأمين لكن مسؤولوا شركة التأمين ارتابوا في الامر وقدم باركر ومساعديه الى المحاكمة وكانت عقوبة محاولة اغراق السفينة في عرض البحر بشكل متعمد في تلك الايام هي الموت شنقاً، بيد ان القاضي الذي كان على علم بسجل (ماري سيليست) السابق المزدان بالحظ العاثر سمح باطلاق سراح طاقمها معزياً غرق السفينة الى اسباب فنية. وبعد ثمانية اشهر توفي القبطان باركر واصاب احد اتباعه مس من الجنون بينما انتحر الثالث، اما ماري سيليست فقد تركت تتهشم على سلسلة صخرية. وبعد عقد من الزمان تضاءل الاهتمام بقصة السفينة، حيث لم يظهر اي دليل جديد وفرضت مراقبة شديدة على الموانيء البريطانية والامريكية ابان المحاكمة عندما كانت الشبهات تحوم حول وقوع عملية الاحتيال ولكن لم يعثر على اي اثر لافراد الطاقم المفقودين. توجه ارثر دويل، الطبيب المتأهل حديثاً ذو الثلاث وعشرين عاماً، الى ساوثي، احدى ضواحي بورتسموث في عام ١٨٨٢ وثبت

لوحة باسمه، وكان يقضي معظم وقته، ابان الاسابيع الطويلة التي ينتظر فيها المرضى، بكتابة القصص القصيرة وشرع في خريف عام ١٨٨٢ بكتابة قصة جاء فيها: «في شهر كانون الثاني عام ١٨٧٣، دخلت السفينة البريطانية دي كراشيا مضيق جبل طارق وهي تجر السفينة الشراعية المهجورة ميري سيليست التي انتشلت في خط عرض ٣٨/٤٠ وخط طول ٧٠/١٥ غرباً». وتفتقر هذه الجملة الى الكثير من الدقة فالسنة كانت ١٨٧٢ ودي كراشيا لم تجر ميري سيليست وارقام خطوط الطول والعرض ليست صحيحة واسم السفينة ماري وليست ميري، ومع ذلك فعندما نشر تصريح جي. هابكوك جفسن في مجلة مونهل عام ١٨٨٤ اثار ضجةً حيث بدأ بسيرة ارثر دويل ككاتب ثم استخدم اسم اي. كونان وأخذها اغلب الناس انها حقيقة ومنذ ذلك الحين شاعت وعلى نطاق واسع الفكرة ان ماري سيليست استولى عليها السود الذين كانوا يضمرون الكره الشديد للبيض، وكان سوي فلود رئيس المحققين في قضية ماري سيليست ساخطاً جداً، فأرسل برقيةً الى وكالة الانباء اعلن فيها ان جي. هابكوك جفسن هو محتال كذاب ومن حينها ابدت مجلة كونهل استعدادها لدفع ثلاثين جنيهاً بدل ثلاثة لنشر قصص كونان دويل. كانت قصة دويل منطلقاً لاهتمام جديد باللغز. وطوال السنوات العشر التالية ظهرت العديد من الروايات الملفقة عن الايام الاخيرة لماري سيليست وكانت تتحدث عن كل ضروب القصص من التمرد الصريح الى الحوادث الكبرى كما لو ان الجميع قد سقطوا في البحر عندما وضعت منصة لمراقبة سباق للسباحة وانهارت تحتهم، أو قصة العثور على سفينة مهجورة تحمل سبيكة ذهب مما اغرى القبطان بريكس للهرب في سفينة اخرى تاركاً السفينة الام تتقاذفها الرياح. يدعي مؤلف آخر ان جميع افراد الطاقم اختطفتهم ذات القوة الغريبة التي تسبب مطر الضفادع والاسماك الحية، ويضيف فورت قائلاً: «لدي مجموعة من الروايات لكذابين متميزين أو فنانين هزل يقلد بعضهم الاخر رويت في الثلاثين أو في الاربعين أو الخمسين سنة التالية بانهم

كانوا من افراد ذلك الطاقم، وحتى في يومنا هذا نرى ماري سيليست تبحر مراراً في مسلسلات التلفاز أو السينما وتقع في حبال الزمن أو يهجم عليها غرباء من الصحون الطائرة، وفي الحقيقة ان دراسة ممعنة للحقائق تفصح ان حل هذا اللغز الخاص واضح المعالم، فالرجل المسؤول عن خلود اسطورة ماري سيليست هو كونان دويل الذي اكد ان زوارق السفينة ما زالت سليمة وأثارت مسألة اللادقة في هذه النقطة مشكلة بسيطة معاكسة لايمكن حلها فعلياً.

وفي الحقيقة اذا ما علمنا ان الزورق كان مفقوداً سيتأكد لنا حينها شيئاً واحداً في الاقل هو ان الطاقم هاجر السفينة وهم في عجلة من امرهم اذ لم يكن دولاب السفينة مربوطاً وهو اشارة الى ان السفينة قد اخليت بسرعة والسؤال الذي يطرح نفسه الان هو ما الذي حل بالجميع، وما الذي دفعهم الى ان يخلوا السفينة بمثل هذه العجلة؟.

كان القبطان جيمس بريكس شقيق ربان سفينة ماري سيليست مقتنعاً ان مفتاح الحل هو آخر ما سجل في يوميات السفينة حيث سجل ان سرعة الرياح انخفضت في صبيحة يوم ٢٥ تشرين الثاني عام ١٨٧٢ غداة ليلة من العواصف الهوجاء ويعتقد جيمس بريكس ان السفينة ربما توقفت في ازورس بفعل هدوء الرياح ثم بدأت بالانجراف الى الصخور الخطرة في جزيرة سانتا ماريا وقد لوحظت امارات تصادم على طول جانب ماري سيليست، وادعى المحققون البريطانيون انها كانت عملاً متعمداً قام به الطاقم المتمرد وهذه الصدمات ربما سببها احتكاك السفينة اثناء حركتها بصخرة مغمورة مما اقنع الطاقم انها على وشك الغرق. اما اوليفر ديفو فقد افترض ان بعض الماء شق طريقه، في اثناء العواصف، الى سطح السفينة ومخزنها مما اعطى انطباعاً بتسربه الى السفينة، وثمة تفسير آخر وهو ان دوامة بحرية صدمت ماري سيليست فالضغط الجوي في الدوامة منخفض وهذا ربما سبب انفجاراً في اغطية الفتحات دفع الماء المتجمع

بقوة الى البئر ذو المضخات وهذا اظهر السفينة كأنها قد هبطت ست أو ثماني اقدام وبدأت تغرق بسرعة، وثمة اعتراضات رئيسية على هذه الاجوبة فاذا كانت السفينة قد احتكت اثناء حركتها بالصخور الخطرة قبالة جزيرة سانتا ماريا فأن زورق النجاة يفي لايصالهم الى الجزيرة اضافة الى انه لم يعثر على اي من الناجين أو اي حطام لزورق نجاة.

ويساند نظرية اوليفر ديفو امور كثيرة فقد تكررت حوادث الرعب في البحر، نذكر منها عندما واجهت سفينة القبطان كوك «انديفر» مصاعب قبالة ساحل شرق استراليا ارسل بحار السفينة لقراءة مستوى الماء في المخزن فأخطأ في القراءة وكان ما انتابه من هيستريا نتيجة ذلك حداه ان يغادر السفينة مع الطاقم عندما تمكن الرعب منهم . وفي مرة اخرى القت سفينة محملة بالخشب بكل حمولتها الى البحر قبالة نيو فاوندلان قبل ان يدرك اي فرد ان من المستحيل ان تغرق سفينة محملة بالخشب، ولا يرجح ان القبطان بريكس، الكفء، سيسمح بقراءة خاطئة تزرع فيه الرعب. والاعتراض على نظرية الدوامة البحرية هو ان السفينة، بصرف النظر عن الفتحات، لم تتعرض لاي ضرب من الدمار فلو كانت ثمة دوامة كبيرة تثير مثل هذا الرعب، يقيناً انها ستصيب السفينة بدمار اشد.

ولكن اللغز الحقيقي هو السبب الذي لم يحاول فيه طاقم ماري سيليست، اذا ما غادرها بقوارب النجاة، العودة الى متنها عندما رأوا انها لم تكن في خطر من الغرق. وثمة تفسير واحد يغطي كل الحقائق وهو ان بريكس لم يشحن سابقاً قط كحول خام ولانه بيوريتاني مستقيم من نيو انكلاند فانه يقيناً أساء الظن في الكحول وتباين درجة الحرارة بين نيويورك وازورس قد سربت بعض الكحول من البراميل وسببت العواصف الليلية تصادم البراميل بشكل عنيف مما ولد بخاراً في داخلها مفجراً بفعل الضغط اغطية بعض البراميل. ومع ذلك فان

الانفجار ليس بمؤذ اساساً وربما فجر الفتحات وطير اغطيتها الى السطح في الاماكن التي وجد فيها ديفو ثقوباً، وعندما تيقن بريكس ان السفينة ستنفجر عن بكرة ابيها أمر كل أفراد الطاقم بالنزول الى قارب النجاة ونتيجة لسرعته اخفق في اتخاذ التدبير الوقائي البسيط الذي ينقذ حياتهم: ان يربط قارب النجاة بالسفينة بامراس طولها بضع مئات من الباردات. لقد كان البحر هادئاً جداً عندما انزل القارب كما عرفنا ذلك من آخر ما سجل في سجل السفينة لكن دليل الاشرعة الممزقة يشير الى ان السفينة واجهت بعد ذلك عواصف هوجاء وقد نتوقع ان الرياح العالية قد دفعت ماري سيليست بعيداً في الوقت الذي جدف الطاقم قارب النجاة بسرعة في جهد لا طائل منه للحاق بها وبقية القصة واضحة في مأساتها.....

وحش بحيرة نيس

تعد بحيرة نيس من اكبر البحيرات البريطانية اذ يبلغ طولها (٢٢) ميلاً وعرضها ما يقارب الميل وأقصى عمق يبلغ (٩٥٠) قدماً وهي جزء من الوادي العظيم الذي يجتاز اسكتلنده كشق عميق من شاطيء الى آخر وقد تكون نشأت قبل (٣٠٠) أو (٤٠٠) مليون سنة نتيجةً للهزات الارضية وعمقته الانهار الجليدية. وتقع في الطرف الجنوبي لنيس مدينة (غورت اغسطس) الصغيرة والى اقصى الشمال تقع مدينة (انيفونس). كان الوصول الى البحيرة، وحتى القرن الثامن عشر، متعذراً عملياً ما خلا بعض الطرق المتعرجة وبقيت على هذا الحال حتى عام ١٧٣١ عندما شرع (الجنرال ويد) بشق طريق من (فورت اغسطس) حتى الشطر الجنوبي من بحيرة نيس (بالرغم من ان فورت اغسطس لم تسمى بهذا الاسم حتى عام ١٧٤٢). ولم يكن هذا الطريق، الذي يؤلف تحويلة داخلية طويلة، باقصر مسافة تربط بين (فورت اغسطس) و (انيفونس) أما الطريق المباشر فيكون عبر الشاطيء الشمالي. وفي مستهل الثلاثينات دمر ذلك الطريق المنحدر كميات كبيرة من الصخور في الجوانب المحاذية الى بحيرة نيس ولم يكتمل الطريق الا في نيسان عام ١٩٣٣ . كان السيد جون مكاي وزوجته وهما مالكا فندق (درومنادروشيت) عائدين من رحلة الى انفيرنس وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر عندما اشارت السيدة مكاي قائلةً: «ما ذلك يا جون؟» كان الماء في بحيرة نيس في حالة اضطراب واعتقدت السيدة ان طائرين من البط يتقاتلان ثم ادركت ان المساحة المضطربة من الماء واسعة جداً وعندما توقف زوجها شاهدا حيواناً ضخماً وسط الماء المضطرب ثم راقبا المخلوق وهو يتجه صوب (رصيف الدوري) ولمحا على الجانب المقابل من البحيرة في تلك اللحظة حدبتين سوداويتين ترتفعان وتنخفضان في الماء بشكل متموج ثم دار المخلوق نصف دورة وتوارى عن الانظار. لم يحاول (مكاي) وزوجته اشاعة القصة ولكن

الاخبار قد طرقت مسامع اليكس كامبل، الشاب الذي يعمل في البحر مراسلاً لصحيفة (انفيرنس كورير) وقام بزيارة عائلة (مكاي) واستمرت حلقات تقريره الذي نشرته تلك الصحيفة في الثاني من مايس أكثر من اسبوعين بعيد الحادث ونقل عن رئيس التحرير قوله: «إذا كان كبيراً كما وصفاه فانه ليس بمخلوق وإنما وحش». وهكذا سمي وحش بحيرة نيس بهذا الاسم. وإذا ما توخينا الدقة فانها ليست بأول رواية عن الوحش تظهر مطبوعة وانما تعود الى كتاب «حياة القديس كولومبا» في نحو عام ٥٦٥م الذي يروي في الفصل ٢٧ (ج٢٧ ، مجلد ٦) كيف وصل القديس الى معبد على ضفاف بحيرة نيس ووجد بعض الرجال يستعدون لدفن رفيق لهم قتله وحش مائي وهو يعوم في الماء. أمر القديس أحد أتباعه ان يعوم في البحيرة فطرق مسامع الوحش رش ماء متجه صوبه عندها اشار القديس بعلامة الصليب وأمر المخلوق ان يبتعد فانصاع الوحش الخائف لأمره. ويصعب تحديد التقارير الأخرى التي ظهرت عبر القرون ويذكر نيقولاس وتشل في كتابه عن الوحش عدة مراجع عن (وحش) أوجني ماء في بحيرة نيس في الكتب القديمة بين عامي ١٦٠٠ و١٨٠٠ ونشر بعده الكوماندر (روبرت غولد) كتابه عن الوحش فكتب اليه، في عام ١٩٣٤ ، الدكتور دي ماكنزي مدعياً انه شاهد الوحش في عام ١٨٧١ ١٨٧٢ وانه يماثل قارباً مقلوباً تقريباً ويتحرك بسرعة كبيرة مضطرباً فوق سطح الماء. كتب اليكس كامبل ان مزارعاً صغيراً يدعى الاكسندر ماكدونالد قد شاهد الوحش عام ١٨٠٢ وروى ذلك لأحد أسلاف كامبل ويقيناً ان اشاعات من هذا القبيل قادت الى التشكيك في ان للمواطنين المحليين وخاصة أصحاب الفنادق منفعة مالية في تأكيد وجود الوحش وهكذا اصبح اسم وحش نس أضحوكة في أواسط الثلاثينات. وفي الحقيقة ان أول تقرير (حديث) عن الوحش كتب عام ١٩٣٠ ونشرت الـ (نورثن كرونكل) ان ثلاثة شبان خرجوا في زورق يوم ٢٢ تموز من ذلك العام وشاهدوا قرب (دوروس) في الشاطيء الجنوبي على بعد ٦٠٠ ياردة

اضطراباً شديداً في الماء ثم ظهر مخلوق ضخم يعوم باتجاههم تحت سطح الماء ثم انعطف مبتعداً عندما صار على بعد (٣٠٠) ياردة منهم وعلق الشبان انه لم يكن قط سمكة قرش أو قفمة. وفي صيف ١٩٣٣ سجلت أعلى درجات للحر ومع انصرام الصيف اضحى الوحش معروفاً لكل القراء في الجزر البريطانية بينما كان في طريقه الى ان يغدو حدثاً عالمياً. شوهد الوحش في وقتنا هذا على اليابسة فبعد ظهيرة الصيف الهادي، من يوم ٢٢ تموز ١٩٣٣ كان السيد جورج سبايسر وزوجته في طريق عودتهما الى لندن بعد ان قضيا العطلة في هايلاندز. وفي قرابة الساعة الرابعة كانا في سيارتهما على الطريق الجنوبي من (انفيرس) الى فورت وليم وشاهدا في منتصف الطريق بين دورس وفويرز على بعد مائة ياردة قبالتهم جسماً يماثل جذع الشجرة يفترش الطريق ثم ادركا انه يتحرك وان بإزائهم رقبةً طويلةً يردفها جسم رمادي يبلغ ارتفاعه نحواً من خمسة اقدام وذكر السيد سبايسر بعد ذلك انه هائل ومقيت ويتحرك باضطراب عبر الطريق ولم يتمكنا من تحديد امتلاكه لسيقان لأنهما كانا على منحدر وحالما بلغت سيارتهم المنحدر تلاشى الوحش في المنخفض المقابل وبدا كأنه يحمل شيئاً فوق ظهره ولم يشاهدا اي ذيل. وكان الرسم الذي خططه الكوماندر كولد وفقاً لتوجيهاتهم يوافق وما وصفه السيد سبايسر الذي قال عنه: «انه حلزون ضخم طويل الرقبة». وعندما سمع غولد هذا الوصف اعتقد انها خدعة ولكنه عندما قابل سبايسر وزوجته في لندن تأكد انهما يرويان الحقيقة وما زال سبايسر وزوجته مرتبكين وقلقين وكان الاعتقاد سائداً ان الجسم الذي فوق كتف الوحش قد يكون جثة خروف. وفي عام ١٩٧١ قابل نيكولاس وتش السيدة مارغريت كامرون التي ادعت انها شاهدت الوحش على اليابسة عندما كانت في سن المراهقة ابان الحرب العالمية الاولى وقالت: «ان جسمه ضخم وحركته بين الاشجار تماثل حركة يرقة الفراشة». وقدرت طوله بعشرين قدماً وان له قدمين قصيرتين ومستدقتين في المقدمة وانه يتمايل من جانب الى آخر عند دخوله الماء وشعرت هي وصديقاتها

بالغثيان والقلق لدرجة لم يستطعن بعدها تناول الشاي. قابل وتشل ايضاً جوك فوربس الذي ادعى انه شاهد في عمر الثانية عشرة الوحش في عام ١٩١٩ . فذات ليلة عاصفة كان هو ووالده في عربة يجرها حصان حيث جفل الحصان وشاهدا شيئاً كبيراً يعبر الطريق قبالتهم ثم سمعا صوت رشق الماء عندما غطس في البحيرة. التقطت اول صورة فوتغرافية للوحش نيسي في تشرين الثاني ١٩٣٣ فقد كان هاي غراي يسير في منحدر مشجر على ارتفاع خمسين قدماً من بحيرة نيس قرب فويرز وكان قد شاهد الوحش في مرة سابقة وحمل بعد ذلك آلة تصوير. كان غراي في صبيحة الاحد المشمس ليوم ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٣ جالساً يتطلع الى بحيرة نيس ولمح في تلك الاثناء الوحش يرتفع فوق الماء على بعد مائتي ياردة تقريباً، رفع آلة التصوير والتقط صورة الوحش وهو يرتفع عن الماء بقدمين أو ثلاثة اقدام ولم تكن باوضح الصور فمن السهل التركيز على الظل الغامق فيها والتغاضي عن الجسم الرمادي غير الواضح للمخلوق فوق الماء. وكانت هذه واحدة من خمس لقطات وبدت اللقطة اقل اقناعاً وكان غراي متناقضاً في وصفه وترك الفلم في آلة التصوير مدة اسبوعين، خشيةً لتعرضه للسخرية، واخذه بعد ذلك اخوه للتحميض. وظهر في صحيفة (ديلي ركورد) الاسكتلندية و (ديلي سكتش) اللندنية في ٦ كانون الاول ١٩٣٣ مع تصريح لشركة (كوداك) للتصوير يشير الى ان الفلم السالب لم يعدل عليه، غير ان عالم الحيوان (كراهام كير) من جامعة كلاسكو صرح بان الصور لاتدل تماماً على انها ابداً لكائن حي. لقد كان ايذاناً ببداية مرحلة لفضح زيف الوحش التي ظهر فيها علماء حيوان برزوا الى الساحة حديثاً. وتواصلت المشاهدات. وكان الدكتور (جي. كيرتن) وزوجته يسيران بجانب التل خلف فندق (انفرموريستن)، في اليوم الذي سبق يوم التقاط (هاي غراي) صورة الوحش، حيث شاهدا الوحش يعوم مبتعداً عنهم ولاحظا ظهراً مدوراً ذا حدبة في وسطه يشبه المنظر الخلفي لبطة في بركة ماء، وقد سجل (غولد) ان هذا هو المنظر

الـسـادس والعشرين. في عـام ١٩٣٣ وبعـد اسـبـوع أي في العشرين من تشرين الثاني شـاهدت الانسـة (آن سـمبـسـون) الوحش قرب (التـاي) مستلقياً ودون حـراك في الماء مـدة عشر دقـائق وقـدرت طوله بنحـو من (٣٠) قدماً ثم شاهدته يعـوم تحت الماء صـوب مـركـز بحيرة نيس بـسرعـة تضاهي سرعة زورق ذي محرك في المؤخـرة. وفي ١٢ كـانون الثـاني عـام ١٩٣٣ استعدت احدى شركات منتجي الافلام الاسكتلنديين «ارفين» و «كـلايتـون» لتـصوير فلم عن الوحش في حالة حـركـة لعـدة ثوان ولسوء الحظ لم يظهر الفلم الا ظلاً غامقاً طويلاً يتحرك خلال الماء، واكـثـر الصـور الفوتغرافية المأخوذة للوحش التقطت في نيسان ١٩٣٤ وهي صـورة الطبـيب الجراح المشهورة، ففي الاول من نيسان ١٩٣٤ كان كينيت ولسن زمـيل كليـة الجـراحين الملكية يقود سيارته برفقة صديق له ومتجهين صوب الشمال وكـانا قـد استأجرا منطقة صيد قرب انفيرنس وقررا الذهاب اليها لالتقاط بعض الصـور الفـوتغـرافـيـة للطيـور وجلب ولـسن مـعـه آلة تصوير ذات عدسة تقرب المناظر البـعـيـدة. لقـد اوقـفا سيارتهما، باكراً في نحو السابعة صباحاً، على قارعة ارضـيـة تبـعـد مـيلين شمال انفـرمـورسـون وحالما شرعا يراقبان سطح الماء لاحظا امـارات اضـطـراب فـيـه وهـي نـذير بوصـول الوحش وصرخ صـديقـه (مـورايز شـامـبرز) قـائلاً: «يـا الهي، انه الوحش» فـانطلق ولـسن الى الـسـيـارة وجلب آلة التـصـوير ليلـتـقط اربع صـور في دقـيـقتين بسرعة لم يتمكن فيها من النظر الى ما يـصـوره وبـعـد ذلـك انـسحب الرأس الافـعـواني بلطف الى الماء دون ان يتأكـد ولـسـون هل كـان قـد الـتـقط صـورةً للوحش فأسرع الى كـيميائي لتحميض الفلم وثبت بعـد اكمال الصـور ان اثنتين منهما خـاليـتـان وظهر في الاخرى الرأس على وشك الاخـتـفـاء في الماء بيـد ان الصـورة الرابعة كانت ممتازة وظهرت فيها الرقبة التي تماثل رقـبـة الديناصور وظهر الرأس صغيراً ايضاً. باع ولـسن حقوق التصوير الفـوتغـرافي الى صـحـيـفة (ديلي ميل) ونشرت الموضوع في ٢١ نيسان عام ١٩٣٤ محدثةً ضـجـةً واطلقت صرخـات الـسـخـرية من المؤسـسـة العلمـيـة التي وصفت

الصـورة انها مـزيفـة واشارت الى ان الجراح الذي اخفى هويته قد يكون بدعة من المزيفين وفي الحـقـيـقة ان ولــن سمح بتعريف نفسه وظهر اسمه في كتاب موسوم (وحش نيـس واخـرون) لمؤلفـه كـومـاندر غـولد وظهـر الكـتـاب فـيـما بعد في العام نفـسـه وتصـدرت صـفـحاته الصورة الفوتغرافية التي التقطها الجراح. وحقيقة أن الصـورة الفـوتغـرافـيـة مأخـوذة في الاول من نيــسـان قد زادت من الشك العام. وبـعـد عـدة سـنين ظهـر محقق جـديد عن الوحش وهو (تم دنسـدل) الذي كبر الصـورة الى حـجـم ذراع ولاحظ فيها شيئاً اقنعه بصحتها.

لقـد رأى من مــسافة ما دائرة باهتة من الحلقات متحدة المركز حول الوحش تلوح واضـحـةً وثمـة دائرة اخـرى في الخلف كأن جـزءاً آخـراً من جــسـمه تحت سطح الماء تمامـاً، اشار دنسدل انه لايمكن لأحد أن يتجشم عناء تزييف تفاصيل تـعـذر رؤيتها بالعين المجردة، وفي عام ١٩٧٢ ظهر دليل آخر على أصالة الصورة عنـدمـا خـضـعـت لعـمليـة تعـزيز بالعـقل الالكتروني في وكـالة الفضاء الامريكية (نـاسـا) وظهـرت على الصـورة المحسنة عـلامـات لشـعـرات مـتدلية من الفك الاسفل.

وفي تمـوز ١٩٣٤ وقـف عـلى شـواطـيء نيس فـريق مـؤلف من اربعـة عشر رجـلاً مـزودين بالآت تصـوير وقـد شـغلهم (السير ادوارد مـاونتن) لقاء باونين في الاسـبـوع لكل رجل مـدة خمـسـة اسـابيع واخـذت خمس صـور قيمة ظهر في اربع منهـا أثر مظلم قـد يكون أثر الزورق واظهـرت الخامسـة رأساً مختف في «رشقة من الرذاذ» وقـد تمكن الكابتن جيـمـس فـريزر، مــسـؤول الحملة، من التقاط شريط تصـوير بطول عـدة اقـدام من موقع فوق (كاسل آركوت) تماماً. وظهر فيه جسم يشـبـه قارباً مقلوباً مـسطح القاعدة طوله خمـسة عشرة قدماً. اختفى الجسم في رذاذ الماء المتطاير وقـال علماء الحـيـوان الذين شـاهدوا الشريط المصـور ان المخلوق هو حـيـوان الفقمة واعترف الكابتن فريزر فيما بعد انه اضطر الى الرضوخ لقـسـط كبير

من السخرية. استمرت المشاهدات وظهرت المزيد من الصور ولكن رغبة الناس عامةً انقطعت عن موضوع الوحش ومال اكثرهم الى الشك في ان الوحش بدعة ساخرة ابتدعها الناس الممتهنون اعمال السياحة في (هايلاند) ولو صح الامر فانهم قد نجحوا فعلاً حيث كانت فنادق بحيرة نيس مكتظة طوال ايام الصيف. وفي ٢٦ مايس كان الراهب (ريتشارد هوران) من دير القديس (بندكت) يعمل في محل زوارق الدير وطرق سمعه صوت جلبه الماء وشاهد الوحش ينظر اليه من مسافة ثلاثين ياردة تقريباً. كان له رقبة رشيقة وخطاً ابيضاً عريضاً تحت جبهته وأنف وفك بما يشبه الفقمة وأيد رؤيته هذه ثلاثة اشخاص آخرون. وشاهدت الانسة (رينا ماكنري)، في كانون الثاني من السنة التالية، الوحش ايضاً من مسافة قريبة جداً ولاحظت ان رأسه يبدو صغيراً وان الجزء الاسفل من حنجرته ابيض وقال جون ماكلين، الذي شاهد الوحش في تموز ١٩٣٨ ، انه رآى من بعد عشرين ياردة فقط، الرأس والرقبة والوحش يتناول طعامه حيث يفتح فمه ويغلقه ويرجع رأسه الى الخلف فجأةً مثلما يبتلع طائر الغاف السمكة تماماً وعندما غاص المخلوق رآى ماكلين وزوجته حدبتين وقدرا طوله بثماني عشرة قدماً تقريباً وقالوا ان جلده في الاجزاء القريبة كان بنياً قاتماً كجلد الحصان المبتل. وتمكننا كل هذه المشاهدات من تشكيل صورة اوضح للوحش. قدم (اليكس كامبل) في تموز صورة ايدت ما كان يؤمن به لعدة سنين سابقة وهو انه لابد من وجود اكثر من مخلوق واحد فقد شوهد احدهما متمدداً قرب دير القديس (بندكت) بينما شوهد الاخر مثل حدبة كبيرة سوداء يعبر البحيرة ويتمايل فوق سطح الماء. وتشير عدة تفسيرات الى ان هذه الحيوانات بامكانها الحركة بسرعة عالية. وابان الحرب العالمية الثانية بهت الاهتمام بالوحش أو الوحوش بالرغم من استمرار المشاهدات. وفي عام ١٩٤٣ شعر القائد روسل فلينت، وهو يعبر بحيرة نيس في طريقه الى (سواسني) برجة قوية اقنعت الطاقم انهم اصطدموا بكتلة طافية وشاهدوا الوحش يختفي في الماء المضطرب وذكر في

اشارته الى القيادة البحرية انه تكبد خسارة في المقدمة اليمنى للسفينة بعد الاصطدام مع وحش نيس فسبب له بعض الحرائق. ونشرت صحيفة (ديلي هيرالد) في تشرين الثاني عام ١٩٥٠ قصة بعنوان «سر بحيرة نيس» تدعي فيها ان اعداداً من الالغام ذات قطر ثماني اقدام قد زرعت في البحيرة على عمق يناهز الميل في عام ١٩١٨ واشارت الصحيفة ان اخفض عمق للبحيرة هو سبعة اميال ويتضح ان هذه القصة تتضمن قبساً من الصحة فالالغام زرعها في عام ١٩١٨ جلالة الملك (هيلبك هيو غراي) الذي التقط بعد ذلك اول صورة فوتغرافية للوحش من على سطح السفينة، بيد ان تلك الالغام لم يعثر عليها عندما أبحرت السفينة لجمعها عام ١٩٢٢ حيث لم يبق الا المراسي التي علقت بها وربما تكون الالغام التي صممت لتعمر سنوات قليلة قد غاصت في القعر ومع هذا لم يتضح في اي من الصور الفوتغرافية ابسط شبه بتلك الالغام وفي السنة التالية التقطت صورة اخرى للوحش بعدسة حطاب يدعى (لاشلان ستورات). لقد لاحظ لاشلان، عندما كان يحلب بقرته في الصباح الباكر من يوم ١٤ تموز ١٩٥١، شيئاً يتحرك صوب البحيرة بسرعة، خاله زورقاً مسرعاً فاختطف آلة التصوير وأسرع الى التل ليلتقط صورة للوحش وهو لايبعد اكثر من خمسين ياردة من الساحل وكانت النتيجة ان اظهرت الصورة الفوتغرافية ثلاث حدبات واضحة... وبعد اربعة اعوام كان بيتر ماكناب، مدير احد المصارف، في طريق عودته من عطلة قضاها في شمالي اسكتلنده ولما كان يصعد بسيارته قلعة اركوان شاهد في هدوء ودفء ظهيرة ١٩ تموز ١٩٥٥ اضطراباً في الماء الراكد قرب القلعة فاختطف عى الفور آلة التصوير والتقط صورة فوتغرافية اضيفت الى الصور التي التقطها الطبيب الجراح والحطاب واعتبرت احدى اللقطات التقليدية للوحش. كان بيتر متردداً وخائفاً من السخرية فلم يظهر الصورة الا في عام ١٩٥٨ اي بعد مرور ثلاث سنوات وكان الاهتمام بالموضوع قد احياه قبل ذلك افضل كتاب عن الوحش وهو كتاب (اكثر من اسطورة) الذي نشر في عام

١٩٥٧ لمؤلفته كونستانس وايت وهي زوجة مدير قناة كالدونيان وازداد اهتمامها بالوحش عندما طلب منها ان تكتب مقالة عنه في مجلة محلية حيث قابلت كل من صادفتهم من شهود واخرجت اول دراسة شاملة للادلة بعد كتاب روبرت غولد عام ١٩٣٤ . لقد اثار كتابها هذا اهتماماً واسعاً وغرقت المؤلفة بالمراسلات فعادت تارة اخرى اخبار وحش بحيرة نيس وكل ما فعلته السيدة (وايت) في بحثها الدقيق انها فندت الفكرة القائلة ان الوحش كان مزحةً أو من اختلاق مؤسسة السياحة الاسكتلندية وكل من يقرأ كتابها لايساوره ادنى شك في حقيقة وجود الوحش وانه يظهر نفسه بشكل متكرر. ونتيجةً لذلك ظهر مباشرةً جيل من «صيادي الوحوش» وكان احدهم فرانك سيرل، مدير مؤسسة للفواكه في لندن. لقد اشترى كتاب كونستانس وايت وقرر في عام ١٩٥٨ ان يخيم قرب بحيرة نيس ومنذ ذلك الحين اخذ يتردد مرات عديدة. وبينما كان يتحدث مع بعض الواقفين على رصيف للمشاة قرب انفر مورستن، ابصر جسماً داكناً يخترق سطح الماء وادرك انه شاهد الوحش.

كان استمتاعه بالوحش كبيراً لدرجة أن ترك خيمته في عام ١٩٦٩ ونصب اخرى قرب بحيرة نيس حيث مكث فيها اربع سنوات اخرى. وشاهد، في آب ١٩٧١ ذيل الوحش الغائص على مقربة منه وكان انطباعه عنه انه يماثل ذيل التمساح الامريكي ذي الاقدام السبع الداكن من الاعلى والناعم والأبيض من الاسفل. التقط اول صورة للوحش في تشرين الثاني ١٩٧١ وظهرت فيها حدبة معتمة في دوامة ماء واعترف انها لم تكن صورة نهائية حيث حصل، في السنوات الخمس التالية، على احسن عشر صور فوتغرافية التقطت للوحش حتى ذلك الحين ظهر في احدها ما يشبه رقبة الاوزة وظهرت في الاخرى الرقبة مع احدى الحدبات وقد نشرت هذه الصور في كتابه الموسوم «نيبي وسنوات سبع من البحث عن الوحش» الذي صدر في عام ١٩٧٦ . وابان ذلك اضحت خيمته

التي تشرف عليها مؤسسة السياحة الاسكتلندية قبلةً للزائرين وذكر في عام ١٩٧٥ انه استقبل نحواً من خمس وعشرين الف زائر في غضون ثمانية اشهر. وفي السابع من حزيران ١٩٧٤ رافقته زائرة من كويبك ولمحا منظراً لاينسى فحالما اقتربا من سياج اسلاك شائكة قرب (فيورز) لفت انتباههما صوت تناثر ماء فزحفا تحت السياج وطفقا يحدقان من خلاله فشاهدا اغرب مخلوقين رأته اعينهما. كان طولهما يناهز القدمين ولونهما رمادي قاتم يشبه جلد الفيل الصغير ولهما رأسان صغيران وعينان نائمتان ورقبتان طويلتان وجسمان ممتلئان وذيلان يشبهان الافعى ملفوفان على طول جسميهما وعندما حاول فرانك سيرل والفتاة التي ترافقه اختراق السياج اسرع المخلوقان الصغيران بالابتعاد بحركة تشبه حركة سرطان البحر وغاصا في البحيرة في غضون ثواني. يقول نيكولاس وتشل في كتابه الموسوم «قصة بحيرة نيس» الذي ربما يعد افضل ما كتب عن الوحش: «من المؤسف انه لمن السهل برهنة الحقيقة القائلة ان الصور الفوتوغرافية التي التقطت عام ١٩٧٢ قد زورت» واخرج السيد سيرل سلسلة اخرى مطابقة للقطات الاصلية في كل المجالات التي ظهر فيها حدبة اخرى ادخلت بعملية تركيبية أو باعادة تصويرها ويقول وتشل: «وبسبب المحتوى العالي المشكوك فيه في بعض الصور الفوتوغرافية التي صورها سيرل وتضارب الاراء المحيطة بالتقاطها فليس من الممكن قبولها صوراً اصلية لأجسام حية في بحيرة نيس». وقرأ مهندس الطيران، تيم دنسدل، مقالاً في عام ١٩٥٩ عن الوحش في مجلة «افري بدي» مما اثار اهتمامه وقضى اغلب ذلك الشتاء وهو يقرأ كل ما يقع في يديه عنه. واطلع في شهر شباط على الصورة التي التقطها الطبيب الجراح فلاحظ فيها دائرة امواج اقنعته ان الوحش حقيقي.

وفي نيسان من تلك السنة شد دنسدل الرحال شطر بحيرة نيس لاصطياد الوحش بيد انه قضى خمسة ايام دون ان يشاهد فيها شيئاً وفي اليوم الذي سبق

عودته لاحظ، حال وصوله الفندق في فويزر، شيئاً ما في البحيرة وعندما استخدم منظاره رأى حدبة فأخذ آلة التصوير السينمائية وطفق يصور الوحش وهو يعوم بعيداً ثم يتجه شطر حافة البحيرة وعندما بلغها دنسدل كان المخلوق قد توارى. غير ان دنسدل تمكن من تصوير شريط بطول خمسين قدماً يظهر فيه الوحش متحركاً وعندما عرض على شاشة التلفاز اثار اهتماماً واسعاً ويقول (وتشل) ان هذا يشير الى مرحلة جديدة من قصة الوحش. بدأت اول بعثة علمية الى بحيرة نيس في حزيران في تحقيق مدته شهر. كانت تضم ثلاثين متطوعاً مع مقياس العمق الصوتي بالاضافة الى مجموعة الآت التصوير وشوهدت في تموز حدبة بطول عشرة اقدام وتعقب مقياس العمق الصوتي جسماً ضخماً وهو يغوص في السطح الى عمق ٦٠ قدماً ثم يعاود الصعود واماطت البعثة اللثام عن اسراب ضخمة من سمك الشار في عمق مائة قدم مما يدحض الشكوك القائلة ان البحيرة لاتحوي اسماكاً كافية لبقاء الوحش وكانت نتيجة بحث البعثة ان هنالك سمكاً كافياً لعدة وحوش. لم يتحقق لمنظم البعثة، الدكتور دينيس دكر من المتحف البريطاني للتأريخ الطبيعي ما أراده فقد نحي من منصبه والسبب كما يعتقد انه اعرب عن ايمانه جهراً في وجود الوحش، واضحى دنسدل صديقاً حمياً لـ (توركول ماكليود) الذي سبق ان شاهد الوحش، في شباط ١٩٦٠ خارج سطح الماء واعترف ان الرعب قد تملكه من حجمه الذي قدره بين (٤٠ - ٦٠) قدماً، ومن رقبته الطويلة التي تماثل جذع الفيل وهو يتحرك يميناً وشمالاً صعوداً ونزولاً ويجدف من الامام والخلف.

شاهد ماكليود الوحش مرة اخرى في آب ١٩٦٠ قرب الشاطيء حينما كانت عائلة مدير شركة (آر. هـ. لوري) في رحلة لها باليخت حيث شاهدوا الوحش على مقربة منهم مدة ربع ساعة واخذوا له بعض الصور الفوتغرافية. ظنوا في باديء الامر انه الوحش قادم اليهم وعلى وشك الاصطدام بهم لكنه غير

اتجاهه وتواري عن الانظار. وتقدم السيد بيتر سكوت وريتشارد فتر من جمعية فونا للوقاية بطلب الى عضو البرلمان، ديفيد جيمس، وناشداه لمساعدتهما في الحصول على عون حكومي لاجراء محاولة لمعرفة ما هو موجود فعلاً في بحيرة نيس. قررت هيئة المحلفين، في نيسان ١٩٦١ ، ان هنالك ادلة كافية لاجراء تحقيق حول بحيرة نيس وكانت نتيجة ذلك تشكيل (مكتب للتحقيق في ظاهرة بحيرة نيس) وهو مؤسسة خيرية، وفي تشرين الاول تم نصب اثنين من الانوار الكاشفة لمسح البحيرة كل ليلة مدة اسبوعين فكشفت ذات يوم جسماً يشبه الاصبع بطول ثماني اقدام يقف فوق الماء. قام فريق آخر، في عام ١٩٦٢ ، باستخدام السونار وصوروا عدة اجسام ضخمة وكانت تسجيلات السونار قد سبقت ظهور الوحش من سطح الماء. اخضع الفلم في عام ١٩٦٦ للتحليل في استخبارات القوة الجوية التي اشارت الى ان الجسم المصور هو بالتأكيد ليس بزورق أو غواصة ثم اخضعه للتحليل خبراء وكالة ناسا في جهاز تعزيز الصورة الكترونياً واكتشفوا ايضاً ان هنالك جزأين آخرين من الجسم اخترقا سطح الماء قرب الحدبة الرئيسة. ظهر، في آب ١٩٦٢ ، صياد آخر للوحش وهو (أف. و. هوليداي) الذي اوقف شاحنته قرب البحيرة في الشاطيء الجنوبي قبالة قلعة (اركوارت) وعندما حل المساء تملكه شعور ان بحيرة نيس ليس مكاناً اعتيادياً للتسكع، وبعد ليلتين تناهى الى سمعه، في سكون الليل، صوت تصادم الامواج وهي تتكسر على الساحل الصخري بالرغم من عدم وجود صوت محرك زورق، وبعد يومين تمكن من رؤية اول مشهد للوحش فعندما كان على قمة تل قريب من البقعة التي صور فيها (دنسدل) شريطه عام ١٩٦١ رآى، على حين غرة، جسماً اسوداًمتلألئاً يرتفع عن الماء بثلاث اقدام ثم غاص بحركة تشبه عوم فرس النهر وما برح يشاهد هيئة الحيوان فوق الماء وقدر طوله بنحو من ٤٥ قدماً فاضطر الرجل الى الطرق على أحد الدعامات المجاورة فاختفى المخلوق، ومنذ ذلك الحين طفق هوليداي يتردد الى البحيرة كل عام ولكن لم يحالفه الحظ

طيلة عـامي ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ثم شـاهده مـرتين في عـام ١٩٦٥ ففي المرة الاولى رآه يـبدو كـقـارب مـقلوب من ثلاثة مـواقع مختلفـة وعندما اسرع بسيارته بمحاذاة البـحيرة شـاهده بشكل افـضل، خلص بعدها الى نتيجة عن طبيعة الوحش وهي انه ببـساطة ليس الا نسخةً عملاقةً من يرقة الحدائق المنتشرة التي هي من اسلاف الحبـار أو الاخـطـبـوط. وبرهن هوليـداي، في كـتـابه الموسـوم (دودة بحيرة نيس العظيـمـة) ان الوحش هو نوع من «الفـريغـاريوم» الذي هو مخلوق يشـبه الى حد قليل الغـواصـة وذو ذيل عـريض واعـتقد ايضاً ان هذه الوحوش كانت في السابق اكـثـر وفـرةً في الجـزر البريطانيـة واشـتهرت بانها ديدان وانها سبب اسطورة التنين وفي الكتـاب صـورة فـوتوغـرافـيـة لشـبـه جزيرة تدعى (رأس الدودة) في (ساوث ويـلـز) ويقـول انها سـميت بهذا الاسم لأنها تشـبـه دودة الاسطورة ودودة بحيرة نيس. قـابل هوليـداي، في عـام ١٩٦٣ ، اثنين من صـيـادي السـمك شـاهدا الوحش من مـسـافـة (٢٠) أو (٣٠) ياردة وقـال احـدهـم ان رأس الوحش ذكـره برأس الكلب البلدوغ الضـخم حيث كان عريضاً وبشعاً جداً ويعلو رقبته هدب يشبه الشعر الاسود الخشن.

اشـار هوليـداي، في خطابه الى دنسدل، قائلاً: «عندما يصادف الناس هذا الحيوان المثير عن كثب يتملكهم الرعب، ثمة شيء غريب في وحش نيس، ليس بذي صلة بحـجـمـه أو مظهـره. امرغـريب، اليس كـذلك؟» لقـد اثار الوحش فـضـول العـديد من الناس الذين شعروا بالرعب عندما لمحوه. ترى لماذا ترتبط القناني والديدان غـالبـاً بالطاقـات الشريرة في ميـثـولوجيا القرون الوسطى؟ اخذ شـعـور هوليـداي يتـفـاقـم فليس من قـبيل الصدفة ان تكون الوحوش صعبة على التـصـوير الفـوتوغرافي. وذات مرة اختفى الرأس الذي يصوره حالما وضع اصبعه على زر آلة التـصـوير. . . . وفي هذه الحالة أما أن الوحوش تمتلك شعوراً تخاطرياً بالحـذر من ترصـد الانسـان أو ان لها علاقة بما يسميه يونغ التزامنية أو التصادفية

المقصودة. وسبق لهوليداي، المراسل الصياد، ان شاهد الاطباق الطائرة ومكنسة الشبح الضاج واثار اهتمامه ان دار (بولسكن) الكائنة قرب فيورز كان يستأجرها الساحر المشهور اليستر كرولي في السنوات الاولى من القرن العشرين والذي كان متدرباً لإجراء طقوس (ابراملين) السحرية المطولة، وادعى كرولي نفسه ان البيت كان يعج بالارواح الوهمية عندما كان يجري الطقوس التي تستمر شهوراً عدة حيث كانت هذه الارواح تدفع سائق السيارة الى معاقرة الخمر وتدفع المتبصر الى المتاجرة بشرفه، وقد فشل كرولي في اتمام الطقوس. . . ويرى هوليداي ان الحظ العاثر قد رافقه منذ ذلك اليوم وبرغم انه لم يصرح بها فانه كان يستمتع بالشك الذي يحوم حول الوحش من ان كرولي قد سحره، وكان يعتقد انه ضرب من التطابق أو التزامن الذي يعاود ظهور مخلوق مرتبط بروح شريرة قرب دار (بولسكن) في (فويرز) ويعتقد ان الغرابة في الموضوع ان يعثر طلبة امريكان قاموا باكتشاف مقبرة قرب دار (بولسكن) على نسيج مزخرف ومواقع محار تحت لوح احد القبور. والنسيج، الذي قد يكون من اصل تركي، قد طرزت فيه رسوم مخلوقات تشبه الدودة ولم يعلوه العفن الفطري مما يوحي انه قد دفن منذ امد قريب ويشك هوليداي انه قد تم استخدامه في بعض الطقوس السحرية وان هذه الطقوس الغيبت على حين غرة عندما دخل شخص ما فناء الكنيسة ويبدو الامر كأن سحراً اسود لم يزل يمارس قرب دار (بولسكن). ذهب هوليداي، بعيد ذلك، لتناول العشاء مع صديق له قرب بحيرة نيس وقابل هناك امريكياً يدعى الدكتور (دي) الذي كان في انكلترا يفتش عن شجرة عائلته فأخبره الدكتور (دي) انه اكتشف ان احد اسلافه في العصر الاليزابيثي يكنى بالاسم نفسه وثمة مصادفة اخرى وهي ان (جون دي) الساحر الاليزابيثي قد نشر طقوس «ابراميلين».

ووصف هوليداي، في رسالة كتبها إلي في عام ١٩٧١ ،انه وجد نفسه في

احد الايام يشاهد كلمة (دي DEE) بحروف صفراء كبيرة حيث كانت (البلدوزرات) المنهمكة في توسيع الطريق قد قشطت التربة المنسابة الى البحيرة وشكلت التربة الصفراء النصف العلوي من الحروف بينما شكل انعكاس النصف الاعلى من المياه الساكنة، الجزء السفلي من الحروف. وخلص هوليداي الى استنتاج غريب حول وحش البحيرة حصل نتيجةً لتحقيقات اجراها في ايرلنده عام ١٩٦٨ حيث تظهر وحوش كثيرة في البحيرات في «غالواي» تماثل الى حد بعيد وحش بحيرة نيس شاهدها اناس ثقاة منهم اثنان من القساوسة. وفي احدى المرات اخفق هوليداي، بعد مضي اسبوعين من المراقبة الدقيقة التي بلغت محاولة اصطياد الوحش بشبكة في بحيرة «ناهوين»، في العثور على اي دليل على وجود الوحوش وما حيره ان البحيرات الايرلندية اصغر جداً من اعالة وحش بطول خمس عشرة قدماً وشرع يسأل هل كان المخلوق كائناً من لحم ودم؟. يعتقد يونغ ان الاطباق الطائرة هي تصور من العقل اللاواعي للانسان وان الانسان المعاصر يحاول اعادة خلق الرموز الدينية المفقودة ويسأل هوليداي أيعقل ذلك؟ أيعقل ان وحوش البحيرة هي ضرب من التصور؟ لقد تخلى هوليداي، بحلول عام ١٩٧١ ، عن فكرة ان وحوش البحيرة هي مجرد بقايا ما من قبل التأريخ ثم عاد الى وجهة النظر الشاذة التي تفيد ان ثمة تأثير في العمل يحول دون التوصل الى حل نهائي للغز تماماً كما هي الحال في الاطباق الطائرة، بيد أن هذا الرأي نال قسطاً من التأكيد في عام ١٩٧٢ عندما اطلع على مناظرة صحفية بين رجل الدين (دونالد اوماند) وخصم يعتقد ان وحش نيس هو مجرد حيوان مجهول الهوية، كان (دونالد) قد ورث من اسلافه حاسة الاستبصار (التنبؤ) ولا يساوره ادنى شك في حقيقة وجود الطاقات الشريرة أو المؤذية وغالباً ما كان يتعوذ للتخلص منها وقد لمح الوحش اول مرة في بحيرة «لونغ» في روس شاير عام ١٩٦٧ ، وفي حزيران ١٩٦٨ كان يقود زورقه في فيورد بالنرويج وشاهد وحشاً آخراً ميمماً شطره فاخبره القبطان النرويجي الذي كان

برفقته الا يخاف قائلاً: «لن يتعرض لنا، فهم لايؤذون احداً». وفي الحقيقة ان الوحش قد غاص قبل ان يصل الزورق بيد ان القبطان «جان اندرس» كان مقتنعاً ان هذه الوحوش شريرة اصلاً وانها تسبب الاذى لشخصية الانسان أو الى روحه كما يقول دوماند.

حضر دوماند، في عام ١٩٧٥، مؤتمراً للطب النفساني تحدث فيه طبيب نفساني سويدي بارز عن وحش بحيرة «ستور سجون» وذكر انه على قناعة ان هذه الوحوش ذات تأثير حاقد في الكائنات البشرية خاصةً في اولئك الذين يصطادونها أو يتصيدوها بانتظام ويعتقد ان تأثيرها قد يسبب مآس داخلية وانحطاط خلقي لذلك آمن اوماند بالنظرية القائلة ان وحوش البحيرات ربما ليست بمخلوقات حقيقية وانها اسقاطات لشيء من زمن ما قبل التاريخ . . .
كتب هوليداي رسالةً الى اوماند وكانت النتيجة ان مضى الاثنان الى بحيرة نيس في حزيران ١٩٧٣ وجدفا معاً وسط البحيرة واستعوذ اوماند للبحيرة وذكر هوليداي انهما شعرا بالاعياء عندما انتهت التعويذة وتعززت شكوكه في وجود قوى خطيرة. وبعد يومين مضى هوليداي لقضاء ليلة مع قائد جناح متقاعد يدعى كاري وشرع يتحدث لزوجة كاري عن صحفي سويدي يدعى (جان اوف سند برج) الذي كان يتجول في غابات خلف فويزر وشاهد مركبةً غريبة في فسحة خالية من الاشجار وبعض الرجال غريبي المظهر ثم اقلعت بسرعة كبيرة وعند عودته الى السويد ازعجه رجال يرتدون الملابس السود ويدعون انهم موظفون وغالباً ما يضايقون اولئك الذين على اتصال بالصحون الطائرة، ويقول هوليداي انه قرر الذهاب لرؤية محط المركبة وحذرته السيدة كاري من ذلك وفي تلك اللحظة طرق سمعيها صوت ضارب يشبه الاعصار خارج النافذة وموجات من الضربات العنيفة وثمة شعاع من الضوء دخل من النافذة وتركز على جبهة هوليداي، وبعد هنيهة سكن كل شيء والغرابة في الامر ان السيد

كاري الذي كان يصب الشراب على مسافة اقدام قليلة من زوجته لم يسمع أو لم يشاهد شيئاً. وفي صبيحة اليوم التالي شاهد هوليداي، وهو يسير صوب البحيرة، رجلاً متشحاًبالسواد، بما فيها نظارة وخوذة، ويقف بالقرب منه وعندما اجتازه التفت وشاهد ما أدهشه فلقد توارى ذلك الرجل فاسرع هوليداي الى الطريق ناظراً في كل الاتجاهات فلم يكن ثمة ملتجيء يمكن ان يقصده الرجل. وفي السنة التالية اصيب هوليداي. في نفس المنطقة تقريباً، بنوبة قلبية وعندما نقل بعيداً نظر في جانب النقالة انهم قد اجتازوا لحظتئذ البقعة المحددة التي رأى فيها الرجل المتشح السواد. وبعد خمس سنوات توفي هوليداي متأثراً بنوبة قلبية. وقبل وفاته بسنة تقريباً ارسل لي نسخة مطبوعة على آلة كاتبة من كتابه «عالم الجن» الذي حاول فيه تبرير المشاهد الغريبة التي جمعها تدريجياً منذ شروعه بتصيد وحش نيس وقد ناقشها في كتابه الثاني «التنين والقرص» الذي يربط فيه بين اقراص الصحون الطائرة والديدان كرموز للخير والشر ثم ادهشني انه غير رأيه في نشر الكتاب وأشك ان وراء ذلك سببين، فقد كان فريق التحقيقات من اكاديمية العلوم التطبيقية في مؤسسة (ماسا شوست) للتكنلوجيا، برئاسة الدكتور روبرت. هـ. راينز، قد التقط صوراً فوتوغرافية متميزة تحت الماء في عامي (١٩٧٢ - ١٩٧٥) وظهر في احدى صور عام ١٩٧٢ جسم واضح يشبه الزعنفة الكبيرة ربما بطول ثماني اقدام بينما ظهر في احدى صور عام ١٩٧٥ مخلوق واضح طويل الرقبة وله زعنفة امامية وكان هذا امراً مؤثراً ذلك ان دليل السونار الذي هو موجات فوق صوتية متعكسة ومرتدة من المخلوق اوضح ان هذا ليس خطوطاً صوتية أو قطعة حطام طائفة أو طفيليات بحيرة. وربما خشي هوليداي، في الوقت الذي فكر بنشر كتابه «عالم الجن» من احتمال تخطئة افكاره بظهور برهان جديد يثبت الوجود الحقيقي للوحش بعيداً من كل الشكوك، وخلاصة كتاب «عالم الجن» لم تكن دقيقة كما يجب فقد كان يحاول تفسير تغير وجهات نظره بشكل مروع منذ عام ١٩٦٢ وقضى وقتاً طويلاً يمعن النظر في

الخوارق، وعلى اية حال قرر الا ينشر الكتاب. وكتب نسخة مطبوعة اخرى عن وحوش البحيرات (نشر كتاب «عالم الجن» مؤخراً في امريكا) وهذا تفسير لفعاليات هوليداي قد يبدو على درجة من الاستطراد، ويوضح، في الوقت ذاته، المعاناة الكبيرة التي تحملها صيادوا الوحش في السبعينات والثمانينات وعندما كتب غولد كتابه عام ١٩٣٤ بدا مفتاح حل مشكلة الوحش وشيكاً لكنه استبعد بعد ذلك وكان كتاب كونستانس وايت قد انعش موضوع اللغز، وعندما اشترك مكتب تحقيقات بحيرة نيس مع فريق اكاديمية العلوم التطبيقية وقاموا باستخدام احدث التجهيزات العلمية لاح اللغز كأنه يوشك ان يحل الى الابد، ولم يستقر الامر الى دليل قاطع حتى وقت كتابة هذا الكتاب، اي بعد احد عشر عاماً على الصورة المتميزة للوحش تحت الماء. اختتم نيكولاس ونشل كتابه «قصة بحيرة نيس» عام ١٩٧٥ بفصل عنوانه «الحل» وصف فيه بهجته عندما اتصل به راينز من امريكا ليصف له الصورة الملونة للوحش قائلاً: «سيفقد العالم، مع التصديق الرسمي لاكتشاف الحيوانات في بحيرة نيس، احد اكثر الغازه شيوعاً»، واوضح انه من غير المقبول الان الاعجاب بقصر نظر المؤسسة العلمية لنظرتها المتشككة نحو بحيرة نيس. ويتضح اليوم ان ونشل كان متعجلاً في رأيه فما انفك اغلب الناس يعدون قضية وجود الوحش قائمة وما برح غالبية العلماء يعتبرون الموضوع برمته ضرباً من المزاح. وفي عا ١٩٧٦ نشر ردي ماكال، مدير مكتب تحقيقات بحيرة نيس وبروفسور علوم الاحياء في جامعة شيكاغو، أكمل التقييات العلمية واكثرها اتزاناً حتى ذلك الحين بعنوان «وحوش بحيرة نيس» وتفحص بدقة بالغة البراهين ومع ذلك خلص الى انه قد ثبت الان ان كائنات من الحيوانات المائية تقتات على الاسماك في بحيرة نيس، واذا كانت المؤسسة العلمية راغبة في تغيير رأيها فلابد ان يغيرها هذا الكتاب بالرغم من عدم ظهور تأثير فعلي، واتضح شيء واحد وهو ان تشاؤم هوليداي من الوحش ليس له ما يبرره وحتى في الوقت الذي كتب فيه كتابه «التنين والقرص» كان راينز يلتقط

احسن الصور الفوتوغرافية للوحش داخل الماء. وهكذا يلوح ان ثمة سبباً يدعو الى الاعتقاد ان العالم سيتمكن في نهاية المطاف من حل قضية اثبات وجود الوحش بشكل لاترقى اليه الشكوك وتتلخص معضلات الامساك بالوحش سواء في فلم أو شبكة في الوصف الذي كتبه دينس ستامي من سان انتونيو في ولاية تكساس عن مصادفته لـ (وحش نيس):

«ذهبت في عام ١٩٧٢ الى البحيرة للبحث عن وحش نيس وكانت فكرتي ان أخيم بمحاذاة الشاطيء لما يقارب الأسبوعين واشاهد ما يمكن مشاهدته وكان يساورني شعور فطري بالثقة اني سأرى الوحش والتقيت ببعض طلبة جامعة اكسفورد الذين كانوا يمضون عطلتهم هنالك وبقيت معهم قرب (درومنا روشيت) وكنت في كل يوم اخطف آلة التصوير وأيمم شطر حافة البحيرة واشاهد المناظر الخلابة ما خلا احد الايام الذي كان فيه الجو بارداً وكثير الرذاذ حيث سرنا جميعاً بين اشجار الصنوبر وتجولت بعدها برفقة طالبة مبتعدين عن الآخرين واتجهنا صوب البحيرة وبينما نحن تحت الاشجار صفت السماء بشكل ليس له نظير وسكنت الريح وعندما بلغنا البحيرة كانت السماء صافية كالمرآة وظهر وحش بحيرة نيس، على بعد ثلاثة ارباع الميل عبر البحيرة، برقبته التي يقارب طولها ستة اقدام ورأسه فوق الماء وثبتنا فوق صخرة صغيرة واطئة مطلة على الطريق وشاهدناه معاً في اللحظة ذاتها وتعثرنا حتى تصادمت اكتافنا ونحن نشير اليه وكل منا يقول للآخر: «انظر! هل ترى الذي اراه؟» كانت آلة التصوير قياس ٣٥ ملم ليست معي أما مرافقتي فقد كانت تحمل آلة تصوير صغيرة من طراز رخيص وكان الوقت مناسباً لأخذ لقطة ولكن كل ما ظهر في الصورة اثر ابيض في الماء على بعد مائة قدم تقريباً خلفه وحش نيس «او مهما كان ذلك» الذي ظهر واضحاً ازاء انعكاس صور الاشجار الاسود في الجهة المقابلة من البحيرة. انه نيسي نفسه وكان رأسه على شكل زاوية كما وصفوه ويقول البعض

انه يشبه الحصان وله شكل الوتد وانه اشبه برأس الافعى ذات الاجراس على شكل خرطوم مربع ينحرف الى الخلف بشكل واضح نحو الفكين وطول الرقبة فوق الماء بما فيها الرأس خمس الى ست اقدام والانطباع الذي يؤخذ عنه كالانطباع الذي يؤخذ عندما تنشر الافاعي والعناكب روائحها الخاصة التي ليس فيها خطورة على احد كقوة، والذي اعنيه انه قد خلف فعلاً اثراً في الماء وهو يرفع موجة صغيرة على كل جانب من رقبته وبين الفينة والاخرى يرفع رأسه الى الاعلى ويخفضه الى الاسفل ثم يحني رأسه. كان يلتهم طعاماً حيث ينزل الجزء الاسفل من الفك الى الماء مباشرةً بيد انه في الحقيقة ابعد من ان يتم التأكد من ذلك بشكل مطلق وعندما يناور بالحركة فان الرأس يلوح للعيان متأرجحاً من جانب الى آخر. كان يعوم عندما شاهدناه اول وهلة وبعد ما لا يزيد على الدقيقة غاص بسهولة الى الاسفل في الماء كالشخص النازل في ممر دائري للتزحلق على الثلج أو كما تغطس الغواصة في الماء». وكل الكلام الذي سبق هو رسالة الى المؤلف (كولن ولسن) بتأريخ ٢٠ ايلول ١٩٨٠ ويشير هوليداي ان بعض النقاط التي وردت في هذه القصة تعزز آراءه المشابهة لأراء يونغ، كان دينس ستاسي قد توقع ان يرى الوحش ولكن الحظ لم يحالفه عندما كان يجوب البحيرة بآلة تصويره، وصادف في احد الايام ان قرر ترك عملية المراقبة ويقيناً ان الوحش كان يمارس احد لعب يونغ في الاختفاء ومع ذلك فكلنا يساوره الشعور ذاته في ان هنالك ايام سعيدة وايام غير سعيدة وكل شيء يسير على ما يرام أو العكس، وتخبرنا الفطرة ان هذا شيء غير موضوعي فوجهة النظر التشاؤمية توقظ مستوى جديداً من الحذر والاحتراس يعجل في حدوث المشاكل ويتضح من رواية ستاسي أو روايات الآخرين في الصفحات السابقة هو ان مخلوق بحيرة نيس يظهر على سطح الماء بشكل متكرر وخاصة في الايام الهادئة ومادام العلم قد ابتكر وسائل للكشف عن وجود الطائرات والقذائف المسيرة بمحرك نفاث وهي في الجو وعن الغواصات وهي تحت الماء فيقيناً انه من السهل تصميم نظام

للكشف عن كل الاجسام التي تتحرك على سطح بحيرة نيس في الايام الهادئة وتصويرها بشريط. . . واليوم في عصر اشعة اليزر والمراقبة الالكترونية يلوح من غير المفيد ان ننتظر فرصة مشاهدة الوحش كالتي وصفت في اعلاه ويتضح ايضاً ان محاولات اصطياده بواسطة الزوارق التجارية والغواصات والطائرات المروحية والانوار الكاشفة هي فاشلة بحد ذاتها ما دامت تسبب ازعاجاً يدفع المخلوقات للاختفاء في البحيرة. . . وعندما يتم تحديد هوية الوحش وتصنيفه علمياً فانه يقيناً سيكون ثمة ضرب من الهبوط المفاجيء وستفقد بحيرة نيس اكثر صناعتها السياحية في ضربة واحدة ونصف الاثارة في الوحش تعود الى فكرة انه مرعب وخطر وفي الحقيقة ان كل الادلة قد اشارت الى ان الوحش مثل الحيوان الاسطوري «الحوت القاتل» سيثبت في النهاية انه خجول وانيس وهاديء ولا يؤذي الانسان.

فولكانيلي والغاز السيمياء

ظهرت في باريس، في خريف عام ١٩١٦ ، طبعة محدودة من كتاب موسوم «لغز الكاتدرائيات» سمي مؤلفه في صفحة بـ فولكانيلي فقط وقد كتبه رجل يدعي انه يمتهن السيمياء (الكيمياء القديمة) فكان كتابه هذا في صيغة خطاب وجهه الى اتباعه السيميائيين. وفحوى نظريته ان الكاتدرائيات القوطية ليست مجرد معابد للديانة المسيحية وانما «كتب من حجر» تحتوي صفحاتها على اسرار الكيمياء ورموزها ويرى فولكانيلي ان كلمة قوطي ليست مشتقة من الشعب الجرماني المعروف بالقوطي وانما من كلمة (اركون) التي تعني اللغة التي يستخدمها اولئك الذين لايرغبون في ان يفهم الاخرون كلماتهم.

شرح في فصول الكتاب الآخر «الاسرار الحجرية» لكاتدرائيات نوتردام داميتز وبوركز، وكتب مقدمة الطبعة الاولى شخص يدعى (يوجين كانسليت) اوضح فيها ان سيده، مؤلف الكتاب، مختف الان، فهذا الانسان الذي بلغ من المعرفة اوجها، لايمكنه ان يعصي اوامر القدر: «لافولكانيلي بعد اليوم».

يشكر بعدها كانسليت الفنان جوليان شمبان الذي انتدبه سيده لتخطيط الرسوم التوضيحية لكتابه. وبالرغم من نشر الكتاب في طبعة من ثلاثمائة نسخة فان شهرته قد اضطردت في الانتشار الامر الذي تطلب نشر طبعة اخرى في عام ١٩٥٧ . اعترف كانسليت في مقدمته الجديدة ان فولكانيلي هو اسم مستعار اختاره سيده لاخفاء هويته وقد استشهد برسالة طويلة من فولكانيلي الى سيده يهنئه فيها على تحقيقه اخيراً (هدية الرب) أو العمل العظيم وهو حجر الفلاسفة في السيمياء. وعندما ترجم الكتاب الى الانكليزية في عام ١٩٧١ تضمن مقدمة اخرى كتبها ولتر لانك وهو الاسم المستعار لادوارد كامبل اعلن فيها انه قابل كانسليت وعلم انه قد شاهد فولكانيلي بعيد حادثة اختفائه في عام ١٩٢٢ وبالرغم من ان المقابلة تمت بعد ثلاثين سنة من الاختفاء فان كانسليت يذكر ان

سيده كان يبدو اصغر بثلاثين سنة من آخر مرة رآه، كان فولكانيلي، في عام ١٩٢٤ ، في العقد الثامن من عمره والان يبدو بعمر الخمسين والاغرب من ذلك ان فولكانيلي يرتدي زي امرأة في هذه المرة. وفحوى القصة ان كانسليت تسلم اخطارات من فولكانيلي وقام برحلة الى هضبة في الجبال حيث استقبله هنالك فولكانيلي بزيه النسائي الاعتيادي.

وبعيد ايام نزل كانسليت، مع تباشير الصباح الباكرة، ووقف في الباحة فشاهد مجموعة من ثلاث نساء يرتدين ازياء القرن السادس عشر وعندما مررن بالقرب منه ميز من بينهن فولكانيلي وتذكر كانسليت ان احد الرموز الاساسية للسيمياء هو التخنث الذي يستخدم في بعض الاحيان رمزاً «للعمل المتكامل» الذي هو الحصول على حجر الفلاسفة.

ترى هل اخبره فولكانيلي انه قد حقق الان هدف الحياة؟. عندما ظهر كتاب (لغز الكاتدرائيات) باللغة الانكليزية كان فولكانيلي قد بلغ منزلة اسطورية كما هو حال (الكونت دي سانت جيرمان) وذلك كان يعزى بشكل كبير الى الدور الذي لعبه في عمل اكثر رواجاً وهو كتاب (صبيحة السحرة) الذي ألفه لويس بولز و جال بيرغر في عام ١٩٦٠ وقد ادى بشكل كبير الى احياء السحر في الثلاثينات. يقول بولز ان صديقه بيرغر افضى لأستاذه عندما كان يدرس الكيمياء في عام ١٩٣٣ عن رغبته في دراسة السيمياء لكن طلبه هذا رفض على الفور فادعى الطالب ان احد اشكال السيمياء -الطاقة النووية- يمكن التوصل اليها لكن الاستاذ اكد له استحالة الامر ومع هذا واصل بيرغ دراسة السيمياء. عمل بيرغ من عام ١٩٣٤ حتى ١٩٤٠ مع اندريه هيلروتر الفيزيائي البارع الذي توفي في (بوشنولد) ولم يصادف بيرغر من بينهم أي كيميائي حاذق... ان الرجل الذي نتحدث عنه قد اختفى في وقت سابق دون ان يخلف أي اثر ملموس يشير الى انه يحيا سراً وقد انقطع كل اتصال بينه وبين القرن الذي عاش

فيه.. ولا يظن بيرغر الا انه الرجل الذي كتب، مستعيراً اسم فولكانيلي، كتابين غريبين جديرين بالاعجاب هما «الفلاسفة» و «لغز الكاتدرائيات». يروي بولز كيف تهيأ لبيرغر، في ظهيرة أحد ايام حزيران من عام ١٩٣٧، انه في حضرة فولكانيلي وطلب هيلبروبر من بيرغر ان يقابل «السيميائي» في مختبره (غاسبورد) في باريس. اخبره ان بحوث هيلبرونر في الطاقة النووية كانت قاب قوسين او ادنى من النجاح ثم قال له:ـ ان البحث الذي تعمل انت وزملائك به محفوف بالمخاطر الرهيبة لكل الجنس البشري فالنشاط الاشعاعي قد يسمم الغلاف الجوي المحيط بالكوكب وان غرامات قليلة من المعدن تنتج طاقة تكفي لتدمير مدينة عن بكرة ابيها. فالسيميائيون عرفوا ذلك منذ امد طويل. ثم التقط كتاب تفسير الراديوم لمؤلفه (سودي) وقرأ بصوت عال فقرة تقول ان الحضارات السابقة (اطلنطس) قد دمرها اشعاع ذري.

بيد ان الجزء الاكثر امتاعاً من الرواية هو اجابة السيميائي عن سؤال بيرغر حول طبيعة بحوثه فهو يقول:

«استطيع ان أروي لك الكثير عن هذا: فمثلاً انت تدرك ان دور المراقب العلمي في العالم الرسمي هذه الايام يزداد اهميةً يوماً بعد آخر.. وسر السيمياء ان ثمة طريقة لمعالجة المادة والطاقة لانتاج ما يسميه العلماء المعاصرون (حقل القوة) هذا الحقل يخدم المراقب العلمي ويضعه في موضع مميز ازاء الكون ومن هذا الموضع يكون على مقربة من الحقائق التي يخفيها عنا الزمن والفضاء والمادة والطاقة وهذا ما نسميه (العمل العظيم) ولكن ما قولك في حجر الفلاسفة وتزوير الذهب؟ هذه مجرد تطبيقات وحالات خاصة».

الشيء الاساس ليس تحويل المعادن الى ذهب وانما المهم هو الشخص الذي يجرب، وثمة سر قديم هو ان رجالاً قلة استطاعوا اجراء التجربة مرةً في القرن.

اشار جاك سادون، التلميذ المعاصر الاخر الذي يدرس السيمياء، الى الموضوع نفسه في كتابه (السيميائيون والذهب) ويقول: «ان مسحوق تحويل المعادن الى ذهب بمجرد تجربة تجري في نهاية (العمل العظيم) ليؤكد ان المادة التي انتجت هي حقاً حجر الفلاسفة... وهدفهم من تحويل المعادن الى ذهب هو تحويل انفسهم باخذ جرعة مماثلة من الحجر مرتين في السنة».

عندما يبتلع السيميائي هذه الجرعة يفقد كل شعره واظافره واسنانه لكنها تعاود النمو من جديد بشكل اقوى واصحى ويصغر سنه ولن يحتاج للطعام بالرغم مما قد يتناوله للمتعه.

يساور اغلب القراء المعاصرين الشك حول كل هذا وكان الكتاب الوحيد ذو الحجم الاعتيادي حول سيد كانسليت اللغز هو كتاب (ظاهرة فولكانيلي ١٩٨٠) لمؤلفه كينيت راينر جونسون الذي يقوض فيه كثيراً من الشك فهو يروي كيف اثارت في الثلاثينات كتب فولكانيلي «وخاصة كتابه الثاني (اماكن اقامة الفلاسفة) وهو توسيع لافكار الكتاب الاول» اهتمام طالب بدرس السحر يدعى روبرت امبلين فشرع يحاول اقتفاء اثره وطلب من الناشر جان شميث موافقته على الاستشهاد بكتب فولكانيلي في عمله الخاص «في ظلال الكاتدرائيات» وروى له شميث كيف زاره في مستهل عام ١٩٢٦ رجل قصير القامة طويل الشارب حيث أخذ يتحدث لـ شميث عن فن العمارة القوطي وادعى انه نوع من الرموز المعروفة (باللغة الخضراء) وواصل نقاشه حول ما تحويه تلك اللغة من تلاعب بالكلمات والالفاظ الامر الذي يدل فعلاً على العمق الفلسفي السحيق وانها اللغة العريقة للسيمياء «لغة الطيور» اي لغة المطلعين ثم انصرف ذلك الغريب.

ظهر كانسليت بعد اسابيع قليلة في مكتب شميث وترك عنده مخطوطة «لغز

الكاتدرائيات»، قرأها شميث وميز فيها اسلوب حديث الزائر السابق وقرر نشرها. وبعد مدة قصيرة زاره كانسليت ثانية ومعه الفنان جان جوليان شامبن المكلف بتخطيط الرسوم التوضيحية للكتاب. ميز شميث في وجه شامبن صورة زائره السابق واظهر كانسليت لـ شميث احترامه غير الاعتيادي واعجابه فيه مخاطباً اياه مرةً بـ (السيد) واخرى بـ (سيدي) واشار كانسليت ايضاً الى ان فولكانيلي هو شامبن وغالباً ما كان كانسليت يصر ان شامبن كان مجرد رسام ولكن هذا يتناقض ومقالة نشرتها مجلة السحر الشعبي وقد تضمنت وصفاً لرسم مزدان بالرسوم السيميائية، واعترف كاتب المقال ان الوصف كان بقلم شامبن نفسه وروى جولس بوشر، وهو الكاتب نفسه، قائلاً لأمبلن ان في حوزة شامبن علبة بسكويت تحوي مادة صمغية غالباً ما يستنشق منها شامبن الرائحة بعمق ويروي لـ بوشر ان فيها وصفة سحرية تمكنه من الحصول على (بصيرة حدسية في المعرفة التي يبحث عنها) وذكر بوشر ايضاً انه يقوم بتجارب الخروج من البدن عندما يريد ذلك. توفي شامبن في عام ١٩٣٢ في اواسط السنين من العمر وروت صاحبة الفندق السابق الذي كان يقيم فيه امبلن ان كانسليت وشامبن كانا يقيمان في غرف من شارع ٥٦ في روشورت وكان كانسليت يعامل شامبن باحترام شديد ويخاطبه بالسيد ولذلك فقد اتضحت النتيجة المنطقية وهي ان شامبن كان سيد كانسليت أي فولكانيلي. ولا يساور بوشر، الذي كان ايضاً تلميذ شامبن، اي شك أن شامبن وفولكانيلي هما الشخص عينه، وعندما كان شامبن يصحح في تجربة طبع كتاب «لغز الكاتدرائيات» كان ساخطاً جداً على الاخطاء المطبعية وقد اعيدت تجارب طبع الكتاب ثماني مرات باطلاع مؤلفها ويذكر بوشر ان شامبن كتب مقدمة الكتاب وطلب من كانسليت ان يوقعها باسمه. أما كانسليت فينكر كل هذا مدعياً ان شميث لم يقابل شامبن قط وانه هو الذي كتب المقدمة، ويجنح ايضاً نحو رفض ادعاءات بوشر حول معرفة شامبن جيداً، ولكن اذا كان شامبن وكانسليت هما اللذين لفقا شخصية

فولكانيلي بينهما فان الامر يغدو صعب الاستيعاب اذ لم يصر الشخص، الذي تجشم عناء ابداع اسطورة معاصرة لاتختلف عن اسطورة سانت جيرمان، ان الموضوع كله هو لغز غامض؟.

تبدو ادلة كينيث راينر جونسون عن هوية شامبن -فولكانيلي غير مقنعة ايضاً فهو يعتقد ان شامبن كان شخصاً معروفاً بمزاجه العملي وادمانه الكحول وثمة مثال عن روحه المرحة يرويه جونسون حيث اشار شامبن الى تلميذ ساذج في ان الخطوة الاولى في السيمياء هي املاء حجرته باكياس الفحم وبعد ان حمل التلميذ كيساً بعد الاخر وهو يصعد السلالم حتى لم يبق في الغرفة الا مكان سريره اخبره شامبن ان البحث عن حجر الفلاسفة هو مجرّد اضاعة للوقت ومن الافضل ان ينساه، وهذا ما يوحي ان مزاج شامبن هو صبياني وعنيف والشخصية التي يتحدث عنها جونسون لاتشبه مؤلف «لغز الكاتدرائيات» مما يثير حولها السؤال «لماذا ؟».

يبدو ان الانغماس في السحر و(الشعوذة) يتطلب مزاجاً خاصاً ويمكن ملاحظة ذلك في عدة حالات من باراسيلس وكورنيس اكريبا الى ماشرس واليستر كراولي، فكل هؤلاء لهم مزاج العبقري (الباحث عن الحقيقة) والمحتال الواثق من نفسه. وتفصح الروايات الحديثة ان الخبير الكبير، سانت جيرمان، كان تافهاً وثرثاراً ومتكبراً ويبدو ان هذا الامر سائد بين هؤلاء الخبراء بدون استثناء.

ولكن هل هذا يعني ان السيمياء يمكن اعتبارها ضرباً من الخيال أو اضاعة للوقت؟ والجواب الفطري الصحيح سيكون، ودون شك، ايجاباً ولكن الفطرة قد تقودنا بسهولة الى الخطأ كما هو الحال عندما تخبرنا ان الشمس تدور حول الارض أو ان المادة صلبة. ودراسات يونغ في السيمياء قادته الى نفس النتيجة

التي توصل اليها السيميائي الغامض (بيرغر) وهي ان الغرض الاساس من السيمياء هي تحويل نفسه، وبعبارة اخرى انها مثل رياضة اليوغا والتصوف اي انها ضرب من التهذيب الروحي، والفرق الاساس بين يونغ وفرويد ان فرويد يعد العالم مقسماً الى اناس مرضى و (طبيعين) بينما كان يونغ مولعاً على الدوام بالناس (فوق الطبيعين) -القديسين والعباقرة- واراد ان يجد علاقة ترابطية بين ذلك في السيمياء، وكما فعل بعض الباحثين في السابق راح يعدها (ديناً غامضاً) ولكنه توصل، بعد دراسة مناهج السيمياء الغامضة عدة سنوات ومحاولته تفسيرها وكأنها مليئة برموز الاحلام، الى النتيجة المخيبة وهي ان السيميائي يظهر في تجاربه ما تتسلط عليه من افكار كما هو الحال عندما يترآى لنا اشكال الوجوه في الغيوم وبهذا تصبح السيمياء نوعاً من المرآة يرى فيها اعماقه المخفية، وبمعنى آخر انها ضرب من خداع النفس اللاواعية. توصل يونغ في عمله الاخير عن التزامنية الى بعض المفاتيح الحيوية لهذه المعضلة ويقصد يونغ بالتزامنية التوافق الهادف ومثال على ذلك عندما نسمع اول مرة اسماً ثم يطرق سمعنا ست مرات في الاربع والعشرين ساعة التالية تماماً كأن القدر يحاول ان يؤكد لنا اننا حفظناه عن ظهر قلب وقد بذل يونغ جهداً لايجاد تفسير علمي لمثل هذه التوافقات. تحدث بعدها عن (مبدأ الترابط السببي) وعن مبدأ اللادقة عند هايزنبرغ.

ويقول بعض النقاد ان يونغ يحاول فقط وضع افكار (سحرية) في اطار مصطلحات علمية، ولكن المتفق عليه ان كلمة السحر (occultism) هي العبارة المنسوبة الى هرمز ترسمجنس الذي سمي باسمه فن السيمياء (Hermetic) وهذه العبارة هي:

«كما في الاعلى، في الاسفل» والتي تعني ان شكل الكون الاكبر يتكرر في الكون الاصغر للروح الانسانية. يستهل جاك سادون كتابه «السيمياء والذهب»

باقتباس ترجمة لما يسمى بـ (لوح هرمز الزمردي) الذي كتبه فولكانيلي قائلاً: «كما في الاسفل في الاعلى وكما في الاعلى في الاسفل. بهذه المعرفة وحدها تستطيع عمل المعجزات». وما يمكن ان ندعوه تفسير يونغ لهذا المبدأ هو ما يلي:

من البديهي ان الاحداث الخارجية تؤثر في عقولنا أو (ارواحنا) ولكن قد يكون المبدأ الاساس للسحر هو ان الروح الانسانية تستطيع ان تؤثر في الاحداث الخارجية ربما بواسطة عملية حث لاتختلف عن ملف الحث الكهربائي التي تقوم على المبدأ التالي: عندما يمر التيار الكهربائي في ملف الاسلاك فانه يولد (مجالاً كهربائياً) حول السلك وعندما يلف ملف اسلاك آخر بدوائر اكثر حول الاول فان تياراً قوياً جداً سيسري في الملف الثاني. فمثلاً تكون الاجهزة الكهربائية في الولايات المتحدة مصممة للعمل بقوة ١٢٠ فولت بينما تكون الفولتية في المملكة المتحدة ضعف هذا الرقم فلذلك لو اردت ان تستخدم آلة حلاقة امريكية في المملكة المتحدة أو العكس فأن عليك فقط ان تشتري محولة صغيرة أما ان ترفع الفولتية من ١٢٠ الى ٢٤٠ فولت أو تخفضها من ٢٤٠ الى ١٢٠ فولت. وهكذا يمكن تفسير قانون «كما في الاعلى، في الاسفل» في ان الروح البشرية في الظروف الصحيحة تولد ذبذباتها الذاتية في العالم المادي وإحدى النتائج هي التزامنية أو التصادفية وكذلك فان (محولة الدماغ) يمكن استخدامها في الغرض المعاكس اي لتخفيض التيار الحيوي الى مستوى اوطأ وهذه في الحقيقة مشكلة اغلب البشر فنحن نستخدم محولة الدماغ في طريقة خاطئة، وغالباً ما يسبب احساس غامض عام بالاحباط أو بالتشاؤم عملية حث (سلبي) في البيئة ونحن جميعاً اعتدنا الشعور نفسه بأن ذلك مجرد (يوم من تلك الايام) وكيف في ايام معدودة يبدو ان كل شيء يسير على غير ما يرام وعلاوة على ذلك ندرك جميعاً بالفطرة ان ذلك يعود الى آرائنا السلبية، ولكننا ننسب ذلك عادة الى الحظ السيء. وعكس هذا

الشعور أي ان الامور يسيرها القدر بالطريق الصحيح وبطريقة غريبة نوعا ما فان التفاؤل الذي يولده هذا الحدس يولد (السرنديبية) وفي مثل هذه اللحظات فاننا سنملك قبساً من البصيرة المثيرة: أي لو استطعنا ان نتعلم كيف نخلق هذا التفاؤل حسب ارادتنا لاستطعنا بطريقة أو باخرى تسيير الاشياء في الطريق الصحيح.

ويدرك كل فرد الوجه الاخر للعملة نفسها اي ان الناس المتشائمين الذين (يتوقعون الاسوأ) يستقطبون الى انفسهم بطريقة او اخرى الحظ السيء... ومع ذلك فان الشعور بأن المواقف العقلية الصحيحة تولد الحظ السعيد هو امر مقلق وغريب يبدو كأنه يغري القدر...

وكل هذا الذي اناقشه تضمنته نظرية يونغ في التزامنية وتضمنه ايضاً (قانون السيمياء) «كما في الاعلى في الاسفل» واذا كان هذا القانون ايضاً هو نقطة الشروع في السيمياء فمن الخطأ الاعتقاد ان السيمياء هي شكل مضلل من الكيمياء هدفها تحويل الرصاص الى ذهب ويتضح ان سادون كان مصيباً، فالتحويل هو رمز لشيء آخر. ولكن لو كان التحويل مجرد اسم آخر للبصيرة الغامضة التي ترادف التنوير فلماذا اذاً يضيعون الوقت بين الدوارق والبوتقات في المختبر؟ ويتجلى من المعنى الضمني ان السيمياء هي وسيلة كاليوغا وتعاليم زن (Zen) وربما اعتقد السيميائيون القدامى ان الرصاص يمكن تحويله بعملية كيميائية دقيقة لكن نظرائهم المعاصرين يعرفون ذلك بشكل افضل ويدركون ان السيمياء هي بالاساس رمز للحياة الفعلية التي نعيشها. يبدأ السيميائيون التقليديون بما يسمى المادة الاولى (التي يعتقد البعض انها الملح ويقول الاخرون انها التراب أو حتى الماء) والتي لابد من خلطها مع (نار سوية) وتسخن في اناء محكم الغلق ويجب قبل كل شيء ان يسود ثم يبيض ويمزج مع الزئبق (ولكن ليس بالضروري ان يكون زئبق السيميائي) ثم يذاب في حامض وبعد عملية

الشعور أي ان الامور يسيرها القدر بالطريق الصحيح وبطريقة غريبة نوعا ما فان التفاؤل الذي يولده هذا الحدس يولد (السرنديبية) وفي مثل هذه اللحظات فاننا سنملك قبساً من البصيرة المثيرة: أي لو استطعنا ان نتعلم كيف نخلق هذا التفاؤل حسب ارادتنا لإستطعنا بطريقة أو باخرى تسيير الاشياء في الطريق الصحيح.

ويدرك كل فرد الوجه الاخر للعملة نفسها اي ان الناس المتشائمين الذين (يتوقعون الاسوأ) يستقطبون الى انفسهم بطريقة او اخرى الحظ السيء... ومع ذلك فان الشعور بأن المواقف العقلية الصحيحة تولد الحظ السعيد هو امر مقلق وغريب يبدو كأنه يغري القدر...

وكل هذا الذي اناقشه تضمنته نظرية يونغ في التزامنية وتضمنه ايضاً (قانون السيمياء) «كما في الاعلى في الاسفل» واذا كان هذا القانون ايضاً هو نقطة الشروع في السيمياء فمن الخطأ الاعتقاد ان السيمياء هي شكل مضلل من الكيمياء هدفها تحويل الرصاص الى ذهب ويتضح ان سادون كان مصيباً، فالتحويل هو رمز لشيء آخر. ولكن لو كان التحويل مجرد اسم آخر للبصيرة الغامضة التي ترادف التنوير فلماذا اذاً يضيعون الوقت بين الدوارق والبوتقات في المختبر؟ ويتجلى من المعنى الضمني ان السيمياء هي وسيلة كاليوغا وتعاليم زن (Zen) وربما اعتقد السيميائيون القدامى ان الرصاص يمكن تحويله بعملية كيميائية دقيقة لكن نظرائهم المعاصرين يعرفون ذلك بشكل افضل ويدركون ان السيمياء هي بالاساس رمز للحياة الفعلية التي نعيشها. يبدأ السيميائيون التقليديون بما يسمى المادة الاولى (التي يعتقد البعض انها الملح ويقول الاخرون انها التراب أو حتى الماء) والتي لابد من خلطها مع (نار سوية) وتسخن في اناء محكم الغلق ويجب قبل كل شيء ان يسود ثم يبيض ويمزج مع الزئبق (ولكن ليس بالضروري ان يكون زئبق السيميائي) ثم يذاب في حامض وبعد عملية

تدعى (الاسد الاخضر) يصبح في النهاية احمر وهو حجر الفلاسفة. وبالنسبة لكل البشر فان المادة الاولى هي عالم تجاربهم اليومية فالمفاجآت السارة والمحفزات الطبيعية الممتعة وبريق (الاحساس بالعطلة) يمكن ان يحول التجربة اليومية الى ما يسميه جي. بي. بريستلي (البهجة) والى الشعور الغريب ان كل هذه الامور على ما يرام وعندما نعيش هذه اللحظات فاننا غالباً ما نجد انفسنا بازاء البصيرة ذاتها التي تبدو منافية للعقل وهي ان التجربة السارة التي قدمت البصيرة لم تكن ضرورية وكان علينا تحقيقها بالارادة. وكل العملية الكيميائية في السيمياء قد تبدو نظيرة لهذه التجربة. يشير كانسليت ان فولكانيلي لم يجرب قط (العمل العظيم) ربما اقتنع ان كل ذلك ممكن ويلوح ان هذ هي الخطوة الاولى في العملية التي ناقشها: خلق حالة التفاؤل والحالة الواقعية والذي تضمنته المناهج الكلاسيكية في السيمياء هو ان السيميائي لابد له بطريقة أو باخرى ان يعزز العملية الكيميائية بعملية نفسية ولا يتم التحويل الا عندما يتوصل السيميائي الى الحالة الذهنية الصحيحة أو (الحث الايجابي) والهدف الاساس من العملية ليس مجرد حجر الفلاسفة وانما الحالة الذهنية التي يمكن بها انتاج حجر الفلاسفة والغرض الاساس من العملية الكيميائية هو ان يدرك القائم بالعملية ان بمقدوره السيطرة على حالاته العقلية. واستخدام الرموز الجنسية في السيمياء قد يكون اشارة خفية الى ان اقرب الكائنات البشرية تتوصل الى هذه السيطرة بالاعتماد بشكل اساس على العنصر العقلي في العملية الجنسية. وعليه ليس هنالك ترابط آكان فولكانيلي موجوداً فعلاً أم انه كان جان جوليان شامبن أم ان كانسليت قد لفقه. ويدرك الخبراء انفسهم هذا المبدأ الاساس عندما يؤكدون على عدم ذكر اسم المؤلف ويلوح على كل المناهج التقليدية انها تتفق ان التحويل الفيزيائي هو شيء ممكن لا جدال فيه ومع ذلك يمكن اعتبار هذه النتيجة عرضية لاعلاقة لها بالموضوع ويصرح سادون ان هذا هو الذي يبين لنا لماذا لم يتجشم الكيميائي الناجح عناء تصنيع كميات ضخمة من الذهب.

المعجزات في سانت ميدرد

ان الاحداث الغريبة التي طرأت في كنيسة باريس الصغيرة في سانت ميدرد للفترة بين (١٧٢٧ و ١٧٣٢) تبدو صعبة التصديق ومنافية للعقل بحيث توهم القارىء المعاصر على انها من محض اختلاق، لكن هذا يبدو خطأ بسبب الوثائق الكثيرة بضمنها تفسيرات لدكاترة وقضاة وشخصيات اخرى ذات تأثير يشهد على عبقريتهم. ويقيناً ان المعجزات، قد حصلت دون ان يكلف أي طبيب أو فيلسوف أو عالم عناء الشروع في تفسيرها. استهلت سلسلة المعجزات مع مراسيم دفن فرانسوا دي بارس ديكون باريس في ايار ١٧٢٧ الذي كان يناهز السابعة والثلاثين من العمر، لقد كان يبجل كرجل دين يمتلك قوة في العلاج، وهذه القوة مهما تنوعت فلقد اسبغها عليه الله.

كان فرانسوا خليفة البشوب[١] كورنلس جنسن الذي علم ان ما ينقذ الرجال هي الرحمة الالهية وليست خاصة اعمالهم. سار حشد كبير في جنازته ذرف اكثرهم الدمع ووضعت الجثة خلف المذبح الكبير لسانت ميدرد وانطلق الحشد بعد ذلك واضعين الزهور على جثته.

ساعد احد الاباء طفله الاعرج على الانحناء على التابوت، وعلى حين غرة اصاب هذا الطفل اضطراب فبدا كأنه مريض. حاول البعض سوقه الى زاوية هادئة في الكنيسة لكن هذا الحشد توقف فجأة. فتح الولد عينيه ناظراً الى ما حواليه بدهشة ووقف بعدها منتصباً.

---

(١) البشوب(Bishop): مرتبة دينية اعلى من الاسقف وله سلطة وادارة على الاسقفية والكنيسة.

بانت على محياه ابتسامة ثم بدأ بالقفز الى الاعلى والاسفل والغناء والضحك مما اثار دهشة الحاضرين. وجد والده ان الامر لايصدق فالولد يستعين بقدمه اليمنى الملتوية الخالية من العضلات. ادعى بعد ذلك ان الساق قد اصبحت قوية شأنها شأن بقية السيقان الطبيعية للاخرين. انتشرت الانباء بسرعة فاندفع الى الكنيسة في ساعات قلائل العرج والجذم والحدب والعمي.

وفي البداية صدق حفنة من المحترمين قصص علاج المعجزات -فأغلب اتباع ديكون كانوا من الفقراء بينما استحب الاغنياء ان يتركوا القضايا الروحية في متناول اليسوعيين الاكثر تهذيباً ودنيوية. تبين بسرعة ان الجهل والسذاجة لايمكن استخدامها كغطاء لتفسير جميع قصص الاعاجيب فالاصابع المشوهة كانت تستقيم وتختفي الاورام الخبيثة وحالات السرطان دون أثر بينما توقفت الجروح والقروح الفظيعة.

اعلن اليسوعيون ان المعجزات كانت إما زيفاً او من عمل الشيطان مما حدا بالكثير من اثرياء باريس ان يرفضوا تصديق حدوث اي شيء غير اعتيادي في كنيسة سانت ميدرد. بيد ان بعض العقلاء قد ساقهم فضولهم فعادوا من الكنيسة وقد اعترتهم الدهشة وفي بعض الاحيان سجلوا شهاداتهم بينما حاول البعض مثل فيلب هاكوث تفسير هذه الاحداث بالاستعانة بالاسباب الطبيعية - هاجم الاخرون مثل بيني دكتن برنارد لويس دي لاتيست اولئك الذين فسروا الاعاجيب على اسباب بيولوجية ولكنهم عجزوا عن كشف اي خديعة أو خطأ يؤخذون عليه أو اي غلط من المشاهدين. ان تراكم الشهادات كان جد كثير بحيث اشار اليها ديفيد هيوم احد اعظم الفلاسفة في كتابه (تحقيق عن الفهم البشري) (١٧٥٨):

«من غير الممكن ان تعزى عدة معجزات الى شخص واحد ولكن الشيء

الغريب ان هذه المعجزات اثبتت حدوثها في المكان حالاً قبل ان يعاود القضاة الشقاة اختيار الشهادات التي ادلى بها شهود الثقة والتمييز في عصر متعلم. . . . فاين تجد مثل هذه الظروف الملائمة لحصول حقيقة واحدة؟».

ومن بين من حققوا في الحوادث محام يدعى لويس ادريان ديبيج وعندما اخبر صديقه القاضي لويس باسل دي مونتغيرن عما شاهده اكد له الاخير انه قد خدع بحيل الشعوذة، نوع من الحيل ينجزها السحرة في اراض مخصصة لهذا الغرض.

بيد انه وافق في نهاية المطاف على الذهاب مع ديبيج الى الكنيسة بهدف مشاهدة الطريقة التي خدع بها المحامي فانطلق في صبيحة السابع من ايلول (سبتمبر) ١٧٣١ . لقد غادر دي مونتغيرن الكنيسة وقد تغير حاله لانه ود لو يسجن على ان ينكر ما شاهده ذلك اليوم. الشيء الاول الذي شاهده القاضي عندما دخل الكنيسة عدد من النسوة منحنيات على الارض ويلوين انفسهن الى اشكال غاية في الترويع وبعض الاحيان ينحنين الى الخلف حتى تتصل مؤخرة رؤوسهن باقدامهن.

كانت النسوة يرتدين ثياباً تحتية طويلة مثبتة حول كاحلهن.

شرح ديبيج ان ذلك كان اجبارياً على جميع النسوة اللائي يرغبن بتعريض انفسهن لقوى ديكون المعجزة. وفي الايام الأول عندما اخذت النسوة بالانتصاب (الوقوف) على رؤوسهن أو انحناء اجسامهن بصورة متشنجة فان الشباب المتلهفين اخذوا بالتردد الى الكنيسة لمشاهدة المنظر. دهش مونتغيرن عندما شاهد الفتيات والنسوة يضربن بصورة سادية -كان هذا في الاقل ما ظهر اول وهلة.

كـان الرجـال يضربوهن بقطعـة صلبـة من الخشب والحديد بينما اضطجعت اخريات على الارض وقـد وضـعت عليـهن حمولة ثقـيلة. عـريت احدى الفتيات حتى منطقـة الخصر فأخذ احد الرجال يجر حلمتي ثدييها بملقطي حديد بصورة عنيفـة. قال ديبيج ان هؤلاء النسوة لم يشتكين الماً بل على العكس فان الكثير قد توسلن لضربات اكثـر وعولجت الكثير منهن من الامراض والتشوهات بمثل هذه الطريقـة الرهيبـة وفي مكان اخـر من الكنيسـة شاهدا فتاة جذابة ذات خدود حمر تبـدو بعـمـر التـاسعة عشر كانت تجلس بالقرب من طاولة وتأكل. بدا هذا الامر اعتـيـادياً ريثما تفـحص مـونتـغيرن الطعام الموضوع على الطاولة وادرك من مظهره ومن الرائحـة المنبـعـثـة انه كان برازاً بشرياً. وبين لقم هذه الوجبة الممرضة كانت تتـعاطى شراباً اصفر شـرح ديبيج انه كان بولاً.

لقـد قـدمت الفتاة الى الكنيسـة لتتعالج من حالة تدعى اليوم العصاب فكان عليـهـا ان تغـسل يديها مئات المرات يومـيـاً وكـانت شـديدة الحساسية فيما يتعلق بغذائها أي انها لاتأكل البتة اي غذاء يلمسه انسـان آخر.

وان ديكون في الحـقـيـقة قد عالجها كانت تتناول لعدة ايام البراز والبول بكل امارات البهجة.

ان مـثل هذه الامور لاتبدو غريبة في المصحات العقلية ولكن ما بدا غريباً - وفي الحقيقة منافياً للحقيقة- انها بعـد احدى الوجبات فتحت فاها كما لو تشتكي الماً فـخرج الحليب مدراراً.

جمع ديـبيج قليـلاً منه فاتضح انه كان حليب بقر تماماً. كان على مونتغيرن، بعـد الفرار من متناولة البراز ان يتحمل محنة شاقة. ففي احد اماكن الكنيـسـة تطوع عـدد من النسوة لتنظيف الجروح المتقيحة عن طريق مصها. وعندما حلت احدى النسـاء ضمادة قـذرة من سـاق فـتاة صغيرة، انبعثت منها رائحة فظيعة، مما جاهد

مونتغيرن كثيراً لمنع نفسه من التقيؤ، كانت هذه القدم مليئةً بالقروح بعضها كان كبيراً في العمق بحيث يترآى العظم للناظر.

ان المرأة التي تطوعت لتنظيفها كانت احدى المضطربات -وقد عولجت بصورة مدهشة واهتدت بواسطة التواء جسمها وإختيار الله لها لتبين الطريقة التي يتغلب فيها الانسان على الاشمئزاز. ومع ذلك فانها تراجعت عندما شاهدت وشمت قدماً مصابة بالفرغينيا فحدقت بعينيها صوب السماء وصلت لحظة بصمت ثم حنت رأسها على الجزء الذي يغطي الفخذين والركبتين وابتلعت المادة العفنة.

وعندما حركت رأسها الى اسفل قدم الفتاة لاحظ مونتغيرن ان الجرح بات نظيفاً وأكد ديبيج ان الفتاة ستشفى تماماً عندما يكتمل العلاج. وما شاهده مونتغيرن في المرة التالية زعزع مقاومته واقنعه انه كان شيئاً ذا اهمية كبرى، فقد قدمت فتاة تبلغ السادسة عشر من عمرها تدعى غابريل مولر وان الاهتمام الذي اثارته اقنع مونتغيرن انها كانت مشهورة حتى بين السحرة الخارقين. قد اسدلت ثوبها واضطجعت على الارض وتنورتها حول كاحلها ووقف اربعة من الرجال يحمل كل واحد منهم قضيباً حديدياً امامها، وعندما ابتسمت الفتاة لهم اخذوا بطعنها ودفعوا معدتها بأقاضيبهم، منع مونتغيرن نفسه من التدخل ولما اجتازت القضبان معدتها واخذ يبحث عن قطرة دم على ملابسها لم يكن ثمة دم وبدت الفتاة هادئة ورتيبة. وضعت القضبان بعد ذلك اسفل ذقنها دافعةً رأسها الى الخلف فبات مؤكداً انها ستخترق فمها ولكن عندما ابعدت القضبان بدا اللحم غير متأثر بالعملية. اخذ الرجال بعدها مجارف ذات نهايات حادة ووضعوها قبالة صدر الفتاة واخذوا يضربونها بكل ما أوتوا من قوة، لكن الفتاة مضت في ابتسامتها اللطيفة. بدا الصدر الذي اصبح محصوراً بين المجارف كأنه مقطعاً، لكنه كان سداً منيعاً لهذا الهجوم.

وضعت الحافة الحادة للمجرفة صوب رقبتها وأخذ احد الرجال يستخدم كل قوته لقطعها لكنه كان عاجزاً حتى على ان يعجها. لقد دهش مونتغيرن وهو يشاهد الفتاة تضرب بهراوة حديدية تشابه يد الهاون، رفعت صخرة تزن (٢٥ كغم) فوق رأسها وأسقطت تكراراً من ارتفاع عدة اقدام.

شاهد مونتغيرن في نهاية المطاف ركبتها قبالة نار ملتهبة ودفعوا برأسها الى النار.

كان يتحسس الحرارة من موقعه ومع ذلك لم يتأثر شعر الفتاة وحاجبيها.

وعندما التقطت فحمة مشتعلة لتأكلها لم يتحمل مونتغيرن المشهد وفر هارباً.

كرر مونتغيرن زيارة الكنيسة ريثما تيسرت له المادة الكافية للجزء الاول من كتاب مدهش. قدم هذا الكتاب الى الملك لويس الخامس عشر الذي اصيب بصدمة فزج به في غياهب السجن. شعر مونتغيرن ان عليه تحمل الموقف وان يزيد كتابه جزئين مليئين بالشهادات العلمية المتعلقة بالمعجزات في أعقاب اطلاق سراحه... وفي السنة التي تلت سجن مونتغيرن، اي عام ١٧٣٢، قررت السلطات الباريسية اغلاق الكنيسة لأن الفضيحة اصبحت لاتطاق.

بيد ان المرضى اكتشفوا ان باستطاعتهم انجاز المعجزات في اي مكان واستمروا في عملهم. دهش العالم والمتشكك العنيد لاكوندامين عندما شاهد عام ١٧٥٩ فتاة تدعى الاخت فرانسوا مصلوبة على صليب خشبي حيث دقت مسامير في ايديها واقدامها لبضع ساعات وطعنت من الجانب برمح. لاحظ ان ذلك قد آذى الفتاة وان الجروح نزفت دماً عندما ازيلت المسامير ولكن لم تتأثر من المحنة التي تقتل العديد من الناس.

ولكن ما الذي نقوله الان عن سر هذه المعجزات من وجهة نظر القرن العشرين؟ يؤمن بعض الكتاب انها نوع من التنويم المغناطيسي وهذا ربما يفسر تناول البراز والمرأة التي تمتص الجروح المتقيحة لكنها تلوح اقل اقناعاً في تفسير قدرة غابريل مولر في التحمل.

فهذا الامر يذكرنا في وصف مناسبات الدراويش. يقول جي. ج. بنيت في سيرته الذاتية (شاهد) انه لاحظ في احدى مناسبات الدراويش كيف ادخل سيف ذو حافة حادة الى معدة رجل عار واخذ رجلان ثقيلا الوزن يقفزان اعلى الرجل دون أن يتأثر بشيء.

ان ما يبدو هنا هي قوة العقل فوق الاشياء وهي اقوى من التنويم المغناطيسي غير المفهوم لحد الان لكنه يستحق الاهتمام الجاد به.

ومن المنافي للعقل ان نتوقف عن ملاحظة التفسيرات العلمية لمعجزات سانت ميدرد لكن علينا ان لانخدع انفسنا الان بالموافقة على تفسيرات (متشككة) خارقة.

محتويات الكتاب

ثبت أن كثير من جدالاته الرئيسة خاطئة. فهو يؤكد ان مواقع الجزيرة الشرقية كانت ضخمة جداً بحيث يعجز المواطنون عن بنائها ولكن المكتشف ثور هيردل أقنع سكان الجزيرة الشرقية المعاصرين على نحت وتشييد تمثال في أسابيع قلائل.

يؤكد ان الاهرامات قد شيدها الملاحون القدماء لان المصريين لم يمتلكوا حبالاً -لكن نصوص الهرم تظهر استخدام الحبل. ان ما ادعاه دانكن ان يكون صورة لرجل التقطت من سفينة فضاء في لوحة دفن بلانكو في غواتيمالا أظهرت الطلاب على انها المخطوطة الدينية لمايا النموذجية، المليئة بالرموز الأساسية، والطيور والأفاعي وغيرها.

وهو يجعل من خطوط تازكا الغامضة في سهول بيرو أمثلة لبناءات يمكن فهمها عند ملاحظتها من الجو ويقترح انها مطارات عملاقة لمركبة فضائية (ويحوزته صورة لمركبة فضائية في حالة هبوط) بيد ان الخطوط قد رسمت من السطح الصخري للصحراء وانها تتناثر بثبات لو حطت عليها مركبة فضائية. تحولت «مواقع الهبوط» لتكون تفصيلاً من ساق طير -ركبته- ولم تكن كبيرة بما فيه الكفاية لايقاف عجله. يؤكد دانكن ان هذا خطأ ارتكبه المحرر ولكنه سمح له بتصحيحه في طبعات تالية من هذا الكتاب. «ذهب الآلهة» يظهر دانكن صورة لهيكل نحت من الحجر ويود أن يعرف كيف تسنى للنحاتة القدماء معرفة الهياكل قبل ان تظهر أشعة اكس متناسياً ان كل مقبرة كانت تعج بمثل هذه الهياكل.

وفي هذا الكتاب أيضاً يدعي دانكن انه قد اخذ الى مدينة مدفونة حيث تفحص مكتبة سرية فيها كتب مصنوعة من أوراق حديدية. وعندما انكر صديقه، المكتشف جون موركز، قصة دانكن السرية مؤكداً ان المؤلفين الألمان

(نيوز لندن) تقريرا لعالم التأريخ الطبيعي والمشرح (ريتشارد اون) اعلن فيه بتعصب انها آثار الاقدام الخلفية لحيوان الغرير (وهو حيوان ثدي يحفر جحره بالارض) ويقترح ان اعدادا كبيرة من هذا الحيوان تخرج من سباتها ليلا بحثا عن الطعام ولكنه لم يوضح اسباب حجلان هذه الحيوانات على قدم خلفية واحدة (وبعد مرور خمس سنوات كان هذا العالم متعصبا ومخطئا في ذات الوقت حول نظرية دارون في اصل الاجناس).

وكتب مراسل اخر وكان طبيبا انه امضى مع طبيب آخر وقتا طويلا في محاولة لاكتشاف خصوصيات (اكثر الانطباعات تفردا) (يحب الفكتوريون هذا النوع من التزويق اللفظي) وأدعى (ان اضافة دقيقة اكثر في فحص هذه الاثار سيجعل من الممكن تميز اثار الاصابع وراحات الاقدام لاي حيوان ما). اما مرشحه فكان كلب البحر. ويرى الصحفي (أوربنثر) ان هذه الاثار تعود دون ادنى شك الى طائر (الحباري الكبير) وهو طائر مخالبه الخارجية مدورة حسب ادعائه. وادعى آخر وهو من مدينة (ساوبيري) أنه رأى مؤخرا آثار فأر في مزرعة بطاطا وانها تشبه تماما هذه (الاقدام الشيطانية) مضيفاً ان هذه الفئران كانت تقفز على الجليد لتسقط بكامل ثقلها مولدة آثارا تشبه حوافر الحصان. ويظن مراسل اسكتلندي ان هذا المجرم ربما يكون ارنبا وحشيا او قطا قطبيا. ان هذه التفسيرات جميعها هي اقل سذاجة مما تبدو عليه اذ قد تنجح في توضيح اكثر الخصائص غموضا لهذا اللغز وهي ان هذه الاقدام يتبع احدها الاخر بنسق منتظم وكأنها نتاج حيوان احادي الساق ولكنها فشلت في ذات الوقت في شرح سبب استمرارها ما يعادل اربعين ميلا.

وربما تكون اكثر الفرضيات احتمالية هي تلك التي قدمها فيما بعد (جفري هاوسهولد) في كتاب صغير ضم كل ما يتعلق بالمسألة وعلق ادناه في رسالة بعثها الى المؤلف:-